

زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

الجزء الرابع

الناشر

دار العفاني

القاهرة: ٣ درب الأتراك . الدور الثاني . خلف الجامع الأزهر

ت: ٥١٠٨٢٥٧ / ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

بني سويف: برج الزعبي . بجوار مجمع المحاكم

ت: ٠٨٢٢٣١٧٣٤٤ / ٠١٠١٧٥٦٢٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

*** اللواء الركن محمود شيت خطّاب أكبر عقلية استراتيجية عسكرية في العرب.. الناصح لأمته قبل نكبة ٥ يونيو ١٩٦٧.. ولكنه كالنبي في الصحراء لا يجد من يستفيد منه:**

المفكر الإسلامي المعروف ولد في الموصل عام ١٩١٩م. وشاء اللَّه له أن ينشأ في حضانة جدته لأبيه وهي من أسرة معروفه بصحة نسبتها إلى البيت الحسيني:

«يقول المترجم عن جدته: كانت تصحبني إلى المسجد القريب لصلاة المغرب، فإذا قضيت الصلاة أصغيت معها من مقصورة النساء إلى مواعظ الملك داود، ذي الأسلوب المؤثر، حتى تنهض لصلاة العشاء.. ومن ثم تنصرف لتناول الطعام، وربما طلبت عشاءها فلا تجد، فلا تزيد على أن تبتسم وهي تقول: لا بأس.. حصتي في الجنة إن شاء اللَّه. فإذا أوينا إلى النوم أخذت بذكر اللَّه والاستغفار، ثم لا تدعني حتى تتحقق من نومي، فتتسلل لصلاة القيام. ولطالما استيقظت على نشيجها أثناء ذلك، فإذا ما شعرت بي عادت لتحنو عليّ. واستمر هذا دأبها حتى توفاها اللَّه وأنا في السادسة عشرة، فكان لوفاتها وقع لا يمحى»[1] .

*** في سلاح الفرسان:**

ويتخرج المترجم برتبة ملازم ثان لينضم إلى سلاح الفرسان.

ويتخرج عن واقع الحياة في الجيش العراقي آنئذ. فيرينا العجب العجاب من آثار التوجيه الاستعماري، إذ كان كل شيء هناك يسير بالضابط في طريق التميع والانحلال، فلا يجد عاصمًا إلا أن يكون مزودًا بالحصانة

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٢٨).

القادرة على الثبات في وجه الأعاصير.

سأله آمر السرية الذي عين في كتيبته: أتشرب؟.. أتلعب القمار؟.. أتحب النساء؟.. ولما سمع نفيه الصارم لكل ذلك قال متبرمًا: إن ضمك إليّ نكبة عليّ[1].

* **أحداث شارك فيها:**

وفي إجابته على الاستطلاع الثامن لم يبعد بنا عن ذلك الجو، فهو يحدثنا عن طائفة من الأحداث التي شارك فيها وشاركت هي في بنائه الذاتي.

فأول هذه الأحداث ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م الذي انتهز فرصة انشغال العدو بالحرب العالمية الثانية فحشد القوات لتطهير العراق من أوزار الإنجليز. وسرعان ما هزت هذه الحركة الضمائر، وأيقظت ما غفا من العزائم، فجددت الآمال بالخلاص الذي طالما بذلت الجهود وسقطت الضحايا لتحقيقه، فحالت دونه الحوائل.

ويخوض المترجم معظم المعارك التي تلاقى فيها الجيش العراقي بقوات المحتل. وكان أثناءئذ ضابط ركن في لواء الخيالة المرابط في (أبو غرير) على بعد ٥٠ كلم من الفلوجة (الأنبار) التي شبت في ساحاتها أهول المعارك. ومع القطعات الزاحفة إلى هناك، مضى للقيام بواجبه في لقاء العدو، ولكن طائرات الباغين كانت تسيطر على فضاء الملحمة، فكان نصيب اللواء منها قنبلة توزعت شظاياها في كل موضع من جسمه، على صورة أيأست الأطباء من إمكان بقائه على قيد الحياة، إلا أن الأجل غلب العلم، فكتب اللّه له الشفاء لكي يتمم مهمته المقدورة في خدمة دينه وأمته.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣١).

ويقع ثاني هذه الأحداث أيام العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وكان اللواء آمر كتيبة في الموصل، وقد ملأت التظاهرات الشعبية أنحاء العراق، احتجاجًا على المعتدين وأنصارهم. وزحفت الجماهير الغاضبة على مؤسسات تلك الدول تحطم كل ما تصل إليه أيديها. وبلغت الحماسة أوجها في الموصل، وسقط العديد من القتلى بالتصادم بين الشرطة والمتظاهرين.. وهناك جاءه الأمر من العاصمة بنزول الجيش للسيطرة على الموقف، ثم تتالت الأوامر بوجوب الضرب مهما تكن النتائج بعد أن بلغت التظاهرات يومها الحادي عشر.

□ يقول اللواء: كان من غير العسير عليّ تفريق الجموع دون ما حاجة إلى إطلاق أي رصاصة، إلا أني لم أكن مقتنعًا بهذا العمل، بل كنت موقنًا أن هذا التظاهر أقل ما يجب على العراق لنصرة الشقيقة مصر. ولهذا تجاهلت أحد عشر أمرًا بالرمي، وأصررت على هذا التجاهل، فكانت عقوبتي هي نقلي من بلدي إلى جنوب القطر.

وطبيعي أن يكون له نصيبه من أحداث العهد الأحمر، الذي سلط عبدالكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي، على مقدرات العراق فيما بعد.

كان المترجم، بحكم كونه رئيس هيئة أركان حرب، مسئولاً عن أمن الجنوب كله ما بين بغداد والبصرة، فكان ذلك بمثابة حماية أتاحها اللّٰه لذلك الجانب من العراق، فلم يجد القتلة الحمر منفذًا إليه، على الرغم من كل المحاولات التي بذلوها بعد أن فرضوا على سائر الأنحاء جوًا من الرعب لم يعرف له التاريخ نظيرًا، اللّٰهم إلا أيام مزدك في فارس، والقرامطة في العراق والحجاز، والثورة البلشفية في روسية، ثم الثورة الثقافية في صين ماوتسي تونغ.

□ يقول الصديق الفاضل: لقد وُضعت أجهزة الدولة كلها تحت تصرف

الشيوعيين، فلم يحل بينهم وبين ما يشتهون، فهم يقتحمون الدور، ويجرّون الرجال إلى القتل خنقًا أو سحلاً في الشوارع العامة، ويستخدمون لذلك سيارات الجيش وما شاءوا من أسلحته وأدواته، ولما حاولوا أن يفعلوا ذلك في منطقة عملي واجهتهم بالرفض الصارم، وحجزتهم عن كل عدوان.

□ ويقول المترجم بهذه المناسبة: لم يكن عبدالكريم قاسم شيوعيًّا، ولكن كان مضطرًا للاستعانة بهم، وبخاصة في تلك الأثناء التي اندلعت فيها ثورة الشواف بالموصل، فأطلق أيديهم يعملون ما يشاءون دون حسيب ولا رقيب.. ولم يكن بوسعهم الصبر على موقفي منهم فاتصلوا به يستعدونه عليّ، فبعث إلي المنطقة بضابط يصلح لتحقيق رغباتهم، وما لبثوا أن تجمعوا حوله ليخطب فيهم داعيًا إياهم إلى سحل كل ضابط ومدني يقف في طريقهم أو لا يؤيد ثورتهم، فكان عليّ أن أتدارك ما أمكن من الخطر، فدخلت على هذا الضابط أحذره مغبة تصرفه.. فلم يكن منه إلا أن اتصل بعبدالكريم قاسم طالبًا إليه التدخل لإقصائي عن طريقهم. وهكذا تم لهم ما يشاءون، وكان ذلك في الهزيع الأخير من إحدى ليالي رمضان، حيث وافتني ثلة من جنودهم فاعتقلتني، ثم حملتني في حراسة مشددة إلى السجن المخصص لأعداء الثورة في بغداد.. واستمر وجودي هناك مدى ثمانية عشر شهرًا مشحونة بألوان من التعذيب الذي يُعجز الوصف[1].

* العمل الأشق التدريس في الكليات العسكرية وكليات الأركان:

وعن عمله في التدريس يذكر من مجالاته فيها، الكليات العسكرية، وكليات الأركان، والجامعات الأخرى في العراق وغيره.. ثم معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

(١) المصدر السابق (١/٣٣٦ ـ ٣٣٨).

□ ويقول عن التدريس: إنه في تقديره أشق حتى من العمل العسكري لمن يستشعر حقه ويريد أن يؤديه على الوجه الأكمل، ويمثل لذلك بأن نصابه الأسبوعي في المؤسسات التي درس فيها لم يتجاوز الساعتين، ومع ذلك كان تحضيراً لموضوع يستهلك من وقته أكثر من ثلاثين ساعة[١] .

* جهاده في فلسطين:

□ للّه دره وهو يتساءل مستنكراً:

«فأين من يستقطب الضباط أصحاب السجية العسكرية النادرة، ويعطي لهم الصلاحيات الكاملة، للعمل في مجالهم العسكري، حتى تعرف إسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار القديم والحديث، أي أمّة عريقة هم العرب، وأيّ رجال أبطال هم بنوها!»[٢] .

إنه صاحب بصيرة، يفكّر بالماضي، ويحلّل الحاضر، لتكون نظرته المستقبلية صائبة.. وهذا ما يأباه الطغاة المسكونون بأنانيّاتهم، ومصالحهم الذاتية، مهما كانت تافهة، وضارّة ومضرّة بالوطن والمواطن. تقدّم رحمه اللّه بطلب إلى المراجع العسكرية عام ١٩٤٨م، وكان برتبة نقيب ركن، ليسمحوا له بالالتحاق بالقطعة التي سوف تتوجه إلى فلسطين لقتال اليهود. وقد شارك في عدة معارك، وضرب أروع الأمثلة بشجاعته، وحنكته، وحسن تصرفه قبل القتال وأثناءه وبعده، وبقي في مدينة (جنين) أكثر من سنة، ثم جاءت الأوامر بعودة الجيش العراقي إلى العراق، فعاد معه. وما يزال أهل جنين يذكرون الضابط العراقي البطل محمود شيت خطاب بالحبّ والإكبار[٣] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٣٩).

(٢) عقبة بن نافع الفهري لمحمود شيت خطاب (ص١٢).

(٣) من حديث للواء محمود شيت مع حسني أدهم جرار.

□ قال اللواء خطاب عن نفسه:

«إنني أومن بأن الحرب الإجتماعية تقتضي الجهاد بالمال، والجهاد بالأنفس، والجهاد بالأقلام، لنيل النصر المؤزَّر.

وقد حبستُ قلمي على الجهاد في فترة الأيام العصيبة قبيل اندلاع الحرب يوم ٥ حزيران ١٩٦٧م فلما وقعت الحرب بين العرب وإسرائيل، حاولت أن أجاهد بروحي، فلم يكتب اللَّه لي الشهادة في ساحات القتال».

□ وقال عن معركة (جنين) التي أبلى فيها بلاء رائعًا في عدة معارك ضارية:

أجنينُ إنكِ قد شهدتِ جهادنا ... وعلمتِ كيف تساقطتْ قتلانا
أجنينُ لا أنسى البطولة حيّةً ... لبنيكِ حتى أرتدي الأكفانا
أجنينُ يا بلد الكرام تجلّدي ... ما مات ثأرٌ ضرّجتْه دمانا
إنَّ الخلودَ لمن يموتُ مجاهداً ... ليسَ الخلودُ لَمنْ يموتُ جَبانًا[1]

* **مواقفه الطيبة:**

١ ـ مواقفه في نصرة دعاة الإسلام:

أ ـ مع سيد قطب:

حدّثني اللواء خطّاب أنه زار القاهرة، بصحبة رئيس الجمهورية العراقية المشير عبدالسلام عارف. وهناك في القاهرة، طلب من المشير عارف أن يتوسّط لدى صديقه عبدالناصر للإفراج عن سيد قطب. وتحدّث عارف مع ناصر بحضور خطّاب، ووافق ناصر على الإفراج عن سيّد. عندها طلب

---

(١) «اللواء الركن محمود شيت خطاب المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه» لعبداللَّه محمود (ص٤٣ ـ ٤٤) دار القلم ـ دمشق.

خطّاب من عبدالناصر أن يسمح له بزيارة سيّد في سجنه، ليبشّره بقرار الرئيس، فسمح بذلك، وجاءت سيارة من القصر حملت خطّابًا إلى سجن سيّد. وفرح سيّد بلقاء خطّاب، وحمّله سلامه إلى المشير عارف، فقال له خطاب:

ـ أبشّرك بالإفراج عنك قريبًا جدًّا.

تساءل سيّد: كيف؟

فقصّ عليه خطّاب قصّة وساطة المشير عبدالسلام الذي يكنّ له حبًّا ومودّة وتقديرًا وإعجابًا بجهاده، وفكره، وقوة إيمانه وصموده في وجه الأعاصير.

فسأل سيّد، وقد علتْ وجهه كآبة: يعني.. كلمتم الرئيس، وانتهى الأمر؟

أجاب خطّاب بسرور: نعمْ والحمد للّه.

قال سيّد في حزن: سامحكم اللّه.. لو أنكم شاورتموني.

قال خطّاب في دهشة: وهل كان سيكون لك رأي آخر؟

قال سيّد: نعمْ.. لو شاورتموني لرفضت الوساطة، ولما خرجت بهذه الصورة.

قال خطّاب في حزن وسهوم: ولكنها كريمة.. إخراج كريم.. الرسول القائد ﷺ قال معلّقًا على إباء يوسف الخروج من السجن حتى يسأل الملك النسوة اللواتي قطّعن أيديهنّ: «**رحم اللّه أخي يوسف لو خُيِّرت ـ مكانه ـ لاخترت الخروج على المكث في السجن**».

قال سيّد:

ـ على أيّ حال.. سبق السيف العذل، وشكر اللّه لكم مسعاكم النبيل، ونيّتكم الحسنة في الإفراج عن أخيكم، وأطيب تحياتي لكم وللأخ

عبدالسلام عارف. . الرجل الصالح.

«وخرج سيّد من السجن، وقدّم لي وللمشير عارف كتبه كلّها مجلّدة تجليدًا فاخرًا، وكتب على الظلال إهداء لطيفًا لكلٍّ منا».

ثم اصطحبني اللواء خطّاب إلى مكتبته العامرة، وأراني كتب الشهيد العظيم، وقرأت إهداءه بخط يده على المجلد الأول من الظلال، واللواء خطّاب يدندن بهذين البيتين في تأثّر ثائر:

ذلك المؤمن المجاهد يغشى ... غمرة الحرب، والرَّدَى يخشاه

تحت ظلِّ السيوف ماضٍ قويٌّ ... درْعُه: لا إله إلا اللّه

ثم التفت إليّ، وقد أخذ الحزن مأخذه في وجهي وعينيّ، وقال في حزن:

وهوِّن عليك، فإنّ الأمور ... بكفّ الإله مقاديرها

فليس يؤاتيك مَنْهيُّها ... ولا قاصرٌ عنك مأمورها

ب ـ مع المودودي:

وتابع اللواء خطاب حديثه، فقال:

في العام نفسه: (١٩٦٤م) زرت باكستان بصحبة الأخ المشير عبدالسلام عارف، وهناك حدثته عن اعتقال الأستاذ أبي الأعلى المودودي، فأبدى امتعاضه وأسفه لتصرف الحكام مع قادة الفكر الإسلامي، وقال:

ـ سوف أكلّم أيوب خان ـ رئيس الجمهورية ـ بشأنه.

قال خطّاب:

ـ وتذكّرتُ عتاب الأستاذ سيد قطب؛ لأننا لم نشاوره قبل التوسّط لدى عبدالناصر للإفراج عنه، فقلت للأخ المشير:

ـ لا تكلّمه ـ أيوب خان ـ قبل أن أزور الأستاذ في سجنه، وأرى رأيه

في ذلك.

وعندما التقينا مع الجنرال أيوب خان، استأذنتُه في زيارة الأستاذ المودودي، فأذن بذلك وقال:

ـ الأستاذ المودودي عالم كبير، وإنسان مفكّر عاقل، ولكنّه يكرهني.. لماذا؟ لا أدري. فأنا هنا الرئيس ـ يا سيادة الرئيس ـ وكلما أصدرت قانونًا، أو اتخذت قرارًا، أو رسمت مرسومًا، بادر الأستاذ المودودي إلى تفنيده، والتنديد به.

ثم التفتَ إليّ وقال:

ـ زره ـ يا حضرة الأخ خطّاب ـ وافهمْ منه ماذا يريد، حتى نتفاهم ونتعاون.

قلت لأيوب خان:

ـ يريد الإسلام حاكمًا لباكستان، فباكستان ما انفصلت عن الهند إلا من أجل الإسلام، وأن يحكم الإسلام، ويكون الدستور الباكستانيّ إسلاميًّا.

قال أيوب خان:

ـ ونحن معه، ولكنه يتعجل الأمور.. يحرّض على الانقلاب عليّ..

وزرت الأستاذ المودودي في سجنه، ففرح بلقائي، واختلطت مشاعر الفرح والحزن بلقائه.. فرحت بلقاء هذا العالم المجاهد العظيم، وحزنت أن يكون في السجن، وليس في قمة السلطة، يخطّط لباكستان المسلمة وينظّر.

وبعد تبادل التحيات، وسؤاله عن أحوالنا، وسؤالي عن أحواله وأحوال جماعته، وأحوال المسلمين في باكستان، قلت له:

ـ المشير عبدالسلام عارف يحبّك، ويحترمك، ويقرأ كتبك، ويتأثر بها جدًّا، وهو يعدّ نفسه من تلاميذك، ويريد أن يخدمك، ويسعى للإفراج عنك.

فقاطعني المودودي:

ـ هل كلّم أيوب خان بشأني؟

أجبت: ليس بعد.

فتنفّس الصُّعداء وقال بحرارة يكاد شواظها يلفحني:

ـ الحمد للّه.

قلت: على ماذا تحمد اللّه؟

قال: لو توسّط لدى أيوب خان، لرفضت الوساطة، وما خرجت من السجن، فالحمد للّه أنكم لم تكلموا ذلك الطاغية بشأني.

قلت: ولكنّ الأستاذ سيّد قطب قبل وساطة الأخ المشير.

قال: أظنكم أحرجتموه فقبل هذه الوساطة الكريمة.. الأستاذ سيّد رجل حيي.. أمّا أنا، فما كنت لأقبلها، حتى لو أحرجتكم..

ثم ودّعته محمَّلاً بدعواته، وتحياته للأخ عبدالسلام.

٢ ـ موقفه من اللهجة العاميّة:

يتلخص في أن عواقب انتشارها خطيرة، وكلّ الدعوات إليها مريبة، وكلّ الداعين إليها مشبوهون، وكثير منهم ماسونيون يريدون تقسيم الدولة العربية الواحدة إلى دويلات، أو دولة فيها عدة لهجات تقوم مقام اللغات، وفي النهاية، يريدون أن يصبح القرآن الكريم غير مفهوم، ومن يريد فهمه، فليترجمه إلى عاميته، أو أن يتعلم لغة أجنبية، كاللغة العربية، ليفهمه، لأن تلك اللهجات بعيدة عن العربية الفصيحة، أو يفهمونه مترجمًا إلى إحدى اللغات[1] .. إنه يحذّر من استخدامها ومن الداعين إليها من المستشرقين والمستغربين.

(١) «مجلة لواء الإسلام» (٥/٢٤) لعام ١٩٧٠.

٣ ـ موقفه من شعر التفعيلة :

قَرَنَ اللواء خطاب بين الدعوة إلى استخدام العامية بالدعوة إلى استخدام الشعر الحر، وقال :

«فالشعر الموزون المقفّى هو من دعائم اللغة العربية، والدعوة إلى الشعر الحرّ أصلها صهيوني من إسرائيل»[١] .

وعندما أطلعته على مقالي الذي نشرته في مجلة (الآداب) البيروتية عام ١٩٦٩م ـ العدد التاسع، وأثبتّ فيه أن الشاعر الإسلامي علي أحمد باكثير ـ رحمه اللَّه ـ هو أول من بدأ هذا النمط من الشعر، قبل السياب ونازك وغيرهما من الشعراء، قرأ المقال بإمعان، ثم قال :

«جهد غير مشكور . . ليتك لم تكتب هذا الكلام، وتتعب نفسك، وتبرئ ساحة أعداء العربية الذين يدعون إليه، وتلصق هذه التهمة بالشاعر والأديب الرائع باكثير الذي كتب صدفة أو قدرًا مثل ذلك الكلام الذي هو ترجمة لباكثير، وكتبه تحدّيًا، وليس ابتداعًا من عندياته» .

٤ ـ موقفه من اللغة العربية :

هي أحسن لغة في العالم، كما أن عقيدتنا أحسن عقيدة[٢] .

وقد آلى على نفسه أن يكون الذائد عن حياض اللغة العربية ما عاش، ولهذا تراه في كل مناسبة يدعو إلى استخدامها، والتعمق فيها، ويندّد بأولئك الخونة الجهلة الذين يطلقون عليها أوصاف (لغة الكهوف ـ لغة أهل القبور ـ اللغة التي لا تستطيع أن تجهر بالعلم) ويجرون استفتاءات عما إذا كانت تستطيع النهوض بالعلوم الحديثة في القرن العشرين[٣] .

---

(١) «مجلة لواء الإسلام» (٥/٢٤) لعام ١٩٧٠م.

(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٥/٢٤) لعام ١٩٧٠م.

(٣) المرجع السابق.

ويرى أنّ اللغة العربية عالمية، متغلغلة في العالم شرقًا وغربًا، وقد دخلت في كلّ لغة من لغات العالم، كالروسيّة والإنكليزية والفرنسية والألمانية، ناهيك عن لغات الشعوب الإسلامية، كالتركية والفارسية واللغات الهندية.

٥ - يرفض رفضًا قاطعًا دعوة أعداء العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية، تحت أيّ ذريعة[١]، من أجل قطع صلة المسلمين بقرآنهم، وهو سندهم القويّ المتين.

٦ - موقفه من الحضارة الغربية:

يرى أن الحضارة الغربية مقسومة إلى قسمين. الأول: علميّ، نقبله ونستورده. والثاني: ذو صلة بالمبادئ، وهذا نرفضه ولا نرضى بشيء منه.. إنه من قبيل الاستعمار الفكري والغزو الثقافي، وهو أخطر أنواع الاستعمار الحديث[٢] وهو القائل:

«إن هذا العصر الذي نجح في تطوير العلوم التطبيقية، والوصول إلى القمر، أخفق في تطوير معاملات البشر، أفرادًا أو أممًا، بعضهم لبعض، لذلك لا يزال البشر بعيدين عن الكمال؛ لأن حضاراتهم اهتمت بظاهر الإنسان وحياته المادية، بينما اهتمّ الإسلام بباطن الإنسان وظاهره، وبحياته الماديّة والرّوحيّة على حدٍّ سواء»[٣].

٧ - موقفه من أدب الجنس:

قال في مقدمة مجموعته القصصية: (عدالة السماء):

«صدرت قصص كثيرة في الأعوام الأخيرة، أقبل على قراءتها الشباب

(١) المرجع السابق (٢٣/٩ و١٠).
(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٣/٩ و١٠).
(٣) «ومضات من حياة المصطفى» (ص٨).

والشابات؛ لأنها تدور على الجنس، وتشجّع عليه، ممّا أدى إلى إشاعة الفحشاء في كثير من قرائها.. هذه القصص الجنسية الداعرة، قصص المخدع، التي تتبجّح بالخلاعة، وتدعو إلى الميوعة، أضرّت بقرائها أبلغ الضرر؛ لأنها عملت على إفساد أخلاقهم، وجعلتهم يرون في (الجنس) هدفهم الحيويّ في الحياة.. ولست أشكّ في أنّ الذي يتلوّث جنسيًّا لا يقوى على تحمُّل أعباء الحرب. ولا يستطيع النهوض بواجباته في القتال.. وبذلك أفاد مؤلفو قصص المخدع إسرائيل من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون»[١].

وندّد بالأدب الماجن في عدّة مواضع من كتبه، وقال:

«إنّ ترك شبابنا يلجأون إلى الأفكار المستوردة، والتخنّث، والعبث، وتقليد الغرب حتى في (خنافسه) لن يفيد غير أعدائنا المستعمرين والصهاينة؛ لأن الترف والتخنّث على طرفي نقيض من حبّ التضحية والإقدام.

إن أدب المخدع، والصور العارية، والصحف والمجلات الخليعة، وكتب الجنس والرقص، والأفلام العابثة، والحانات، والعلاقات المشبوهة بين الجنسين دون حسيب أو رقيب، كلّها معاول هدم للفرد العربيّ أولاً، وللأسرة ثانيًا، وللأمّة ثالثًا، وهي لا تفيد غير إسرائيل؛ لأنّ من نتائجها: تمييع الشعب وتخنّثه، والشعب المائع المخنّث لا يحارب أبدًا»[٢].

ثمّ وجه نداءه الحارّ إلى المؤلفين «أن يحرصوا على أخلاق أبنائنا وبناتنا، وألاّ يكتبوا ما يحطّم تلك الأخلاق.. وستلعن الأجيال القادمة كلَّ مؤلف اتخذ العلم (تجارة) فقذف إلى أسواق الكتب مؤلفات أضرّت بالخلق الكريم، وألحقت بالفضيلة أبلغ الأضرار»[٣].

---

(١) «عدالة السماء» (ص٧).

(٢) «طريق النصر» (ص١٥٠).

(٣) «عدالة السماء» للواء محمود شيت خطاب (ص١٠٧ ـ ١٠٨).

* موقفه من اليهود :

كانت الصهيونية أو اليهودية أعدى أعدائه، ومحور تفكيره وهمومه، وأمَّ أحزانه وآلامه، وشغله الشاغل الذي لا يشغله عنه شاغل آخر، فلا يكاد كتاب من كتبه يخلو من التنديد بها، والتحريض عليها، والتحذير منها، والتبكيت لعملائها، والمتهاونين في مقاومتها.

كان ينعى على الكتّاب السائرين في ركابها، كذلك الأديب الكبير الذي منحوه جائزة نوبل لعلاقاته المريبة بالصهيونية ويهود، ويتساءل: لمصلحة مَنْ منحوك هذه الجائزة اليهودية يا أديب كنانة الأزهر؟

وألهب ظهور حكام العرب بالمقال الذي كتبه عن (اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل)، وذكر فيه أن القوّة وحدها، ولا شيء غير القوة، هي اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل[١] . والجهاد وحده هو الطريق الصحيح لتحرير فلسطين، وسحق إسرائيل.

يرى أنّ إسرائيل دويلة عنصرية، وكلّ ما بُني على العنصرية إلى زوال، وكلُّ أمّة أو دولة تُبنى على العنصرية إلى زوال وفناء، كما حدث لألمانيا النازية[٢] .

ويرى أن مركّب النقص لدى يهود، الذي تغلغل في عمق أعماق نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وأعصابهم، نتيجة للذلّ والحرمان والمهانة التي عانوا منها عبر القرون ـ دفعهم إلى جعل دولتهم عسكرية تؤمن بالقوّة وبالقوة فقط، وربُّوا أطفالهم، وأنشأ عناصرهم البشرية على المظاهر العسكرية، ووجّهوهم توجيهًا حربيًا ذا أهداف احتلالية، ولقّنوهم ما يعمّق فيهم التعصّب

---

(١) «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» لمحمود شيت خطاب (ص١٢ ـ ١٣).
(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٨/٢٥).

الضيّق جداً كالذي يُطبَّق في النُظُم العسكرية، التي تؤلّه جيوشها. إنهم ينشّئون الأطفال هذه التنشئة العسكرية، مستعينين بجميع الوسائل التي تملكها الدولة، ليطبعوا كلّ شيء فيها بطابع الغزو والاستعمار[١].

وحول محاولات إسرائيل إقامة هيكل سليمان المزعوم قال:

يوم ٢١ من آب سنة ٧٠م أحرق تيتيوس الرّوماني هيكل سليمان.

وفي ٢١ من آب سنة ١٩٦٩م يحرق اليهود المسجد الأقصى.

هل يمكن أن يكون هذا صدفة؟

أنا أقول ـ وهذا ليس تنبُّؤًا، إنما هو حساب محسوب:

يوم ٢١ من آب سنة ١٩٧٠م سيوضع الحجر الأساس لهيكل سليمان؛ ذلك لأن اليهود يهتمون برقم سبعة، ويعتبرونه رقمًا ربّانيًّا، وكلّ الأعمال الكبيرة يعملونها في السبعة. مثلاً:

سنة ١٨٩٧ كان المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرة.

سنة ١٩٠٧م بدء الهجرة اليهودية بطاقات كبيرة.

سنة ١٩٣٧م وضع الحجر الأساس في جيش الهاجاناه.

سنة ١٩٤٧م كان قرار التقسيم.

سنة ١٩٥٧م كان الإبحار في إيلات.

وسنة ١٩٦٧م كان لهم النصر العظيم في حرب حزيران[٢].

❑ ولأن اليهود وإسرائيل عدو المسلمين الأول واللدود فلقد أولاهم أكبر الدراسات الهامة نصحًا لقومه ومنها كتبه الآتية: «حقيقة إسرائيل» و«طريق النصر في معركة الثأر» و«أهداف إسرائيل التوسعية» و«الأيام الحاسمة قبل

---

(١) «الأيام الحاسمة» (ص٦٠ ـ ٦١).

(٢) «مجلة لواء الإسلام» (٢٤/ ٥/ ١٩٧٠).

معركة المصير» و«الوجيز في العسكرية الإسرائيلية» و«التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي» و«العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة».

*** «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» ونصح اللواء محمود شيت خطاب لقادة أمته فلم يستجيبوا له:**

صدر هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٦٧م عن وزارة الثقافة والإرشاد في (١٦٧) صفحة للواء محمود شيت خطاب.

وهو مجموعة من الدراسات العسكرية كتبها ونشرها بين ٥/٣٠ و٥/٦/١٩٦٧م.

❑ هدف من نشرها إلى:

١ ـ خلق وعي عسكري سليم بين أبناء الشعب.

٢ ـ استثارة الهمم لحشد الطاقات المادية والمعنوية للجهاد.

٣ ـ إبراز ما يمكن أن يحدث في الحرب فعلاً بكل صراحة وموضوعية ووضوح ليكون الشعب على بيّنة من أمره، فلا يؤخذ بالأحداث على غرّة، فتنهار معنوياته دون مبرر.

في بحثه (خطة إسرائيل في ٥ حزيران) كان مدركًا لمخططات إسرائيل، وخُطّتُها في الهجوم على تلك الهضاب (السورية) مكشوفة، أيضًا.. وهي خطّتها التي كررتها مئات المرات في الاعتداء على البلاد العربية المجاورة، مع اختلاف بسيط واحد، هو زيادة حجم دروعها ومشاتها المنقولين بالعجلات المدرعة، وزيادة إسنادها الجوّي.

خطتها هذه، هي غارات خاطفة، تباغت بها القوات العربية، بقوات أرضية مدرعة، وقوات جوية، مع اختلاف في حجم تلك القوات بالنسبة للواجب المطلوب، والهدف الذي تريد السيطرة عليه.

«وقد حشدت بالقرب من حدود سورية للهجوم على هضاب تحويل مجرى نهر الأردن ـ قوات تقدّر بأربعة ألوية مدرعة، ولواءين من المشاة المحمولين بالناقلات المدرعة، وهيأت القوة الجوية لإسناد هذا الهجوم الأرضي، لكي تهيّئ الجوّ المناسب لاختراق سريع حاسم».

وإسرائيل «لم تكتم نياتها في الاعتداء على سورية، وفضحت باستهتار عجيب تلك النيات».

لماذا هذا الاستهتار؟ أظنّ الجواب واضحًا..

بل عندما قامت مصر بحشد قواتها في سيناء على حدود إسرائيل، سارعت إسرائيل إلى سحب قواتها من حدودها الشمالية، إلى حدودها الجنوبية مع مصر، وصارت جبهتها الشمالية مع سورية ثانوية، وجبهتها مع مصر هي الحيوية.

ومع ذلك.. سقطت الهضاب المنيعة في الجولان الاستراتيجي المنيع. فتأمل.

وفي بحث (أهمية حرمان إسرائيل من الملاحة في خليج العقبة) قدّم وصفًا مجملاً لخليج العقبة، وأهميته الاستراتيجية من النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وفي (حرب أم لا حرب) الذي كتبه في ١٩٦٧/٥/٣٠م أي قبل الحرب بخمسة أيام فقط قال:

«وأبادر إلى القول بأن الحرب بين العرب وإسرائيل آتية لا ريب فيها، ولكن: كيف؟ ومتى؟ وأين؟».

ثم أجاب اللواء خطاب على هذه الأسئلة.

تحدّث عن القوات الإسرائيلية: النظامية، والعصابات الإرهابية الرديفة للجيش النظامي، والقوات المدنيّة المهيأة للدفاع المحلي عن القرى والبلدات

والمستعمرات.

وبيّن أن القتال على جبهتين ليس بمقدور إسرائيل، بقواتها النظامية الراهنة، ولذلك دعت إلى النفير العام الذي تستطيع به تجنيد ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ألف مقاتل. وهذا العدد يحتاج إلى التسليح، والتنظيم، والتجهيز، والقيادة.

وكل هذا يحتاج إلى الوقت، وهي جادة في كسب الوقت، وتخادع العرب بمظاهر كاذبة.. «هذا ما يجب على العرب أن يضعوه نصب أعينهم، ويستعدّوا لمجابهته بخطط مدروسة دقيقة» فإسرائيل سوف تخوض الحرب لا محالة.

وخلص إلى القول في هذه المقالة التي نشرها في ١٩٦٧/٥/٣٠م:

«أمّا متى تبدأ الحرب؟ فالنفير الإسرائيلي يكمل خلال أسبوعين، وقد بدأت بتنفيذ خطة نفيرها بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٣م وينتهي نفيرها يوم ١٩٦٧/٦/٥م، وفي خلال هذه الفترة يمكن إنجاز خطط الحركات والخطط الإدارية، وخطط التنقل، وخطط تعيين القيادات، وإصدار الأوامر إليها. وعلى ذلك: ستهاجم إسرائيل القوات العربية يوم ١٩٦٧/٦/٥م»[1].

ترى.. أي مفكر استراتيجي هذا اللواء الركن محمود شيت خطاب؟

وأيّ حساب دقيق، وذهن متوقّد كان يمتلك؟

وفهمه لقيمة الوقت في هذه المرحلة الحاسمة، جعله يكتب بحثه (الوقت مع العرب على إسرائيل)، وخلص فيه إلى: «أن العرب إذا اشتبكوا بالقتال ضدّ إسرائيل، بعد حشد طاقاتهم المادية والمعنوية، فإن الحرب، كلما طال أمدها، يكون الوقت مع العرب على إسرائيل. والذي أريده: أن العرب إذا حاربوا إسرائيل قبل استكمال نفيرها، فسيلحقون بها أضرارًا جسيمة».

---

(١) «الأيام الحاسمة قبل معركة المصير» (ص٨٤).

هذا المعنى الحاسم كان خطاب لا يفتأ يردّده على مسامع العرب، ويؤكّده ليعوا خطورة ما يقول: «والذي أريده: أن العرب يجب أن يبدءوا بالهجوم على إسرائيل، ليحطّموا قواتها أولاً، قبل أن تحطّم إسرائيل القوات العربية، في حال استكمال نفيرها، وإقدامها على مهاجمة العرب، ولكي تكون المبادأة بيد العرب على إسرائيل».

ولكن.. يبدو أنه كان مدركًا أن العرب سوف يفوّتون على أنفسهم فرصة المبادأة، وسوف يقوم اليهود بمهاجمة العرب، وسوف يحققون نصرًا كاسحًا في الأيام الأولى من الحرب، وعندها ما على العرب إلا الاستمرار في القتال، فقال: «الدرس الذي أركز عليه في هذا المقال، والذي أريد أن يتفهمه العرب بعمق وأصالة: أن انتصار إسرائيل في الأيام الأولى من الحرب على العرب، يجب أن يزيد من صمود العرب، ومن استقتالهم، دفاعًا عن كرامتهم، وحقوقهم، وشرفهم».

فإذا كان العرب لا يجرؤون على مهاجمة إسرائيل، وتركوا لها فرصة بدء الحرب، وكسب النصر، فليطيلوا أمد الحرب، ولا يوقفوا القتال، وعندها يتراجع جيش اليهود وينتصر العرب، ولكنْ هيهات.. إنها صيحة في وادٍ سحيق.

وفي بحثه «حرب البترول» بيّن الأهمية الاستراتيجية للبترول بالنسبة للآلة العسكرية، وبالنسبة للغرب، وبالنسبة لإسرائيل.. وبعد دراسة مركّزة، قال:

«يمكن الجزم بأن قطع البترول عن إسرائيل نهائيًّا، وعن الدول الاستعمارية التي تساند إسرائيل، سيؤدي إلى اندحار إسرائيل في الحرب، وذلك في حالة صمود العرب، مهما بذلوا من خسائر وأضرار، وسيؤدي إلى انهيار الاقتصاد الغربي خاصة، ويجعل الدول التي وراء إسرائيل، تفكر ألف

مرة قبل الإقدام على إلحاق الضرر بمصالح العرب».

ودعا العرب والمسلمين إلى قطع بترولهم عن إسرائيل فورًا، وإذا نشبت الحرب، فعلى العرب أن يوقفوا ضخَّ بترولهم نهائيًّا، حتى تضع الحرب أوزارها، لكي لا يتسرب هذا النفط إلى إسرائيل، وإلى من وراء إسرائيل من دول الاستعمار.

وفي كلمته (إرادة القتال) التي ألقاها من تلفزيون بغداد مساء يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م شجّع العرب على القتال والاستبسال والصمود في وجه العدو اليهودي، وبدأ حديثه بذكر عدّة حوادث تاريخية، كغزوة الحديبية التي بايع فيها المسلمون رسولهم وقائدهم ﷺ على الموت، واستذكر بعض بطولات معركة اليرموك، والقادسية، ثم عرّف (إرادة القتال) التي هي: إيمان بهدف سامٍ، وجهاد في سبيل هذا الهدف بالنفس والمال، وثقة بأن هذا الهدف هو أحبّ وأعزّ وأغلى من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن.. وتحدّث عن الناحية الروحية، والإيمان، وعقيدة الإسلام.

وطالب القادة العسكريين أن يكونوا قدوة لضباطهم وجنودهم، ولشعوبهم، في المعارك، وما يقال للقادة العسكريين، يقال للقادة السياسيين، وطالبهم:

١ ـ بحشد سائر الطاقات المعنوية والمادية، وزجّها في المعركة.

٢ ـ بالتوقف عن ضخّ البترول فورًا.

٣ ـ بأن يفتح العرب على إسرائيل ثلاث جبهات: مصرية، وسورية، وأردنية.

٤ ـ بأن تحشد سائر الدول العربية قواتها فورًا، وتنقلها إلى ساحات القتال بسرعة.

٥ ـ بإعلان النفير العام في سائر البلاد العربية.

وأنهى كتابه الاستراتيجي هذا بخاتمة لخّص فيها توقّعاته قبل الحرب، وحدوث تلك التوقعات على أرض الواقع، ثم حاول التخفيف من وقع هذه النكسة، النكبة على العرب، ودعاهم إلى الصبر، والإعداد، والصمود، والإفادة من دروس المعركة، والتركيز على المعنويات، على العقيدة، على المبادئ والأخلاق، على أن يعودوا إلى الإسلام من جديد.

فنتيجة حرب حزيران كانت متوقّعة، فقد كان همّ اليهود الإعداد لحرب العرب، وكان همُّ العرب مقاتلة بعضهم بعضًا.. لم يصرف اليهود دقيقة من وقتهم في غير الاستعداد للحرب، وصرف العرب كل أوقاتهم في تخدير أنفسهم، وفي اللهو واللعب وتفرقة الصفوف. كانت إسرائيل تعمل، وكان العرب يقولون. وشتان بين الأعمال والأقوال.

لقد بدا اللواء خطاب ـ في هذا الكتاب كما في غيره مفكرًا استراتيجيًّا، مستقبليًّا ومثقفًا عميق الثقافة، واسع الاطلاع، نهم القراءة والاستماع، يطالع الصحف، ويقرأ المذكرات والكتب، عربيةً وأجنبية، صديقةً ومعادية، ويستمع إلى الإذاعات المعادية، ويحلّل ما يقرأ ويسمع ويركب، ثم يستخلص النتائج بوعي، ويفهم دور العامل الاقتصادي، والسياسيّ، والمعنويّ في الحرب الحديثة، ومدى التغلغل اليهوديّ الاقتصادي في بلاد العرب والمسلمين، كما في أرتيرية عن طريق الحبشة.

لقد بلغت به الدقة في رصد التطورات التي كانت تتمخض بها المنطقة آنذاك، إلى حد أن يؤكد عزم إسرائيل على التحرك لإنزال ضربتها في اليوم نفسه الذي قررته وهو الخامس من حزيران. ونشر ذلك في جريدة «العرب» البغدادية يوم الأول من الشهر نفسه.. ولكن صيحته ذهبت مع الريح؛ لأن الغرور والجهل قد أصما آذان المسئولين أثناءها فلم يسمعوا سوى صوت

الشيطان الذي سبق أن غرر بأسلافهم يوم بدر، حتى إذا نزلت بهم الكارثة ولى هاربًا وهو يقول: «إني أرى ما لا ترون..».

وقد قدر لهذا الألمعي خبرته حق قدرها ذلك المؤلف الإسرائيلي الذي عرض لإنذار اللواء محمود بشأن تلك الحرب، فقال عنه في كتابه «الحرب بين العرب وإسرائيل» إنه أكبر عقلية استراتيجية في العرب، ولكنه كالنبي في الصحراء.. لا يجد من يستفيد منه»[١، ٢].

□ يقول اللواء محمود شيت خطاب «ذات يوم كنت ألقي محاضرة في القاهرة عن نكبة ١٩٦٧م وأعدد أثناءها بعض مواطن الخطأ العسكري، فاعترضني واحد من الاتحاد الاشتراكي يقول: إنها نكسة.. نكسة فقط.. وقد أصابت النكسة رسول اللَّه نفسه في أحد.

فكان من ردي على هذا الرجل: إنها ليست نكسة.. بل هزيمة، لا.. بل فضيحة لا مثيل لها في تاريخ الحروب. إن ما تسميه نكسة في أُحد لم تكن من أخطاء القيادة، بل من أخطاء الجنود، ومع ذلك فقد قاد رسول اللَّه ﷺ المسلمين لمطاردة المشركين في اليوم التالي حتى حمراء الأسد.. فهل طاردت القيادة الحاضرة إسرائيل منذ ذلك اليوم؟

وأعقب ذلك الرد ضجة بين الحضور سرعان ما أخرست ذلك المتزلف»[٣].

«ولعلّ من المناسب أن نذكر، أن اللواء خطّابًا لم يشاهَد وهو يضحك ولم يبتسم منذ اندحار العرب في حرب حزيران، وكان دائم التقطيب والتجهّم، وإذا ألقيتَ على مسامعه نكتة، أو طرفة، وراقبتَ وجهه، فسوف

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).
(٢) «اللواء الركن محمود شيت خطاب» لعبداللَّه محمود (ص١٣٨ ـ ١٤٤).
(٣) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

تراه يتمعّر ويكظم غيظه من إلقاء النكتة والابتسام لها، وقد حاول الأستاذ الشيخ محمد الغزالي أن يضحكه بأكثر من نكتة، فكان اللواء يشيح بوجهه عنّا، ويزداد حزنه وألمه لضحكاتنا.. كان هذا في بيت اللواء خطاب، أثناء زيارة الشيخ الغزالي لبغداد، لحضور المؤتمر الإسلامي الشعبي عام ١٩٩٠م.

كان يرى من العار على العربيّ المسلم أن يفرح أو يبتسم بعد هزيمة حزيران، واحتلال ما بقي من فلسطين، وأسرِ الأقصى وقبّة الصّخرة، وانتهاك القدس»[1].

*** في التأليف العسكري «اللواء محمود شيت خطاب» مجاهد يحمل سيفه في كتبه:**

للواء محمود شيت خطاب أربعة وتسعين كتابًا يقسمها أربعة أصناف:

أ ـ كتب عسكرية فنية تدرس في الكليات الحربية وكليات الأركان.

ب ـ التاريخ العسكري الإسلامي.

جـ ـ العسكرية السياسية.

د ـ اللغة العسكرية.

ويعتبر كتابه «الرسول القائد» أحب مؤلفاته إليه، ويقول إنه أول كتاب له، وقد ظل قرابة العشرين من السنين يعده ويستعد له قبل أن يقدمه إلى النشر، وقد تُرجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية وأكثر من لغة إسلامية.

ويلخص دوافعه إلى التأليف في الجانب التاريخي قائلاً: في الكلية الحربية لاحظت أن الأمثلة التي تعرض من تاريخ الحرب كلها أجنبية.. والأغرب من ذلك أن يكون معظمها عن القادة الذين فتحوا للاستعمار بلاد

(١) «اللواء الركن محمود شيت خطاب» (ص٤٤ ـ ٤٥).

العرب والمسلمين. ولا حصيلة لذلك سوى تعميق الانبهار بهم في نفس الضابط، وغرس الإيمان بتفوق أعداء أمته عليها في كل شيء.. وهناك كنت أتساءل: لِمَ لا نستمد هذه الأمثلة من تاريخنا وهو بها أغنى وأحفل؟ ثم أدركت أن وراء ذلك أمرين: الجهل بماضي هذه الأمة ورجالها. والثاني المنهج المخطط من قبل المستعمرين لسحق معنويات المسلمين.. ومن هنا جاءت رغبتي في إحياء هذه المنسيات والكشف عن تلك المؤامرات، فحزمت أمري على العمل بكل ما أمكنني لسد هذا الفراغ في مكتبتنا العسكرية.

وعن بواعثه لإخراج كتبه المعروفة عن «طبقات القادة» يقول: عندما كنت في سجن بغداد سألت العديد من الضباط عن القادة الذين فتحوا بلادهم، فلم أسمع جوابًا سديدًا، بل لم أسمع جوابًا قط، ومن هنا وجدتني مدفوعًا إلى تيسير هذه المعلومات الأساسية بالكتب المناسبة.

ومنذ العام ١٩٦٧م توقف عن الكتابة في هذا الجانب من التاريخ، لينصرف إلى الجوانب الأخرى التي كشفت نكبة ذلك العام عن مسيس الحاجة إليها في صفوف العسكريين، وبخاصة أنه يعتبر جهل العرب بالعدو الذي حاربوه كان السبب الأكبر في هزيمتهم أمامه. وهكذا أكب منذئذ على الكتابة في الدراسات العسكرية، فكان من ذلك «الوجيز في العسكرية الإسرائيلية» و«العسكرية الإسرائيلية» و«حقيقة إسرائيل» و«دراسات في الوحدة العسكرية»، و«أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية» و«طريق النصر في معركة الثأر» و«الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها» وما إليها.

وتقوده دراساته وخبراته العملية والنظرية في المجال العسكري إلى وجوب العناية بتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية، فدعا إلى تكوين لجنة عامة من ذوي التخصص، تتفرغ لوضع معجم عسكري موحد ـ بالكسر ـ واستجيب لدعوته فتألفت اللجنة، واختير ممثلاً للمجمع اللغوي

المصري فيها ورئيسًا لها، وعن هذه اللجنة صدر المعجم العسكري الموحد في أربعة أجزاء، إنجليزي عربي وبالعكس، وفرنسي عربي وبالعكس. وكان لهذا الصنيع مردود عال، إذ قدم للجيوش العربية واحدًا من أهم الوشائج الممهدة لوحدتها. هذا فضلاً عما في هذه الأعمال من دلالات على اهتمام المترجم بخدمة اللغة التي درج على حبها منذ نعومة أظفاره. وحسبنا أن نشير من ذلك بوجه خاص إلى ذلك المجهود الكبير الذي اقتضاه تتبع كلمات القرآن الكريم لاستخراج ما يتصل منها بالمصطلحات العسكرية. وفي هذا ألف الجزأين من كتابه «المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، وكذلك عني باستخراج ما انطوى عليه كتاب ابن سِيدَه «المخصص» من هذه الأصول التي لا يستغني عنها من يهمه صيانة العربية من غزو اللغات الأجنبية»[1] .

لقد بلغت هذه المؤلفات من الروعة والعمق والشمول مستوى لم تُسبق إليه عودة إلى الجذور والينبوع الصافي، ورسمًا لطريق النهوض بالأمة عسكريًّا وفكريًّا.

١ ـ في التراجم:

١ ـ الرسول القائد ـ ط١ عام ١٩٥٨م في ٥٤٠ص.

٢ ـ الصدّيق القائد ـ في ٣٢٠ص.

٣ ـ الفاروق القائد ـ ط١ عام ١٩٦٥م في ٢٣٠ص.

٤ ـ خالد بن الوليد المخزومي ـ ط١ عام ١٩٧٠م في ٣٢٠ص.

٥ ـ عقبة بن نافع الفهري ـ ط١ عام ١٩٧١م في ٣٢٠ص.

٦ ـ عمرو بن العاص ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٦م في ٣٨٢ص.

٧ ـ قادة النبي ﷺ ـ ط١ عام ١٩٩٥م ٦٦٩ص.

---

(١) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٣).

٨ ـ سفراء النبي ﷺ ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٦م في ١٢٦٢ص.

٩ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٠٠ص.

١٠ ـ قادة فتح بلاد فارس ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٢٠ص.

١١ ـ قادة فتح بلاد الشام ومصر ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٥٤٠ص.

١٢ ـ قادة فتح بلاد المغرب العربي (جزءان) ط١ عام ١٩٦٥م في ٥٦٠ص.

١٣ ـ قادة فتح السند وأفغانستان ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٤٢٢ص.

١٤ ـ قادة فتح أرمينية ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٥٠٤ص.

١٥ ـ قادة فتح بلاد الروم (جزءان) ـ ط١ عام ١٩٩٨م.

١٦ ـ قادة فتح بلاد ما وراء النهر ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٩٨م في ٥٢٤ص.

١٧ ـ قادة فتح بلاد الأندلس ـ جزءان ـ مخطوط.

١٨ ـ ومضات من نور المصطفى ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ١٢٠ص.

١٩ ـ هنيبال.

٢٠ ـ المشير فون رونشتد ـ ط١ عام ١٩٦٢م في ٤٠٠ص.

٢ ـ في الدراسات العسكرية:

١ ـ بين العقيدة والقيادة ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ٦٥٠ص.

٢ ـ دروس في الكتمان ـ ط١ عام ١٩٦٩م في ٥٥ص.

٣ ـ إرادة القتال في الجهاد الإسلامي ـ ط١ عام ١٩٦٤م في ٤٠ص.

٤ ـ الرسالة العسكرية للمسجد ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٣٢٠ص.

٥ ـ غزوة بدر الكبرى ـ ط١ عام ١٩٧٢ في ٤٨ص.

٦ ـ العسكرية العربية الإسلامية ـ ط١ عام ١٩٨٣م في ٢٠٠ص.

٧ ـ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ـ جزءان ـ ط١ عام ١٩٦٦م في ١٠٠٠ص.

٨ ـ أهمية توحيد المصطلحات العسكرية ـ ط١ عام ١٩٦٥م في ٤٠ص.

٩ ـ المعجم العسكري الموحَّد (عربي ـ إنكليزي) ط١ عام ١٩٧٢م في ٨٠٠ص.

١٠ ـ المعجم العسكري الموحِّد (إنكليزي ـ عربي) ط١ عام ١٩٧٠م في ١٠٠٠ص.

١١ ـ المعجم العسكري الموحَّد (فرنسي ـ عربي) ط١ عام ١٩٧١م في ٨٠٠ص.

١٢ ـ المعجم العسكري الموحِّد (عربي ـ فرنسي) ـ ط١ عام ١٩٧٣م في ٨٠٠ص.

١٣ ـ تعريب المصطلحات العسكرية وتوحيدها ـ ط١ عام ١٩٨٥م في ٦٣ص.

١٤ ـ أهداف إسرائيل التوسعية ـ ط١ عام ١٩٦٦م.

١٥ ـ الأيام الحاسمة قبل معركة المصير ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٥٠ص.

١٦ ـ حقيقة إسرائيل ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٢٠ص.

١٧ ـ طريق النصر في معركة الثأر ـ ط١ عام ١٩٦٦م في ٤٩٥ص.

١٨ ـ الوجيز في العسكرية الإسرائيلية ـ ط١ عام ١٩٦٧م في ٢٥٠ص.

١٩ ـ دراسات في الوحدة العسكرية العربية ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٢٦٠ص.

٢٠ ـ التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي ـ في ١٠٠ص.

٢١ ـ القتال في الإسلام.

٢٢ ـ الأمثال العسكرية في كتاب (مجمع الأمثال).

٢٣ ـ الوحدة العسكرية العربية ـ ط١ عام ١٩٧٠م في ٣٥٠ص.

٢٤ ـ العسكرية الإسرائيلية ـ ط١ عام ١٩٦٨م في ٦٠٠ص.

٢٥ ـ العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة ـ ط١ عام ١٩٨٧م في ٣٥٠ص.

٢٦ ـ جيش النبي ﷺ ـ ط١ عام ١٩٨٠م في ١٠٠ص.

٢٧ ـ الإسلام والنصر ـ ط١ عام ١٩٧٢م في ٢٤٨ص.

٢٨ ـ التدريب الفردي ليلاً ـ ط١ عام ١٩٥٤م في ١٥٠ص.

٢٩ ـ القضايا الإدارية في الميدان ـ ط١ عام ١٩٥٠م في ٢٠٠ص.

٣٠ ـ الشورى العسكرية النّبويّة ـ ط١ عام ١٩٩٠م في ١٧٤ص.

٣١ ـ الشورى في المواثيق والمعاهدات النبوية ـ في ٢٠٠ص.

٣٢ ـ الأدلة الرسمية في التعابي الحربية (تحقيق) ـ ط١ عام ١٩٨٨م في ٢٧٢ص.

٣٣ ـ أسباب انتصار الرسول القائد.

٣٤ ـ التوجيه المعنوي للحرب.

٣٥ ـ أسرار الحرب العالمية الثانية.

□ وعن مستقبل الجيل الذي يسهم في خدمته مع إخوانه رجال الفكر والدعوة، يأتينا جوابه مكثفًا في هذه الكلمات:

«يقول سيادته: إن قوى هائلة تعمل على تحطيم هذا الجيل، وتفتيت قدراته، وكانت من قبل مقصورة على العدو الخارجي، أما اليوم فقد وجدت

لها مرتكزات لا تحصى في الداخل. وهو لا يفرق بإزاء هذه القوى ما بين قطر وآخر من ديار المسلمين، بل يعتبر المحنة متشابهة فيها جميعًا.

ويقول: إن أفكاره حول هذا الموضوع مبثوثة في العديد من مقالاته ومصنفاته، ويخص بالذكر منها كتابه «بين العقيدة والقيادة» و«الإسلام والنصر» وفي كل من العنوانين صورة بليغة التعبير عن وجهة نظره في هذه الناحية، وتركيز دقيق على ارتباط مستقبل هذا الجيل صعودًا أو هبوطًا بمدى التزامه هداية الإسلام، أو إعراضه عنها»[1].

*** موقفه من المستشرقين:**

اللواء خطّاب عسكريّ يقظ، لا تلتبس عليه الأمور، ولا يستطيع الخبثاء من المستشرقين والمستعمرين التدليس عليه، أو الإيقاع به، في دراساتهم المطليّة بالموضوعية والبحث العلميّ ـ زعموا ـ وهي مليئة بالمفتريات والافتيات على كلّ ما يمتّ إلى العروبة والإسلام بصلة.. إنها سموم مطلية بحلاوة صناعية.. ولمعرفة خطّاب بهذا، انطلق في اتجاههم.. واجههم.. تصدّى لهم.. وتعقّبهم، وألقمهم أحجارًا تسدّ أفواههم ذات الأنياب الحمر والزرق، وتكسر أقلامهم، في أبحاث علميّة رصينة، قائمة على الأدلّة والبراهين.

فمثلاً البطل عقبة بن نافع، كان، وما يزال وسيبقى، المثل الأعلى للقائد الفاتح، والبطل الفذّ، والمؤمن الحق، والمجاهد الصادق، لذلك حاول الاستعمار بأذنابه، الانتقاص من قدره قائدًا، ليحطّم تأثيره العميق في نفوس العرب والمسلمين في شمال إفريقية بخاصة، وفي العالم العربيّ والإسلاميّ كلّه بعامّة.

ردّ خطّاب على أولئك الحاقدين من المستشرقين وأذنابهم المستغربين في

---

(١) «علماء ومفكرون» (١/ ٣٤٣).

كتاب كامل قوامه (٣٢٧) صفحة، كما تعقّبهم وردّ عليهم مزاعمهم في أهداف الفتح الإسلامي، وفي سواها من الموضوعات، وكتبه مليئة بهذه الردود المهمّة.

* **شروط النَّهضة:**

يحدّد اللواء خطاب الشروط الواجب تحقّقها في العلماء، من أجل النهوض بالأمة العربية والإسلامية فيراها في: «سعة الأفق العلميّ التي تمكّن من فهم العصر وما يعتريه من مشكلات، وما تتطلبه من حلول في ضوء الإسلام. ثم في الإخلاص للَّه، بحيث لا يخاف ـ العالم ـ في الحقّ لومة لائم. والثالث: الحفاظ على كرامة العلم، فلا يمتهنها بالحاجة لغير اللَّه. يقول:

«إن المسلمين اليوم في حاجة ماسّة إلى قادة كخالد والمثنّى و.. إلا أنّ حاجتهم إلى العلماء العاملين أمسُّ وأشدّ.

«هناك أزمة ثقة بين الشيوخ والشباب، ومردّ هذه الأزمة إلى فقدان عنصر القدوة الصالحة في معظم الذين يُعدّون في الشيوخ، ويظنّون أنّ كلّ ما عليهم، هو أن يحسنوا عرض الموعظة السطحيّة، ولو كان سلوكهم الشخصي أبعد ما يكون عما يدعون إليه»[1].

* **مع الزعماء:**

☐ قال اللواء خطاب:

«لقد رأيت قبل اليوم ـ ولا أقول: زرت ـ كثيرًا من الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء والقادة والزعماء، وكثيرًا من ذوي الجاه والسلطان، في

---

(١) «محمد المجذوب «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٤٤).

نطاق البلاد العربية والدول الإسلامية وغير الإسلامية أيضًا، فكان شعوري عند رؤيتهم متفاوتًا بين الاحترام، والسخرية، والرثاء:

احترامًا للذين يعملون من أجل المصلحة العامة حقًّا، بكفاية وإخلاص، منكرين أنفسهم، ناسين مصالحهم الشخصية. وما أقلَّهم!.

وسخرية من الذين لا يعرفون واقعهم وأقدار أنفسهم، فيتخيّلون لأنفسهم عظمة لا وجود لها، وإنجازات لا حقيقة لها، ويصدّقون مَنْ حولهم من الإمّعات والتافهين والوصوليّين والهتّافين وأشباه الرجال، في ادّعاءاتهم الباطلة؛ عبقرية ونبوغًا.

ورثاء للذين يشغلون مناصب أكبر من قابلياتهم.. فهم أقزام يطمعون أن يصبحوا عمالقة، فأرشدتهم حاشية السوء إلى أن السبيل إلى ذلك، هو أن يحطّموا العمالقة، ليخلو لهم الجوّ، فلا استطاعوا أن يحطّموا العمالقة، ولا استطاعوا أن يصبحوا عمالقة، وبقوا أقزامًا لا يستحقّون إلا الرثاء.. ولكنني لم أشعر مطلقًا بأيّ نوع من أنواع الاضطراب عند رؤيتهم جميعًا، ولم أخش منهم أحدًا، فليس لدي ما أخافهم عليه، وليس لديهم ما أطمع فيه، وما عند الناس لا يبقى، وما عند اللّٰه خير وأبقى. ولو أن الإنسان أخرج من نفسه كلمة واحدة، هي الطمع، بما فيها من معان، لانكشف عنه الغطاء، ولنظر إلى ملكوت السماوات والأرض»[1].

إنه شموخ المسلم المعتز بإيمانه وإسلامه وكرامته.. وأين هذه المعاني من الكتّاب والمثقفين والعلماء والزعماء الذين لا يعرفون غير العبودية للمتألّهين في الأرض من الطواغيت!.

---

(١) «تدابير القدر» (ص٧١ ـ ٧٢).

* **موقفه من الوحدة العربية:**

اللواء خطّاب وحدويّ حتى العظم، والوحدة جزء من عقيدته كسائر المسلمين. يقول:

«والوحدة قدر، والقدر أقوى من البشر. بها يكون العرب كلّ شيء، وبدونها يكون العرب لا شيء. وهي سلاح يقضي على إسرائيل، والتفرقة سلاح يقضي على العرب. وإذا كانت الوحدة ضرورية أبدًا، فإنها أصبحت أكثر من ضرورية بعد خلق إسرائيل.. إنها قضيّة مصير.. إنها قضيّة حياة أو موت.

والذين يقاومون الوحدة نكاية بأشخاص معيَّنين، مخطئون، كالذين يريدون الوحدة من أجل أشخاص معيَّنين.. إن الوحدة إلى بقاء، والأشخاص إلى فناء. فيجب أن نعمل للوحدة من أجل الوحدة، ومن أجل عزّة العرب ومجدهم، ومن أجل القضاء على إسرائيل».

وضرب لنا مثلاً بإخوان سورية الذين وقفوا ضدّ انفصال سورية عن مصر، على الرغم ممّا ذاقوه هم وإخوانهم في مصر على يد جمال عبدالناصر ونظامه المفرط في الديكتاتورية والقسوة والاستبداد.

* **الإسلام هو الحلّ:**

الإسلام هو الحلّ لسائر قضايا الأمة؛ السياسية والاقتصادية والعسكرية، والاجتماعية، وبغير الإسلام تتفاقهم المشكلات، وتتردّى الأمّة، ويطمع بها أعداؤها، فنحن أمّة أعزّنا اللّه بالإسلام، فإذا طلبنا العزّة بغيره، أذلّنا اللّه.

☐ والطريق إلى النصر الاتباع ورفض الابتداع ومهاجمة المبتدعين. للّه دره من قائد نصح فوفى، ووفى لأمته في زمن عز فيه الوفاء.

*** الشيخ أحمد ديدات الذي زلزل أركان التنصير:**

الذي زلزل أركان التنصير في جنوب أفريقيا، وناظر زعماءهم في أمريكا، وتحدى البابا ودعاه إلى مناظرة علنية، فما استطاع أن يجيبه إلى طلبه.

يقول هذا الداعية الذي يجوب القارات شرقًا وغربًا رادًا على افتراءات اليهود والنصارى مزلزلاً لعهديهم، يقول ديدات في خاتمة كتابه «هل الكتاب المقدس كلام اللَّه»:

«ولا بد أن القارئ إذا كان ذا ذهن متفتح، أن يكون قد اقتنع الآن أن الكتاب المقدس ليس كما يدعي أتباعه من النصارى، وخلال أربعين سنة يسألني الناس؛ كيف لي بكل هذا العلم بالنصرانية وكتابها، وبصراحة فخبرتي باليهودية والنصرانية ليست من اختياري، بل قد أُرغمت أن أكون هكذا.

عندما كنت أشتغل مساعد بائع عام ١٩٣٩ بجانب معهد لتخريج الوعاظ، كنت وأصدقائي هدفًا دائمًا لخريجي هذا المعهد، فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام ونبي القرآن، وقد كنت شابًّا حساسًا في العشرين من عمري، فكنت أقضي ليالي عديدة ساهرًا أبكي، لضعفي وعدم قدرتي على الدفاع عن النبي ﷺ، وهو الذي أُرسل رحمة للعالمين، وقررت دراسة القرآن والكتاب المقدس والكتب التي تتحدث عنهما؛ واكتشافي لكتاب «إظهار الحق» كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة، وأحرجهم بالحقائق المعروضة، مما اضطرهم لاحترام الإسلام ونبيه».

بائع الملح الهندي أحمد حسين ديدات الذي عاش في جنوب إفريقيا، الذي أصبح يجادل آباء الكنائس وعلماء اللاهوت وزعماء التنصير.

هذا الرجل الذي يدعو إلى اللَّه عز وجل عن طريق المحاضرات واللقاءات في كل مدينة يذهب إليها، وفي كل جامعة يزورها، وقد ألقى محاضرات في بريطانيا، أيرلندة، أمريكا، كندا، هونج كونج، سنغافورة، الهند، زيمبابوي، موريتانيا، ملاوي، أبو ظبي، السعودية، وأعظم تجمع استمع له أكثر من ٣٠ ألف مستمع في جرين بوينت في مقاطعة الكاب.

هذا الرجل الذي تناظر مع اثنين وثلاثين قسيسًا في أماكن مختلفة من العالم، وأشهرها في نظره المناظرة التي كانت في قاعة الألبرت هول في لندن، وقد حضرها جَمْعٌ غفير من الناس بمختلف الأديان والطوائف.

❑ الداعية عالي الهمة الذي أقنع أحد رجال الأعمال، ممن يشغل وظيفةً في مركز الدعوة الإسلامي في مدراس، بإنشاء معهدٍ للدعاة، وبدأ ديدات في تدريب الدعاة على طول الساحل الجنوبي هناك، واستمر العمل في هذا المعهد لمدة عشر سنوات متصلة، وخرج جيلاً من الدعاة لنشر الدعوة في الكرة الأرضية؛ شرقها وغربها.

هذا الرجل الذي تحدى النصارى قائلاً: «لكل مسألة جدلية تقدمونها لي تأييدًا لدينكم، سأقدم لكم عشرًا ضدها»[1].

أسس مركز نشر الإسلام في عام ١٩٥٨م في جنوب إفريقيا، يوزع ١٠٠,٠٠٠ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية.

❑ قال ديدات: «إن النبي ﷺ قال: «**اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى**» وهذا يعني أن الذي يعطي، أرفع منزلةً من الذي يأخذ. إن مهمتنا هي أن

---

(١) من الحوار الذي أجرته معه فايزة أمبا في جريدة «عرب نيوز» السعودية التي تصدر بالإنجليزية.

نخرج لنبلّغ رسالة اللَّه، إننا في مكانةٍ أعلى من الناحية العقائدية».

☐ يقول ديدات: «إذا امتلكنا أشعة الليزر فلن تجدينا عن الدعوة إلى اللَّه شيئًا؛ لأن الدين يظهر بالدعوة والمجاهدة.

☐ ويقول: «ملايين الخطط وملايين المتفرغين المنصرين، هدفهم تحويل العالم الإسلامي إلى النصرانية ونحن نغط في نومٍ عميق».

☐ ويقول: «علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا للنصارى، ونجادلهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد».

☐ ويقول: «الأمة التي تملك هذه الأموال الطائلة التي بيد المسلمين، ولا تنفقها في الدعوة، أمةٌ تستحق الدمار، وسيحاسبها اللَّه يوم القيامة».

☐ يقول ديدات: «كنت أسأل الجمهور الذين التقيت بهم: «هل سيظهر هذا الدين؟» ويقولون: نعم، إنه الحق، وإن الدين غالب على الجميع. فأقول: إذا كنتم تؤمنون بذلك، فلماذا تستندون على ظهوركم دون أن تفعلوا شيئًا، وتركبون السيارات الفاخرة، وتنفقون الأموال الطائلة فيما لا يفيد، وتقولون: الدين غالب، دون العمل له؟!».

☐ ويقول: «شرط اللقاء والتحدث مع النصارى: التحدث عن العبودية للَّه وحده، فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى».

«يسرق النصارى أطفالنا، ففي ليستر بريطانيا وضعوا خطة بميزانيةٍ تقدر بملايين الدولارات لتنصير الفولانيين في نيجيريا».

«الآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين، حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا، فقد تنصر (١٥) مليون أندونيسي، وهم يفخرون - الآن - بأنهم استطاعوا تنصير الباكستانيين والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني هناك، وهناك الآن مئات الآلاف متفرغون

للتنصير في إفريقية»[١].

يا أيها الموحِّدون، يا ورثة خير النبيين وأعلاهم همة: «إن الإسلام لا بواكي له».

❑ يقول ديدات: «هناك مجموعة صغيرة من النصارى قد طبعوا أكثر من (٨٤) مليون نسخة من كتابٍ واحد، بأكثر من (٩٥) لغة مختلفة، ويطبعون (١٠٢) مليون نسخة من مجلة شهرية بأكثر من (١٠٢) لغة، ويصدرون من مجلةٍ أُخرى تسمى اليقظة (٨,٩) مليون نسخة في الشهر، بأكثر من (٥٤) لغة. وميزانية الرجل «سويجارت» مليون دولار يوميًّا، ونحن المسلمين بكل دخلنا من البترودولار، لا نستطيع أن ننفق مليون دولار للدعوة في السنة الواحدة.

النصارى أصبحوا يجرفون المسلمين في كافة أنحاء العالم، ولكن ليس هناك من يبكي لهذه النتيجة، بينما نرى النصارى يندفعون على نطاقٍ واحد لنشر دينهم، والتضحية بحياة الترف والبذخ، والعيش في أدغال إفريقية والصحاري الحارقة لنشر دينهم.

فالأيرلنديون ـ مثلاً، وهم من الفقراء في بريطانيا مقارنةً بالإنجليز ـ يبعثون آلاف الرجال والنساء لخدمة المسيح عليه السلام ـ كما يزعمون ـ في العالم، وفي الكنيسة الكاثوليكية والرومانية، ترى الكثير من القساوسة والراهبات الأيرلنديات، لماذا؟! لأنهم يربون من الصغر على التضحية في سبيل المسيح ـ عليه السلام ـ ومن أجله.

أما نحن، فصحيح أنهم يربوننا بالصلاة وتربية اللحية، وهذا جميل، ولكنه جزء، فقلما تسمع على المنبر من يحمسك ويشجعك على الانطلاق

(١) من كتاب «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» ـ كتاب المختار الإسلامي.

والدعوة إلى اللَّه في بقاع العالم. كلهم يحدثونك عن الصلاة والزكاة.. إلخ، ولكن قلما يكون الحديث لنشر الدين.. أين الجهاد؟»[١].

وصدق الداعية ديدات الذي تمتزج الدعوة بدمه ولحمه.

في مدينة ملكال في جنوب السودان، تأتي المبشرة من بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا، أُوتيت الواحدة منهن قدرًا من الجمال يؤهلها لحياة الترف في أرقى المدن رفاهية.. تأتي المبشرة طبيبة أو غيرها تعيش في القطاطي.. الواحدة منهن خص من البوص المطين، تعيش الواحدة منهن على طعام الويكا - البامية المجففة - وتشرب من النهر مباشرة، فليس هناك صنابير للمياه.. ترعى أطفال السودانيات، وتشرف على علاج الأطفال والإشراف على تغذيتهن، في بيئاتٍ لا يرضى أن يعيش فيها السودانيون أنفسهم، وتصبر الواحدة العام الطويل حتى تدعو إلى النصرانية.

❑ يقول ديدات: «إن المسلم يملك هذا الدين.. يملك البرهان عليه، وعليه أن يصحو، ويعلم أنه يملك «جرافة» منحها اللَّه إياه، تحطم كل الصخور - صخور الأصنام والجاهلية - هي هذا الدين، فعليه استخدامها لنيل العزة، ولكن تصرفاتنا تدل على ألا عزة لنا في هذا العالم، مع أن أصل العزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين».

❑ ويقول ديدات: «من مائة ألف صحابيٍّ حضروا حجة الوداع، لم يدفن في المدينة منهم إلا عشرة آلاف، أين ذهب الباقون؟ فهموا معاني الشهادة والتبليغ للرسالة، وانطلقوا في الآفاق يمتطون خيولهم وجمالهم، ينشرون دعوة اللَّه ويبلغونها للعالمين، أدركوا رسالتهم للعالم، ولم يكتفوا

---

(١) أحمد ديدات من كتاب «المختار الإسلامي» - نقلاً عن مجلة الإصلاح الخليجية، بقلم الأستاذ صفوت منصور.

بالجلوس في بيوتهم ومساجدهم يقيمون نصف الدين ويتركون النصف الآخر».

إلى القابعين في منازلهم. . «يكفيكم أن تعرفوا أن عدد المنصرين (١٧) مليون شخص في جميع أنحاء العالم».

ولعل من أهم مناظرات الداعية عالي الهمة أحمد ديدات، مناظرته الشهيرة في أمريكا مع «المنصر الصليبي القس جيمي سويجارت، صاحب الأحاديث التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة، وتصل لأكثر من ١٤٠ بلدًا واستطاع أن يحصل على أكثر من ١٤٠ مليون دولار سنويًّا، ويعتبر من أكثر المنصرين نفوذًا في العالم»[١] .

ولقد أفحمه ـ على مرأى من الآلاف ـ أحمد ديدات، وفي المناظرة تطاول على رسول الله ﷺ، فأخزاه الله بعدها مباشرة «بفضائح مع المومسات في نيو أورليانز وفنادقها، وقد دفع أموالاً للمومسات؛ للقيام بأعمال داعرة، واعترف بخطيئته أمام ثمانية آلاف شخص من أتباع كنيسته، ونقلت الاعتراف كل كاميرات التليفزيون عبر الولايات المتحدة، وأجهش بالبكاء وهو يقدم اعترافاته يوم الأحد ٢١/ ٢ قائلاً: ليست لدي النية بتاتًا لنكران خطيئتي. . ولا أسميها غلطة. . جريمة. . أنا أسميها خطيئة. . كل من جلبت لهم الفضيحة والعار والإحراج. . السماح»[٢] .

* وصدق الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ثم يعاود عالي الهمة ديدات الكرة مع رأس الأفعى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني، ويدعوه إلى «حوار في لقاء علني في ميدان القديس بطرس في

(١، ٢) من كتاب «أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن» كتاب المختار الإسلامي.

روما مقر البابوية، وفي الوقت والزمان المناسب لقداسته.

ولما لم يرد البابا على تلك الرسالة، عاود الشيخ ديدات الكرة، وأرسل له ثلاثة خطابات أُخرى وبرقية، وهنا رد الفاتيكان مقترحًا إجراء مثل هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكان علني.

رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالة جاء فيها: «يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علنًا، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء، وذلك من أجل الملايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب.. ومع هذا فيمكننا الالتقاء بكم حسب رغبتكم في السكرتارية، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب إفريقيا فقط، والذين يصرون على حضور هذا اللقاء، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء.

ونظرًا لوجود آلاف آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار، فإننا نطلب أيضًا تصريحًا بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو، حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار».

«وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسال برقيتين أخريين؛ إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان، والأُخرى إلى البابا ذاته. وبعد شهر آخر تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى»[1] .

◻ للَّه درُّك يا ديدات واللَّه لا نقارن قلامة ظفره ببابا الفاتيكان.

ألم تَرَ أن السَّيْف ينقص قَدْرُه إذا قيل إن السيف أمْضى من العصا

ومن أراد أن يعرف قدر هذا الجبل الأشم الحاصل على جائزة الملك

(١) «أحمد ديدات: بين الإنجيل والقرآن» (ص٥٥ ـ ٥٧) المختار الإسلامي.

فيصل فلينظر إلى المناظرة بينه وبين القس الدكتور أنيس شروش بقاعة ألبرت بلندن في اليوم الخامس عشر من ديسمبر سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف وموضوعها «هل عيسى إله؟»[١].

وانظر أيضًا إلى مناظرتين في استكهولم بين الشيخ ديدات وكبير قساوسة السويد استانلي شوبيرج بالسويد في السابع والعشرين من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين (١٩٩١م)، وكان موضوعها «هل الإنجيل كلام اللَّه؟». وفيها أُفحم القس وتبين دَجَلُه.

*** الرجل الرباني القرآني أبو الحسن الندوي (١٣٣٣هـ - ١٤٢٠هـ) (١٩١٤ - ١٩٩٩م) عميد الأدب الإسلامي وصاحب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»:**

الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالحي الحسني الندوي قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: «رباني الأمة والرجل القرآني والمحمدي الذي جعل الرسول الكريم ﷺ أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ مسيرته نبراسًا له».

العالم الجليل، والمصلح الذي ركّز جهوده على النهوض بالمسلمين في عصرنا الحاضر. وعميد الأدب الإسلامي الذي جعل للأدب الإسلامي نبراسًا ومنبرًا، ووجه الأدب إلى طبيعته الأصيلة، ووظيفة البناء والإصلاح. كان مصلحًا ربانيًّا اجتماعيًّا ومربيًا فاضلاً عاش حياة الزهد والورع، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم.

---

(١) انظر «مناظرة العصر» ترجمة علي الجوهري - دار الفضيلة. وأنيس شروش من أصل فلسطيني مهاجر إلى أمريكا وحاصل على الدكتوراه في اللاهوت من «جامعة مسيسبي» الأمريكية.

☐ يقول الشاعر محمد المجذوب في رثائه:

بكيْنا وفاءً لامرئٍ قَلّ أن يُرى ... له في الدعاةِ العاملين نظيرُ
فخَلوٌا كلامي إنْ ألحَّ بي البُكا ... فـإن فراق الصالحين عسـيرُ[1]

* دراسته العلمية:

☐ قال الشيخ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٣٦ ـ ١٣٨):

«تلقى الشيخ دراسته الأولية في العربية من الشيخ خليل محمد اليماني، حفيد المحدث الجليل الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، وأتم دراسته الأدبية على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، رئيس تدريس الأدب العربي بندوة العلماء يومئذ، ثم تعلم في دار العلوم ندوة العلماء ودار العلوم في ديوبند، وجامعة لكهنؤ، بتفوق ممتاز، والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور حيث تخرج عليه في علم التفسير.

وقد استفاد في الحديث من الشيخ حيدر حسن خان، ونال الإجازة منه ومن الشيخ عبدالرحمن المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي» وحضر دروس العالم الكبير الشيخ حسين أحمد المدني في الحديث بدار العلوم في ديوبند، فجمع بين جهابذة الأدب والحديث والتفسير.

* الرجال الذين أثروا في توجيهه:

ويسمي الشيخ من الرجال الذين أثروا في توجيهه أخاه المرحوم الدكتور عبدالعلي الحسني، ويصفه بأنه جمع بين الثقافتين الدينيـة والعصرية، إذ تلقى دراسته في المدارس الدينية والجامعات العصرية. وأنه كان ذا فضل كبير على ثقافته.

---

(١) أبو الحسن على الحسني الندوي لمحمد اجتباء الندوي (ص٩) ـ دار القلم ـ دمشق.

ثم المشايخ أحمد علي اللاهوري والشيخ محمد إلياس مؤسس حركة الدعوة والتبليغ بالهند وفي العالم الإسلامي، ثم المربي الجليل الشيخ عبدالقادر الرائيبوري، ثم شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، ثم السيد طلحة الحسيني أحد كبار الأساتذة في جامعة البنجاب.

ويدع الشيخ أثر هؤلاء الفضلاء دون تحديد، فلا يعلمنا في أي اتجاه، ولا من أي نوع، ولكن ذلك لا يحجب عنا الواقع الذي نعرفه من خلال آثار الشيخ، ومن خلال مسلكه في خدمة الدعوة، ثم من خلال ما اشتهر به بعض الذين نعرف آثارهم من أساتذته هؤلاء.

وفي ما كتبه الشيخ أبو الحسن عن روائع إقبال وأفكاره الإسلامية وتأملاته الفلسفية ما يكفي لاستخلاص الصورة المنشودة عن تأثيره في توجيهه الأدبي والفكري.

وقصارى القول في ذلك أن أبا الحسن قد وفق من ملابسته لهذه الثلة الممتازة إلى أن يجمع بين الثقافة الصحيحة والأسوة الحسنة. وإنها لبقية من منهج التعليم الإسلامي، الذي لا يقبل التفريق بين التعليم والتربية، ذلك المنهج الكريم الذي مسخه، بل نسخه، نظام التعليم الغربي، حتى أوشك أن يستحيل أثرًا بعد عين ـ ويا للأسف ـ !

*** العلوم التي يؤثرها:**

ويحدد العلوم التي يؤثرها بحبه فيحصرها في: القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم التفسير، والتاريخ، والأدب.

ولو سكت الشيخ عن هذا الجانب لأمكننا استخلاصه من مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته وأحاديثه. وقديمًا قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولا قرين أعمق أثرًا في قلب الإنسان وعقله وسلوكه من العلم الذي ينسجم معه ويصدر عنه. ونحن بقليل من الممارسة والملاحظة نفرق بين امرئ وآخر عن طريق الحديث الذي نسمعه أو نقرؤه لكل من الاثنين. وقارئ أبي الحسن لا يفوته الإدراك بأنه ثمرة مونعة من حديقة الثقافة الإسلامية الأصيلة.

ثم إن الشيخ بجمعه بين هذه العلوم المتعددة في نطاق التفضيل، إنما يفعل ذلك إيمانًا منه بما يشملها من وحدة الإطار، فهو «لا يؤمن بالانفصال بين هذه العلوم، بل يرى كداعية إسلامي أن التاريخ مرآة الأمم البائدة، وخزانة العبر المبرزة لأسباب النهوض والهبوط في حياتها، فليس ثمة من سقوط أو نهوض يحدث عفواً أو اتفاقًا، وإنما هي سنن وقوانين مرتبطة بتصرفات الأمم وأعمالها، فعلى هذه التصرفات والأعمال تتوقف مصايرها في مسيرة التاريخ».

وعلم القرآن والحديث، فضلاً عن كونه المصدر الرئيسي والمنبع الأول للثقافة الإسلامية، فهو كذلك الدليل الهادي إلى أسرار هذه السنن الإلهية وعملها في حياة البشر، وكل منهج لدراسة التاريخ لا يستمد من هذه الضوابط سيظل جهداً ضائعًا ينقض بعضه بعضًا.

والتمكن من علوم الأدب والتمرس به أداة لا معدي عنها لإبراز هذه الحقائق والإفادة منها على أفضل الوجوه.

والشيخ، بارك اللّٰه في حياته وجهاده، قد علم كيف يستخدم هذه الأداة في خدمة مثله العليا أروع استخدام. ومتتبع ما يكتب يشعر بأن لعبارته الأدبية سحرًا لا يتوافر في العادة إلا للعلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة، وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر في ما يصوغون. وتلك هي الخاصة الرئيسية التي يمتاز بها أبدًا أولو الأذواق الروحية من المتخرجين في مدرسة القرآن.

وبهذه الخاصة يتناول الشيخ الأحداث التاريخية، فإذا هي مائجة بالحياة وبالعبر.. وقلما تقرأ له بحثًا أو قصة أو حديثًا لا تلمس أثناءه هذه الصور الناطقة بالحكمة، وهذا ما يكاد الكاتبون عنه يجمعون عليه.

*** النشاط المبارك للشيخ أبي الحسن الندوي:**

أ ـ الشيخ وندوة العلماء:

□ يقول الشيخ محمد المجذوب عن الشيخ أبي الحسن الندوي وآثاره في ندوة العلماء ذات الماضي العريق في إذاعة العربية، وفي توضيح حقائق الإسلام، سواءً في قلوب طلاب الندوة، أو عن طريقهم بعد التخرج بين جماهير المسلمين في شبه القارة الهندية:

«ومن جميل الاتفاق أن أكتب هذه الأسطر باللاذقية ـ حيث أقضي إجازة الصيف ـ في حين يحتفل العالم الإسلامي بالمهرجان الذي نظمته ندوة العلماء في الهند ما بين ٢٥ و٢٨ شوال ١٣٩٥هـ. لمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا على إنشائها وبدء رسالتها العالمية، فكانت فرصة سعيدة لتلاقي رجال الفكر الإسلامي من المعنيين بقضايا التربية والتعليم، وشد ما كنت حريصًا على المشاركة فيها استجابة لدعوة كريمة، لولا أقدار محكمة صرفتني إلى اللاذقية بدل (لكهنؤ). وليس ثمة من ريب في أن تدفق وفود العالم الإسلامي أثناءئذ على ذلك المهرجان، إنما ينطوي خلال تكريمه لتلك المؤسسة المرموقة، على تقدير كبير لمجهود ذلك الشيخ الفاضل، الذي تسلم رايتها، فكان خير خلف لأولئك السلف الذين نهضوا برعايتها على مدى تلك العقود التسعة من السنين..

لقد أحسن الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي في مقاله الذي صدر به العدد الخاص بتلك المناسبة من جريدة (الرائد) تحت عنوان «في رحاب

المهرجان» إذ أبرز ما لا يجهله خبير من فضل أبي الحسن فيقول:

«الشيء الأصيل الذي كان يعمل في المهرجان ويعمل في كل ما يتصل به أولاً وآخرًا هو ذلك القلب الواسع الكبير الذي يخفق في جنب سماحة أستاذنا العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي. فلولا عبقريته العميقة، ونظرته الواسعة، وفهمه الدقيق.. وفوق ذلك إيمانه الراسخ القوي، وإخلاصه في خدمة قضايا الإسلام، وتفانيه في حب اللَّه ورسوله، عن دراسة وتفقه.. فلولاه ولولا هذه الصفات العالية لم يكن لهذا المهرجان أي قيمة أو أهمية. ولولاه لما كان له أثره البعيد في تاريخ التعليم والتربية في هذه البلاد بوجه خاص، وفي العالم الإسلامي بصفة عامة.

ليس من سعادة الهند أو ندوة العلماء فحسب أن يوجد فيها مثل هذا الرجل العظيم المخلص المؤمن، بل إن وجوده سعادة لتاريخ العلم والثقافة والتعليم والتربية، وصفحة ناصعة في سيرة العلماء الأعلام والدعاة العظام. وإن العالم المعاصر لفي أمس الحاجة إلى أمثاله حتى يتبين هداه في مسيرة العلم والمدنية، ويعين خطاه في زحمة الصراعات والاتجاهات التي تموج بها المجتمعات الإنسانية اليوم».

ولا مبالغة في هذا الإطراء لذلك العالم الجليل الذي ـ كما قال شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود في تلك المناسبة ـ «أخلص وجهه للَّه، وسار في حياته سيرة المسلم المخلص للَّه تعالى ورسوله ﷺ فدعا إلى الإسلام بالقدوة الحسنة، ودعا إلى الإسلام بكتبه النقية، ودعا إلى الإسلام بسياحاته التي حاضر فيها ووجه وأرشد. فجزاه اللَّه خير ما يجزي عالمًا عن دينه».

ولا جرم فقد اطلع اللَّه على إخلاص هذا العبد الصالح ـ ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ فبارك في مساعيه، وبارك في مواعظه، وبارك في محاضراته العميقة الغور، الغنية بالحقائق، التي يلقيها هنا وهناك، في الهند، وفي البلاد

العربية، وفي إنجلترة.. وفي مختلف المؤتمرات الإسلامية، التي لا ينفك يشارك فيها، ويسافر إليها، مضحيًا براحته، ومغامرًا بصحته، فأكرمه سبحانه بالرضوان والقبول، حتى صارت المورد العذب لناشدي الحق.. لأنه لا ينشد من ورائها شهرة ولا منفعة.. ولا شيء إلا ابتغاء رضوان اللّه.

وأنا لا أذيع مجهولاً من حياة الشيخ عندما أذكر أنه، وهو العضو الدائم في المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لم يقبل أن يصرف له فلس واحد من المكافآت السخية لمثله، ولم أعرفه نزل فندقًا قط على حسابها، على تعدد المرات التي حضر فيها اجتماعات هذا المجلس حتى الآن. وأنا لا أدري كم في علماء الإسلام من نظير لهذا الزاهد الكبير!

إن خاصة الزهد والترفع عن حطام الدنيا، في هذا الجسد النحيل اللطيف، الذي يكاد ينطق بقول ابن الرومي عن نفسه:

أنا من خف واستدق فما يُثْـ ـقِلُ أرضًا ولا يسد فضـاءَ

هذه الخاصة هي التي مكنت له في مضمار الإصلاح والنقد الاجتماعي، فلا يهادن باطلاً، ولا يكتم حقيقة.. وجعلت لكلامه مساغًا في الأسماع فلا تنكر عليه ما يقول.

وهو كالشيخ ابن باز في حسن تأتيه عند توجيه النصيحة الواجبة، يطرق بها أبواب القلوب في أسلوب من الحكمة والموعظة الحسنة، لا يسخط ولا ينفر، ولكنه يبعث على التأمل والتدبر والتفكر.

*** عالمية الشيخ:**

والإشارة إلى مشاركة الشيخ في عضوية المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة منذ تأسيسها، توجه الذهن إلى مشاركاته في العديد من المنشآت العلمية الأخرى.

إنه عضو مراسل في مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة. وهو مؤسس المجمع العلمي الإسلامي بالهند ورئيسه، كما أنه يرأس المجلس التعليمي لولاية (أثر بردلش) هناك، وهو عضو في المجلس التنفيذي لمعهد (ديوبند)، ومن أعضاء المجلس التنفيذي لدار المصنفين في أعظم كرة بالهند أيضًا.

والشيخ أحد رؤساء التحرير لمجلة «معارف» تلك المجلة العلمية الأكاديمية للمسلمين في شبه القارة الهندية.

هذا وقد أخرج المجمع الإسلامي بالهند سلسلة من ترجمات كتب الشيخ باللغة الإنجليزية تعميمًا لفوائدها، وسبق لمجلة المجمع اللغوي بدمشق أن نشرت عدة فصول من آثاره.

وهذه المشاركات الواسعة إنما تؤكد الصفة العالمية لهذا الرجل، الذي أجمع على تقديره رجال الفكر من مختلف الأقطار.

*** عمله في التأليف:**

وإلى القارئ هذه القائمة بأشهر مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ مختارات في الأدب العربي (وهو من المقررات الدراسية في كثير من المدارس والجامعات).

٢ ـ القراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء).

٣ ـ قصص النبيين للأطفال (خمسة أجزاء).

٤ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي.

٥ ـ حديث مع الغرب.

٦ ـ روائع إقبال.

٧ ـ الأركان الأربعة.

٨ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.

٩ ـ ربانية لا رهبانية.

١٠ ـ المسلمون في الهند.

١١ ـ إذا هبت ريح الإيمان.

١٢ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

١٣ ـ القادياني والقاديانية.

١٤ ـ إلى الإسلام من جديد.

١٥ ـ المسلمون وقضية فلسطين.

١٦ ـ الطريق إلى المدينة.

١٧ ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.

١٨ ـ الصراع بين الإيمان والمادية.

١٩ ـ تأملات في سورة الكهف.

٢٠ ـ العرب والإسلام.

٢١ ـ النبي الخاتم.

٢٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

٢٣ ـ السيرة النبوية.

٢٤ ـ نحو التربية الإسلامية الحرة في البلاد الإسلامية.

وهذه الكتب نشرت كلها بالعربية، وترجم معظمها إلى مختلف اللغات كالتركية والإنجليزية والفارسية.

على أن هناك عشرات من مؤلفاته الأخرى باللغة الأردية، لم يذكر عنوانها.. ومحاضرات عدة نشرت منفردة في كراسات تتداولها آلاف الأيدي، ولم نشر إليها في هذا الجدول.

☐ ويقول الشيخ: أن أحب هذه الكتب إليه هي: «الطريق إلى المدينة» و«النبوة والأنبياء في القرآن» وآثرها إطلاقًا هي «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» و«الأركان الأربعة» و«الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية»[1].

*** لله در الندوي:**

كان للندوي من خلال مؤلفاته القيمة دور عظيم في مكافحة الغزو الفكري، وبث روح الاعتزاز بالإسلام في المسلمين، وبخاصة في طبقة المثقفين والشباب، ومقاومة الردة وآثارها».

«وهذه المجهودات مما يدركه كل قارئ لكتب الشيخ في مختلف أنحاء العالم، سواء بلغاتها الأصلية أو المترجمة، فليس ثمة كتاب له إلا وهو توكيد لهذا الاتجاه الإصلاحي على أرفع المستويات»[2].

*** «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» الكتاب القيم لأبي الحسن الندوي:**

«ترعرع الشيخ الندوي وشبّ وعاش آلام المسلمين وأحلامهم، وكان يفكر ويتحرّق على ما وصلوا إليه من الخسران والخذلان، وهل الخسارة هذه خسارة الأمة المسلمة وحدها أم هي للإنسانية جمعاء؟ وكان هذا الشعور قد تغلب عليه وهو الذي قاده إلى تأليف هذا الكتاب كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي «إنها قصة الإحساس والوجدان»[3].

والكتاب صرخة مدوية لعودة الأمة، وأمة العرب بخاصة إلى القيادة من

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤١ ـ ١٤٥).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤١).

(٣) «أبو الحسن الندوي» لمحمد اجتباء الندوي (ص٨١)، وتقديم «قصة كتاب» (ص٣ ـ ٤) دار القلم ـ دمشق.

جديد لتجبر الإنسانية خسارتها.

❑ يقول الشيخ محمد المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (١٤٦/١ ـ ١٤٧):

«لما صدرت الطبعة الأولى من كتاب «ماذا خسر العالم..» سمعت الأخ الأستاذ محمد المبارك يقول في وصفه: «إنه واحد من خير الكتب التي صدرت في هذا القرن».

وقرأت الكتاب في أناة محاولاً التحرر من إطراء الأستاذ المبارك إياه، ولكني لم أستطع ذلك لأني لم أجد تعبيرًا أكثر إنصافًا للكتاب من تلك الكلمة.

وأشهد لقد أعدت قراءة هذا السفر النفيس عددًا من المرات، بين قراءة كلية وأخرى جزئية، ولا أزال أحس عطشًا نحوه. وقد أثبتت طبعاته الاثنتا عشرة حتى الآن أنه جدير بكل إطراء يستحقه عمل عبقري، وحسبه تقديرًا ما ظفر به من أقلام كبار العلماء كأحمد أمين، وأحمد الشرباصي، ومحمد يوسف موسى، وسيد قطب.

وإني لأعتبر هذا الكتاب أنموذجًا لعقلانية الشيخ، فقد جمع بين التاريخ والفقه والبلاغة والنقد والتحليل، في انسجام تام بين عناصره جميعًا.

وإن القارئ المتدبر ليطل من خلال الكتاب على مواكب البشرية تتوالى نحو غاياتها كالسيول الدافقة في طريقها نحو المصب، وقد اختلفت بها السبل، فسيل يتحدر على غير هدى فيدمر كل ما يمر به، ثم يتلاشى في أعماق المحيط.

وآخر يتدهدى في نظام على غاية من الدقة والعظمة، فيشيع الخير والخصب والجمال في كل بقعة تعترضه.

إنها حركة الإنسانية في اضطرابها بين الخير والشر، بين الصراط المشرق

بنور الوحي، والمهامه الضائعات في ظلمات الجاهليات. بين القيادة النبوية العاصمة الراشدة، والقيادات الإبليسية الطاغية الحاقدة»[١] .

□ يقول الدكتور القرضاوي: «الكتاب نظرة جديدة إلى التاريخ الإسلامي، وإلى التاريخ العالمي من منظور إسلامي، وهو منظور عالم مؤرخ مصلح داعية، يعرف التاريخ جيدًا، ويعرف كيف يستخدمه لهدفه ورسالته، وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة الإنكليزية، كما ساعده الحس النقدي، والحس الحضاري، والحس الدعوي، والحس الإصلاحي ـ وكلها من مواهبه ـ على تقديم هذه النظرة الجيدة من خلال كتابه الفريد»[٢] .

□ وقال الأديب المفكر الإسلامي سيد قطب في مقدمته للكتاب: «ولكنه لا يعتمد في هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبية الدينية، بل يتخذ الحقائق الموضوعية أداته، فيعرضها على النظر والحس والعقل والوجدان جميعًا، ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضًا عادلاً مستنيرًا، ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق والواقع والمنطق والضمير، فتبدو كلها متساندة في صفه وصف قضيته بلا تمحل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة، وتلك مزية الكتاب الأولى»[٣] .

□ ويقول الأديب الأريب الدكتور شكري فيصل ـ الذي أعجب بالكتاب إعجابًا كبيرًا وتأثر به ـ:

«إن ما يمتاز به المؤلف ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين.. ذلك هو نظرته الشاملة العالية إلى تطور الحياة الإنسانية.. إن الأبواب الخمسة

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) «مقدمة الدكتور القرضاوي لكتاب «قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم» (ص٣٣ ـ ٣٤).

(٣) مقدمة «ماذا خسر العالم» (ص٢٤) ـ طبعة دار القلم.

التي كسر عليها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذي يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام ويركزه فيه، فمن خلال صفحات الكتاب تستطيع أن تستصفي تاريخ الدولة الإسلامية، والدول الأوربية من حيث الحياة الاجتماعية والدينية على السواء.. أن تلمّ بالخطوط العريضة للحركات الدينية وتلاقي هذه الخطوط وتوازيها واقتراب بعضها من بعض، وبُعد بعضها عن بعض»[1].

وهذا الكتاب عصارة دراسة مفكر واع عميق المطالعة، واسع الثقافة، خبير بالأمم والشعوب: أعمالها، وقائعها، مآثرها ومكارمها، بصير بالأخطار والعواقب والنتائج، ويصل بدراسته الحيادية المستقلة وبخبراته وتجاربه إلى أن الأمة التي كانت قد قادت الإنسانية سابقًا إلى شاطئ النجاة، هذه الأمة التي تقدر برسالتها الخالدة، وبقيمها الخلقية النورانية، وبمبادئها الفطرية المنطقية الواقعية، وبعقيدتها الصافية النقية الطاهرة، هذه الأمة هي الجديرة أن تقود الإنسانية جمعاء من جديد إلى الخير والفلاح، فالكتاب ثورة في دنيا العلم والفكر والحضارة والثقافة والتاريخ.

* السبيل إلى الإنقاذ:

☐ يقول الأستاذ محمد المجذوب:

«وحول مستقبل الجيل الإسلامي ومهمة علماء الإسلام نحوه يقول فضيلته: «إن الجيل الإسلامي الجديد سواءً في بلادنا ـ الهند ـ أو سواها من وطن الإسلام، يمر بمرحلة انتقالية على غاية من الأهمية.

لقد تجرع هذا الجيل مرارة الأفكار الأجنبية، وعاش في ظل نظم الحكم غير الإسلامي. ولا يختلف بعضه عن بعض في أي قطر وآخر؛ لأن هذه

---

(١) «مجلة الثقافة» ٨ ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ (١٨ ديسمبر ١٩٥٠).

النظم في جميع البلدان تستمد جذورها من الحضارة الغربية، فهي على منوال واحد. لكن الصورة اليوم تختلف عما كانت عليه في الماضي. إن تطبيق هذه النظم قد سهل عملية إقناع الجيل الحاضر بضلالها وبكونها جافة وجوفاء.

لقد أخفقت الحضارة الغربية في إسعاد المسلم كليًّا، وذلك من فضل اللَّه علينًا، إذ كلما عرف العاملون للدعوة الإسلامية كيف ينتهزون هذه الفرصة، بتوجيه قواهم إلى الكشف عن مساوئ هذه النظم وما تقاسيه الشعوب في ظلها.. كلما فعلوا ذلك أحرزوا نجاحًا جديدًا لدعوتهم.

والمهم الأهم لقادة الفكر الإسلامي، بعد فضح الحضارة الغربية، أن يحسنوا تعهد قلوب المسلمين، بإلهاب العاطفة الدينية، وتعميق الإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأول، على أن يستخدموا لذلك جميع الوسائل الحديثة والقديمة، وطرق النشر والتعليم والاستعداد المادي.

❑ ويقول الشيخ: من أجل تحقيق هذا الهدف لا مندوحة عن إعداد الكتب المفيدة في أسلوب عصري، وتربية الشباب الروحية بتوطيد الصلة بينهم وبين الربانيين، وتضييق الفجوة بين الإسلام وغير المسلمين، وذلك بتنظيم اللقاءات معهم، وتزويدهم بما يجهلونه من حقائق الإسلام.

ويختم فضيلته توصياته الرشيدة بقوله: إن القرآن العظيم وسيرة محمد ﷺ، قوتان في وسعهما أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كل وقت ثورة مظفرة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مسلمة مخذولة أمة فتية مائجة بالحياة والحماسة والغيرة».

وفي هذه الخطوط المركزة خلاصة عميقة الغور تحمل ضروبًا من تجارب السيد أبي الحسن في دراسة الواقع الإسلامي، وطرق معالجته وتصحيحه.

*** لكن.. من لهذه العقبات!**

إن هاهنا نقدًا حادًا للحضارة الغربية، التي أفسدت الضمير الإنساني، فجنت على الإنسان بعامة والمسلم بخاصة، وهي نظرة ثابتة في أفكار الشيخ لا ينفك يعرض لها في كل ما يؤلف ويحاضر. وبذلك يلتقي مع كبار مفكري الإسلام والغرب المعاصرين، محمد إقبال، سيد قطب، وأخيه محمد، ومحمد محمد حسين، ومحمد البهي، وأنور الجندي، وألكسيس كاريل مؤلف «الإنسان ذلك المجهول» و..

وهاهنا كذلك توكيد على مفاسد النظم الحاكمة في بلاد الإسلام، بوصفها صورًا ممسوخة من تلك الحضارة المدمرة للروح. ويريد الشيخ من علماء الإسلام ومفكريه أن يستفيدوا من إخفاقها الذريع في معالجة قضايا المسلمين، لإبراز عظمة النظم الإسلامية، وقدرتها على تقويم كل عوج وتصحيح كل فساد.

وفي سبيل هذه الغاية يحث على الانتفاع بكل الوسائل الإعلامية، وبخاصة الكتاب الذي يعتمد الأساليب العصرية لنشر هذه الحقائق، إلى جانب التربية الروحية القائمة على الأسوة الحسنة.

ولا جرم أن في هذه التوجيهات الحكيمة، لو أمكن ترجمتها إلى الواقع، خيرًا كثيرًا.. ولكن.. وما آلمَ «لكن» هذه!!.. ما السبيل إلى هذه الترجمة؟.. وما الوسائل الموصلة إليها؟..

إن أهم أدوات الإعلام في ظل الحياة الإسلامية تتركز في هذه المنطلقات الأربعة: المسجد، المنهج التعليمي، الكتاب، السلوك الاجتماعي.

ففي المسجد تُبنى النفوس المؤمنة على مراقبة اللّه، والعناية بشئون عباده.

وبالمنهج الإسلامي في التعليم يتكون اليقين بقداسة العلم، على أنه

النور الذي يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام.

ثم يأتي الكتاب الإسلامي تفصيلاً لهذه المبادئ وإيضاحًا لحقائقها.. ومن هذا وذاك يتكون السلوك المثالي الذي يميز مجتمع الإسلام.

والأربع المنطلقات هذه قد ارتفع عنها سلطان الإسلام في معظم أقطاره. لأن النظم الطاغية قد فرضت رقابتها عليها جميعًا، فليس لخطيب المسجد أن يعلن كلمة اللّه إلا ملفوفة بألف غشاء.. وكثيرًا ما يكره على ترديد أفكار الطواغيت أنفسهم، وقد يعرض نفسه للعزل والسجن، بل والإحراق حيًّا، إذا جرؤ على الإشارة إلى حكم اللّه في قوانينهم ـ كما حدث في الصومال منذ مدة ـ ولم يبق للفكر الإسلامي أي صلة بمنهج التعليم؛ لأنه أُخضع للأيدي الملحدة أو المضللة تعبث به كيف تشاء، وإذا استبقت للإسلام فيه من أثر فللتمويه على البسطاء، ولإبرازه في مركز الضعف بإزاء المواد الأخرى التي استغرقت معظم المنهج، وفيها الكثير مما يصادم حقائقه البديهية.

وأي كتاب إسلامي يتاح له الظهور في مثل هذه المباءات المغلقة، إلا أن يحمل من مسوغات الظهور ما يقصم الظهور!

ولا حاجة للإسهاب في وصف المجتمع الذي يرزح تحت هذه الكوابيس، بعد أن فسدت عناصر تكوينه جميعًا.

ذلك هو واقع المسلمين في كل مكان إلا من رحم اللّه.. ولا بد لنا من ملاحظته في كل ما نصف له من علاج.

وكلمة أخرى في شأن الكتاب.

من فضل اللّه على القلم المؤمن أنه لا يزال قادرًا على التصريح ولو ببعض الحق، وفي بعض المواطن.. إلا أن في مقدمة العقبات التي تواجهه قلة القراء الذين يعنيهم أمره.

لقد سلكنا الطريق إلى مكافحة الأمية، وكدنا نغرق البلاد الإسلامية بالمدارس على اختلاف أقسامها، وبذلك كثر الذين يحسنون القراءة. ولكن حظ الكتاب الإسلامي من هؤلاء القراء ظل قليلاً محدودًا؛ لأن التوجيه المدرسي والإعلامي قد سبق إلى عقله فصرفه إلى الترهات، فما لبث أن فقد القدرة على استساغة الحقائق.. ثم جاءت الدعايات الساذجة، التي يتطوع لإشاعتها عن حسن نية كتاب مسلمون، ليوهموا بقية القراء أن ميدان النشر خال من الأدب الإسلامي والفكر الإسلامي، فلا قصة إسلامية، ولا شعر إسلامي.. ولا من يحزنون!

أجل.. إن هذا هو واقع المسلمين.. وتلك هي الفجوات التي تعترض سبيل المصلحين.

فمن لنا بإزالة هذه العقبات؟

وما السبيل إلى تحقيق هذه المقترحات؟!.

*** في التربية والتعليم:**

والذي أعلمه من أفكار الشيخ، ومن خلال الأحاديث الخاصة التي يتيحها لنا لقاؤه في المناسبات الإسلامية، أن جوابه على تساؤلنا الآنف ينحصر في الناحية التربوية.. ذلك لأنه شديد التركيز على هذا الجانب في معظم أعماله الفكرية، فهو بنظره المعوّل الأهم في تكوين الجيل الصالح لإقامة المجتمع الصالح. ونظرة مستوعبة إلى أحاديثه الكثيرة في هذا الموضوع كافية لاستبانة هذا الواقع، ولإمداد الباحث بما يكاد يؤلف منهجًا متكاملاً للتربية والتعليم كما يريده أبو الحسن، بل كما يتراءى له في ضوء الإسلام، ومن خلال تجاربه العميقة في هذا الميدان.

وبين يدي الآن صورة المحاضرة التي ألقاها في مهرجان الندوة ـ

٢٦/ ١٠/ ٩٥هـ بعنوان: «أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية..»
ومنها أنقل للقارئ الفقرات التالية:

* منابع السموم:

يتحدث الشيخ عن عمل المستشارين الأجانب في نظم التعليم المفروضة على العالم الإسلامي، فيقول عن أصحاب السلطان: أنهم «حكَّموا في تخطيط برامجهم التعليمية ومؤسساتهم العلمية الإخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبية، ولم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب، بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية، وأرسلوا البعثات إلى الخارج لتنشأ في أحضان المربين الغربيين والأساتذة الأجانب، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كل حرية في تخطيط البرامج وسياسة التعليم.. فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والأفكار والسيرة والأخلاق، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وإلا فهي في أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها».

* التربية لدعم العقيدة:

وينقل هنا عن (دون آدامس) في أمر هؤلاء الموجهين طرفته التالية: «زعموا أن فيضانًا قد اجتاح بعض الأماكن، وكان هناك قرد وسمكة، فأما القرد فقد استفاد من سوابق تجاربه فتسلق شجرة ونجا، ثم وقع بصره على السمكة تكافح التيار فأشفق عليها، وحملها إلى الشاطئ وهو يظن أنه ينقذها، فكان في ذلك القضاء عليها».

ويعقب على ذلك بقوله: «إن عملية التربية في أمة أو بلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات أو المواد الخام، أو الحاجيات أو المخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد، وإنما هي

لباس يفصل على قامة هذه الشعوب، وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة، وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش لها وتموت في سبيلها، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز..»[١] .

وعلى الرغم من ثقته التامة بصحة هذه الأفكار لم يرض إلا أن يؤيدها بموافقات أساطين الخبراء في هذا الشأن، من أمريكيين وبريطانيين وحتى الشيوعيين، مما يؤكد أن ارتباط التربية والتعليم بمقومات الأمم قضية لا خلاف عليها، بل هي القاعدة الأساسية في بنائهما عند كل أمة تريد لنفسها البقاء في معركة الحياة.. وما دام الأمر كذلك فأحق الأمم بالاستقلال في هذا الميدان هي الأمة التي حملت أمانة اللّه إلى البشرية، وبدينها الخالد الكامل خُتمت رسالات السماء إلى الأرض، فلا سبيل لها إلى أداء هذه المهمة إلا عن طريق استمساكها بالتميز، الذي يحفظ لها أصالتها سليمة من كل تميع أو تبعية أو تقليد. ذلك هو المنطلق الرئيسي الذي عنه يصدر الشيخ في كل ما يتناوله من شئون التعليم منهجًا وأسلوبًا وغاية، ولا جرم أن لوسطه الندوي إيحاءه الفعال في هذا الاتجاه، بما كان لندوة العلماء من أثر ضخم في إحياء هذه المثل وإخراجها من حيز النظر إلى مجال التطبيق.

*** تجربة رائدة:**

ويصف أبو الحسن هذه المؤسسة فيقول: «إنها تمثل فصلاً من أروع الفصول في تاريخ الوعي الإسلامي». إذ كان قيامها ـ ١٣١١هـ ـ لغرض واحد هو إنقاذ الكيان الإسلامي من عملية التدمير التي شنها (دعاة التغريب والردة الفكرية والحضارية من المسلمين والقوميين وغيرهم»[١] .

والمتتبعون لأعمال هذه المؤسسة، والمطلعون على نشاطها الواسع في

(١) صفحة ١٠، ١٢ من المحاضرة.

خدمة الفكر والخلق والعربية، يؤيدون أبا الحسن فيما ذهب إليه من تقديرها. ولا أذيع سرًّا إذا قلت: إنني أحدهم، فعن طريق معرفتي بمناهجها، وصلتي بخريجيها الملتحقين بالجامعة الإسلامية، أدركت عظم المهمة التي تنهض بها في خدمة الإسلام. (إن هؤلاء الفتية في مقدمة طلاب العالم الإسلامي التزامًا لأدب الإسلام، ورغبة في العلم، وتقديرًا لمدرسيهم، وتقديسًا للغة القرآن، التي لا يكاد يضاهيهم في سلامة النطق بها عربي من نوابغ الطلاب.

إنها لتجربة رائدة نهضت بها تلك المؤسسة، فقدمت للعالم الإسلامي أنموذجًا للتربية والتعليم يستحق الدراسة، ويمكنه أن يقيم لدعاة الإصلاح معالم على الطريق ذات دلالات لا تنكر.

ولقد حفلت مناهج الندوة بكل جديد مفيد من المواد العصرية، إلى جانب المقررات الإسلامية الضابطة، مع مراعاة الاحتمالات النفسية لطالب العلم. إلا أن عامل التفوق في عملها هو دستورها التربوي، الذي جمع بين التعليم والتطبيق على أفضل الوجوه. وأن في خريجيها، الذين تسنموا أرفع المنازل بين أساطين العلم في العالم الإسلامي كله، لأبرز الأدلة على أننا منها تلقاء واحد من أنجح المشروعات التعليمية في هذا العصر[1] . انتهى كلام الشيخ محمد المجذوب[2] .

□ يقول الشيخ محمد المجذوب:

«ولا حاجة إلى التذكير بأن فضيلة الشيخ أحد ثمرات هذه المؤسسة المباركة، وقد شاء اللَّه أن ينتهي إليه لواؤها، فيتابع طريق أسلافه في دفعها

---

(١) من بحث قدمناه إلى المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة ربيع الآخر ١٣٩٧هـ.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٤٧ ـ ١٥٣).

إلى الأعلى يومًا بعد يوم. وحسبه من ذلك وهذا ثروة لا تقوم من الخبرات الحية، التي تمده بكل سديد من الرأي في مجال التعليم الإسلامي. ولا عجب بعد ذلك أن يحظى هذا المفكر العملاق بكل التقدير الذي تحفه به أوساط العلية من مثقفي العالم الإسلامي، حتى ليجمعون على تقديمه للكلام باسمهم في أكبر المؤتمرات.

ثم لا غرو أن ينال هذا (المعلم) الممتاز مثل الحب الذي لمسته من طلابه نحوه، حتى ليتسابقون إلى خدمته في سعادة لا توصف، وحتى ليكون وقع الألم في أعينهم أخف عليهم من أن يلم به أي أذى مهما يكن قليلاً.

وذلك بعض فضل اللَّه عليه في الدنيا، وللآخرة أكبر درجات ـ إن شاء اللَّه ـ وأعظم تفضيلاً»[1].

* أبو الحسن الندوي المربي الفاضل:

لقد شغل أمر التعليم والتربية بال الدعاة والعلماء، وكان سماحة الشيخ الندوي قد أولى عنايته البالغة بالتربية، وتعرّض لها في معظم مؤلفاته، وبدأ يكتب مقالات ويُلقي محاضرات منذ الخمسينات، وجُمعت هذه المقالات والمحاضرات في كتاب بعنوان «نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية» وقد أفاض ـ رحمه اللَّه ـ في بيان أهمية التعليم الإسلامي وقيمة التربية معه فقال:

«إن التربية لا تقل أهمية عن التعليم، وإذا خلا التعليم عن التربية أصبح بلا نتيجة في أكثر الأحيان، ونقصًا في ناحية التربية ليس بأقل من نقصنا وفقرنا في ناحية التعليم ومنهاج دراسته وموضوع التربية موضوع

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٥٤).

واسع، طويل الذيل، وكثير الشعب والنواحي»[١] .

وقد قدّم سعادة الأخ الفاضل والعالم المربِّي الدكتور محب الدين أحمد أبو صالح حفظه اللّه بحثًا قيمًا عن «التربية الإسلامية عند سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي» إلى الندوة العالمية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في استنبول «تركية» وأشار فيه إلى «أهمية التعرف على الفكر التربوي الإسلامي ـ أو التربية الإسلامية ـ عند سماحة الشيخ الداعية المربي أبي الحسن علي الحسني الندوي، باعتباره من كبار علماء العالم الإسلامي، وقادته الفكريين والأدباء، والدعاة والمربين «وذكر الباحث أن من مزايا الشيخ أنه شخصية مربِّية بذاتها، ومربية بكتبها ومؤلفاتها، ومربية بمحاضراتها وخطبها، ومربية بدعوتها الحكام والمسئولين التربويين إلى وجوب الأخذ بالتربية الإسلامية والابتعاد عن النظم التربوية ـ المستعارة ـ الغربية والشرقية، وشخصية الشيخ مربية ـ أيضًا ـ بمشاركتها في التخطيط لبعض الجامعات والمؤسسات العلمية الجديدة، وفي تطور القديم منها»[٢] .

* الشيخ الندوي و«الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية»:

لما هاجمت البلاد الغربية الديار الإسلامية الهجوم العنيف الشرس في كل جانب من جوانب الحياة، لم يكن هذا التوجه لنقل الرقي الحضاري والصناعي إلى هذه البلاد، بل كان القصد منه السيطرة والهيمنة على جميع الموارد والمصادر والمناهل والملك، وكان استعمارًا تامًّا لتلك البلاد، فتجمع الغرب كله، وبدأ يكيل التهم جزافًا، ويسفّه الأحلام والعلماء ويكذب المبادئ

---

(١) «نحو التربية الإسلامية الحرة» لأبي الحسن الندوي (ص١٧).

(٢) «مجلة البعث الإسلامي» ـ عدد ممتاز عن فقيد الأمة (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥).

والحقائق، وكانت الافتراءات على الدين الإسلامي كثيرة إلى حد أنه وُضع في قفص الاتهام. وكان يواكب الجيش والعلم ووسائل الإعلام المبشرون المسيحيون المثقفون بثقافات الأديان والمذاهب وتاريخها ولغتها، فيلقون أسئلة لاذعة ويعرضون خلافات ونزاعات فكرية وفقهية وكلامية، ويبترون الحقائق بترًا، ويقتطعون العبارات والكلمات، ويوقعون عامة المسلمين الذين لا يعرفون من العقيدة والمبادئ الإسلامية إلا قليلاً، فصار الناس في بلاد الإسلام في (موقف الاعتذار) وكان للأمرين رجال وأناس، ولكن كلا الموقفين لم يثبتا ولم يجدا جذورًا قوية نامية فصار هباءً منثورًا، ومرّا مرورًا سريعًا، بَيْد أنه خلّف وراءه صراعًا فكريًّا شديدًا وعنيفًا في العالم كله. وهذا ما يتحدث عنه كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لأبي الحسن الندوي. وهذا الكتاب كما يقول الندوي نفسه: «كتاب الساعة؛ لأنه يبحث عن قضية مصيرية للأقطار الإسلامية»، ويعين مكانتها في خارطة الإسلام المعنوية والمبدئية في جانب، وفي خارطة العالم الحضارية والاجتماعية في جانب آخر، ويحدد قيمتها الحقيقية من وجهة نظر الإسلام ورسالته وأهدافه. وهو من أهم كتب المؤلف وهو يُعدّ الحلقة الثانية من كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟

استعرض ـ رحمه اللّه ـ الفكرة الغربية بتفاصيلها وأبعادها، ودرسها دراسة عميقة واعية، وأدرك أخطارها المحدقة بالإسلام والمسلمين في ديارهم كلها، لذلك خصّ كل بلد إسلامي بدراسة هذه الظاهرة فيه، وأفكارها، وحُماتها وكتاباتهم ونشاطاتهم، ثم لفت الأنظار إلى ما تخفي في جنباتها من التدمير والتخريب والأخطار التي تترصد العالم بسببها، ونبّه إلى الوسائل الوقائية والطرق السويّة السليمة لتجنب تلك الأخطار، وأشاد بما قام به المفكرون الإسلاميون العاملون بهذا الصدد، وكيف تصدوا لهذه الفكرة

الغربية، وتغيّر مفاهيمها الدينية وتقاليدها القومية وقوانينها الإسلامية بالأوضاع الغربية، وعلى حد قول الشيخ الندوي فإنها تريد أن تصهر هذه البلاد بتؤدة وأناة ولكن بوعي وإلحاح في بوتقة الحضارة الغربية».

▫ يقول القرضاوي عن الكتاب: «هو يبين كيف دخلت الفكرة الغربية ديار المسلمين، وصارعت الفكرة الإسلامية، التي هي الأصل وصاحبة الدار، وكيف كادت تنفرد بالتأثير والتوجيه فترة من الزمن، ثم قيّض اللَّه للفكرة الإسلامية من يجددها ويدعو إليها ويذود عنها لتتبوأ مكانتها».

▫ لقد كشف الندوي ـ رحمه اللَّه ـ القناع عن حركة التغريب «التقدمية!!» في العالم الإسلامي وسيلها العارم الجارف بنظرة فاحصة شاملة من علمه الجم.

وبيّن ـ رحمه اللَّه ـ مركز الأمة الإسلامية ورسالتها بكل قوة ووضوح، وألهب وأثار الغيرة الدينية والحماسة والروح البطولية، ليُحيي فيه المؤمن القوي العليم الصالح المصلح، ويشير إلى أنه في مثل هذا الموقف الشائك الحرج المتأزم تمسّ الحاجة إلى ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان وذكاء، ويشق له طريقًا بين مناهجها ومذاهبها، ويبين فضائلها ورذائلها، طريقًا يترفع عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر، والمفاهيم السطحية، ويتمسك بالحقائق وأسباب القوة، وباللباب دون القشور»[1].

ويرسلها الندوي دعوة مجلجلة لاختيار الطريق السوي في ضوء من الآية الكريمة ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ**

---

(١) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» للندوي (ص٢١٦).

شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا الكتاب بلا ريب كتاب الساعة، وحاجة العصر، ومطلوب الأمة.

* ردة ولا أبا بكر لها:

أمام غارة الغرب على دين الأمة، وشعائرها، وقيمها، ومبادئها، وأخلاقها، وتقاليدها، ولغتها، وثقافتها وحضارتها ورسالتها بحضاره وقيوده وأغلاله، واندهش الناس واحتاروا، ووجهت إلى المسلمين التهم والافتراءات والأكاذيب والأباطيل، وتصدى أبو الحسن الندوي بغيرته على الإسلام وكيانه لهذا التيار المنحرف الجارف وواجهه بكتابات فكرية علمية موضوعية، وبنداءات مجلجلة قوية واضحة صريحة، وصدرت له مقالات متتابعة متواصلة منها: إلى ممثلي البلاد الإسلامية، معقل الإنسانية، المد والجزر في تاريخ الإسلام، بين الصورة والحقيقة، ثورة في التفكير، بين الجباية والهداية، دعوتان متنافستان، مصرع الجاهلية، أزمة إيمان وأخلاق، العوامل الأساسية لكارثة فلسطين، ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي.. ردة ولا أبا بكر لها.

وهزّ مقاله الثائر الرائع المؤثر القلوب ولفت الأنظار، وأثار الشعور، وأقبل القرّاء المسلمون عليه اقبالاً منقطع النظير.

◘ قال الندوي عن هذه الردة: «لكن حرب العالم الإسلامي في العهد الأخير ردّة اكتسحت عالم الإسلام من أقصاه إلى أقصاه، وبزّت جميع حركات الردة التي سبقتها في العنف وفي العموم، وفي العمق والقوة، ولم يخل منها قطر، وقلما خلت منها أسرة من أسر المسلمين، وهي ردة تلت غزو أوروبة للشرق الإسلامي، الغزو السياسي والثقافي، وهي أعظم ردة

ظهرت في عالم الإسلام وفي تاريخ الإسلام، منذ عهد الرسول ﷺ إلى يوم الناس هذا»[١] .

* **إلى الإسلام من جديد :**

طالب الندوي العالم الإسلامي بالقضاء على هذه الردة بدعوة إسلامية جديدة فيقول: «إن العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة، وإن هتاف الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم (إلى الإسلام من جديد)، ولا يكفي الهتاف، إنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل، لا بد من تفكير هادئ عميق، كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحتكر الحياة وتملك الزمام إلى الإسلام من جديد، وكيف نبعث فيهم الإيمان والثقة بالإسلام، وكيف نحررها من رقّ الفلسفات الغربية والحضارة العصرية ونظرياتها اللادينية؟ إنه في حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة، ويكرّسون لها علمهم ومواهبهم وكفايتهم، ولا يطمعون بمنصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد حقداً، ينفعون ولا ينتفعون، ويعطون ولا يأخذون، ولا يزاحمون طبقة في شيء تحرص عليه وتتهالك، حتى لا تكون لها حجة عليهم، ولا للشيطان سبيل عليهم، شعارهم الإخلاص والتجرد عن الشهوات والأنانيات والعصبيات، إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، ويحررهم من رقّ الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم، إنه في حاجة إلى رجال في كل ناحية من نواحي عالم الإسلام

(١) «إلى الإسلام من جديد» للندوي (ص١٧٢ ـ ١٧٣) ـ دار القلم بدمشق.

عاكفين على الجهاد»[1] .

إن الكتاب دعوة مخلصة جامعة شاملة، ونداء قوي مجلجل، وهتاف عال رفيع لايقاظ الضمائر وإحياء القلوب، وإيقاد جمرات الأفئدة لتشتعل ثورة في المجتمع وتعود به إلى إيمان جديد غض طري، وتدوي صرخة في آذان جمهور المسلمين إلى الإسلام من جديد.

وقد حدث أن الشيخ الندوي ـ رحمه اللَّه ـ سافر إلى سريلانكا بدعوة من جامعتها الإسلامية عام ١٩٨٢م، فرحّب به نائب رئيس الجامعة محمد شكري، وقال: إن فكرة إقامة هذه الجامعة إنما بتلورت وقويت بل ظهرت بعد مقالكم (ردة ولا أبا بكر لها)، وقد أعجب الحاج المؤسس بهذا الموضوع، وملك عليه تفكيره وقلبه[2] .

*** الدين النصيحة:**

فـ «سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي يُعدّ في طليعة أولئك العلماء والمفكّرين القلائل الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية المبدعة، وجهودهم الدعوية القوية، في النهضة الإسلامية الواعية منذ نصف قرن، وسدّوا الثغرات العلمية والأدبية الهامّة، وملأوا الفراغ الفكري، في تفهّم أسرار الشريعة، وفي تحليل الوقائع والأحداث، بالدقة العلمية والغوص العميق، وتشخيص الأمراض واتخاذ الوسائل والأساليب لمعالجتها، مع المميّزات الروحية المشرقة، وأخلاق علماء السلف الكريمة»[3] .

---

(١) إلى الإسلام من جديد» (١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢) «في مسيرة الحياة» للندوي (١/ ٤١٨).

(٣) «الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر» من كتاباته للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (ص٥) نقلاً عن «أبو الحسن الندوي كاتبًا ومفكرًا» لنذر الحفيظ الندوي الأزهري (ص٣) دار القلم ـ الكويت.

ولقد جمع أخونا في اللَّه الشيخ الفاضل صلاح الدين مقبول في كتابه القيم «الأستاذ أبو الحسن الندوي» ما كتبه الندوي باللغة الأردية وظهر فيها بشكل واضح صوفياته نقده فيها جمع من أهل العلم منهم شيخه الشيخ خليل بن محمد اليماني وشيخه العلامة تقي الدين الهلالي، والدكتور شمس الدين الأفغاني، والشيخ عبدالحميد الرحماني، والشيخ زين العابدين الأعظمي، والأستاذ عادل التل، والأستاذ محمود عبدالرءوف القاسم، والشيخ رفيع أحمد، والشيخ رضا علي بن عبداللَّه[1] .

يوجد في كتابات الأستاذ الندوي ـ على حيطة وحذر ـ كل ما يوجد عند غلاة المتصوفة من الصوفيات ففيها: التباكي على قتل الحلاّج، والدفاع عن ابن عربي، وتأويل أباطيله، وتقرير «وحدة الشهود» إزاء «وحدة الوجود» وتأثير الصوفية في الأكوان والأشخاص، ومكاشفتهم القلوب، وإشرافهم على الخواطر، والمراقبة عند القبور، والقول بأن الأقطاب وغيرهم يسمعون»، وكلامه عن أن أول خلق اللَّه المحبة، والسماع الصوفي، والشطحات والدعاوي، والظاهر والباطن، والغيب، والفناء، والمحوية والاستغراق، وثناؤه على جلال الدين الرومي ومثنويه ودعوته إلى وحدة الوجود».

*** العالم الرباني حمود بن عبداللَّه التويجري (١٣٣٤هـ ـ ١٤١٣هـ) ودفاعه عن عقيدة السلف:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ شديد الغضب للَّه، يتبيّن ذلك حين يعلم أن أحدًا يُجاهر بمعصية أو يعارض سنّة أو ينشر بدعة.

كان قويًا في الحق لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، مجانبًا لأهل البدع

---

(١) «الأستاذ أبو الحسن الندوي» ـ الوجه الآخر من كتاباته» (٣/ ٦٤٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٩ ـ ١٠).

والأهواء، محاربًا لهم بلسانه وقلمه»[1] .

☐ ومؤلفات الشيخ التويجري تذب عن عقيدة السلف ومنها:

- «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

- و«الرد القويم على المجرم الأثيم» وهو ردّ على من تعرّض لصحيح البخاري.

- و«إثبات علو اللَّه على خلقه».

- و«تحفة الإخوان بما جاء من الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران».

- و«الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار» (وهو رد على من أباح الربا في البنوك).

و«القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

- و«عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن».

- و«الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين».

- و«إيضاح المحجة في الردّ على صاحب طنجه». وهو رد على أحمد الغماري.

- وكتابه «إنكار التكبير الجماعي» فرحمه اللَّه وأجزل له المثوبة والثواب بذبه عن عقيدة السلف الأكرمين.

* الشيخ صلاح أبو إسماعيل يصدع بالحق:

جذب الأنظار والأفكار في مختلف أرجاء العالم الإسلامي في وقته لأنه ذكّر المسلمين بالتحفة النادرة التي قلّما يقعون عليها في واقعهم، مع أنها

---

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٩٥).

من الخصائص الأولى لهذه الأمة التي ميّزها اللَّه بالخيرية، المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دوّى اسمه في الصحف والإذاعات العالمية وهو يدافع عن قضايا الإسلام؛ «لأنه كان نذيرًا بأنه لا يزال بين علماء الإسلام من يؤثر مرضاة اللَّه على النفس والحياة والمنصب، فيعلن شهادة الحق في أحرج المواقف، يرسلها مجلجلة ناصعة لا تخاف في اللَّه لومة لائم، حفاظًا على قلبه من أن يخالطه الإثم الذي أوعد اللَّه به كاتمي الشهادة.

وإنها لعمر الحق لبطولة تفوق سائر البطولات التي ألف الناس أن يمجدوها ويقيموا لها الأنصاب والمعالم، وبخاصة بعد أن خرست أصوات الصادقين وطغت ضوضاء المنافقين، وأصبحت فنون البلاء موكلة بالألسن، فهي تتهيّب أن تهمس بكلمة الحق خشية أن تقطع أو تنزع..

وكان للرجل موقف ويوم تاريخي لا يُنسى له.

كان - رحمه اللَّه - من أشد المنافحين عن شريعة اللَّه والصادعين بالكلمة التي تُرضي اللَّه وتُسخط كل عدو له.

رتب الشجاعة في الرجال قليلة   وأجلهن شجاعة الآراء

قدّم استجوابًا لرئيس الوزراء عن تصريح السادات بألاّ سياسة في الدين ولا دين في السياسة وقد حشد في هذا الاستجواب البيّنات القاطعة على كمال السياسة الإسلامية وتفوقها على كل نظام في تأمين العدالة والأمن لأصناف البشر على اختلاف معتقداتهم، وبلغت صفحاته العشرين.

◻ يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل: «قدّمته إلى رئيس مجلس الشعب ليدرجه في أعمال أقرب جلسة، غير أنه جبن عن مجرد تقديمه، فذهبت به إلى القصر الجمهوري حيث قدّمته بنفسي إلى الدكتور زكريا البري.. وزير الأوقاف آنذاك - ليبلغه إلى رئيس الجمهورية، وضمنته كذلك التنديد بقول

السادات: إن قدوته مصطفى كمال أتاتورك.. ثم كان ما كان من تصادم مع الحزب الوطني والغالبية المؤيدة للحكومة بالحق والباطل. وهناك استجواب آخر وجهته إلى جمال الناظر وزير السياحة والطيران المدني عن تقريره الخمر في المدرسة الفندقية التابعة لوزارته في بلد دينه الرسمي الإسلام، والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع[1].

وكان لي استجواب كذلك ضد عربدة الإعلام، ومن قبل كان لي استجواب ضد الأستاذ عبدالمنعم الصاوي وزير الإعلام عن تصريحه في أمريكا بأن الشريعة الإسلامية لن تطبق في مصر. وكان لي استجواب موجه إلى الدكتور عبدالمنعم النمر عن تفريطه كوزير للأوقاف في استرداد نحو ثلاثة وسبعين ألف فدان، كانت البقية الباقية من أراضي الأوقاف المغتصبة من الأزهر والمساجد عام ١٩٦١ إبان التحول الاشتراكي، وقد قضى فيها القضاء بحكم نهائي وباتٌّ بردها لوزارة الأوقاف سنة ١٩٧٣، وفرّط وزراء الأوقاف المتعاقبون في المطالبة بتنفيذ هذا الحكم»[2].

◻ كذلك شهد مجلس الشعب مواقفه الرائعة ضد قانون السادات للأحوال الشخصية.. يقول عنها الشيخ صلاح أبو إسماعيل: «وهي معارك خضتها ضد الثلاثة الكبار محمد عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهر السابق، وجاد الحق علي جاد الحق مفتي مصر السابق، وعبدالمنعم النمر وزير الأوقاف سنة ١٩٧٩مم وهذه الاستجوابات وغيرها من المواقف البرلمانية، كانت تحتاج إلى مستمعين يقدسون الإسلام، وإلى أعضاء يعرفون للقرآن حرمته وللسنة حجتها»[3].

---

(١) بل الحق أن يقال إن الشريعة هي المصدر الوحيد للتشريع.. والتشريع حق مطلق لله عز وجل.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٥٥).

❑ ويذكر التاريخ بالخير للشيخ صلاح أنه في يناير ١٩٧٩ انتهز فرصة العمرة لما يقرب من ثلاثمائة عضو من أعضاء مجلس الشعب وبايعهم وبايعوه في الحرمين الشريفين على أن تكون أصواتهم لشرع اللَّه، لا يغلبهم على ذلك انتماء حزبي.. يقول الشيخ صلاح: «فما كان من الرئيس أنور السادات، إلا أن أصدر قرارًا بحل مجلس الشعب بعد استفتاء ملفق، وأسقط معظم هؤلاء الذين تعاهدنا معهم في الحرمين الشريفين»[1] .

❑ وكان لصوته ـ رحمه اللَّه ـ أثر في تعديل المادة الثانية من الدستور فأصبحت تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ولم تكن موجودة من قبل.

ولم تكن لجان تقنين الشريعة موجودة فُوجدت، وأنجزت عملها تمامًا، بل وأتمت طباعته في التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والمدنية والجنائية، وفي التقاضي ولم يبق سوى التطبيق.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «الظلام الكثيف يبدده النور الخفيف.. فكيف بالنور الوهاج، واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون».

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «لا شك أن عالمنا العربي والإسلامي، وقد مُني بالاستعمار الزاحف عليه من الخارج بعد أن أصيب بالتمزق الذي بعثر صفوفه، وفرّق كلمته داخل الدوائر العربية والإسلامية، قد أصبح في وضع دولي تبخرت معه العزة الإسلامية؛ لأن الذين ينسون اللَّه ينسيهم اللَّه أنفسهم، فالذين يدورون في فلك الغرب، والذين يدورون في فلك الشرق، إنما يدورون جميعًا في أفلاك قوى عالمية لا تتفق إلا على محاربة الإسلام، وهذا هو السر في تأخر الاستجابة حتى اليوم للمطلب الشعبي على مستوى

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٤).

العالم الإسلامي المتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية.. ﴿إن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الآية[١] . فجزى اللَّه الشيخ صلاح خير الجزاء.

*** الشيخ حافظ سلامة بطل السويس الذي صدّ برجاله اليهود عن الاستيلاء على السويس:**

❑ للَّه در الشيخ حافظ على أحمد سلامة صاحب المواقف العجيبة في مدينة السويس أثناء اقتحام شارون اليهودي لثغرة الدفرسوار في معارك رمضان.

❑ وجزاه اللَّه خيرًا عن بنائه لبيوت اللَّه.. والقاصي والداني يعلم أن مسجد النور بالقاهرة أثر من آثاره ولكن «سمعة الشيخ حافظ سلامه خارج مصر إنما قامت بالدرجة الأولى على جهاده وإخوانه في حرب ١٩٧٣م وعن مواقفهم أيامئذ يقول:

لقد خدعنا أول الأمر بالبيانات المضللة التي كانت تذاع عن قوات العدو الإسرائيلي وتحركاته، حتى فوجئنا بوصول العدو إلى مشارف مدينة السويس، فكان علينا أن نتخذ الموقف الواجب بإزاء ذلك الخطر الداهم، وهكذا دعوت إخواني الذين تربوا في جمعية الهداية الإسلامية ومسجد الشهداء مدنيين وعسكريين، ونظمت صفوفهم خلال لحظات، وزودناهم بالأسلحة والذخائر التي انهمرت علينا دون أن نعلم كيف ساقها اللَّه إلى مسجد الشهداء من حيث لا ننتظر في تلك الساعة العصيبة.. حتى إذا صار العدو إلى أطراف البلد ووجه بسيل من النيران لم يتوقعه، وبمقاومة تعترض قواته لأول مرة بشراسة نادرة، من رجال باعوا أرواحهم للَّه، حتى فقد جنود

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٥٨).

العدو أعصابهم، وتركوا معداتهم الثقيلة، أمام هؤلاء الأبطال الذين ثبتهم اللَّه، وقذف الرعب في قلوب أعدائهم فانطلقوا منهزمين، تاركين قتلاهم في شوارع السويس وأزقتها تنهشهم الكلاب الضالة التي حرمت الغذاء طويلاً.

وهنا بدا للعدو أن يقوم بمحاولة من نوع آخر لاحتلال المدينة، فوجهوا إنذارًا نهائيًا إلى محافظ البلد والمسئولين معه، من مدير الأمن والقائد العسكري، بوجوب تسليم المدينة وإلا عمدوا إلى تدميرها.

ولم يجد هؤلاء المسئولون أمامهم من سبيل سوى الإذعان لمطالب الأعداء «حماية للمدينة من الدمار، وحفاظًا على أرواح سكانها العزل»، وقد أعدوا الراية البيضاء لإعلام العدو بخضوعهم.

وجاء القائد العسكري ليخبرني بما تم عليه الاتفاق، وراح يدافع عنه بمختلف الحجج لإقناعي به. ولكن عناية اللَّه كانت فوق محاولته، فقد رفضت الاتفاق في تصميم قاطع، وقلت للقائد: أنت والمحافظ ومدير الأمن كل منكم مسئول عن نفسه فقط، أما موضوع المدينة فقد أصبح من مسئوليتنا، وعلينا وحدنا يقع واجب الدفاع عنها.

وكان العدو قد بدأ يذيع على السكان أن المسئولين عن البلد قد وافقوا على التسليم، فعلى الأهلين أن يتجهوا إلى المركز الرياضي لتقوم القوات الإسرائيلية بترحيلهم إلى القاهرة.

وإنما يريد العدو بذلك تدمير الأعصاب ونشر الرعب واليأس، فلم ألبث إلا ريثما أخذت مكبر الصوت الخاص بمسجد الشهداء، وانطلقت أعلن للناس بأننا رفضنا الإنذار الإسرائيلي، وأننا مصممون على استمرار الجهاد إلى آخر قطرة من دمائنا.. وجعلت أهيب بشباب الإسلام أن يتقدموا على بركة اللَّه وملؤهم اليقين بأن اللَّه معهم ما داموا في طاعته ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾.

ومن ثم وجهت كلامي إلى العدو قائلاً: إن أرض السويس الطاهرة متلهفة إلى دمائكم القذرة، وإذا حاولتم دخولها مرة ثانية فمرحبًا بذلك اللقاء المنتظر، ونحن على أتم استعداد للقضاء عليكم بمشيئة اللَّه.

واستجاب اللَّه لضراعتنا، فآتانا من التوفيق ما لا يتصور بالنسبة إلى ضعف عتادنا بإزاء استعدادات العدو، وخلال ثمان وأربعين ساعة دمر اللَّه بأيدينا اثنتين وثلاثين دبابة ومصفحة، غير الآليات التي أصبناها بما دون التدمير، وقد تناثرت جثث قتلاهم حتى عجزوا عن إخلائها، وقذف اللَّه في قلوبهم الرعب، فلم تغن عنهم إمكاناتهم الكبيرة، من طائرات ودبابات وصواريخ وما إلى ذلك من أحدث الأجهزة التي توصل إليها العلم. وصدق اللَّه العظيم القائل في كتابه الحكيم: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ...**﴾.

وقد سبق أن قرأت في «أخبار العالم الإسلامي» طائفة من أنباء الكرامات التي أمد اللَّه بها أولئك المجاهدين، فأردت أن أستوثق من أمرها فسألت الشيخ أن يطرفنا ببعض الحديث عنها تقديراً لنعمة اللَّه الذي وعد جنوده بالنصر، إذا ما قطعوا رجاءهم من خلقه، ولجئوا بضعفهم إلى قوته وحده.

□ يقول فضيلته: حقًّا لقد واجهتنا هناك أحداث غريبة لا نجد لها تفسيراً إلا على ضوء الإيمان. ومن ذلك أن العدو عندما عجز عن اقتحام البلد عمد إلى تخريب المرافق الضرورية، فقطع المياه عن المدينة ليدفع أهلها إلى التسليم، وكان لذلك وقع رهيب إذ لم يكن ثمة مطمع بالحصول على أي ماء يصلح للشرب وكل ما حول المدينة من الماء فهو الملح ولا سبيل إلى الري إلا بمعجزة من وراء التدبير البشري. فأقبلنا على اللَّه ندعوه أن يدركنا برحمته، ثم عمدنا إلى اتخاذ الأسباب الشرعية، فأحدثنا حفرة بجوار مسجد

الشهداء، وإذا هي تتدفق بأعذب الماء، وقدمنا إلى بئر أخرى قد هجرها الناس لسواد مائها وملوحته، فقرأ بعضنا عليه فاتحة الكتاب، وألقينا فيها قليلاً من السكر، فإذا بمائها الكريه يستحيل عذبًا زلالاً بفضل اللَّه وبرحمته. وقد كفى اللَّه عباده المجاهدين حاجتهم من هذه المياه طوال مدة الحصار الذي استمر مائة يوم، فلما أن عادت مياه النيل إلى عطائها بعد انفضاض العدو رجعت مياه البئرين إلى أسوأ ما عرفه الناس من الملوحة والسواد!.

وإني لأتساءل اليوم كما يتساءل إخواني كلهم: لولا أن مَنَّ اللَّه علينا بهذه الرحمة الخارقة فأي مصير كان سيلاقيه المائة والخمسة عشر ألفًا من سكان هذه المدينة!! فالحمد للَّه ثم الحمد للَّه.

ويقف الشيخ حافظ عند هذا الموقف وحده من جملة الأحداث التي يتناقلها الناس عن أيام السويس وأراني هنا مدفوعًا إلى ذكر موقف آخر لا يقل عن ذلك من حيث الأهمية والدلالة، وقد سمعت قصته من الصديق الأزهري الثقة الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ المحاضر بالجامعة الإسلامية.

كنا مجموعة من المشايخ في زيارة لمدينة السويس في أعقاب حرب رمضان ١٩٧٣م وهناك اجتمعنا ببعض المجاهدين، وطلبنا إليهم أن يقصوا علينا بعض أحداث الحصار العصيب، فأشاروا إلى فتى منهم قائلين: سلوا هذا الأخ عن قصته مع اليهود ففيها ما يسركم.

❑ وبكثير من التردد شرع الفتى يحدثنا بقصته:

«ذات ليلة حالكة السواد كنا زمرة من المجاهدين في أحد الكمائن نترقب تحركات العدو، وشعرت بالحاجة للخروج إلى الخلاء، فما إن انتهيت إلى المكان الذي أريد حتى أحسست جلبة قريبة، فتوقفت أصيخ بسمعي لأتبين المصدر أحيوان أم بشر.

وسرعان ما أتضح لي أن مجموعة من الرجال يتحركون في انتظام،

فأدركت أنها دورية يهودية، ولم يكن معي سلاح، فوجدت خير ما أصنعه هو أن أطلق صرخة الإنذار، فيسمعها إخواني فيأخذوا حذرهم، وصحت بقوة: كلمة السر.. ولم أكد أفرغ من ندائي حتى رأيت الأيدي تمتد إلى أعلى وقد ألقت بما معها من الأسلحة إلى الأرض.. ولم أتريث فأمرتهم بالسير أمامي فلم يتلكئوا، ومضيت وراءهم أوجههم حتى انتهيت بهم إلي موضع الرفاق، الذين كانوا قد اتخذوا وضع الاستعداد.. وهكذا وفقنا اللَّه لأسر عشرة أفراد من العدو دون أن نضطر إلى إطلاق رصاصة واحدة..»[1].

❑ انظر إلى الشيخ حافظ وهو يقول:

«قد بلغ من حقد السادات عليّ أن وصفني بالجنون؛ لأنني جنّنته بنشاطي في مقاومة خططه الشيطانية على مستوى القطر، من أقصى أسوان إلى أقصى السويس»[2].

وفي اليوم الحق.. يوم القيامة، سيفصل الملك الحق.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

*** الدكتور محمد عباس القلم الطاهر المدافع عن الإسلام.. الحيّ بين الموتى:**

لا فضّ فوك دكتور محمد عباس.. أنت أمة في هذا الزمان.. تذوب كمدًا لحال أمتك تصدّيت وحدك لمن طعنوا في ثوابت ديننا.. وكانت لك المقالات الهادرة ضد رواية «وليمة أعشاب البحر».

صودر لهذا الضخم العظيم محمد عباس كتابه «بل هي حرب على

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/١١٨ - ١٢١).
(٢) المصدر السابق (١٢١).

الإسلام» وصرّح الرجل بما لم يصرّح به غيره.. وبدا الرجل عملاقًا وسط الأقزام..

واللَّه إن دور الرجل في الكتاب عن مآسي المسلمين يفوق ملايين الخطب.. ولا تجد من يصرح بمثل قوله، عقمت الكثيرات أن يأتين بمثله فللَّه درّ أم أوحدت به في زمن الخصيان، زمن تحيض فيه الرجال.

وغالب كتبه قذائف موجهة تعيد إلى المسلم رجولته وتبصّره دوره ومواقع خُطا قدميه وإليك واحدة من مقالاته:

*** شارون الأول.. شارون الخامس والخمسون:**

عجزت عن الكتابة..

عجزت.. عجزت.. عجزت..

فكرت في أن أعتذر إليكم يا قراء..

لكنني أرى أن الأمة كلها محتاجة إلى كل اعتذاراتها كي تقدمها إلى فلسطيني واحد..

ولو كنت مكانه لما قبلت الاعتذار..

راجعت مئات المقالات والأبحاث وكتبًا عديدة كي أكتب عن المؤامرة التاريخية ضد العالم الإسلامي.. ورغم أنني أكتب في هذا الموضوع منذ عشرين عامًا إلا أنه قد هالني ما قرأت..

هالني.. وأفزعني..

فظيع أن يروعك أمر مفاجئ..

لكن الأفظع والأمر.. أن يفاجئك أمر غير مفاجئ.. أمر يحاك منذ عشرات وربما مئات الأعوام..

وأخذت أعد عدتي لكتابة المقال.. لكن الأحداث المروعة في فلسطين كانت تحتل كل خلية في كياني..

ورغم أنني أبغض أن أتناول الأمر من منظور غير جهادي.. لكن كيف أقنع قلبي ألا ينشطر وهو يرى يد ذلك الطفل المدفونة تحت الركام.. لم أر إلا يده.. وكان الجسد كله مطموراً.

وكان المسيح الدجال في واشنطن رأس الشر وخليفة الشيطان بوش ـ يراه إرهابيًا لا يجوز إنقاذه.

رأيت أيضًا تلك المرأة التي تحثو على رأسها التراب الذي وددت لو أحثوه في وجه الخونة من أمتنا!!.

رأيت الجثث والأشلاء صفوفًا خلف صفوف. خلف جثمان كل شهيد تحت الأنقاض في فلسطين رأيت وجهه..

لا..

ليس وجه الكلب المسعور شارون..

بل وجه الفاسق..

ووجه الضليل..

ووجه السكير..

استرجعت صوت الصديق الغاضب يصرخ:

ـ لم نمر بهذه المهانة منذ غزو بغداد.. منذ التتار.. هذه أخطر فترة تمر بها الأمة منذ ألف عام..

ثم واصلت استرجاع صوت الصديق:

ـ لماذا تجري البلاد العربية مناورات مع الجيش الأمريكي..

وهمست لنفسي:

هذه الأواكس التي تحلق في سماء العروبة ليل نهار لم ترصد أبدًا يد الطفل ذي الجثة المطمورة..

وهذه البلايين والبلايين والبلايين عجزت أن تقدم كسرة خبز لتلك

العجوز التي قالت: إن فاها لم يلك طعامًا منذ عشرة أيام..

خلف كل جثمان كل شهيد رأيت وجه الجميع الفاسق الضليل السكير اللص الغبي الخائن.

وخلف كل شلو من أشلاء أحبابنا رأيت وجه عميل.. لا.. ليس إسرائيليًّا.. بل.. عربيًّا..

ما فشل فيه جنود الأعداء من الصليبيين والتتار طيلة ألف عام نجحت فيه أيدي العملاء..

دمرت روح الأمة..

أيها المجرم السفاح قاتل رجل مسلم؛ لأنه يقول: ربي اللَّه، أيها العميل.. هل تظن أنك أقل سوءًا من أي ضابط إسرائيلي.. لا واللَّه.. بل هو أفضل منك.. لأنه يسعى ولو بالجريمة لنصر بلاده وهي منتصرة.. وأنت يا سفاح يا عبد الشيطان تسعى بالجريمة لهزيمة أمتك.. وهي مهزومة.. أما وليك وآمرك والمتستر عليك فليس سوى عبد للشيطان مثلك ولن يغني عنك من اللَّه شيئًا..

أنت العاجزة الفاشلة وليس نخبتنا الفاجرة ليسوا فاشلين ولا عجزة.. على العكس.. إنهم ناجحون تمامًا.. ولو لم ينجحوا ما استمروا قابضين على الفكر والإعلام.. إنهم يقومون بالعمل الذي جيء بهم من أجله: حماية إسرائيل.. ولقد نجحوا في قرن حيث فشل الغرب طيلة قرون: دمروا أمة لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه لتجد نفسها في هذا الخزي العاجز والعجز المهين..

ليس العجز في مواجهة العدو الخارجي.. فكيف تواجهه وقد تحالفت كل نخبنا معه علينا..

وإنما العجز في تغيير هذه الفئة والقضاء على حواشيهم..

قبل الوعد بسلخ فلسطين من الجسد الإسلامي كان التمهيد طويلاً طويلاً..

وقبل خيانة بعض الحكام كانت خيانة العلماء والمثقفين الذين ساعدوا الغرب علينا فروجوا لأفكار شاذة كان كل همها هدم الإسلام وتحقير المسلمين..

كان كل ذلك تمهيداً لما حدث بالفعل بعد ذلك من تشرذم العالم الإسلامي وضياع فلسطين..

كان هدم الخلافة الذي هللوا له كثيراً..

وكانت سايكس بيكو الأولى..

لكن تزييف الوعي استمر بعد ذلك ليمهد لسايكس بيكو الثانية التي بر عنها محمد حسنين هيكل في أحد كتبه وهو يتصور أن أحد السيناريوهات القادمة التي يخطط الغرب لها هو «التصور الصومالي» حيث تتحول كل الدول العربية كلها إلى نموذج الصومال.. دول تقسم.. وشعوب تشظى.. وحكومات لا تحكم إلا جزءاً من العاصمة.. وقبائل متناحرة.. وحضيض لا حضيض بعده..

لم يستطع الغرب أبدًا أن يغزونا فكريًّا ولا أن يهزم أرواحنا حتى حين هزم جيوشنا..

لكن.. تكفل بالمهمة أبناء جلدتنا..

في القرن التاسع عشر كان عملاء الاستعمار يقومون بالمهمة لكن رائحة عفن الخيانة صرفت الناس عنهم فلم يتبعهم إلا قليل ولم ينجح منهم في إخفاء عمالته إلا قليل..

في القرن العشرين حمل الشيوعيون لواء تزييف وعي الأمة.. حملوه باقتدار لا يضاهيهم فيه إلا الشيطان..

كانوا هم الوجه الآخر لليهود.. وكانوا وما يزالون امتدادًا عضويًا لهم..

وتلقف القوميون الطعم منهم بغباء مطلق.. وما زالوا..

تكلفت سايكس بيكو الأولى بتمهيد التربة لزرع إسرائيل..

وكل خط وضع في الخرائط كان من أجلها.

وكل صاحب نفوذ جاء منذ ذلك الوقت لم يكن إلا خفيرًا لحراستها.. بإرادته واختياره في معظم الأحوال.. وعلى الرغم منه في أقلها..

تم تقسيم الدولة الإسلامية لتكون التربة المثالية لإسرائيل..

وطوال الوقت.. تم حصار الفئة الوحيدة التي كانت تستطيع المواجهة بل النصر: الإسلام والمسلمين.

فكيف نتصور أننا يمكن أن نواجه ونحن في هذا الحال؟!..

أما عن التساؤل عن حالنا لو استمر الأمر كذلك فليس سوى ذل الدنيا وخزي الآخرة.

سألت نفسي.. لو أن الجيش المصري في عام ٦٧ رغم الكارثة حارب كما حارب أهل جنين.. هل كان يمكن أن تكون إسرائيل الآن موجودة..؟

الحل واضح مهما كانت صعوبته..

على الأمة أن تنهض..

عليها أن تنكس عملاءها.. وأن تمحو الخرائط بين بلادها..

وأن تلفظ كل تلك الأفكار الشاذة النجسة التي دمرت الأمة من يسار وقومية وعلمانية و.. و.. و..»[1] اهـ.

---

(١) المختار الإسلامي ـ العدد ٢٣٨ ـ جمادى الآخرة ١٤٢١ ـ ١٠ أغسطس ٢٠٠٢م ص(٣٦ ـ ٤٠).

❑ جزاك اللَّه خيرًا عن أمتك فواللَّه إن مقالة واحدة من مقالاتك تكفي ليقظة أمة نامت كنوم أهل الكهف طويلاً.. لسان حاله يقول:

أنا لا أدعو

إلى غير الصراط المستقيم

أنا لا أهجو

سوى كل عُتُلٍّ وزنيم

وأنا أرفض أن

تصبح أرض اللَّه غابة

وأرى فيها العصابة

تتمطى وسط جنات النعيم

وضعاف الخلق في قعر الجحيم

* * *

*** الشيخ علي عبدالرحمن الحذيفي إمام وخطيب المسجد الحرام وخطبته عن الشيعة في ١٥ من ذي القعدة عام ١٤١٨هـ:**

✍ للَّه دره من خطيب نصح للَّه ورسوله.

ففي خطبته التي ألقاها في يوم الجمعة ١٥ من ذي القعدة عام ١٤١٨هـ وعنوانها «أخرجوا اليهود والنصارى والروافض من جزيرة الأرض» بوجود إمام الضلالة رفسنجاني قال الشيخ الحذيفي ما لم يقله أحد، ودافع عن عقيدة السلف، ودافع عن الصحابة ﷺ وها نحن ننقلها كاملة ونختم بها هذا الفصل من هذا الجزء.

الحمد للَّه رب العالمين أما بعد..

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون اتقوا اللَّه حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى عباد اللَّه إن أعظم نعم اللَّه على الإنسان الدين الحق الذي يحيي اللَّه به من موت الكفر ويبصره اللَّه به من عمى الضلالة، قال تعالى: **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا..﴾** ودين اللَّه في السماء وفي الأرض ودين اللَّه للأولين والآخرين هو الإسلام، ولكن الشريعة تختلف لكل نبي فشرع اللَّه لكل نبي ما يصلح أمته وينسخ اللَّه ما يشاء ويثبت ما يشاء بحكمه وعلمه. وببعثة سيد البشر محمد ﷺ نسخ اللَّه كل شريعة وكلف اللَّه الإنس والجن باتباعه والإيمان به قال اللَّه تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**.

وفي الحديث: «**والذين نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**».

فمن لا يؤمن بالنبي محمد ﷺ فهو في النار ولا يقبل اللَّه منه دينًا غير الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقد بعث اللَّه نبيه محمدًا ﷺ بأفضل شريعة وأكمل دين جمع اللَّه فيه كل أصل بعث به الأنبياء قبله ﷺ ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾. احبار اليهود ورهبان النصارى يعلمون أن دين محمد ﷺ حق لكن يمنعهم من اتباعه الحسد والكبر وحب الدنيا والشهوات ولن يجدي ذلك عليهم شيء وقد حرف اليهود والنصارى قبل بعثة النبي ﷺ كتابهم وغيّروا.

□ وبعد هذا العرض الموجز للحق والباطل يسوءنا نحن المسلمين الدعوة التي تنادي بالتقريب بين الأديان من جهة والتقريب بين أهل السنة والشيعة من جهة أخرى والذي ينادي به بعض المفكرين الذين تنقصهم أولويات وأساسيات في العقيدة ويزداد الأمر خطورة في هذا العصر الذي صارت فيه الصراعات دينية ومصالح ترتكز على الدين.

□ إن الإسلام يدعو اليهود والنصارى إلى أن ينقذوا أنفسهم من النار ويدخلوا الجنة ويدخلوا في دين الإسلام الحق وينخلعوا من الباطل قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

□ والإسلام يقر اليهود والنصارى على دينهم تحت حكمه إذا كانوا ملتزمين بأحكامه المالية والأمنية ولا يجبرهم على الإسلام لقول اللَّه تعالى:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. ويبين الإسلام أن دينهم باطل وهذا لسماحة الإسلام ونصحه للبشرية حتى يؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر.

ولو دخل اليهود والنصارى والمشركون في الإسلام لوسعهم وكانوا إخوة للمسلمين في الدين؛ لأن الإسلام ليس فيه عنصرية ولا يتعصب للون ولا لعرق قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

❑ وتاريخ الإسلام شاهد بذلك وأما أن يقرب الإسلام من اليهودية أو النصرانية فذلك بعيد كل البعد وهيهات هيهات أن يكون هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

❑ وأما أن يقرب المسلم من اليهود والنصارى بمعنى أن يتنازل عن بعض أحكام دينه ويتساهل في تطويع دينه أو تطويع بعض أحكام دينه لأهوائهم أو يوادهم فذلك أيضًا لا يكون أبدًا من المسلم الحق ولكن المسلم مع هذا نهاه دينه أن يظلمهم بل يقسط إليهم وهو مأمور بالمدافعة عن الحق وينصره ويُعادي الباطل ويكسره.

❑ وأما الدعوة إلى التقريب بين الأديان فذلك يُنافي دين الإسلام ويوقع في فتنة وفساد كثير ويجر إلى خلط في عقيدة الإسلام وضعف في الإيمان وموالاة لأعداء اللَّه تعالى وقد أمر اللَّه المؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. وأخبرنا اللَّه تعالى أن الكفار.

بعضهم أولياء بعض مهما كانت مشاربهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. كيف يكون هناك تقريب بين الإسلام واليهودية والإسلام في صفائه وضيائه ونوره وإشراقه وعدالته وسماحته وشموله وسمو أخلاقه وعمومه للإنس والجن واليهودية في عنصريتها وضيقها وحقدها على البشرية وانحطاط أخلاقها وظلماتها وطمعها كيف يقبل المسلم أن ترمى مريم الصديقة العابدة بالزنا الذي يرميها به اليهود وكيف يقبل المسلمون أن يرمي اليهود المسيح بن مريم بأنه ولد الزنا.

❏ كيف يكون تقريب بين القرآن وتلمود الشيطان؟ كيف يكون تقريب بين الإسلام والمسيحية؟. الإسلام دين التوحيد الصافي والتشريع الكامل والرحمة والعدالة والمسيحية التي تقول أن عيسى عليه السلام هو ابن اللَّه أو هو اللَّه أو هو ثالث ثلاثة الأب والابن وروح القدس فهل يقبل العقل أن الإله يشتمل عليه الرحم وهل يقبل العقل أن الإله يأكل ويشرب ويركب الحمار وينام ويبول ويغوط كيف يكون تقريب بين النصرانية الضالة التي هذه عقيدتها في عيسى وبين الإسلام الذي يعظم عيسى ويقول: هو عبد للَّه ورسول من أفضل الرسل عليه الصلاة والسلام.

❏ وكيف يكون هناك تقريب بين السنة والشيعة. أهل السنة الذين حملوا القرآن الكريم وسنة رسول اللَّه ﷺ وحفظ اللَّه بهم الدين وجاهدوا لإعلاء منارة الإسلام وصنعوا تاريخه المجيد، والرافضة الذين يلعنون الصحابة ويهدمون الإسلام، فإن الصحابة ﭫ هم الذين نقلوا الدين لنا فإذا طعن أحد فيهم فقد هدم الدين.

❏ كيف يكون تقريب بين أهل السنة والرافضة وهم يسبون الخلفاء الثلاثة وسبهم لو كان لهم عقول يفضي إلى الطعن في الرسول ﷺ فإن أبا بكر وعمر ﭬ صهران لرسول اللَّه ﷺ ووزيراه في حياته وضجيعاه بعد موته ومن ينال هذه المنزلة، وجاهدا مع رسول اللَّه ﷺ في جميع غزواته

ويكفي هذا الدليل لبطلان الرفض. وعثمان رضي الله عنه زوج ابنتين للرسول صلى الله عليه وسلم والله لا يختار لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أفضل الأصحاب فكيف لم يبين النبي صلى الله عليه وسلم عداوة الخلفاء الثلاثة للإسلام ويحذر منهم إن كانوا صادقين بزعمهم، بل سب هؤلاء الثلاثة طعن في علي رضي الله عنه فقد بايع أبا بكر في المسجد راضيًا وزوج عمر ابنته أم كلثوم وبايع عثمان مختارًا وكان وزيرًا لهم محبًا ناصحًا رضي الله عنهم. فهل يُصاهر علي رضي الله عنه كافرًا أو يبايع كافرًا؟ سبحانك هذا بُهتان عظيم.

❑ ولعنهم لمعاوية رضي الله عنه طعن في الحسن رضي الله عنه الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية ابتغاء وجه الله وقد وفق لذلك وحرضه صلى الله عليه وسلم على ذلك فهل يتنازل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم لكافر يحكم المسلمين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

❑ وكيف يلعنون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي نص الله في كتابه على أنها أم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾.

❑ وكيف يكون تقريب أهل السنة والرافضة وقد جعلوا الخميني إمام الضلالة معصومًا حيث أقروه على أنه نائب مهديهم الخرافة الذي قالوا بأنه دخل سرداب سامرا والنائب له حكم المستنيب فإذا كان المهدي معصومًا فالخميني معصوم؛ لأنه نائب له فماذا هذا التناقض؟ إن الرافضة في قولهم في ولاية الفقيه قد نسفوا مذهبهم من أساسه والباطل يحطم بعضه بعضًا ويشتمل ويتضمن على الردود وتحطيم نفسه بنفسه وأهل البيت براء منهم ومن هذا القول والأدلة على بطلان مذهب الرافضة شرعًا وعقلاً لا تحصى إلا بالمشقة.. ألا فليدخلوا في الإسلام وأما نحن أهل السنة والجماعة فلن نقترب منهم شعرة واحدة أو أقل من ذلك فهم أضر على الإسلام من اليهود والنصارى ولا يوثق بهم أبدًا وعلى المسلمين أن يقفوا بالمرصاد قال تعالى:

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. إن نسب الرفض يعود إلى عبداللَّه بن سبأ اليهودي وإلى أبي لؤلؤة المجوسي.

□ إذًا معشر المسلمين لا بد أن يتميز المسلم في عقيدته فيحب ما أحب اللَّه ويكره ما يكرهه اللَّه ويتناصر المسلمون ويكونوا يدًا واحدة فإن أعداء المسلمين جمعهم على عداوة المسلمين دينهم وعقائدهم الكافرة قديمًا وحديثًا.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وما غرسوا الدولة الصهيونية في فلسطين إلا لحرب الإسلام وزعزعة المنطقة وكان من آثار استعمارهم للعالم الإسلامي أمراض عقدية واجتماعية ما زال يعاني منها المسلمون ومن أعظم ذلك إلغاء المحاكم الشرعية في العالم الإسلامي وإحلال القوانين الوضعية والمحاكم القانونية بدلاً عنها لكن هذه المملكة!! ولله الحمد هي التي بقيت محافظة على المحاكم الشرعية التي تحكم بشريعة اللَّه تعالى وتحمل راية التوحيد بين الدول.

□ وفي الآونة الأخيرة صار اليهود والنصارى يختلقون مشاكل للمنطقة ويتذرعون بها للتواجد العسكري ومن أسباب ذلك سلسلة من الانقلابات العسكرية التي بليت بها المنطقة باسم أحزاب ومذاهب كافرة كالبعث والقومية والاشتراكية التي لا تمت إلى الإسلام بخيط أو بشعرة من الصلة فأبرزت مثل صدام فهذه الأحزاب وهذه المذاهب مثل صدام حسين وحورب لذلك الدين والعلم والنبوغ، واستخدمت التصفيات الجسدية وأسكتت أصوات الحق وهاجرت الكفاءات إلى الغرب فضعفت تلك الدول التي أُصيبت بالانقلابات وكل ما جاءت أمة منهم لعنت ما قبلها والعياذ باللَّه. ولا تزال بعض البلاد العربية تعتبر صلاة الجماعة جريمة يُعاقب عليها فلا حول ولا قوة إلا باللَّه فأين النصر والعزيمة والكرامة.

□ وبعد أن تمهدت الأسباب للدول الكبرى صاروا يفتعلون الأحداث الصورية للتدخل العسكري بعد أن تدخلوا اقتصاديًّا وباتت نوايا الدول الكبرى ظاهرة ضد استقرار المنطقة وتقسيمها إلى دويلات صغيرة متحاربة وبدافع العداء الديني فإن عداء الدول الكبرى لدولة الحرمين الشريفين أعزها اللَّه أشد وأعظم؛ لأن هذه المملكة حصن للإسلام فأصبحت نوايا أمريكا وبريطانيا ومن دار في فلكهم ظاهرة السوء بغية إلحاق الضرر. بل عداء الدول الكبرى كلها وعداء الدول الكافرة كلها ضد الإسلام والمسلمين ولا يوثق بواحدة منها أبدًا فبغية إلحاق الضرر والعنت بهذه المملكة في التلويح بتهديدها في مرافقها الحيوية أو سلامة وحدة أراضيها. ألا فلتعلم أمريكا أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها متضامنون مع دولة الحرمين الشريفين أعزها اللَّه؛ لأن هذه المملكة المعقل الأخير للإسلام وكل هذه النوايا السيئة من الدول الكبرى كل ذلك لستة أمور:

الأول: ضمان استقرار دولة العدو الصهيوني.

الثاني: بناء هيكل سليمان.

الثالث: المحافظة على بقاء التفوق العسكري اليهودي على دول المنطقة.

الرابع: السيطرة على ثروات المنطقة حتى لا يكون لأهلها إلا فتات الموائد.

الخامس: القضاء على الدعوة للإسلام.

السادس: الدعوة إلى كل ما يُضاد الإسلام وهدم كل خلق كريم وبقاء دول المنطقة في صراعات دائمة.

□ يا معشر المسلمين لكم عبرة في تركيا حكمت بالعلمانية منذ ظهر عليها اللعين كمال أتاتورك وطبق عليها الكفر قهرًا ونبذ حكامها الإسلام

وحاربوه على كل صغير ولا يزالون يُحاربونه وتحالفوا عسكريًّا مع اليهود ولم يرضوا لها إلا أن تكون خادمًا مُطيعًا فحسب بل لم يدخلوها معهم في أي حلف وذنبها لأنها كانت حامية للواء الإسلام في يوم مضى فأنتم مهما تنازلتم فلن يرضوا عنكم أبدًا بل دافعوا عن حقكم ودافعوا عن دينكم. العداء ديني يا معشر المسلمين، العراق لماذا يُحاصر شعبه ست سنين ما ذنب الضعفاء لأنهم مسلمون لا غير.

صدام لن يتضرر هو وحزبه ويزعمون أن العراق لم ينفذ قرار الأمم المتحدة وهو قرار واحد والعدو الصهيوني لم ينفذ ستين قرارًا بل لم توقع دولته على حظر الأسلحة النووية في منطقة ملتهبة تغلي بالبراكين والفتن لا تصلح أسلحة الدمار الشامل لها فإن صدام وحزبه ينفذون ما يُريده أعداء الإسلام.

❑ نصيحتي لأمريكا أن لا تتدخل في شئون المنطقة فدول المنطقة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية هم المسئولون عن المنطقة!! ولا تغتر أمريكا بقوتها فقد جرت سنة اللَّه أن قوة زائد ظلم يُساوي دمار الدولة والدمار من رب العالمين إذا غلب المستضعفون على تلك الدولة العاتية الكافرة فالتكنولوجيا ليست كل شيء إنما الأمر يعود إلى الإيمان.. أمن المنطقة لدول المنطقة هو من حقهم وما سبب المشاكل للمنطقة المزعزعة إلا الدول الكبرى التي تفتعل الأحداث وتتواجد كلما افتعلت حدثًا بذريعة أنها تقوم بذلك وأنها تصلح الوضع أو تدرأ الخطر وهي أكبر وكيف يكون الذئب راعيًا للغنم؟

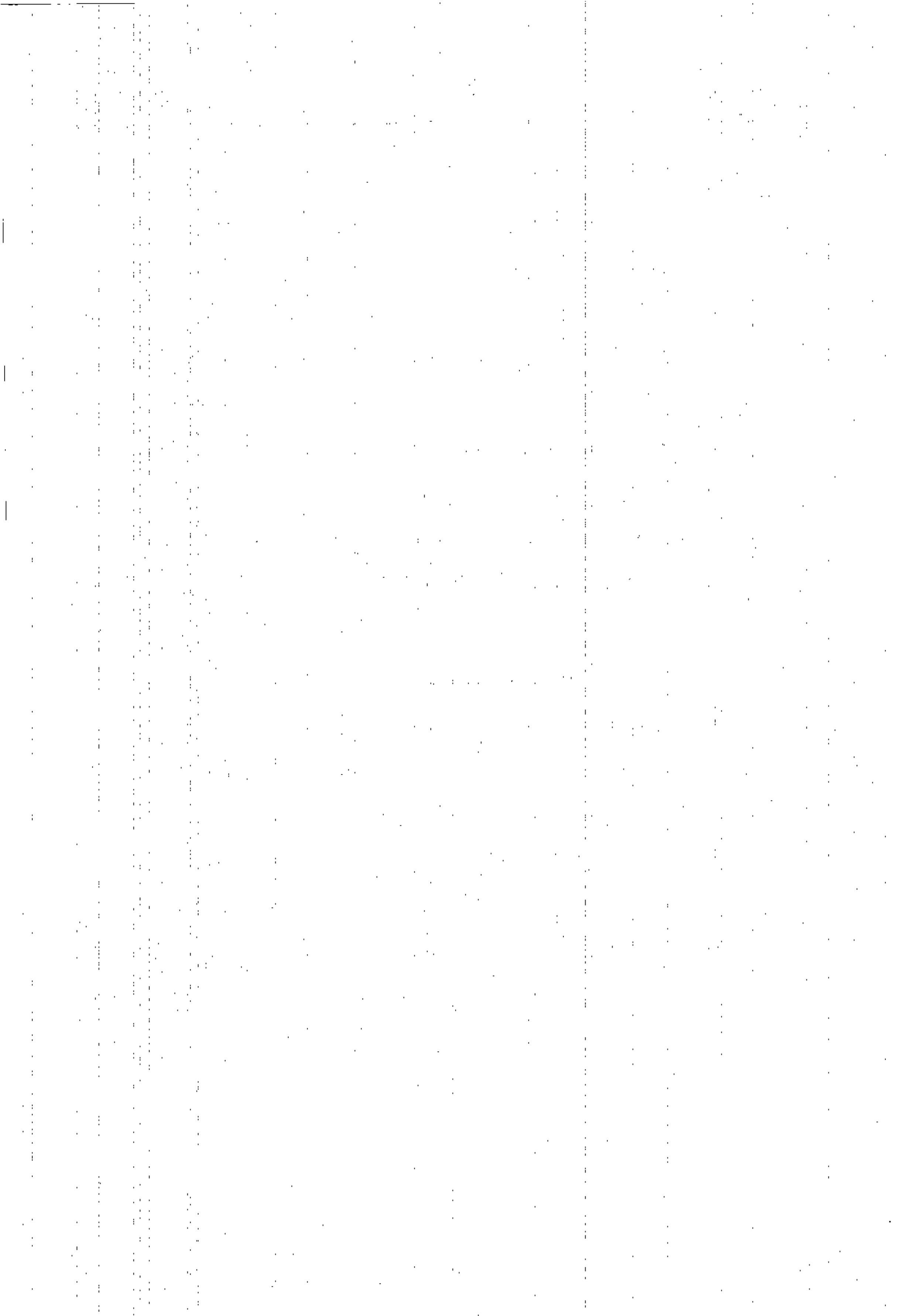
❑ إن العداوة دينية يا عباد اللَّه وأمريكا ليس لها من أمرها شيء وإنما يقودها اليهود صاغرة إلى حيث يريدون والمسلمون لا يقبلون تواجدها العسكري ولا تواجد غيرها من أي دولة كافرة بأي حال لقول النبي ﷺ: **«لا يبقى بجزيرة العرب دينان»**. وآخر وصيته ﷺ: **«أخرجوا اليهود**

والنصارى من جزيرة العرب». فيجب العمل بذلك.

☐ وأنتم معشر المسلمين تخيم عليكم سحب الإنذار فعليكم بالتوبة إلى اللَّه فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.. يا من عصيت اللَّه بالخمر تب إلى اللَّه فإنك بهذا تساهم بالإصلاح لمجتمعك. يا من عصيت بالزنا.. ويا من عصيت اللَّه باللواط تب إلى اللَّه.. يا من عصيت اللَّه بالمخدرات تب إلى ربك فإنك عما قريب سترجع إليه.. يا من عصيت اللَّه بترك الصلاة تب إلى اللَّه عز وجل.. يا من عصيت بظلم مسلم في ماله وفي عرضه تب إلى ربك.. طهروا أموالكم من الربا فهو من أسباب الحروب والدمار وطهروها من المعاملات ما لا يتفق مع دين الإسلام ونصوص الشريعة حتى تكون جميع أنواع المعاملات في البنوك خاضعة لأحكام الإسلام موافقة لها.. ادعوا إلى اللَّه أيدوا الدعوة إلى اللَّه عز وجل وإلى الإسلام.

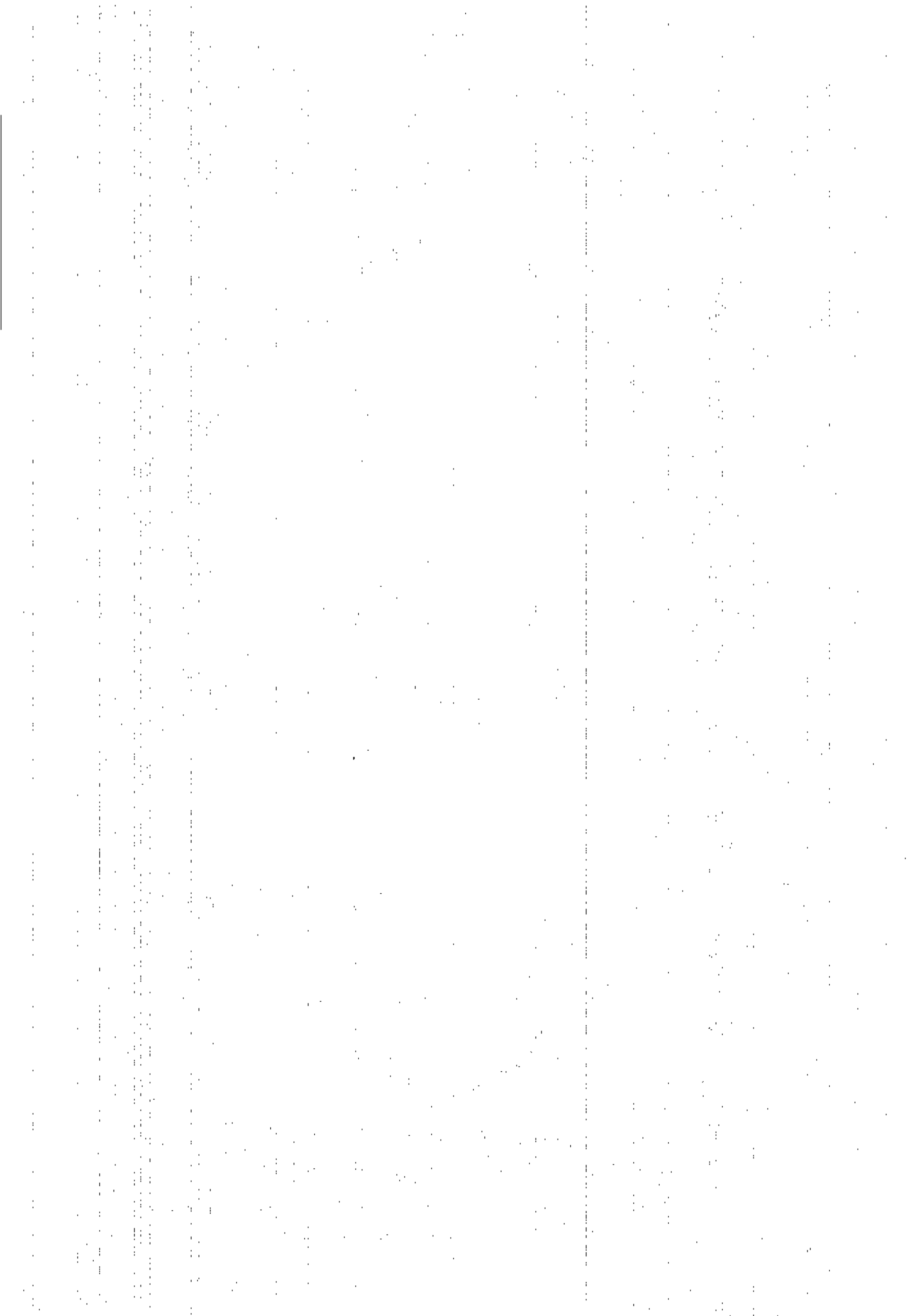
علموا المسلمين اعتنوا بالمناهج في مناخ دول العالم الإسلامي المناهج الإسلامية والدعوة إلى اللَّه تبارك واجب كلّ مسلم ويجب أن يُوجهها العلماء الموثوق بعقيدتهم والموثوق بعلمهم وباستقامتهم والذين ترجع إليهم الفتوى ويرجع إليهم المسلمون فيما عرض لهم من الأمور التي يحتاجونها الذي يتطابق مع كتاب اللَّه وسنة رسوله. واحذروا الحزبيات المفرقة. واحذروا الأهواء المشتتة. واحذروا من عقاب اللَّه وعذابه بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين وبقوله القويم.. أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *





الدعاء إلى الإسلام
رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



الدعاء إلى الإسلام

رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

*** أبو بكر الصديق يقول لجبابرة قريش ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ :**

◘ للَّه درك يا صديق هذه الأمة الأكبر:

● روى البخاري عن عروة بن الزبير: سألتُ ابن العاص فقلتُ: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول اللَّه ﷺ؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلّي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال: **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾** الآية.

● وعن أنس بن مالك ﷺ قال: لقد ضربوا رسول اللَّه ﷺ مرة حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر ﷺ فجعل يُنادي: ويلكم **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾** فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون[1] .

وزاد البزار: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر.

● وعن عائشة ﷺ قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحّ أبو بكر على رسول اللَّه ﷺ في الظهور،

---

(١) رواه أبو يعلى وأخرجه أيضًا البزار، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه.

فقال: «يا أبا بكر، إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يُلحّ حتى ظهر رسول اللَّه ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته؛ وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا، ورسول اللَّه ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى اللَّه وإلى رسول اللَّه ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووُطئ أبو بكر رضي الله عنه، وضُرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويُحرّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر رضي الله عنه، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد، وقالوا: لئن مات أبو بكر، لنقتلن عتبة ابن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلمّا خلت به ألحّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول اللَّه؟ فقالت: واللَّه ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبداللَّه؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبداللَّه، وإن كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دَنِفًا[1] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: واللَّه إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم اللَّه لك منهم. قال: فما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن للَّه عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا، أو آتي

---

(١) الدَّنِف: المريض الذي لزمه المرض.

رسول اللَّه ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول اللَّه ﷺ. قال: فأكبّ عليه رسول اللَّه فقبّله، وأكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول اللَّه ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر ﷺ: بأبي وأمي يا رسول اللَّه، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى اللَّه وادع اللَّه لها، عسى أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول اللَّه ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، وأقاموا مع رسول اللَّه ﷺ في الدار شهرًا، وهم تسعة وثلاثون رجلاً[1] .

◻ قال ابن إسحاق: لما أسلم أبو بكر ﷺ وأظهر إسلامه، دعا إلى اللَّه عز وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألوفًا لقومه محبًّا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه، ممّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد اللَّه، وسعيد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف ﷺ، فانطلقوا إلى رسول اللَّه ﷺ ومعهم أبو بكر ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول اللَّه ﷺ وآمنوا بما جاء من عند اللَّه».

فللَّه در الصديق ﷺ أول خطيب في الإسلام، ومن أسلم على يديه

(١) رواه الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي - انظر «حياة الصحابة» للكاندهلوي (١/٢٥٩ - ٢٦١).

خمسة من العشرة المبشرين بالجنة[١] .

* الصحابي عديّ بن حاتم الطائي يعود إلى الإسلام على يديه ألف وخمسمائة من المرتدين:

للَّه درّ هذا الصحابي المبارك عديّ بن حاتم الطائي يهدي اللَّه على يديه ألفًا وخمسمائة رجل..

بارك اللَّه له في دعوته وسعيه لصدقه وإخلاصه:

«لما ارتدّ بنو طيء وانضموا إلى جيش المتنبئ طليحة بن خويلد الأسدي، دعاهم عدي بن حاتم الطائي ﷺ إلى الإسلام بأمر من الصديق ﷺ، وذلك قبل بدء القتال معهم، فعادوا بفضل اللَّه مع عديّ ﷺ إلى خالد ﷺ مسلمين، وكانوا خمسمائة مقاتل.

كما دعا عديّ بن حاتم ﷺ بني جديلة، الذين كانوا قد انضمّوا أيضًا إلى المتنبئ طليحة الأسدي، فاستجابوا لعديّ ﷺ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب»[٢] .

* دخول التتار والمغول أحفاد جنكيزخان الإسلام على يد الشيخ جمال الدين الذي لا يعرفه أحد:

تكلّم الشيخ الندوي عن دور الربانيين في إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«لما فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، وأثخنوه

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، و«الكامل في التاريخ» (٢/ ٢٣٤).

جراحًا وقتلاً، ولم يتركوا فيه إلا رُوحًا ضعيفة ونفسًا خافتًا، وفُلّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا، وآمن الناس بأن التتار لا يُمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامي قد كُتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج، وأن الإسلام لا مستقبل له، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح ـ على إحصائه واستقصائه ـ يجهل أسماء كثير منهم، يتسرّبون في هؤلاء الغلاظ الشداد، يفتحون قلوبهم للإسلام، حتى تفتّحت له وأحبّته، وصاروا يدخلون في دين اللَّه أفواجًا.

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها في عصرها في دين لا يحميه سيف، ولا يدافع عنه جيش، وقد كانوا ثلاثة ديانات تتنافس في اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم: «البوذية» و«المسيحية» و«الإسلام»، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلفى في مجالس سلاطينها، ولكن الإسلام ـ بفضل دعاته المخلصين ـ انتصر على منافسته ـ البوذية والنصرانية ـ وأسلم التتار أمة وجنسًا، وكوّنوا دولاً إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمّل بها تاريخ الإسلام، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلل إلاّ بمشيئة اللَّه تعالى وتأييده، وتفوّق دعاة الإسلام في الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية.

❑ يقول أرنلد: «لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة الباهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب، كل يحاول أن يُخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا هذه الديانات وحطّموها. لم يكن أحد يتوقّع أن الإسلام سينتصر في هذه

المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة، وقتل التتار علماء المسلمين وفقهاءهم وأسروهم واستعبدوهم، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام.

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام».

❑ قال «أرنلد»: «أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يُسمّى: «تغلق تيمورخان» (١٣٤٧م - ١٣٦٣م) على يد الشيخ «جمال الدين» الذي جاء من بخارى: وكان من خبره، أنه كان مع رفقة له في رحلته، فمرّوا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون، وأمر بهم الملك فأُوثقوا وعُرِضوا عليه، وقال... وقد استشاط غضبًا: كيف دخلتم في حماي من غير إذن؟.

قال الشيخ: نحن غرباء، ولم نشعر بأننا نمشي على أرض ممنوعة. ولمّا علم الملك أنهم إيرانيون، قال في احتقار وسخرية: حتى الكلب أفضل من الإيرانيين.

قال الشيخ: صدق الملك، لولا أن اللَّه أكرمنا بالدين الحق لكنّا أذلّ من الكلاب، وتحيّر الملك ومضى للصيد، وبقيت الكلمة تشغل فكره، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد، ولما رجع خلا بالشيخ وقال: فسِّر لي ما قلت، وأخبرني ما تعني بالدين الحق؟.

وفسّر الشيخ الإسلام في حماسة وقوة تفسيرًا رقّ له قلب السلطان، وصوّر الكفر تصويرًا بشِعًا هائلاً فزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر.

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أحد أن يدخل قومه في الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولي الملك، وجلس على أريكة الحكم زاره.

وكانت المملكة «الجغتائية» قد توزّعت في إمارات متعددة، واستطاع «تغلق تيمور» أن يجمعها، ويكوِّن منها مملكة صغيرة، ورجع الشيخ «جمال الدين» إلى بلاده، ومرض مرضًا شديدًا، ولما حضرته الوفاة، دعا ولده «رشيد الدين» وقال له: «إن تغلق تيمور» سيكون في يوم من الأيام ملكًا عظيمًا، فإذا سمعت بذلك تزوره، وتقرئه مني السلام، وتذكّره بما وعدني به من اعتناق الإسلام، وكان كذلك.

فقد بويع «تغلق تيمور» بالملك، وجلس مكان أبيه، ودخل الشيخ «رشيد الدين» في المعسكر لينفّذ وصية أبيه، ولكنه لم يخلص إلى الملك، فاحتال، وبدأ يومًا يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان في الصباح الباكر، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ «رشيد الدين»، وحضر الشيخ، وبلّغ السلطان تحية والده، وكان السلطان على ذكْر منه، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام في رعيّته، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيزخان»[1] .

* عبدالله بن ياسين بن مكوك الجزولي العالم العابد الزاهد مؤسس دولة المرابطين:

الشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي ولد في قرية قرب أودغشت في طرف صحراء غانة تتلمذ على يد الشيخ وجاج بن زولو الذي أمره أن يسير إلى

(١) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبي الحسن الندوي ص(٣١ ـ ٣٥) وكتاب «الدعوة إلى الإسلام» لأرنلد ص(٢٥٦).

وطن الملثمين «موريتانيا» داعيًا ومصلحًا آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ متبعًا هدي السلف فحارب البدع وأصلح العقائد، وبنى رباطًا ربّى فيه من دخله على الزهد والتقشف وتعليم الكتاب والسنة، وكان يرسل من رباطه بعوثًا إلى القبائل لترغيب الناس في الاتباع، واجتمع له من التلاميذ نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، وقام عبداللَّه بن ياسين خطيبًا في تلاميذه فوعظهم وذكّرهم بنعمة اللَّه عليهم بأن هداهم إلى الصراط المستقيم وأن عليهم الآن أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وأن يجاهدوا في اللَّه حق جهاده[1] فقالوا: مرنا بما شئت تجدنا سامعين طائعين، ثم أمر هؤلاء المرابطين أن يخرجوا على بركة اللَّه لينذروا قومهم ويخوّفوهم عقاب اللَّه ويبلّغوهم حجته، «فإن تابوا ورجعوا إلى الحق فخلّوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيّهم ولجوا في طغيانهم استعنّا باللَّه تعالى عليهم وجاهدناهم حتي يحكم اللَّه بيننا وهو خير الحاكمين».

وتمكن من إخضاع قبيلة جدالة بعد قتالهم وذلك في سنة ٤٣٤هـ، ثم سار إلى لمتونة وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا إلى الطاعة والتوبة، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة. وكذا فعل بأهل مسوفة ثم باقي قبائل صنهاجة، وجعل يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، وجعل يحيى بن عمر أمير المرابطين فضرب عبداللَّه بن ياسين أعظم المثل في الزهد في المناصب والملك والمجد ولخّص دوره للمرابطين في قوله: «إنما أنا معلم دينكم».

ثم سار إلى مملكة غانة وخضعت مدينة أودغست سنة ٤٤٦ للمرابطين.

□ ولما اجتمع فقهاء سلجماسة ودرعة بالمغرب الأقصى سنة ٤٤٦هـ وكتبوا إلى عبداللَّه بن ياسين يرغّبونه في الوصول إلى بلادهم ليطهرها من

(١) «العبر» لابن خلدون (٦/ ٣٧٥).

المنكرات وشدة العسف من الأمراء. وعرفوه ما هم فيه من الذل والصغار من جرّاء أميرهم مسعود بن وانودين المغزاوي، وكان هذا النداء مدعمًا بخطاب من شيخه وجاج يؤكد فيه ضرورة نجدة أهل سلجماسة ودرعة. واستطاع أن يردع أهل درعة وأن يقتل مسعود المغراوي بعد غزوه وقتاله سنة ٤٤٦هـ.

❑ وبعد احتلال درعة دخل عبداللَّه بن ياسين سجلماسة وأقام بها وأصلح أحوالها، وأزال المنكرات، وقطع آلات اللهو، وأحرق الدور التي كانت تباع فيها الخمور، وأزال المكوس والمغارم، ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه.

❑ ثم سار إلى قبائل وريكة وهيلات من قبائل المصامدة بأغمات فأمرهم ونهاهم، ثم سار إلى السوس وماسة، وتقدم المرابطون إلى تارودانت بالسوس وكان فيها قوم من الشيعة والروافض يدعون البجلية نسبة إلى عبداللَّه البجلي الرافضي فأخضوعهم للكتاب والسنة.

❑ ثم سار إلى تامسنا[1] وكانت بها قبائل برغواطة وكانوا ذوي نحلة ضالة وعقائد فاسدة، ورأى ابن ياسين أن جهاد هؤلاء البرغواطيين المارقين عن الدين من أوكد الأمور، واعتبره من أولويات المرابطين لاستئصال شأفة هذا المنكر المستشري الذي استعصى على من حكموا المغرب قبل ذلك من بني يفون.

واستشهد في قتالهم عبداللَّه بن ياسين بعد أن أصيب في هذه المعركة، وحُمِل إلى عسكره وبه رمق، فجمع أشياخ المرابطين ورؤساءهم وقال لهم: «يا معشر المرابطين! إنكم في أرض أعدائكم وإني ميت في يومي هذا فإياكم

---

(١) تاسنا: سهل يقع إلى الشمال من وادي أم الربيع يمتد على ساحل المحيط من الرباط إلى الدار البيضاء وتسمى الآن بالشوية.

أن تجبنوا أو تفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا أعوانًا على الحق وإخوانًا في ذات اللَّه تعالى»[١] . ويوم مات ـ رحمه اللَّه ـ ترك للمرابطين دولة تمتد من حدود نهر السنغال إلى وسط المغرب الأقصى لقد ترك عبداللَّه بن ياسين لأتباعه هدفًا ساميًا يعيشون من أجله هو إعلاء كلمة اللَّه، وقد حرص عبداللَّه أن يتجلى هذا في كل أعمال المرابطين، فالنقود التي ضربوها منذ سنة ٤٥٠هـ مكتوب عليها الشهادتان والآية الكريمة ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾. وكان قوام منهجه الالتزام بشرع اللَّه في كل الأمور صغيرها وكبيرها. وقد أثمر ذلك المنهج انمحاء البدع والفرق الضالة وتوحيد المغرب الأقصى مذهبيًّا على مذهب أهل السنة والجماعة لأول مرة في تاريخه[٢] . وكتب المرابطون اسم الخليفة العباسي على سكتهم.

◘ لقد كان عبداللَّه بن ياسين ـ رحمه اللَّه ـ ذا علم واسع، وكان خطيبًا مفوّهًا بليغًا ومؤمنًا مخلصًا لرسالته متفانيًا في تحقيقها صابرًا على ما أصابه فيها.

◘ وكان نموذجًا حيًّا لما يدعو إليه فقد كان كثير الصوم متورعًا لا يأكل إلا من الصيد أو عمل يده متقشفًا في المأكل والمشرب[٣] .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

---

(١) «عبداللَّه بن ياسين» لعبداللَّه كنون ص(٢٦)، و«روض القرطاس» لابن أبي زرع ص(١٣٢).
(٢) «عبداللَّه بن ياسين» لعبد اللَّه كنون ص(٢٣).
(٣) «روض القرطاس» ص(١٢٤).

* **إسلام ملك مالي وسنغاي وجنى على يد الدعاة:**

جهاد عظيم قام به الدعاة والعلماء والتّجار والأمراء لنشر الإسلام في غرب أفريقية وجنوبها من السودان الغربي حتى موريتانيا.

وكان للأمير أبي بكر بن عمر دور كبير في ذلك، فلقد عهد بأمر المغرب إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين بمشهد من شيوخ المرابطين وأعيان الدولة والكتاب والشهود ووصّاه قائلاً: «يا يوسف إني وليّتك هذا الأمر وإني مسئول عنه فاتق اللَّه في المسلمين وأعتقني وأعتق نفسك ولا تضيّع من أمور رعيّتك شيئًا فإنك مسئول عنهم، واللَّه تعالى يصلحك ويمّدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم»[1] .

❑ ويمّم هذا الأمير الصالح وجهه إلى أرض الملثّمين بموريتانيا لمواصلة الجهاد ونشر الإسلام بين أهل السودان الغربي.

وغرس دعاة الإسلام البذور الأولى للإسلام في السودان الغربي وأمضى الأمير أبو بكر بن عمر خمسة عشر عامًا في الجهاد والدعاء إلى الإسلام وتُوّجت جهوده بسقوط دولة غانا بيد المرابطين سنة ٤٦٩هـ واعتنق ملك غانة الإسلام فأبقاه الأمير أبو بكر في ملكه.

❑ وإلى جانب مملكة غانة دخلت دولة التكرور في حوض السنغال الإسلام، وأسلم ملكها وارجابي بن رابيس في مطلع القرن الخامس الهجري على يد هؤلاء الدعاة التجار، وقد أقام وارجابي شرائع الإسلام وحمل رعاياه عليها وحقق بصائرهم فيها.

ولم يكتف هذا الملك التكروري بهذا بل حمل دعوة الإسلام إلى الممالك المجاورة فأسلم أهل سلي على يديه.

---

(١) «روض القرطاس» لابن أبي زرع ص(١٣٥).

وظل الأمير أبو بكر بن عمر يجاهد في اللَّه بالقول والعمل إلى أن استشهد سنة ٤٨٠هـ. وقد دُفن الأمير أبو بكر بموضع استشهاده في المقسم بأرض تكانت في موريتانيا.

□ ولا يُنسى دور الإمام أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي القاضي بمدينة أزوكي بالصحراء في الدعوة إلى اللَّه على بصيرة ونشر الإسلام في الصحراء إلى أن تُوفي بها سنة ٤٨٩هـ.

□ وانظر إلى همة الدعاة في دعوة الملوك إلى الإسلام:

كيف اعتنق ملك مالي[1] الإسلام في أواسط القرن الخامس الهجري قحطت بلاد هذا الملك ـ وتسمّيه بعض المصادر برمندانا[2] ـ سنة تلو سنة فاستسقوا بقرابينهم فلم يُسقوا «وكان بأرض هذا الملك رجل من المسلمين يُقرئ القرآن ويُعلّم السنّة فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك، فقال له: أيها الملك لو آمنت باللَّه تعالى وأقررت بواحدنيته وبمحمد ﷺ وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه، وأن تعمّ الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته، وأقرأه من كتاب اللَّه ما تيسّر عليه، وعلّمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله، ثم أمهله إلى ليلة جمعة فأمره فتطهّر فيها طهراً سابغًا وألبسه المسلم ثوب قطن عنده وبرزا إلى ربوة من الأرض، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتمّ به فصليا من الليل ما شاء اللَّه والمسلم يدعو والملك يؤمّن، فما انفجر الصبح إلاّ وقد عمّهم اللَّه بالسقيا. فأمر الملك بكسر الأصنام، وأخرج السحرة من بلاده، وصحّ إسلامه وإسلام عقبه، وأُطلِق

(١) إحدى ممالك السودان الغربي القديمة، وتقع في حوض النيجر الأعلى.
(٢) انظر «العبر» لابن خلدون (٦/ ٢٠٠).

عليه لقب المسلماني فما عاد يُعرف إلا به.

ولم يكن المسلماني هو الملك الوحيد الذي اعتنق الإسلام على يد العلماء والدعاء فقد اعتنق ملك سنغاي زاكوسي الإسلام ـ فيما بين سنتي ٤٧١ ـ ٤٧٥هـ[١].

◻ وملك مدينة جني[٢] في عهد المرابطين في أواخر القرن الخامس الهجري جمع كل العلماء المسلمين في مملكته فكان عددهم أربعة آلاف ومائتي عالم وأسلم على يديهم، وطلب منهم أن يدعوا اللَّه أن ينصر مدينته ثم هدم قصره وبنى مكانه مسجدًا عظيمًا مبالغة في حبه للدين الإسلامي[٣].

* رجل من أمة التوحيد يُسلم على يديْه أربعة آلاف من الأجانب:

هذا الرجل المبارك الأمة هو المهندس محمد توفيق بن أحمد مؤسس «دار تبليغ الإسلام» أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩ ـ ١٩٣١) يعمل في صمت منذ خمسة وستين عامًا، وهو محرر مجلة البريد الإسلامي وصاحب امتيازها، والذي أسلم على يده أربعة آلاف من الأجانب، منهم قسيس يعمل أستاذًا للأدب في جامعة الفاتيكان، وقاضي جزيرة سان موريس، والقائد الهولندي «كلنجر» الذي أسمى نفسه «محمد توفيق كلنجر» تيمنًا باسم صديقه الأستاذ محمد توفيق.

أصدر بداية مجلة اسمها «التقوى» وطبع من العدد الأول منها ألف نسخة، ووزعها فانتشرت بحمد اللَّه انتشارًا واسعًا، وكان يكتب عليها ـ كما

---

(١) «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» لمحمد محمود عبدالله بن بيّه ص(٢٧٨ ـ ٢٧٩) ـ دار ابن حزم.

(٢) «مدينة على النيجر الأعلى».

(٣) «الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين» ص(٢٨١ ـ ٢٨٢).

يكتب على مجله البريد الإسلامي: «اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا». وواصل إصدار «التقوى» حتى سنة ١٩٣٥.

ولَمَّا رشح في بعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩م، يقول: «وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرةٍ صحيحة وموضوعية عن الإسلام، ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام «دار تبليغ الإسلام» وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية، أو أنشرها من خلالها: باسم محمد توفيق محرر مجلة «التقوى» في القاهرة، وكنت أتسلم كثيرًا من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه، وبالطبع كنت أرد عليها، وفي كل مكانٍ كنت أتواجد فيه، أجد كثيرًا من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين، ومن حَسَنِي النية الذين يصدقون كل ما يقرءون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو دكتور روبلي، مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت، وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر، ونشر في الصحف أنه سيلقي محاضرة عن مصر وفلسطين، وحدد موعدها وحث الجمهور لحضورها، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت وقتها أنه سيتعرض في محاضرته للإسلام، وفعلاً تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام، وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر، وقد حمل الرجل صورًا معه إلى المحاضرة، تسيء إلى الإسلام وإلى مصر أبلغ إساءة، ومن الصور التي عرضها بالفانوس في هذا الوقت، صورة جمل، وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة الجمل تكاد تسقط، ليوحى بهذا أن معاملة الرجل للمرأة في الإسلام سيئة. ثم قال: هل تتخيلون كيف يتم الزواج هناك؟!.

◘ القول للدكتور روبلي: المرأة عند المسلمين تباع، فهناك التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرة جنيهات[١] ، وأخرى بعشرين، وثالثة بخمسين، كأنك تشتري عنزاً أو جاموسة، يمكنك أن تشتري المرأة، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء ـ ولم يحدد الدكتور روبلي عدد النساء بأربع كما هو معروف!!.

وبعد هذا عرض د. روبلي صورة أُخرى لرجلين يمشيان، أحدهما معه مغزله يغزل به وأمامه زوجه تحمل حملاً ثقيلاً من القمح، قدره د. روبلي حسب الصورة بأنه أربع كيلات، وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة: هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة؟ إنها تحمل ما يساوي أربع كيلات من القمح، وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه: سأطلقها بالرغم من تفانيها وتعبها في خدمته، وبعد ذلك قال لهم: الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدي في مصر في القاهرة، وجاء بصورة ضريح السيدة نفيسة، وتظهر فيه حلقات في جوانب الضريح، وجاء بأناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جدًّا، وقد وضعت عليها طبقاتٌ من الطين بشكل قبيح، تتقزز منه العين، وقال: هذه الطبيبة ـ السيدة نفيسة ـ من نسل النبي أُرسلت إلى مصر لتعمي المصريين!! وقال لهم: هل تعرفون كم عدد العميان في مصر؟ وأجاب: إنهم يمثلون (٣٠٪)! وعندما انتهت المحاضرة قدم المحاضرون التبرعات لهذا المبشر، ورغبت في أن أرد على د. روبلي، غير أن لغتي الألمانية لم تكن تسعفني في هذه المهمة، فقلت كلمات قصيرة في نهاية المحاضرة، واستمع إليها الحاضرون؛ مؤداها أن لي تعليقًا قصيراً ستقرءونه في الصحف، وأثناء خروجي اعتذرت له عن الإسهام في تقديم التبرعات، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لي المرأة التي كنت أسكن عندها ـ غاضبةً ـ

(١) إشارة إلى المهر في الثلاثينيات من القرن العشرين.

وقد حضرت: هل دينكم بهذا الشكل؟ وهل الحياة في بلادكم على هذه الصورة القبيحة؟! غير أني لم أنم تلك الليلة، وجئت بجميع القواميس في محاولة مني لكتابة ردٍّ يصحح ما أثاره مفتش التبشير في محاضرته من أكاذيب ومغالطات، وفي الصباح صححت لي هذه المرأة الرد المكتوب بلغةٍ ركيكة، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف، وقد نسخت منه ثماني نسخ، ونشرت الصحف الرد في صفحاتها الأولى، وذكرت أنَّه لمحمد توفيق محرر مجلة «التقوى» بالقاهرة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس «دار تبليغ الإسلام»؛ لتقوم بتقديم مفهوم صحيح عن الإسلام، ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام، بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل والأكاذيب والتعصب»[1].

والغريب أن المهندس محمد توفيق أثناء إقامته بالفيوم درس في مدرسة تبشيرية، وغضب والده وطرده من البيت، وأقام إقامة داخلية بهذه المدرسة، واكتشف بفطرته أباطيل الإنجيل، وكتب في ذلك ثلاث كراريس مدرسية، رد بها على مستر «جلوي» مفتش التبشير، الذي لم يستطع الإجابة، وما قال له إلا: إن الذي كتب هذا الكلام شيطان وليس أنت. وضاق ذرعًا بالمدرسة التبشيرية، وعاد إلى أحضان أبويه بعد أن أطلع عمه ـ وكان ذا دين ـ على ما كتبه ابن أخيه ردًّا على الإنجيل.

❑ يقول الأستاذ عبداللطيف الجوهري ـ مؤلف كتاب «رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب» ـ للمهندس محمد توفيق، أثناء حواره معه الذي ذكره في كتابه، وكان هذا الحوار سنة ١٤٠٧هـ الموافق يونية سنة ١٩٨٧م، ونشر في مجلة «منار الإسلام» الظبيانية الغراء ص(١٠٨ ـ

---

(١) «رجل من أمّة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب» لعبداللطيف الجوهري ص(٢٢ ـ ٢٥). دار الصحوة للنشر.

١١٣): «ماذا عن رقم آخر بطاقة تزف للمسلمين بشرى ميلاد مسلم جديد. وما قصة إسلامه باختصار؟ فقال الشيخ محمد توفيق: آخر بطاقة رقم (٣٣٣٤) وصاحبها هولندي، جاء إلينا فأعطيته رسائلي ليقرأها، ولكن لم أر منه الحماس الكافي لاعتناق الإسلام، وفي مرة أُخرى زارني في صحبة صديق إنجليزي معه شديد التحمس إلى الإسلام، فعندما رأى هذا الحماس لدى الإنجليزي، عاد إليّ بعدما تفرغ لدراسة الإسلام، وأقر بالشهادتين وكتب إقرارًا بالإسلام وأسلم»[1] .

كان الشيخ المهندس محمد توفيق يراسل مثقفي العالم الذين يريدون فكرة صحيحة عن الإسلام، ويتلقى آلاف الرسائل على صندوق بريده برقم (١١٢) في القاهرة من مختلف أنحاء العالم.

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن اتجاهي لتبليغ الإسلام للأجانب، دفعني إليه ـ بالإضافة إلى واجب التبليغ على كل مسلم ـ افتتان العرب والمسلمين بالأجانب، فيما يعرف «بعقدة الخواجة» فأردت أن أتخذ من الأجانب حقلاً للدعوة الإسلامية، فإذا أسلم هؤلاء الأجانب، لفت ذلك أنظارنا في بلاد العرب والمسلمين ـ مما يلفتنا ـ إلى عظمة ديننا وضرورة الالتجاء إليه والتشبث بهديه»[2] .

□ ويقول: «إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب، لا أترك الأجنبي الذي يراسلني بصدد دعوة الإسلام، إلا بعد ما يعلن الشهادتين، وفي العادة قد تطول المراسلة أو تقصر، وأقصر مراسلة انتهت بإعلان إسلام أحد الأجانب من ألمانيا استمرت شهرين، وأطولها استمرت سبعة عشر عامًا مع

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(٢٧).
(٢) «رجل من أمة التوحيد» ص(٥٩).

رجل من تشيكوسلوفاكيا، ومع هذا الأخير الذي كانت تربطني به صداقة، وكان يتردد على القاهرة ويتفضل بزيارتي، وكان مصرًّا على التمسك بعقيدته، بيد أنه جاءني ذات مرة، بعد مرور سبعة عشر عامًا على صداقتنا، وقال لي: إنني أحمل لك مفاجأة، فقلت له: ما هي؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه»[1].

رحمه اللَّه، لقد تفرغ تفرغًا تامًّا لمراسلة الأجانب والرد على استفساراتهم طوال عمره المبارك الذي يناهز التسعين عامًا.

كتب إليه رجلٌ نصراني أجنبي: إن عمري ثمانون عامًا، وقد دأبت منذ نعومة أظافري على التردد على الكنيسة، وإن ما قدمته من معلوماتٍ عن المسيح، يفوق ما عرفت عنه في الكنيسة.

يراسل الشيخ محمد توفيق صيدليًّا كاثوليكيًّا يسكن في «بازل» على الحدود الفرنسية وزوجته، مدة طويلة بعد طول جهدٍ معهما، ويرسل إلى زوجة هذا الصيدلي ترجمة معاني القرآن الكريم، وتستوقفها أشياء، ويسافر الشيخ إلى «بازل» ويصل بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر، وكانوا في انتظاره ـ الصيدلي وزوجه وأولاده ـ ولم يكونوا يعرفونه، وكان قد وافاهم بمواصفاته، وأنه طويل نحيف بنظارة ومعه كتاب لونه أحمر، وكان قد حمله ليعرف به، واهتدوا إلى معرفته، وفور وصولهم إلى البيت، قالت له زوجة الصيدلي: هل أنت متوضئ؟ فقال لها: نعم، فقالت: ونحن أيضًا متوضئون، ثم طلبت منه أن يصلي بهم إمامًا، فتأثر وبكى.

أم نقص حكاية الصبي الألماني، الذي كان والده يراسل الشيخ في موضوع «الإسلام» ووصلت مراسلته إلى قناعته بالإسلام، وكان الشيخ في

---

(١) «رجل من أُمة التوحيد» ص(٥٩ ـ ٦٠).

مراسلته قد ذكر له أن أول من أسلم من الصبية علي بن أبي طالب، ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن النساء خديجة بنت خويلد ﵂، وبعد ما أعلن الرجل إسلامه، وبعث إلى الشيخ بإقرار الشهادة، أرسل إليه الشيخ شهادة اعتناق الإسلام، وعقب ذلك تلقى الشيخ رسالة من ابن الألماني الصبي وقال: أرجو أن ترسل لي الإقرار للتوقيع عليه، وشهادةً باعتناق الإسلام مثل أبي، فكتب إليه الشيخ يستمهله حتى يكبر ويزداد تعرفه على الإسلام، فأرسل من فوره رسالةً ذات منطقٍ مفحم، أقنع الشيخ وأثر فيه كثيرًا، حيث قال في رسالته: «هل طلب محمد بن عبدالله من علي بن أبي طالب أن يرجئ إسلامه حتى يكبر؟!» فلم ير إلا أن يلبي طلبه فورًا، ويرسل إليه الإقرار ليوقعه، ثم الشهادة باعتناق الإسلام[1].

❑ يقول الأستاذ أنور الجندي عن المهندس محمد توفيق أحمد: «هذا رجل ليست له شهرة الأدباء، ولكن له مكانة العاملين في مجال الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية في صدقٍ وثبات، وقد اختار مجالاً لا يكاد ينافسه فيه أحد، وهو المحيط الخارجي، وفي قلب أوروبا بالذات، وأصدر مجلة «البريد الإسلامي» الزاهرة عام ١٩٤٣م، وأنشأ «دار تبليغ الإسلام» قبل ذلك عام ١٩٢٩م، بدأ عمله في سويسرا عن طريق الرسائل والإعلانات، ففي كل محطةٍ من المحطات على طول الطريق من النمسا إلى زيورخ إلى باول، تجد لوحًا تقول: «لقد علمت خطأ عن الإسلام، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة، فاكتب إلى فلان، فإذا أرسلت إليه، أرسل لك كتبًا صغيرة موجزة»، وقال لك: أرسل لي خمسةً من أصدقائك، ولا يلبث أن يرسل لهم بطاقاته، وامتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا، ونما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله، وفي سبيل التعريف بالإسلام، وتحرير

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(٨٥).

مفاهيمه، حتى كتب إلى مائة ألفٍ من البشر، قال لهم كلمة التوحيد، فكسب منهم أصدقاء، وكسب منهم معتنقين، ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية»[1] .

يا سبحان خالق الهمم. . . يرسل خطابات إلى مائة ألف شخص!!.

ويقول الصحفي المغربي الأستاذ عبدالقادر الإدريسي عن الشيخ محمد توفيق في مقالة «الرجل المؤسسة»: «أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف شخص. . . هذا هو المدخل الرئيسي إلى عالم صاحبي. . . التقيت به مرتين، تفصل بينهما ثلاث عشرة سنة كاملة، لم يتغير الرجل طوال هذه المدة، بل أستطيع أن أقول: إن قوته وعزيمته تزدادان مضاءً مع توالي الأعوام، الإشراق في عينيه يجذبك إليه بقوة، رجل ليس كالرجال، قمة من القمم الشامخة التي وهبت حياتها للَّه رب العالمين. . . يحتفظ بمكتبه ـ الذي يشغل جناحًا من شقته المتواضعة ـ بملفات كاملةٍ عن الأشخاص الذين اهتدوا إلى دين اللَّه على يده، أصناف متعددةً من البشر، الصفة التي تجمعهم أنهم خارج الوطن الإسلامي، والحكاية لها بداية جديرة بالتسجيل: رحل صاحبي إلى أوروبا في الثلاثينيات، وأقام بإحدى المدن السويسرية، حيث عمل في الهندسة الكهربائية، وطالت إقامته في تلك الديار، وأقام علاقات عديدة مع مختلف الطبقات، مما أكسبه حسن السمعة وطيب الذكر، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام في الأوساط المسيحية، ولقي عمله إقبالاً كبيرًا، وفوجئ بتدفق لم يكن يتوقعه من شتى الأوساط؛ المتعلمة والمثقفة والعادية، فزاده ذلك إقبالاً على المضي في هذا الطريق، ودخل الكنائس والمدارس والسجون

(١) «رجل من أمة التوحيد» ص(١١١ ـ ١١٢) نقلاً عن مقالة في مجلة «المنهل» الحجازية في رجب سنة ١٣٩٠ الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٠م بعنوان «القاء مع جيل الرواد المهندس محمد توفيق أحمد».

والنوادي الليلة، وأخذ ينفق على الدعوة من دخله الشخصي، وهداه تفكيره إلى استئجار الأماكن العامة، مثل دور السينما والنوادي وقاعات الاجتماعات؛ لإلقاء المحاضرات وإدارة الندوات، وفجأة وجد نفسه في عالم لم يخطط له. كان في البداية يقدر أن المسألة لا تعدو أن تكون عملاً متواضعًا. يقصد به وجه اللَّه لا أقل ولا أكثر، فإذا به أمام نتائج باهرة وحركة واسعة وإقبالٍ لم يخطر على بال، وإذا باسم الرجل يتردد في أكثر من جهة في أوروبا، وإذا بالصحافة تكتب عنه، وإذا برجال الكنيسة يتحركون لمعرفة السر وراء هذا النجاح، فلما أيقنوا أن الرجل لا يدعمه أحد سوى اللَّه، كفوا عن المناوشة وسلموا أمرهم للَّه، حتى إن بعض الرهبان والقساوسة أخذوا يترددون عليه في مقر إقامته بمدينة بادن (أرجاو) بسويسرا لمناقشته والأخذ عنه، وكتب اللَّه لهذا العمل المتواضع الخالص لوجهه الكريم، أن يتسع ويمتد ويشع وينمو في اطراد، وكان أن ارتفع المعدل الشهري للذين يُقبلون على الإسلام، وبمرور الأعوام قفزوا إلى الألف الأُولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، وهذا كله من فضل ربي الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً. اتخذ لنفسه شعارًا يلخصه في الجملة التالية: «الناس جميعًا أسرة واحدة، ربها واحد، ودينها واحد، هو الإسلام الذي دعا إليه جميع رسل اللَّه الكرام، والسعيد الناجي من فهم القرآن، وعمل على نشر تعاليمه التي تحقق المحبة والسلام بين بني الإنسان». وهو يطبع هذا الشعار على الرسائل التي يوزعها مجانًا بسبع لغات على القارات الخمس. هذا الرجل تخطى عتبة الثمانين ولا يزال في فتوة وحيوية الشباب.

رجل يستحق التكريم ممن جعل اللَّه تكريم الرجال على أيديهم... لقد أسعدني أن ألتقي بالمهندس محمد توفيق بن أحمد سعد، وهذا اسمه بالكامل. ألستم معي أن هذا الرجل يضاهي عمله عمل المؤسسات... إنه

بحق الرجل المؤسسة، ولا عجب»[1].

وتحت عنوان «مع العاملين في صمت وبلا دعاية» كتب الأستاذ محمد الجندي: «يذكر المهندس توفيق أحمد، أنه في الوقت الذي تحاصر فيه الصحافة الإسلامية وتخضع لأجهزةٍ متعددة من الرقابة، فإن جمعية «شهود يهوه» تصدر مجلة تسمى «برج المراقبة» وتوزع منها عشرة ملايين نسخة، وبتسع وسبعين لغة ولهجة في العالم، بينما كل المجلات والصحف في العالم الإسلامي لا تتجاوز إصداراتها في مجموعها علي مليون نسخة، وفي عددٍ محدود من اللغات، علمًا بأن جمعية «شهود يهوه» هي موسسة يهودية ترتدي ثوبًا نصرانيًّا مزيفًا، وتقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وإدخال نبوءات التوراة المحرفة في النفوس، والتي منها ما يبشر بعودة اليهود إلى فلسطين والتي تخدم الفكر الصهيوني. ودار تبليغ الإسلام تقوم على شخصٍ واحد، هو «الساعي ومسئول العلاقات العامة والمحرر ورئيس التحرير ومسئول المراسلات والتمويل وغيرها». وقد وصفته إحدى المجلات الإسلامية بأن هذا الجهد الكبير، الذي يقوم به، لا تستطيع مؤسساتٌ بكاملها عمله، ورجحت جهده على جهد أحد المؤتمرات الإسلامية، والتي أشرفت عليه مجموعة دولٍ في إحدى العواصم الأوروبية عام ١٩٧٦م، وكان هذا المؤتمر يهتم بالتراث من خلال مخطوطات إسلامية ومجموعة محاضرات، ورغم هذا لم يعلن أحدٌ إسلامه.

ويمنح المهندس توفيق أحمد شهادةً بإسلام من يرغب من الأوروبيين، ولا يتم منح هذه الشهادة إلا بعد إجراء الاختبارات الدقيقة حول الدوافع إلى اعتناق دين الإسلام، ويكتب في الشهادة أي خروج على تعاليم الإسلام

---

(١) مجلة «المسلمون» الدولية بلندن ـ العدد الصادر في ٢١ من رجب سنة ١٤٠٢/ الموافق ١٤ من مايو ١٩٨٢م.

يلغيها»[1] .

«اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا، ولا تحتكرها فتأثم». كتبت هذه العبارة على مجلة البريد الإسلامي... فرحم اللَّه الرجل الأُمَّة المؤسسة... عالي الهمة... الشيخ الداعية المهندس محمد توفيق، الذي أسلم على يديه أربعة آلاف شخص، وكتب إلى مائة ألف شخص يدعوهم إلى الإسلام... هذه هي الأُسوة والقدوة.

*** الشيخ محمد جميل غازي الداعية المبارك يقضي عمره ذابًّا عن التوحيد، ومدافعًا عن الإسلام، ومفسرًا لكتاب اللَّه، ويُسلم على يديه القساوسة:**

كان التوحيد وتصحيح العقيدة أس دعوته وزبدتها ومنطلقها وغايتها.. وكم كانت له صولات وجولات.. وقام على يديه هذا الصرح المبارك «مسجد العزيز باللَّه» بمنطقة «حدائق الزيتون».. وعلّم الناس الاتباع، وحارب التصوف وبدعه.

وعلى منبر مسجد العزيز فسّر القرآن العظيم تفسيرًا جميلاً يدل على رسوخ الشيخ في هذا العلم المبارك.

ودعا غير المسلمين إلى الإسلام: «فبدعوة من بعض قساوسة السودان ومبشّريه، وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت وتيخا رمضان ومن معهما من القساوسة، عُقِدت مناظرة استغرقت ستة أيام.. في كل يوم ثلاث ساعات متتالية، في الفترة من ١٤٠١/١/٢٣ هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩هـ، الموافق ١/ ١٢/ ١٩٨٠م إلى ٧/ ١٢/ ١٩٨٠م، بين ثلاثة من أعلام الفكر

(١) مجلة «الهدى» الخليجية ـ العدد الصادر في يوم الجمعة ١٤ من ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ.

الإسلامي: الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد ـ الذي كان من أخطر القساوسة المصريين وأسلم ـ واللواء المهندس أحمد عبدالوهاب علي الذي شُغل بمقارنة الأديان منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وبين القساوسة السودانيين وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت، وآمن جميع القساوسة والمبشرون المناظرون، وأسلم بإسلامهم خمسمائة»[1].

❑ واللَّه عز وجل لا يضيع جهد الداعية الدكتور محمد جميل غازي الذي ربما ظلّ في الدعوة بعيدًا عن أولاده خمسة أشهر متوالية، فرحمه اللَّه وأجزل له المثوبة.

❑ وهذا الداعية العظيم إبراهيم خليل أحمد، الذي كان رأسًا من رءوس التبشير والكفر في مصر والعالم، فإذا هو بعد إسلامه يجوب البلاد دعوة إلى اللَّه عز وجل، يتحدّث في جامعة أسيوط سنة ١٩٧٦م، فيقف بعد محاضرته سبعة عشر من شباب جامعة أسيوط ليعلنوا إسلامهم بكل جرأة.

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد شعرت أن الإسلام يفرض عليّ فرضًا، هو أن أحمل رسالة التبليغ، وأن أدعو برسالة لا إله إلا اللَّه.

فهلاّ اتعظ الغافلون من المسلمين بسير الرجال العماليق... وهلاّ آمن المبشرون الدّجالون الذين يصدق عليهم قول المسيح لليهود: «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحدًا، ومتى حصل تجعلونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا».

* الشيخ غازي ليث المنابر يُفحم مناوئي الإسلام:

نطق الشيخ وجهر بدعوة الإسلام ودافع عن دينه حين سكت وجمجم

---

(١) من كتاب «مناظرة بين الإسلام والمسيحية» طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد».

غيره ولنسق إليكم جزءًا من خطبة عيد الفطر سنة ١٤٠٦هـ لترى أي معدن من الرجال الربانيين كان ذلكم الرجل. . .

❑ يقول ـ رحمه الله ـ: «ليست هذي خطبة بالمعنى الذي عهدناه وألفناه، فما أكثر ما خطبنا، وما أكثر ما تكلمنا، ولكن الذي نقوله اليوم هو تقرير عن الواقع الإسلامي، تقرير عن هذه السنوات التي نعيشها عبر الخمسين عامًا الأخيرة. . . في هذه السنوات الأخيرة رأى المسلمون ما رأوا من هجمات مسعورة القصد منها القضاء على الإسلام، وشارك في هذه الهجمات رؤساء يحكمون بلادًا إسلامية، ساهموا في قتل المسلمين، وساهموا في تنفيذ مذابح للأمة الإسلامية في كل مكان.

وأبدأ معكم الحديث منذ عام ١٩٢٤م مَن منكم يحفظ هذا التاريخ؟ احفظوه جميعًا، احفظوا أن في هذا التاريخ قام مصطفى كمال أتاتورك الخائن اللعين المثل الأعلى لأحد الحكام المصريين في هذه الحقبة الأخيرة الذي يخطب في مصر ويقول: إن مثلي الأعلى هو مصطفى كمال أتاتورك. . . مصطفى كمال الذي وأد المسلمين، وقتل المسلمين في تركيا، وقضى على الخلافة الإسلامية، يُعتبر القضاء على الخلافة الإسلامية هو أول مسمار دُقّ في نعش المسلمين. وقُتِل المسلمون جماعات. . . وقف مصطفى كمال أتاتورك في وجه العمل الإسلامي في تركيا، في بلاد القوقاز، وعلى بحر قزوين، ونادى بالعلمانية وهدم اللغة العربية، وكتب بالحروف اللاتينية، وحذّر أشد تحذير من أن تقوم علاقة بين المسلمين وبين القرآن الكريم، ضرب المساجد، ضرب المدارس الإسلامية، قضى على كل مظهر إسلامي في تركيا التي كانت في ذلك الوقت مقر الخلافة الإسلامية العظيمة التي هزّت أوربا، وأزعجت العالم كله، وروّعت الدنيا، وحققت انتصارات باهرة، ولكنه في أعقاب الحرب العالمية الأولى أعلن المتحاربون جميعًا سواء من هذه الجبهة أو

تلك أعلنوا أنه لا بد أن تقوم العلمانية، ولا بد أن توزّع تركة الرجل المريض، ومات الرجل المريض، مات الخليفة العثماني، وماتت معه تركيا، ومات العالم الإسلامي كله، ونشأت الإقليميات، وأخذت تطلّ برأسها القوميّات والوطنيات، نشأت القومية العربية وهي ضربة موجهة للإسلام نفسه، ونشأت جامعة الدول العربية وهي ضربة المقصود بها تصفية العالم الإسلامي، وبعد أن قامت القومية العربية، وبعد أن قامت جامعة الدول العربية قامت إسرائيل التي ما كان يمكن لها أن تقوم أبدًا لو أن الخلافة الإسلامية قائمة، ولو أن تركيا ما زالت على عهدها.

❑ رفضت تركيا الإسلام، رفضه مصطفى كمال أتاتورك وخلفاؤه وحلفاؤه الذين توافدوا على حكم الإسلام... ويقول الشاعر يبكي على الإسلام... يقول:

ما لي وللنجم يرعاني وأرعاه ... أضحى كلانا يعافُ الغمض جَفْنَاهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إلى الإسلام في بلدٍ ... تَجِدْهُ كالطيرِ مقصوصًا جناحاهُ
وَيْحَ العروبةِ كان الكون مَسْرَحَها ... فأصبحت تتوارَى في زواياهُ
كم صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُها ... وبَاتَ يَحْكُمُنَا شعْبٌ حَكَمْنَاهُ
تاجٌ أَغَرُّ على الأتراكِ نَعْرِضُه ... ما بالنا نجدُ الأتراكَ تأباهُ
ألمْ يَروْا كيف فدّاهُ معاويةٌ ... وكيف باتَ عليٌّ من ضحاياهُ
غالَ ابن بنت رسول اللَّه ثم عدا ... على ابن بنت أبي بكرٍ فأرداهُ

وتمزّقت الأمة...

❑ انظروا إلى الخريطة، وانظروا إلى الدماء التي تسيلُ كل يوم.. دماءٌ موجودة في أفغانستان، ودماء موجودة كل يوم في كل مكان، ويا ليت الأمر توقّف على مجازر يقوم بها الشيوعيون الروس لقلنا إن الخطْب هيّن، ولكن للأسف الذي يقوم بتنفيذ مخططات الهجمات هُم الحكام المسلمون عَربًا كانوا

أو غير عرب، يدفعون ثمن الكراسي بدماء المسلمين في كل مكان.

* الهجمة على الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية:

ثم يقول الشيخ جميل في الهجمة على الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية: «جاء عميل قميئ من عملاء الهجمات المضادة للإسلام فقام بدور دنكيشوت فقضى على الأوقاف ثم المحاكم الشرعية وجاءت حادثة الشيخ الفيل والشيخ سيف، وأُلقي الرجلان الشريفان العظيمان أُلْقِيَا في فم الصحفيين، وبالمانشتات العريضة كانت صورهما تظهر في صفحات كاملة، وكتب زعيم الأدب العربي يصفّق فرحًا مستبشرًا كتب يقول: «الخطوة الثانية».

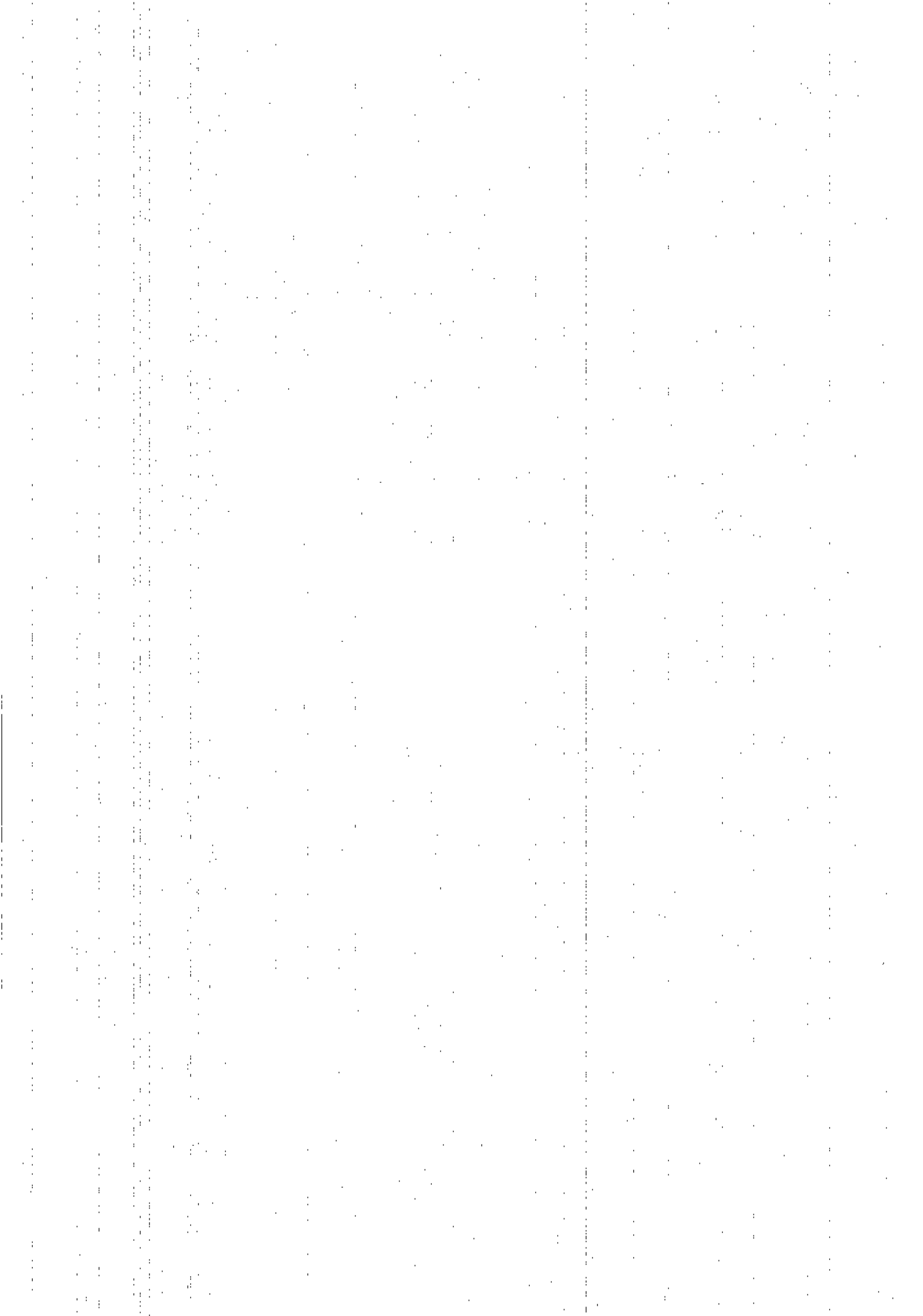
أي هذه هي الخطوة الأولى؛ القضاء على القضاء الشرعي، ونريد الخطوة الثانية وهي القضاء على الأزهر، القضاء على الأزهر بمعنى أن يصبح التعليم في مصر تعليمًا واحدًا مدنيًّا، ما ضرّ هذا الإنسان البغيض إلى ربه وإلى خلقه، ما ضرّه لو طالب بتوحيد التعليم فيصبح كله تعليمًا إسلاميًّا ولكن كلمة «إسلام» تقضّ المضاجع وتتعب كثيرًا من النفوس، وطالب بالخطوة الثانية... كتبها كانفجار من انفجارات الحقد الموجود في نفوس الهجمات المعادية للإسلام» اهـ[1].

□ رحمك اللَّه يا شيخ جميل وأعطاك جزاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المجاهرين بالحق الصادعين به من العلماء الربانيين.

* * *

---

(١) تراجع الخطبة كاملة مسجلة «خطبة عيد الفطر سنة ١٤٠٦هـ لترى جرأة الشيخ ورباطة جأشه وصدعه بما لم يصدع به غيره في زماننا هذا.





أمـا لك بالرجـال أسـوة؟
أتسبقك وأنت رجل نِسـوة؟!

أَمَا لك بالرجال أُسوة؟ أتسبقك وأنت رجل نِسْوة؟!

إن الإسلام حدّد دائرة نشاط كل من الرجال والنساء، فجعل أمر الولاية والسياسة للرجال دون النساء، وقرّر أن الأصل للنساء القرار في البيوت. ومع انقياد المسلمات من سلف هذه الأمة لأمر ربّهنّ عز وجل في هذا الصدد فقد قمن بالإنكار على أصحاب السلطة حيثما وجدن إلى ذلك سبيلاً وإليك نماذج عطرة دالة على ذلك.

١ ـ إنكار عائشة رضي الله عنها على زياد تجرّده عن الثياب بعد بعثه الهَدْي:

بلغ أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ زياد بن أبي سفيان[1] بعث بهدي وتجرّد عن الثياب فأنكرت عليه ذلك. فقد روى الإمام أبو يعلى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كنت لأفتل قلائد بُدْن رسول اللّه ﷺ ثم يبعث بالهدي وهو مقيم عندنا لا يجتنب شيئًا مما يجتنب المحرم».

بلغنا أن زيادًا بعث بهدي وتجرّد، فقالت: «وهل كانت له كعبة يطوف بها حين لبس الثياب، فإنا لا نعلم أحدًا تحرم عليه الثياب ثم تحلّ له حتى يطوف بالكعبة»[2].

□ فها هي الصديقة توبخ وتستنكر مستغربة تصرفه ذلك.

---

(١) (زياد بن أبي سفيان): أمّره معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على العراقين البصرة والكوفة، جمعهما له، ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه في سنة ثلاث وخمسين. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٥٤٥)، و«عمدة القاري» (١٠/ ٤٠).

(٢) مسند أبي يعلى، مسند عائشة رضي الله عنها رقم الحديث ٣٨ (٤٣٩٤)، (٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨). وقال عنه محقق الكتاب: «إسناده صحيح». هامش المسند (٧/ ٣٥٧).

٢ ـ أمر عائشة رضي الله عنها أمير المدينة بردّ المطلقة إلى بيتها:

طُلِّقت ابنة أخ لأمير المدينة المنورة مروان بن الحكم، فنقلها أبوها عبدالرحمن بن الحكم إلى بيته وهي في العدّة، فأرسلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى أمير المدينة المنورة تأمره بردّ ابنة أخيه إلى بيتها. فقد روى الإمام البخاري عن القاسم بن محمد وسليمان بن يسار أنّ يحيى بن سعيد بن العاص طلّق بنت عبدالرحمن بن الحكم، فانتقلها عبدالرحمن، فأرسلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى مروان ـ وهو أمير المدينة ـ: «اتق اللّه واردها إلى بيتها».

قال مروان [في حديث سليمان (أحد راوة الحديث)]: «إنّ عبدالرحمن ابن الحكم غلبني»[1].

وقال القاسم بن محمد (أي في رواية الراوي الثاني): «أو ما بلغك شأن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها»[2].

قالت: «لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة رضي الله عنها»[3].

فقال مروان بن الحكم: «إن كان بك شر فحسبك ما بين هذين من الشر[4]»[5].

---

(١) (إنّ عبدالرحمن بن الحكم غلبني): «أي: لم يطعني في ردّها إلى بيتها، وقيل: مراده غلبني بالحجة لأنه احتج بالشر الذي كان بينهما» «فتح الباري» (٩/٤٧٨).

(٢) (أو ما بلغك شأن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها): هذا أيضًا من كلام مروان كما جاء في رواية القاسم بن محمد. ويستدل بذلك مروان بإذن النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها بالانتقال من بيتها وهي في العدّة.

(٣) (لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة رضي الله عنها): أي: أنه لا حجة فيه لجواز انتقال المطلّقة من منزلها بغير سبب. «فتح الباري» (٩/٤٧٨).

(٤) (إن كان بك شر فحسبك ما بين هذين من الشر): أي إن كان عندك أن سبب خروج فاطمة رضي الله عنها وما وقع بينها وبين أقارب زوجها من الشر فهذا السبب موجود، ولذلك قال: «فحسبك ما بين هذين من الشر» (المرجع السابق ٩/٤٧٨).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الطلاق، باب قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، رقم الحديث =

٣ ـ إنكار أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على الحجاج قوله في ابنها :

قَتَل الحجّاجُ بن يوسف الثقفي عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فبرّر قتله ابن الزبير رضي الله عنهما باتهامه بإلحاد في الحرم فلم يكن من أسماء رضي الله عنها إلا أن فنّدت اتهامه وبيّنت أنه قد افترى على ابنها الكذب. فقد روى الإمام الحاكم عن أبي الصديق قال: لما ظفر الحجّاج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله ومثّل به، ثم دخل على أم عبدالله وهي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، فقالت: «كيف تستأذن عليّ وقد قتلت ابني؟»[1].

فقال: «إنّ ابنك ألحد في حرم الله فقتلتُه ملحدًا عاصيًا حتى أذاقه الله عذابًا أليمًا، وفعل به وفعل».

فقالت: «كذبت يا عدو الله وعدو المسلمين! والله! لقد قَتَلتَه صوّامًا قوّامًا بَرًّا بوالديه حافظًا لهذا الدين. ولئن أفسدتَ عليه دنياه لقد أفسد عليك آخرتك. ولقد حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه يخرج من ثقيف كذّابان، الآخر

= (٥٣٢١، ٥٣٢٢)، (٩/ ٤٧٧).

(١) وفي «صحيح مسلم»: ثم (بعد قتل ابن الزبير رضي الله عنهما) أرسل (الحجاج) إلى أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأبت أن تأتيه.

فأعاد عليها الرسول: «لتأتيِنّي أو لأبعثنّ إليكِ من يسحبكِ بقرونك».

قال: فأبت وقالت: «والله! لا آتيك حتى تبعث إليّ من يَسحبني بقروني».

قال: فقال: «أروني سِبتي».

فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذّف حتى دخل عليها...

«صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها، جزء من الحديث ذي الرقم (٢٢٩)، (٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

(يسحبك بقرونك): أي: يجرّك بضفائر شعرك.

(سبتي): هي: النعل التي لا شعر لها.

(يتوذّف): قال أبو عبيد: معناه: «يسرع». وقال أبو عمرو: معناه «يتبختر» (نقلاً عن هامش «صحيح مسلم» للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي (٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

منهما أشرّ من الأول، وهو المبير[١] وما هو إلا أنت يا حجّاج»[٢] .

اللّه أكبر! ما أجرأها في الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر! ولا عجب في هذا إنها ذات النطاقين ابنة الصديق ﵄ وعن أبيها وأرضاهما.

٤ ـ احتساب أم الطفيل على الفاروق ﵄ بسبب قوله في عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها:

اختصم عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ﵄ في عدّة الحامل المتوفّى عنها زوجها. فكان أبي بن كعب ﵁ يرى أنّ عدّتها وضع الحمل، ولم يوافقه الفاروق ﵁ على ذلك. فسمعت امرأة أبي بن كعب ـ وهي أم الطفيل ﵂ تحاورهما فاحتسبت على الفاروق ﵁ مشيرة إلى مخالفته لما ثبت في السنة. فقد روى الإمام أحمد عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب ﵄ أنها سمعت عمر بن الخطاب وأبيَّ بن كعب ﵄ يختصمان فقالت: «أفلا يسأل عمر بن الخطاب سبيعة الأسلمية ﵂؟ توفي عنها زوجها وهي حامل، فوضعت بعد ذلك بأيام فأنكحها رسول اللّه ﷺ»[٣] .

---

(١) (المبير): المهلك انظر هامش «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٧٢).

(٢) «المستدرك على الصحيحين»، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٢٦).

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المرجع السابق (٤/ ٥٢٦).

ووافقه الحافظ الذهبي انظر: «التلخيص» (٤/ ٥٢٦).

وروى نحوه الإمام أحمد انظر: «المسند» (٦/ ٣٥١)، (٦/ ٣٥٢).

وأصل القصة موجود في «صحيح مسلم» انظر: «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها، رقم الحديث (٢٢٩، ٤/ ١٩٧١ ـ ١٩٧٢).

(٣) «المسند» (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني أتم منه. وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات». «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٥/ ٢).

ومما نجده في هذه القصة أنّ علوّ مكانة الفاروق رضي الله عنه وعظيم منزلته لم يمنعا أم الطفيل رضي الله عنها من الاحتساب عليه لمّا وجدتْ أنّ رأيه يخالف من أرسله اللّه تعالى ليُطاع بإذنه ﷺ.

٥ ـ احتساب قرشية على الفاروق رضي الله عنهما بسبب منعه الزيادة في مهور النساء:

صعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر الرسول الكريم ﷺ وانتقد على الناس إكثارهم في صداق النساء، وهدّد من زاد فيه على أربعمائة درهم. ثم نزل الفاروق رضي الله عنه عن المنبر فاعترضته امرأة من قريش وأنكرت عليه خطبته تلك. فقد روى الإمام أبو يعلى عن مسروق قال: «ركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه منبر رسول اللّه ﷺ ثم قال: «أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء، وقد كان رسول اللّه ﷺ والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند اللّه أو كرامة لم تسبقوهم إليها. فلأعرفنّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم».

قال: ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: «يا أمير المؤمنين! نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟».

قال: «نعم».

فقالت: «أما سمعت ما أنزل اللّه في القرآن؟».

قال: «وأيّ لك؟».

فقالت: «أما سمعت اللّه يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

قال: فقال: «اللّهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر».

ثم رجع فركب المنبر، فقال: «أيها الناس! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبّ».

قال أبو يعلى: وأظنه قال: «فمن طابت نفسه فليفعل»[1].

وفي رواية أخرى: فقال عمر رضي الله عنه: «إن امرأة خاصمت عمر فخصمته»[2].

لا عصمة لأحد من الأمة، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ وهذا فاروق الإسلام عمر الوقّاف عند كتاب اللَّه تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر امرأة وعلى ملإٍ فينقاد رضي الله عنه من غير تردد... فرحم اللَّه حاكمًا سار على دربه.

٦ ـ نهي أم الدرداء رضي الله عنها عبد الملك بن مروان عن لعن الخادم:

كان عبدالملك بن مروان يستضيف أم الدرداء رضي الله عنها، وكانت تبيت عند نسائه، فسمعته يومًا يلعن خادمه فنهته عن ذلك. فقد روى الإمام أحمد عن زيد بن أسلم قال: كان عبدالملك بن مروان يرسل إلى أم الدرداء رضي الله عنها فتبيت عند نسائه، ويسألها عن النبي ﷺ.

(١) نقلاً عن «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٨).
وقال عنه الحافظ ابن كثير: «إسناده جيد قوي» (المرجع السابق (١/ ٥٠٨).
وقال عنه الحافظ الهيثمي: «رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وُثّق». «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٤/ ٢٨٤).
وقال عنه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني: «وسنده جيد» «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٢/ ١٥٥).
ونقله الحافظ ابن الجوزي في كتابه: «مناقب أمير المومنين عمر بن اخطاب رضي الله عنه» ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) نقلاً عن «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٠٩).

قال: فقام ليلة فدعا خادمه[1] فأبطأت عليه فلعنها، فقالت: «لا تلعن، فإنّ أبا الدرداء رضي الله عنه حدّثني أنّه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن اللَّعَّانين لا يكونون يوم القيامة شهداء[2] ولا شفعاء[3]**»[4] .

* وهَلْ ينبت الخطِّي إلا وشيجه؟؟

◻ للّه در القائل:

وهل يُنبت الخطي إلا وشـيجه ويُزرع إلا في منابته النخل؟

انظر إلى صنيع ابنتي الحافظ عاصم بن علي بن عاصم أبي الحسين الواسطي:

«عن محمد بن سويد الطَّحَّان، قال:

كنا عند عاصم بن علي، ومعنا أبو عبيد القاسم بن سلام، وإبراهيم بن أبي الليث ـ وجماعة ـ وأحمد بن حنبل يُضربُ ذلك اليوم، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي، فنأتي هذا الرجل فنكلمه؟

قال: فما يجيبه أحد. ثم قال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحسين أنا أقوم معك، فقال: يا غلام، خُفَّيّ. فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين أبلغ

---

(١) (خادمة): يقول الجوهري: «الخادم: واحد الخدم غلامًا كان أو جارية». الصحاح، مادة «خدم»، (٥/١٩٠٩). والمراد هنا «جارية» كما هو واضح من كلام الراوي الذي بعد ذلك: «فأبطأتْ عليه فلعنها».

(٢) (لا يكونون يوم القيامة شهداء): أصح الأقوال وأشهرها فيه: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. (انظر: «شرح النووي» (١٦/١٤٩).

(٣) (ولا شفعاء): لا يشفعون حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار. (المرجع السابق (١٦/١٤٩).

(٤) «المسند» (٦/٤٤٨). وروى نحوه الإمام مسلم في «صحيحه». انظر: «صحيح مسلم»، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث (٨٥) (٢٥٩٨)، (٤/٢٠٠٦).

إلى بناتي، فأوصيهم وأجدد بهم عهدًا.

فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط، ثم جاء، فقال عاصم: يا غلام خُفَيَّ.

فقال: يا أبا الحسين إني ذهبت إلى بناتي فبكين. قال: وجاء كتاب بنتي عاصم من واسط:

يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه بالسوط على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق اللَّه، ولا تجبه، فواللَّه لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت»[1].

*** امرأة من أهل الأندلس آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر:**

امرأة من أهل الأندلس يُقال لها الشلبية ولم يُعرف لها اسم كتب عنها المقرى والتلمساني:

«أنها كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلَّم من وُلاةِ بلدها وصاحب خراجه:

قد آنَ أن تبكي العُيونُ الآبيهْ ... ولقد أرى أنَّ الحجارةَ باكيَه

يا قاصدَ المصر الذي يُرْجى به ... إن قدَّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيهْ

ناد الأمير إذا وقفتَ ببابِه ... يا داعيًا إنَّ الرعيَّة فانيه

أرسلتَها هَملاً ولا مَرْعىً لها ... وتركتَها نهبَ السِّباعِ العاديهْ

شِلْبٌ كلا شِلْبٍ، وكانت جنَّة ... فأعادها الطاغون ناراً حاميه

حافوا وما خافوا عقوبةَ ربِّهم ... واللَّهُ لا تخفى عليه خافيه

◻ فيقال: أنها أُلقيت يوم الجمعة على مصلَّى المنصور، فلمّا قضى الصلاة وتصفَّحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها، وأمر للمرأة

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٦٤).

بصلة»[١].

◻ وعلى يد القانتات العابدات الصالحات ومن بيوتهن خرج الصبية والغلمان الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

جاء في كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«عندما كان الحجاج يستعرض جنده، سمع غلامًا يقرأ: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٩ ـ ١٣١].

فنظرَ إليه، وقال: أرى لسانًا فصيحًا، تقدَّم يا غُلام.

فتقدم، فسأله الحجاج: أتحفظ القرآن يا غلام؟

قال: ما خفت ضياعه حتى أحفظه، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الحجاج: أجمعتَ القرآن؟

قال: ما كان مفرّقًا حتى أجمعه، فقد جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الحجاج: ويحك! ماذا أقول؟

قال: قل هل معك من القرآن شيء، فبهذا جاء الحديث.

فقال الحجاج: أتل شيئًا من القرآن.

فقرأ الغلام: «إذا جاء نصر اللَّه والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين اللَّه أفواجا».

فقال الحجاج: ويحك يا غلام، يدخلون في دين اللَّه أفواجا.

---

(١) «نفح الطيب» للمقري التلمساني (٤/ ٢٩٤).

قال الغلام: هذا في عهد رسول اللَّه ﷺ، أما في إمارة الحجاج يخرجون من دين اللَّه أفواجا.

قال: يا غلام، أنت مقتول، فبماذا تلقى اللَّه؟

قال الغلام: ألقاه بعملي، وتلقاه بدمي.

فعفا عنه»[١].

◘ وجاء في كتاب «تذكرة الآباء وتسلية الأبناء» لابن العديم ص(٦٤) ما نصه:

«دخل الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء، وعنده كثير من أهل العلم، فأحب أن يتكلم فَزَجَرَهُ وقال:

أصبي يتكلم في هذا المقام؟

فقال: إن كنتُ صبيًا فلستُ أصغر من هدهد سليمان، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢].

ثم قال: ألا ترى أنه فهم الحكم لسليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى».

* السري السقطي يعظ أستاذه وهو صبي:

جاء في كتاب «أنباء نجباء الأبناء» لابن ظفر المكي ص(١٤٦) ما نصه:

«بلغني أن السري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، فقال: يا أستاذ ما الورد؟

فقال: لا أدري.

فقرأ: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]،

---

(١) «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري (٢/ ١٨٢).

فقال: يا أستاذ ما العهد؟

قال: لا أدري.

فقطع السري القراءة وقال: إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس؟ فضربه المؤدب، فقال السري:

يا أستاذ ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى؟

فاستحله المؤدب وتاب إلى اللَّه تعالى من التأديب، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رق الجهل السري».

* وأخيراً: امرأة سبب في الهداية:

يُروى أن أحمد بن طولون كان في أول عهده ظالمًا باغيًا، فلما ساءت الأحوال، وجبن العلماء عن نصحه اعترضته امرأة في الطريق فقدمت له بطاقة كتبت فيها:

«ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وأُنْعِمَ عليكم ففسقتم، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم.. هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أجعتموها، وأكباد أوجعتموها.. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا باللَّه مستجيرون، واظلموا فإنا إلى اللَّه متظلمون، وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون».

فلما قرأها هدى اللَّه قلبه فعدل لوقته[1].

* وراء كل عظيم امرأة:

و«أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة، والأفعال الحسنة التي

(١) «عالم أزهري حر يواجه السلطان الجائر بقلمه وقلبه ولسانه» للشيخ محمود عبدالوهاب =

قام بها المقتدي[١] ، فأكسبته الشهرة الفائقة، إنما كانت بتأثير زوجته (الخيزران)»[٢] .

◻ وفي العصر المتأخر كان للزوجة العاقلة أكبر الأثر في نصرة أعظم حركة تجديدية شهدتها الأمة منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري حتى يومنا هذا:

*** الأميرة (موضى بنت أبي وهطان) تحث زوجها الأمير محمد بن سعود على مؤازرة الدعوة الوهّابية:**

إذ لما قدم شيخ الإسلام (محمد بن عدالوهاب) ـ رحمه اللَّه ـ إلى (الدرعية) ليعرض دعوته على أميرها (محمد بن سعود) لعله ينصره بسيفه، ويحمي الدعوة التجديدية الوليدة، أوعز تلميذ شيخ الإسلام الشيخ (أحمد ابن سويلم العريني) إلى (ثنيان) و(مشاري) أخوي الأمير (محمد بن سعود)، وكانا من أنصار الشيخ وأتباعه، أوعز إليهما أن يستكشفا رأي أخيهما الأمير محمد في شأن الشيخ، ويقفا على مدى استعداده لمناصرة دعوته، فلم يترددا في قبول طلبه، وخَفَّا مسرِعَيْن إلى دار أخيهما الأمير محمد، وشرعا أوَّلاً بمفاوضة زوجته المسماة (موضى بنت أبي وهطان) من آل كثير، وكانت امرأة مشهورة بوفرة الذكاء والنباهة وسعة الإدراك، وقد تحدث الأخَوان إلى زوجة أخيهما طويلاً في المهمة التي جاءا من أجلها، وعن الدعوة التي يدعو إليها الشيخ، ومدى فائدتها في محاربة البدع والخرافات، ومكانة الشيخ، وما هو

= فايد (ص١٠٧) ـ دار الاعتصام.

(١) هو الخليفة محمد بن عبداللَّه المنصور.

(٢) «مرآة النساء» (ص٨٦)، وهي أم الهادي، وهارون الرشيد، ملكة حازمة، عاقلة، لبيبة، ديِّنة، خيِّرة، متفقهة، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، كما في «الأعلام» (٢/ ٣٧٥).

عليه من علم ومعرفة، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، وأخيرًا طلبا إليها أن تفاوض زوجها لمناصرة الشيخ، وشَدِّ أزرِه، وإشهار السيف من غِمده في سبيل نصرة الدعوة التي يدعو إليها، فَوَعَدَتْهما خيرًا، وتم الاتفاق على ذلك، ونقلت السيدة (موضى) إلى زوجها ما دار بينها وبين أخويه من الحديث، وَدَعَتْهُ إلى تأييد الشيخ، ونصرة دعوته، وقالت له: إن هذا الرجل قدم إلى بلدك، وهو غنيمة ساقها اللَّه تعالى إليك، فأكرِمْه، وعظِّمْه، واغتنم نُصْرَتَه»، ثم رَغَّبَتْهُ، وحسَّنت إليه القيام بزيارة خاصة إلى دار الشيخ (أحمد ابن سويلم) لمقابلة الشيخ، لتكون إعلانًا جهارًا للملأ بأنه على نصرته، وتحت حمايته، لكي يعظمه الناس، ويكرموه، فوافق الأمير محمدٌ على نصيحة زوجته»، وتم اللقاء بينهما حيث أفاض الشيخ في شرح دعوته إلى التوحيد، ومحاربة الشرك والبدع، وتمت البيعة بينهما، وعقد التحالف على قيام الأمير (محمد بن سعود) بشد أزر الشيخ ونصرة دعوته، ودخل الشيخ البلد تلبية لدعوة الأمير، واتخذ له منزلاً بالقرب من دار الأمير (محمد بن سعود)[1] اهـ.

◻ وقد كان لهذه المرأة الصالحة الصادقة أكبر الأثر في مؤازرة زوجها وتشجيعه، وحثه على الصبر والسلوان حينما اندحر الجيش الذي قاده ولده عبدالعزيز وهزم هزيمة نكراء في (حائر)[2، 3] .

---

(١) انظر «تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لحسين خلف الشيخ خزعل (ص١٥٩ ـ ١٦١)، وكذا «السعوديون والحل الإسلامي» (ص١١٢)، «مجلة البحوث الإسلامية» العدد السابع عشر (ص٣٦٠) عام ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧هـ.

(٢) السابق (ص٢٥٢)، ومن فضائل هذه المرأة العاقلة أن في كنفها وتحت عينها نشأ ابنها الإمام المجاهد، والبطل المجالد، أمير المسلمين في زمانه، العلامة الزاهد العابد، بقية السلف الصالح، تلميذُ إمام الدعوة السلفية: عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، الملقب بـ «مهدي زمانه»، المقتول غدرًا بيد رافِضيٍّ خبيث في صلاة العصر وهو ساجد سنة ١٢١٨هـ، رحمه اللَّه، وعفا عنه، وتقبله في الشهداء.

(٣) «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل المقدم (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

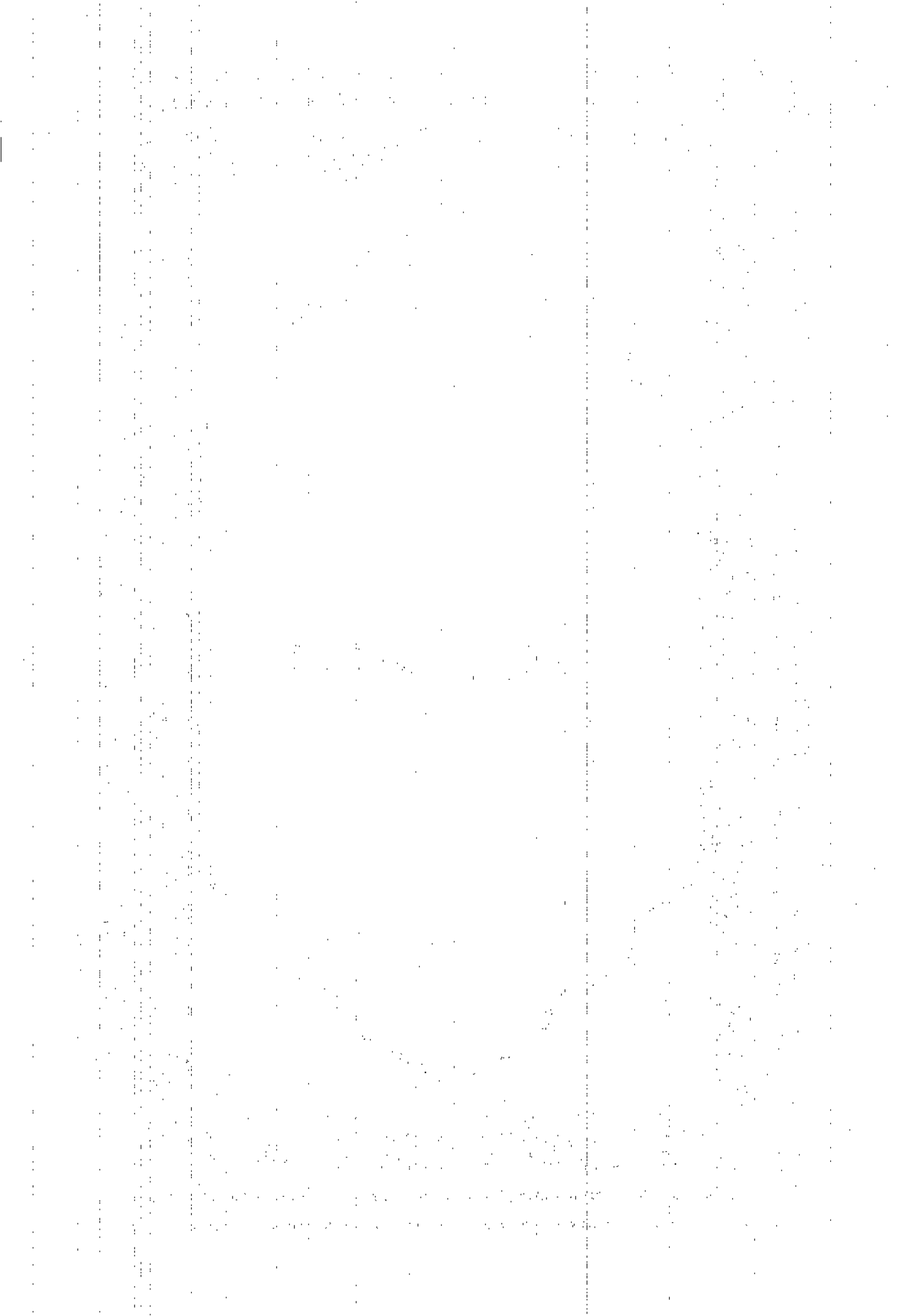
✍ هذه الأمة العظيمة لا تزال بخير وهي معطاءة برجالها ونسائها... ما دام في الأمة من تسير على درب عائشة أم المؤمنين وذات النطاقين وأم الدرداء رضي الله عنهن فلا خوف عليها.

فعلِّموا النساء دين اللَّه عز وجل، حتى إذا تخنث الرجال وحاضوا، قامت ربات الخدور بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطه الشرعية.

* * *



لله درهم من ربانيين



للَّه درهم من ربانيين

*** للَّه درك يا يزيد بن مرثد: كم بينك وبين من يهرولون إلى المناصب ولو على حساب دينهم:**

عن الوضين بن عطاء قال: أراد الوليد بن عبدالملك أن يُوليّ يزيد بن مرثد، فبلغ ذلك يزيد بن مرثد فلبس فروه قدْ قلبه، فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجًا، وأخذ بيده رغيفًا وعرقًا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل الخبز واللحم، فقيل للوليد: إن يزيد بن مرثد قد اختلط، وأخبر بما فعله فتركه».

إن للَّه عباداً فُطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

كراهية توليّ القضاء حذراً من القرب من الولاة وإشفاقًا على النفس:

من العلماء الربانيين مَن كره تولى القضاء حذرًا من القرب من الولاة والسلاطين وإشفاقًا على أنفسهم من عدم الإتيان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يجب، وإقامة العدل على الوجه الأتمّ بين الرعية والأمراء على حدّ سواء، ففرّوا بدينهم.

❑ منهم: شيخ الإسلام أبي قلابة الجْرمي عبداللَّه بن زيد.

قال عنه أيوب السختياني: كان واللَّه من الفقهاء ذوي الألباب. إني وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم فراراً منه، وأشدهم منه فرقًا، وما أدركت بهذا المصر أعلم بالقضاء من أبي قلابة.

وعن أيوب قال: لما مات عبدالرحمن بن أُذْينة ـ يعني قاضي البصرة ـ زمن شُريح ذُكِر أبو قلابة للقضاء، فهرب حتى أتى اليمامة، قال: فلقيته بعد

ذلك فقلتُ له في ذلك، فقال: ما وجدت مثل القاضي العالم إلاّ مثل رجل وقع في بحر، فما عسى أن يسبح حتى يغرق[١].

□ وعن مفضل قال: حبس ابن هبيرة منصوراً - يعني ابن المعتمر - شهراً على القضاء يريده عليه، فأبى، وقيل: إنه أحضر قيداً ليقيده به، ثم خلاّه[٢].

□ وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة... ولقد ضربه ابن هُبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضياً.

□ وعن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح. قال: كذبت. قال: فقد حكم أمير المومنين عليّ أني لا أصلح، فإن كنتُ كاذبًا، فلا أصلح، وإن كنتُ صادقًا فقد أخبرتكم أني لا أصلح، فحبسه[٣]. وضربه أيامًا، كل يوم عشرة أسواط فتركه.

□ ودعا المنصور شريكًا فقال: إني أريد أن أوليك القضاء، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لست أعفيك. قال: فأنصرف يومي هذا وأعودُ، فيرى أمير المؤمنين رأيه. قال: تُريد أن تتغيّب؟ ولئن فعلت لأقدمن على خمسين من قومك بما تكره، فولاّه القضاء فبقي إلى أيام المهدي، فأقره المهدي، ثم عزله[٤].

□ وقال محمد بن عامر المصيصي: سألت أحمد: وكيع أحبّ إليك أو

---

(١) انظر: «السير» (٤/٤٦٨ - ٤٧٥).

(٢) انظر: ترجمة منصور في «سير أعلام النبلاء» (٥/٤٠٢ - ٤١٢).

(٣) انظر: ترجمة أبي حنيفة في «السير» (٦/ ٣٩٠ - ٤٠٤).

(٤) انظر: ترجمة شريك في «السير» (٨/ ٢٠٠ - ٢١٦).

يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع. قلتُ: كيف فضّلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم، والحفظ والإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقًا لحفص بن غياث، فلما ولي القضاء، هجره، وإنّ يحيى كان صديقًا لمعاذ بن معاذ، فلما ولي القضاء لم يهجره يحيى.

وقال محمد بن علي الورّاق: عُرِض القضاء على وكيع، فامتنع[1].

□ والإمام العظيم ابن أبي عاصم الذي ولي قضاء أصبهان.

هو من أهل السنة والحديث والنُّسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ: وصل إليَّ منذ دخلت إلى أصبهان من دراهم القضاء زيادة على أربع مئة ألف درهم، لا يحاسبني اللَّه يوم القيامة أني شربت منها شربة ماء، أو أكلت منها، أو لبست.

وقالت ابنته عاتكة: سمعت أبي يقول: جاء أخي عثمان عهده بالقضاء على سامراء، فقال: أقعد بين يدي اللَّه تعالى قاضيًا؟! فانشقت مرارته، فمات.

□ وذُكِر عن أبي الشيخ قال: حضرت جنازة أبي بكر، وشهدها مئتا ألف من بين راكب وراجل، ما عدا رجلاً كان يتولى القضاء، فحُرِم شهود جنازته، وكان يرى رأي جهم[2].

فرّ عن القضاء كثير من الفضلاء وتغيّبوا حتى تركوا، وسجن بسببه عند الامتناع آخرون[3].

---

(١) انظر: «السير» (٩/ ١٤٠ ـ ١٦٨).

(٢) «السير» (١٣/ ٤٣٠ ـ ٤٣٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ١٦٥).

◻ ولما أراد هشام للقضاء بقرطبة زياد بن عبدالرحمن اللخمي المعروف بشَبَطون وعزم عليه، خرج منها فارًّا بنفسه، على ما حكاه ابن حارث. فقال هشام عند ذلك: «ليت الناس كلهم كزياد، حتى ألغى أهل الرغبة في الدنيا!»(١).

◻ ودعا الأمير محمد بن عبدالرحمن الشيخ إبراهيم بن محمد بن بار للقضاء بالأندلس فأبى وامتنع، فأرسل إليه هاشم بن عبدالعزيز صاحبه مرة ثانية بوصية يقول: «إذا لم تقبل قضاءنا، فاحضر مجلسنا، وكن أحد الداخلين علينا، الذين نشاورهم في أمورنا، ونسمع منهم في رعيتنا. فلما استمع رسالته، قال: «يا أبا خالد، إن ألحّ عليّ الأمير في هذا ومثله، هربتُ واللَّه بنفسي من بلده! فما لي وله؟» فأعرض عنه الأمير عند ذلك، وعلم أنه ليس من صيده(٢).

◻ وقاسم بن ثابت بن عبدالعزيز الفهري السرقسطي صاحب «كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث» دُعي للقضاء ببلده؛ فامتنع من ذلك، فلما اضطره الأمير وعزم عليه، استمهله ثلاثة أيام، يستخير فيها اللَّه - عز وجل - فمات خلال تلك المدة، فكان الناس يرون أنه دعا اللَّه تعالى في الاستكفاء؛ فكفاه وستره، وصار حديثه موعظة في زمانه(٣).

◻ وممن جاهر بالإصرار على الإباية من القضاء محمد بن عبدالسلام الخشني أراده الأمير محمد لتقليد القضاء بجيّان، وأمر الوزراء أن يُجلسوه ويلزموه ذلك؛ ففعلوا وأدوا إليه رسالة الأمير، فأبى عليهم ونفر نفورًا شديدًا؛ فلاطفوه وخوّفوه بادرة السلطان؛ فلم يزد إلا إباءً ونفورًا، فكتبوا إلى

---

(١) «تاريخ قضاة الأندلس» لأبي الحسن النباهي الأندلسي ص(٢٧ - ٢٨) - دار الكتب العلمية.

(٢، ٣) «تاريخ قضاة الأندلس» ص(٢٨، ٢٩).

الأمير محمد بإعياء الحيلة عليهم في إجابته، فوقّع الأمير توقيعًا غليظًا معناه: إنّ من عصانا، فقد أحلّ بنفسه دمه فلما قرأوه على الخشَنيّ، نزع قلنسوته من رأسه ومدّ عنقه وجعل يقول: «أبيْت كما أبت السموات والأرض إباية إشفاق، لا إباية نفاق!» فكتبوا إلى الأمير بلفظه؛ فكتب إليهم أن «سلّموا أمره وأخرجوه عن أنفسكم!»، فقالوا له: انصرف[١].

◻ وعرض أمير المؤمنين الرشيد على المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي قضاء المدينة، وجائزته أربعة آلاف دينار، فامتنع، فأبى الرشيد إلاّ أن يلزمه، فقال: «واللَّه يا أمير المؤمنين لأن يخنقني الشيطان أحبّ إليّ من أن ألي القضاء!»، فقال الرشيد: ما بعد هذا شيء! وأعفاه، وأجازه بألفي دينار[٢].

◻ وممن عُرِض عليه القضاء بإفريقية فامتنع منه، أبو ميسرة أحمد بن نزار، فلما عُرِض عليه قال: «اللَّهم! إنك تعلم أني قد انقطعت إليك وأنا ابن ثماني عشرة سنة! فلا تمكِّنهم مني!» فما جاء العصر إلاّ وقد تُوفِّي.

فغُسِّل وكُفِّن وخُرِج به، فوجّه إليه الأمير إسماعيل العبدي كفنًا وطيبًا في الأطباق؛ فوافاه الرسول على النعش؛ فجُعل عليه الكفن من فوق[٣].

◻ وذكر يحيى بن إسحاق أن هشامًا لمّا ولي، قيل له: «لا يتعدّل ما تريد إلا بولاية زياد بن عبدالرحمن على القضاء!» فبعث إليه؛ فتمنّع؛ فألحّ عليه هشام، وأحضر الوزراء؛ وكلّموه في ذلك عن الأمير وعرّفوه عزمه. فقال لهم: «أما إذا عزمتم، وأكرهتموني على القضاء، فأُخبركم ما أبدأُ به عليّ المشي إلى مكة. إن وليّتموني، وجاءني أحد متظلمًا منكم إلاّ

---

(١) المصدر السابق ص(٢٩ ـ ٣٠).

(٢) المصدر السابق ص(٣١ ـ ٣٢).

(٣) المصدر السابق ص(٣٣).

أخرجت من أيديكم ما يدّعيه، ورددته عليه، وكلّفتكم البيّنة لما أعرف من ظلمكم!»، فلما سمعوا ذلك، عرفوا صدقه فعملوا عند الأمير في معافاته. فقيل ليحيى بن يحيى: «أهو وجهُ القضاء؟» قال: «نعم! فيمن عُرِف بالظلم والقدرة!»[١].

❑ من العلماء الربانيين أبو غالب عبدالرؤوف بن الفرج بن أبي كنانة، كان الأمير عبداللَّه بن محمد[٢] به معجبًا، وله مفضِّلاً؛ وكان قد اشتهى رؤيته من غير أن يستدعيه، فتعرّض لذلك يوم الجمعة من طاق الساباط[٣]، فرآه عند رواحه إلى المسجد الجامع، وأعجبه سمْته، وأحبّ اجتذابه إليه، وقال: «لا بدّ أن أضمّه إلى الوزارة أو القضاء» فذاكر بشأنه الوزير ابن أبي عبدة، وكان صديقًا لأبي غالب؛ فقال: «ينبغي للأمير أن لا يهجم على الرجل بالاستدعاء، حتى يعرف ما عنده في ذلك»، فقال له: «فكُن أنت الذي يتعرّف ذلك». قال الكاتب المدعّو بسكن بن إبراهيم: «فأرسلني الوزير إليه؛ فعرضتُ عليه مُراد الأمير؛ فتلقّى ذلك مني بالنطق والتضاحك، حتى أطمعني في نفسه، وجعل يقول: «كيف كان تنبهكم لنا بعد طول الغفلة؟ وما نرى هذا منكم عن صحّة نيّة؛ فأنتم أشحّ بدنياكم من أن تعطوا منها أحدًا شيئًا، وتشركوا فيها صديقًا!» قال سكن: «فلما صرت به إلى الجدّ، تنمّر[٤] لي، وقال آخر قوله: «باللَّه الذي لا إله إلا هو! لئن عاودتني أو غيرك، أو بلغتْني فيه عن الأمير عزيمة، لأخرجنّ عن الأندلس، فلا أعودنَّ إليها آخر الدهر!» فتُرك عن ذلك[٥].

(١) المصدر السابق ص(٣٣ - ٣٤).
(٢) ولي عبداللَّه بن محمد الأندلس سنة ٢٧٥هـ، وتوفي سنة ٣٠٠هـ.
(٣) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق.
(٤) تنمّر: غضب وساء خلقه.
(٥) «تاريخ قضاة الأندلس» ص(٣٦).

□ قال عمر بن عبدالعزيز: «لا يصلح للقضاء إلا القويّ على أمر الناس، المستخفّ بسخطهم وملامتهم في حق اللّه، العالم بأنه مهما اقترب من سخط الناس وملامتهم في الحق والعدل والقصد، استفاد بذلك ثمنًا ربيحًا من رضوان اللّه»[١] .

للّه درّهم من ربانيين

للّه درهم من ربانيين زهدوا في مخالطة الأمراء والسلاطين، رفضوا مقابلتهم، أو أخذ أعطياتهم وأموالهم، وكانوا يعدّون الدخول على السلاطين خذلانًا من اللّه، فإذا اضطرهم الأمر للدخول عليهم صدعوهم بالحق، ووعظوهم، وقضوا حاجات الناس.

* عدم الدخول عليهم وحث بعضهم بعضًا على ذلك :

عن شقيق قال: كان ابن زياد يراني مع مسروق فقال: إذا قدمت فالقني، فأتيت علقمة فقال: إنك لم تصب من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينك ما هو أفضل منه، ما أحبّ أن لي مع الفيء ألفين وأني أكرم الجند عليه[٢] .

□ وانظر إلى سيد البكائين الحسن البصري:

قال فضيل بن جعفر: خرج الحسن من عند ابن هُبيرة فإذا هو بالقرّاء على الباب فقال: ما يُجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما واللّه ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرّقوا فرّق اللّه بين أرواحكم وأجسادكم، فقد فرطحتم[٣] نعالكم، وشمّرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم،

(١) المصدر السابق ص(١٨).
(٢) انظر: «السير» ترجمة علقمة (٤/ ٥٣ ـ ٦١).
(٣) كل شيء عرّضته فقد فرطحته.

فضحتم القرّاء فضحكم اللَّه، واللَّه لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم أبعد اللَّه من أبعد[١].

للَّه درك من إمام أوحدت به أمة فكان زينة لأُمّة.

□ وقال عالم الديار المصرية ـ ومفتيها عبدالرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك: ليس في القرب من الولاة ولا في الدنو منهم خير.

□ وقال الثوري: إذا لم يكن للَّه في العبد حاجة، نبذه إلى السلطان.

□ وقال عبد اللَّه بن المعتز باللَّه: من شارك السلطان في عزّ الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.

وأشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء من النار أسرعها احتراقًا[٢].

□ وقال الإمام سعيد بن الحداد شيخ المالكية: القرب من السلطان في غير هذا الوقت حتف من الحتوف فكيف اليوم؟[٣].

رحمك اللَّه.. هذا في زمانك فكيف في زماننا وهو زمن تحيض فيه الرجال.. يصدق فيه الكاذب، ويكذب فيه الصادق وينطق فيه الرويبضة وتعلو فسولُ الرجال وصعاليكُهم التحوتُ والوعولَ.

□ قال سحنون ﷺ: «ما أسمج بالعالم أن يُؤتَى إلى مجلسه، فيُسأل عنه فيُقَال عند الأمير»، وقال: «كنت أسمعُ أنه يقال إذا رأيتم العالم يحبُّ الدنيا فاتهموه على دينكم» حتى جرّبت ذلك إذ ما دخلتُ قطّ على السلطان إلا وحاسبتُ نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك[٤] مع ما أواجههم به من

(١) «السير».
(٢) «السير» (١٤/ ٤٢ ـ ٤٤).
(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٠٥ ـ ٢١٤).
(٤) الضعف.

الغلظة والمخالفة لهواهم!!.

□ وكان الإمام الزهري من أنسك علماء المحدثين، وكان يتردّد على السلطان ليقدّم له النصيحة الواجبة دون أن يستدعي السلطان إلى مجلسه في حلقة العلم، فكتب له أحد إخوانه يلومه على ذلك ويقول:

«عافانا اللَّه وإياك أبا بكر من الفتن ـ فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو اللَّه لك ويرحمك... أصبحت شيخًا كبيرًا قد أثقلتك نعم اللَّه، لما فهمت من كتابه، وعلمت من سنة نبيه.. وليس كذلك أخذ اللَّه الميثاق على العلماء.. قال تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ اعلم أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهّلت سبيل الغيّ بدنوك ممن لم يؤد حقًّا، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطبًا تدور عليه رحى ظلمهم، وجسرًا يعبرون عليه إلى بلائهم، وسُلَّمًا يصعدون فيه إلى ضلالهم، ويُدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء.. فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال اللَّه فيهم: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ وإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل.. فداو دينك.. فقد دخله سقم، وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد، وما يخفى على اللَّه من شيء في الأرض ولا في السماء.. والسلام»[1].

□ وانظر إلى شيخ الإسلام أبي محمد الأودي عبداللَّه بن إدريس قال عنه الحسن بن الربيع: قُرِئ كتاب الخليفة إلى ابن إدريس وأنا حاضر: من عبداللَّه هارون أمير المؤمنين إلى عبداللَّه بن إدريس، قال: فشهق ابن إدريس

---

(١) «كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء» ص(٢٤).

شهقة، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العصر، وهو على حاله، وانتبه قبيل المغرب، وقد صببنا عليه الماء فلا شيء قال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، صار يعرفني حتى يكتب إليّ! أي ذنب بلغ بي هذا؟!(١).

رحمك اللَّه يا ابن إدريس تهرب من معرفة هارون لك وتعد هذا عقوبة لذنب أذنبته وهو الذي كان يغزو عامًا ويحج عامًا، فكيف لو رأيت قرّاءنا وعلماءنا:

يرمرم من فُتات الكفر قوتًا ويلعق من كئوسهم الثمالة
يقبل راحة الطاغوت حينًا ويلثم دونما خجل نعاله

*** ومن العلماء والربانيين الزهاد من يطلب الأمراء والكبراء مقابلتهم فلا يَرْضون ذلك:**

☐ فقد مرّ بك خبر سيد التابعين سعيد بن المسيب ورفضه لقاء الخليفة عبدالملك بن مروان.

☐ والإمام الزاهد شيخ خراسان شقيق البلخي قال عنه الحاكم: قدم شقيق نيسابور في ثلاثمائة من الزهاد، فطلب المأمون أن يجتمع به، فامتنع(٢).

☐ وزاهد عصره وناسك مصره، مجاب الدعوة يحيى بن مجاهد أبو بكر الفزاري الأندلسي الإلبيري الزاهد: ذكره عمر بن عفيف، فقال: كان من أهل العلم والزهد والتقشف والعبادة، وجميل المذهب، لم تر عينيّ مثله في الزهد والعبادة، يلبس الصوف، ويمشي حافيًا مرة، وينتعل مرة فحدثني

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ترجمة عبداللَّه بن إدريس (٩/ ٤٢ ـ ٤٨).
(٢) انظر ترجمته في «السير» (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٦).

محمد بن أبي عثمان، عن أبيه أن الحكم المستنصر بالله أحب أن يجتمع بيحيى بن مجاهد الزاهد، فلم يقدر عليه، ووجّه إليه من يتطلف به ويستعطفه، فقال: ما لي إليه حاجة، وإنما يدخل على السلطان الوزراء، وأهل الهيئة، وأيش يعمل بأصحاب الأطمار الرَّثَّة، فوجّه إليه الحكم جبّة صوف وغفّارة وقميصًا من وسط الثياب ودنانير، فلما نظر إليها قال: مالي ولهذه؟ ردّوها على صاحبها، ولئن لم يتركوني سافرت، فيئس من لقائه وتركه[١] .

❑ ومن بلاد الهند بدور سافرة زهاد أبناء الآخرة منهم الشيخ علي بن حسان الدين المتقي البرهان يوري كان ـ رحمه الله ـ مرزوق القبول في بلاد كجرات، وكان واليها بها درشاه الكجراتي معتقدًا بفضله وكماله يريد أن يحضر لديْه، والمتقي لا يرضى بذلك فشفع له القاضي عبدالله السندي، فقال له المتقي: كيف يجوز أن يأتيني بمنكراته ولا آمره بالمعروف ولا أنهاه عن المنكر! فأجاز له بها درشاه أن يأمره بما شاء وينهاه عما شاء فأذن له المتقي، فدخل عليه السلطان وقبّل يده[٢] .

❑ والشيخ الصالح شمس الدين الكوئلي، أحد المنقطعين إلى الزهد والعبادة ذكره ابن بطوطة في كتابه وقال: إنه كان كبير القدر، ولما دخل محمد شاه تغلق إلى مدينة كوئل فبعث في طلبه فلم يأته، فذهب السلطان إليه ثم لما قارب منزله انصرف ولم يره[٣] .

❑ والشيخ العالم الفقيه الكبير نظام الدين محمد بن أحمد البدايونيّ

---

(١) «السير» (١٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦).
(٢) «الإعلام» (٤/ ١٨١).
(٣) «الإعلام» (٢/ ٥٤ ـ ٥٥).

انتهت إليه الرياسة في دعاء الخلق إلى اللَّه تعالى، والانقطاع عن الدنيا مع التضلع من العلوم الظاهرة. لم يرض بلقاء الملوك والسلاطين مع إلحاحهم على ذلك وشدة توقهم إليه قال الكرماني في «سير الأولياء»: إن جلال الدين فيروز الخليجي كان يريد أن يلاقيه وهو يمتنع من ذلك، فأراد أن يدخل عليه بغتة بغير إذن فخرج الشيخ من دهلي، وذهب إلى أجودهن قبل أن يحضر الملك عنده، وكذلك أرسل إليه علاء الدين محمد شاه الخلجيّ كتابًا يشتمل على بعض مهمّات الأمور ودعاه يستشيره في بعض المصالح فأبى وقال: إن كان السلطان لا يحب أن أقيم في ملكه فليُظهر ذلك من غير تورية فإن أرض اللَّه واسعة، فأرسل إليه السلطان ابنه واعتذر من مخاطبته إياه في تلك الأمور واستأذن في حضوره لديه، فأبى الشيخ، ولما أصرّ السلطان على ذلك قال: إن في داري بابيْن يدخل السلطان من باب وأخرج من الباب الآخر.

ومن ذلك ما رُوي أن قطب الدين الخلجي كان معتادًا أن يحضر العلماء والمشايخ في غرّة كل شهر للتهنئة، وكان الشيخ لا يذهب بنفسه بل يذهب خادمه إقبال نيابة عنه، فاغتاظ السلطان منه وقال: إن لم يحضر الشيخ بنفسه في الشهر القابل نفعل به ما نشاء، فاغتمّ الناس وكانوا يتناجوْن بينهم، وكان الشيخ جذلاً رخيّ البال فارغ الخاطر لا يرى عليه أثر الحزن حتى استهلّ الشهر وقُتل السلطان المذكور في تلك الليلة[1].

◘ وانظر إلى ابن رسلان أحمد بن حسين بن حسن أبي العباس الرملي الشافعي نزيل بيت المقدس.

كان مؤثرًا صحبة الخمول والشغف بعدم الظهور تاركًا ما يعرض عليه من الدنيا ووظائفها حتى أن الأمير حسام الدين حسن ناظر القدس والخليل

---

(١) «الإعلام» (٢/ ١٢٤ ـ ١٣١).

جدّد بالقدس مدرسة وعرض عليه مشيختها وقرر له فيها في كل يوم عشرة دراهم فضة فأبى، بل كان يمتنع من أخذ ما يرسل به هو وغيره إليه من المال ليفرّقه على القرّاء.

لمّا سافر الأشرف إلى آمد هرب ابن رسلان من الرملة إلى القدس في ذهابه وإيابه لئلا يجتمع به هو أو أحد من أتباعه وإن تضمّن ذلك تفويت الاجتماع بمن كان يتمناه. وصار المشار إليه بالزهد في تلك النواحي وقُصِد للزيارة من سائر الآفاق.

أرسل إلى طوغان نائب القدس وكاشف الرملة بكف مظلمة فامتنع وقال: طوّلتم علينا بابن رسلان، إن كان له سرٌّ فليرم هذه النخلة لنخلة قريبة منه فما تمّ ذلك إلا وهبّت ريح عاصفة فألقتها، فما وسعه إلا المبادرة إلى الشيخ في جماعة مستغفرًا معترفًا بالخطأ فسأله عن سبب ذلك فقيل له، فقال: لا قوة إلا باللّٰه من اعتقد أنّ رمي هذه النخلة كان بسببي أو لي فيه تعلّق ما فقد كفر، فتوبوا إلى اللّٰه وجدّدوا إسلامكم، فإن الشيطان أراد أن يستزلكم ففعلوا ما أمرهم به[1] .

❑ وانظر إلى الشيخ ابن غانم المقدسي الشافعي الذي ما كان يتردّد إلى أحد من الأكابر بل الأكابر فمن دونهم يتردّدون إليه بحيث طلبه السلطان مراد بك بن عثمان فامتنع فجاءه خفية ومع ذلك لم يجتمع به[2] .

❑ والإمام السيوطي كان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها، وأهدى إليه الغوريّ خصيًّا وألف دينار، فردّ الألف وأخذ الخصيّ فأعتقه وجعله خادمًا في الحجرة النبوية، وقال لقاصد

(١) «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٨).
(٢) «الضوء اللامع» (٤/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

السلطان: لا تعد تأتينا قطّ بهدية، فإن اللَّه تعالى أغنانا عن مثل ذلك.

وكان لا يتردّد إلى السلطان ولا إلى غيره، وطلبه مراراً فلم يحضر إليه، وقيل له: إن بعض الأولياء كان يتردد إلى الملوك والأمراء في حوائج الناس، فقال: اتباع السلف في عدم ترددهم أسلم لدين المسلم، وألّف كتابًا سمّاه «ما رواه الأساطين في عدم التردد إلى السلاطين»[1].

وكان الفقيه الزاهد الورع محمد الكبير السرغيني شيخ فاس القرويين وخطيبها وإمامها ومدرسها يحذر الطلبة من موالاة الولاة ويقول لهم: إنهم لا حاجة لهم بعالم أو صالح، وإنما قصدهم فيكم ما يتوقف عليكم من الإيصال إلى ما يريدون.

ويحذّر من موالاة أصحاب الدنيا والجاه ويقول: إنهم لا يخالطون الطالب إلا لتكميل دنياهم[2].

*** ومنهم من كان السلطان يزوره فلا يعظّمه وربما لا يلتفت إليه:**

فهذا شيخ الإسلام الفقيه نصر النابلسي المقدسي الشافعي صاحب «الحجة على تارك المحجّة» كان لا يقبل صلة من أحد بدمشق، بل كان يقتات من غلّة تُحمل إليه من أرض نابلس فيخبز له كل يوم قُرصة في جانب الكانون.

زاره الملك تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان يومًا، فلم يقُم له، ولا التفت إليه وكذا ابنه الملك دُقاق، فسأله عن أحلّ الأموال التي يتصرّف فيها السلطان، قال: أحلُّها أموال الجزية، فقام من عنده، وأرسل إليه بمبلغ، وقال: هذا من الجزية ففرِّقه على الأصحاب، فلم يقبله، وقال: لا حاجة لنا

(١) انظر «الكواكب السائرة» (١/ ٢٢٦ ـ ٢٣١).
(٢) «نشر المثاني» (٤/ ٨٤ ـ ٨٩).

به، فلما ذهب الرسول لامه الفقيه نصر اللَّه المصيصي، وقال: قد علمت حاجتنا إليه، فقال: لا تجزع من فواته، فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد فكان كما تفرّس فيه[1] .

□ والشيخ القدوة الزاهد أبو العباس أحمد بن أبي غالب المعروف بابن الطَّلاَّية الذي أفنى عمره في العبادة والقيام والصيام، ولا يقبل من أحد شيئًا.

□ قال المظفر بن الجوزي: سمعت مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم أن السلطان مسعودًا لما أتى بغداد، كان يحب زيارة العلماء والصالحين، فالتمس حضور ابن الطَّلاَّية، فقال للرسول: أنا في هذا المسجد أنتظر داعي اللَّه في النهار خمس مرات، فذهب الرسول، فقال السلطان: أنا أولى بالمشي إليه، فزاره، فرآه يصلي الضحى، وكان يُطوّلها يصليها بثمانية أجزاء، فصلى معه بعضها، فقال له الخادم: السلطان قائم على رأسك، فقال: أين مسعود؟ قال: ها أنا، قال: يا مسعود، اعدلْ، وادع لي، اللَّه أكبر، ثم دخل في الصلاة فبكى السلطان وكتب ورقة بخطه بإزالة المكوس والضرائب وتاب توبة صادقة[2] .

□ وانظر إلى حافظ وقته السلفي حضر عنده السلطان صلاح الدين وأخوه الملك العادل لسماع الحديث، فتحدّثا، فأظهر لهما الكراهة وقال: أنتما تتحدثان وحديث النبي ﷺ يُقرأ؟! فأصغيا عند ذلك[3] .

□ وكان الإمام الرفاعي لا يقوم للرؤساء، ويقول: النظر إلى وجوههم يُقسّي القلب[4] .

---

(١) «السير» (١٩/ ١٣٦ ـ ١٤٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢٦٠ ـ ٢٦٣).

(٣) انظر «السير» (٢١/ ٥ ـ ٣٩).

(٤) «السير» (٢١/ ٧٧ ـ ٨٠).

◻ والإمام العالم العامل أبو عبدالله ابن ناصر الدرعي الذي وقع عليه اتفاق أهل المغرب والذي كثر عنه الأخذ شرقًا وغربًا كان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم.

كان لا يُرى واقفًا بباب ملك من الملوك، ولم يخطب ويدعو لملك قط. ووقع بينه وبين بعض الملوك شنآن[1] على ذلك حتى همّ به ذلك الملك، ثم عُصِم منه، ونُقِل عنه حينئذ لما رأى خوف أصحابه عليه قال: رأيت كأن سورًا من حديد ضُرِب عليّ من ستر الله تعالى، فلا تخافوا علينا[2].

*** ولتجرّدهم وإرادتهم الدار الآخرة ردّوا عطايا السلاطين والأمراء وما قبلوها وهم أحوج من في الأرض إليها:**

قال إبراهيم بن محمد بن المنتشر: أهدى خالد بن عبدالله بن أُسَيْد عامل البصرة إلى عمي مسروق ثلاثين ألفًا وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها[3].

◻ وبعث معْن والي اليمن إلى معمر بن راشد بذهب فردّه، وقال لأهله: إنْ علم بهذا غيرنا لم يجتمع رأسي ورأسك أبدًا[4].

◻ ولما مات إمام أهل السنة أحمد بن حنبل بعث ابن طاهر بأكفان وحنوط، فأبى صالح أن يقبله وقال: إن أبي قد أعدّ كفنه وحنوطه، وردّه، فراجعه، فقال: إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبدالله مما يكره، وهذا مما يكره، فلستُ أقبله.

رحمك الله يا ابن حنبل.. أين أيامك وعزك وقناعتك وزهدك في الفاني.

---

(١) بُغض.

(٢) «نشر المثاني» (٢/ ٢١١ ـ ٢١٥).

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» ترجمة مسروق (٤/ ٦٣ ـ ٦٩).

(٤) انظر «السير» (٧/ ٥ ـ ١٨).

*** للَّه درك يا ابن حنبل.. أنت إمام أهل السنة صدقًا، وشيخ الإسلام حقًا:**

□ قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خبّاز باليمن، وأكرى نفسه من جمّالين عند خروجه إلى عبدالرزاق باليمن، وعرض عليه عبدالرزّاق دراهم صالحة، فلم يقبلها.

قال حنبل: جرى بين أبي عبداللَّه وبين أبي كلام كثير، وقال: يا عم ما بقي من أعمارنا، كأنك بالأمر قد نزل، فاللَّه اللَّه، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيام قلائل، وإنما هذه فتنة. قال أبي: فقلت: أرجو أن يُؤمنك اللَّه مما تحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم؛ لو تركتموها لتركوكم، ماذا تنتظر؟ إنما هو الموت، فإما إلى جنة، وإما إلى نار، فطوبى لمن قدم على خير. قال: فقلتُ: ألست قد أُمرت بما جاءك مِنْ هذا المال بلا إشراف نفس ولا مسألة أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس، فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسك؟ قلت: أفلم يأخذ ابن عمر وابن عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلم أن هذا المال يُؤخَذ من وجهه، ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أُبالِ.

وفي دولة المتوكل الذي أظهر السنة قالت أم الخليفة المتوكل: يا بني، اللَّه اللَّه في هذا الرجل فليس هذا ممن يريد ما عندكم.

وأتاه يحيى بن خاقان فقال له: إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول: كيف أنت في نفسك، وكيف حالك؟ ثم قال: قد وجّه معَي ألف دينار تُفرقها على أهل الحاجة. فقال: يا أبا زكريا، أنا في بيت منقطع، وقد أعفاني من كل ما أكره، وهذا مما أكره. فقال: يا أبا عبداللَّه الخلفاء لا يحتملون هذا. فقال: يا أبا زكريا تلطّف في ذلك. فدعا له ثم قام.

□ قال صالح بن أحمد: كتب إليّ إسحاق بن راهويْه: إن الأمير عبداللَّه بن طاهر وجّه إليّ، فدخلت إليه وفي يدي كتاب أبي عبداللَّه. فقال:

ما هذا؟ قلتُ: كتاب أحمد بن حنبل، فأخذه وقرأه، وقال: إني أحبه، وأحب حمزة بن الهيصم البُوشنجي، لأنهما لم يختلطا بأمر السلطان. قال: فأمسك أبي عن مكاتبة إسحاق.

☐ وقال إبراهيم بن أبي طالب: سمعتُ أحمد بن سعيد الرِّباطي يقول: قدمتُ على أحمد بن حنبل، فجعل لا يرفع رأسه إليّ، فقلت: يا أبا عبداللَّه، إنه يُكتب عني بخراسان، وإنْ عاملتني هذه المعاملة رَمَوا حديثي، قال: يا أحمد، هل بُدٌّ يوم القيامة من أن يُقال: أين عبداللَّه بن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون منه»[1] .

☐ ولما علم بصلة المتوكل لابنه وعمه أنكر عليهم قال صالح: فهجرنا أبي، وسدّ الأبواب بيننا وبينه وتحامى منازلنا، ثم أُخبر بأخذ عمه، فقال: نافقتني وكذبتني!! ثم هجره وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد آخر يصلي فيه[2] .

قال صالح: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلِّغه السلام، ويسأله عن حاله. قال: فتأخذه قُشعريرة حتى نُدثِّره، ثم يقول: واللَّه لو أن نفسي في يدي لأرسلتها.

وذكر صالح قصة في توجيه أمير بغداد محمد بن عبداللَّه بن طاهر إلى أحمد ليحضر إليه، وامتناع أحمد وقوله: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره وهذا مما أكره[3] .

☐ وفي مرض موته وصف له متطيب قَرْعة تُشوى، ويُسقى ماءها.. هذا كان يوم الثلاثاء، فمات يوم الجمعة، فقال: يا صالح، قلتُ: لبيك،

---

(١) «السير» (١١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٢) «السير» (١١/ ٢٧٩).

(٣) «السير» (١١/ - ٢٨٠).

قال: لا تُشوى في منزلك، ولا في منزل أخيك[١] لكونهما كانا يقبلان أُعطيات السلطان والأمراء.

☐ وفي مرض الموت جاءه حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير يُقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك. فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره[٢].

*** الإمام ابن جرير الطبري:**

قال الذهبي: قيل إن المكتفي أراد أن يُحبِّس وقفًا تجتمع عليه أقاويل العلماء، فأُحضر له ابن جرير، فأملى عليهم كتابًا لذلك، فأُخرجت له جائزة، فامتنع من قبولها، فقيل له: لا بد من قضاء حاجة. قال: أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة[٣].

☐ والفقيه الكبير الخَبُوشاني الشافعي عاش عمره لم يأخذ درهمًا للملك، ولا من وَقْف، ودُفن في الكساء الذي صحبه من بلده.

*** والشيخ الصالح العالم الزاهد محمد المغربي:**

كان ينشد كثيرًا:

اقنع بلقمة وشربة ماء ولبس الخيش   وقل لقلبك ملوك الأرض راحوا بيش

دخل عليه السلطان قايتباي يزوره ورسم له بألف دينار فردّها وأنشد البيت فبكى السلطان قايتباي حتى بلّ منديله وقال له: فرّقها على المحبين فقال له: من تعب في تحصيلها فهو أولى بتفريقها ولم يقبل الألف دينار[٤].

---

(١) «السير» (١١/ ٣٣٥).

(٢) «السير» (١١/ ٣٣٦).

(٣) «السير» (١٤/ ٢٦٧ ـ ٢٨٢).

(٤) «السير» (٢١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧).

* **وشيخ الإسلام تقي الدين البلاطنسي**: استوطن دمشق، وبعث إليه نائب دمشق بمال فردّه، فبعث إليه مرة أخرى وقال للرسول: قل له: إنه حلال، فردّه أيضًا وقال: أنا في غنية عنه. وبعث إليه إبراهيم أغا نائب القلعة بمال فسأله الدعاء فردّه ولم يقبله ودعا له، وقال للرسول: قل له غيري أحوج إليه مني. وعيّن له متولي الجامع الأموي ثمانية عثمانية في مقابل تدريسه به فلم يقبل ليكون تدريسه بغير عِوض.. وكان له مهابة في قلوب الفقهاء والحكام يُرجع إليه في المشكلات وكان لا يتردد لأحد لغناه. وكان أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر، لا يخاف في اللَّه لومة لائم ولا يداهن في الحق، قائمًا بنصرة الشريعة، حاملاً لواء الإسلام، مجدًّا في العبادة، مجانبًا للرياء[٢].

◻ وانظر إلى زاهد اليمن وورعها العلاّمة أحمد بن سعد بن الحسين المسوريّ اليمنيّ: قال عنه فضل اللَّه المحبي في كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٧): كانت الأئمة تراسله بالكتب والهدايا فيأباها ولا يرى في ذلك من المُلوك عُقباها، فمن ذلك ما أجاب على الأمير الكبير الشريف الحسين بن أحمد الخواجي صاحب صنعاء وقد كتب إليه كتابًا وأصحبه هدية، فكتب إليه:

«.. كنتُ أظنكم رعاكم اللَّه وأولئك الجماعة ممن له في خوف اللَّه نصيب وممن أقلع عما يُوجب البعد من القريب المجيب، وممن دعواه صادقة أنه لا يريد إلا اللَّه ولا يسعى إلا في طاعته وتقواه، فخدعتموني تاللَّه فانخدعت ولو أخذت بالحزم الذي هو سوء الظن لما أبعدت، فحملتم تلك الحالة مني على ما زهّدني واللَّه وغيري من المؤمنين فيكم، ونبّهني على الحذر

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٧٤ ـ ٧٧).

(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٥ ـ ٨٦).

والريب في كل ما يصدر من قول أو فعل عنكم إذ أحللتموني محلاً لست من أهله، وكتبتم إليّ بتصدير هديتكم المردودة إليكم غير مشكورة ولا محمودة ولم ترها والحمد للَّه عيني وما لمستها يدي إذ أردتم خديعتي عن ديني والتوصّل بها إلى ما تريدون من أغراض الأهواء في هلكتي فأكون كما قيل:

بتُّ كأني ذُبالة[1] نُصِبتْ تضيء للناس وهي تحترقُ

ومعاذ اللَّه أن أكون ممن يبيع دينه بكل الدنيا فضلاً عن عرض منها هو أقلّ وأدنى، أو أن يحبط أعماله ويبطلها بإماطة الأوساخ عن الناس. لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين، وكيف إن بقى شيء من المعقول آمر الناس بالبرّ وأنسى نفسي، وأتصدّر لإمام الحق في إنشاء المواعظ يُخطب بها على المنابر لنصيحة الخلق وأخونها وهي أعزّ الأنفس عندي».

ومنها: «وأعجب من هذا طارق يطرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة كما عجنت بريق حية أرياقها فقلتُ: أصِلة أم زكاة وصدقة فذلك محرم علينا أهل البيت، قال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين اللَّه أتيتني لتخدعني أمخبط أنت أم ذو جنّة، أما واللَّه لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللَّه في نملة أسلبها خلب شعيرة ما فعلتها، وإن دنياكم هذه لأهون عند اللَّه من ورقة في فم جرادة. نعوذ باللَّه من سيئات العمل وقبح الزلل وبه نستعين».

ثم جعل يعدّد آباءه من أهل البيت ثم قال: «اللّهم إني لا أقول ذلك افتخارًا لي ولا تزكية لنفسي، بل لما ينبغي من تجنب مواقف التهم معترف بأني أحقر من أن أُذكر وأهون من قلامَه الظفر».

---

(١) الذُّبالة: الفتيلة.

ثم قال: «ولولا تحرّج أمير المومنين عليّ في إعادة الجواب لما توجّه مني بعد ذلك خطاب، وهذا إن شاء اللَّه تعالى بيني وبينكم آخر كتاب والسلام».

*** والشيخ الصالح ولي اللَّه الذي يستسقي به المطر محمد بن عمر العباسي الدمشقي الصالحي عابد دمشق:**

لمّا حُبس الغيث عن دمشق سنة سبعين وألف واستسقى أهلها مرات فلم يمطروا فأمره نائب الشام فالخروج للاستسقاء بهم فخرج وهو في غاية الخجل فقد كان يؤثر الخمول على الظهور فقال: اللَّهم إن هؤلاء عبادك قد أحسنوا الظن بي فلا تفضحني بينهم فأغيثوا من ساعتهم، وما رجعوا إلى البلد إلا بمشقة من كثرة المطر، واستمر المطر ثلاثة أيام.

كان ـ رحمه اللَّه ـ لا يقبل من الحكام هدية ولا يتردّد إليهم[1].

*** والإمام الداعي إلى دار السلام علم اللَّه بن فضيل بن معظم الشريف الحسني البريلوي:**

بلغ الغاية من هضم النفس، وكان يأتي بحزمة من الحطب على رأسه يبيعها في عسكر خاله.

وقد عرض عليه عالمكير بن شاهجهان صاحب الهند وملكها أقطاعًا من الأرض فلم يقبل، واستأثر الفقر والفاقة.

كان أحسن الناس وجهًا وأتمهم خلقة، قد غشيه نور الإيمان وسيما الصالحين، إذا خرج نهارًا ازدحم الناس على تقبيل يده ورؤية وجهه وهو يكره ذلك وينفر عنهم، وكان يغضب إذا مُدِح ويستبشر إذا نُصِح، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحتسب على كل من رأى عليه أثرًا خلافًا

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٠٣).

للشرع سواءً كان ملكًا قاهرًا أو عالمًا كبيرًا أو شيخًا جليلاً، وكان يكثر الرد على المبتدعين ويظهر فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره.

رأى سلطان الهند عالمكير في المنام أن رسول اللَّه ﷺ تُوفي في تلك الليلة، فعرض على العلماء والمشايخ وسألهم تأويله، فأولوه بأنه توفي في تلك الليلة من كان له نسبة صحيحة بالنبي ﷺ وقدم راسخة في اتباعه، ثم أُخبر بأن السيد علم اللَّه توفي في تلك الليلة، فأجمع العلماء والمشايخ على أنه هو المعبَّر عنه بذلك المنام[1] .

*** والشيخ الزاهد مرزا مظهر جان جانان الدهلوي الحسني:**

كان من أعاجيب الزمان في الاستغناء عن الناس والزهد والورع واتباع السنة السنيّة واقتفاء آثار السلف.

وكان يقول: إن ردّ الهدية ممنوع، ولكنّا ما أُمرنا بالأخذ وجوبًا، إني أقبل من أصحابي يأتون بها بإخلاص واحتياط ولا أقبل من الأغنياء فإن هداياهم قلّما تخلو عن الشبه، وربما يتعلّق بها حقوق العباد.

بعث محمد شاه وزيره قمر الدين خان إلى الشيخ مرزا وقال له: إن اللَّه أعطاني مُلكًا كبيرًا فخذوا مني ما شئتم، فأجابه إن اللَّه تعالى يقول: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ فلّما كانت أمتعة الأقاليم السبعة قليلة، فكيف بما في يدكم من قطعة حقيرة من إقليم واحد، والفقراء لا يخضعون للملوك لأجل ذلك الأقلّ.

◻ وأعطاه نظام الملك ثلاثين ألفًا من النقود فلم يقبل، فقال له نظام الملك: إن لم تكن لكم حاجة إليها فخذوها ثم قسّموها على المساكين، فقال: إني لست بأمينكم إن شئتم التقسيم فباشروه بأنفسكم إذا خرجتم من

(١) «الإعلام» (٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

داري»[1].

* وشيخ أهل المغرب عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي:

□ أحيا اللَّه به علوم الحديث والمغازي والسير بالمغرب في القرن الحادي عشر، كان ـ رحمه اللَّه ـ لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، قوّالاً للحق، يواجه به الكبراء والملوك، قد أُعطي قوة على التلطف في توصيل ذلك وإبلاغه على أجمل صوره، حتى تنفعل له النفوس الأبيّة، وتذعن لسامعها آذان الأغيال الجبابرة، ولا تستنكف عن الانقياد له الأنوف الشامخة، مهابًا في الأعين، معظمًا في القلوب.

كان عالم وقته، وكان أزهد العلماء بوقته فيما في أيدي الناس، وكان مع اتساع علمه وعظم جاهه يأكل من عمل يده، فكان ينسخ الجامع الصحيح للبخاري كثيرًا، وكان يبيعه يتعيّش به.

ولما تولى السلطان الرشيد، وهو حينئذ كبير السن، أراد أن يمدّه بشيء من الدنيا، فبلغه ذلك، فقال: «قولوا له يشغل نفسه بغيري، فالذي رزقني من المهد إلى أن ابيّضت لحيتي هو يرزقني». ثم جعل يحكي ما قاله الشيخ السنوسي لبعض ملوك وقته حين عرض عليه شيئًا من الدنيا فقال له: «أما نيّتك فاللَّه يجازيك عليها خيرًا، وأما أنا فأخاف أن تفيض عليّ بحور الآخرة، فأردت أن تجدني حينئذ خفيفًا من الدنيا لعلّي أقطعها بخفة»[2].

* والشيخ عمر العقيبي الدمشقي الشافعي المعروف بالإسكاف:

يبعث إليه عيسى باشا كافل المملكة الشامية بثمانين دينارًا ذهبًا فردّها عليه وقال: «نحن في كفاية وغنية عنها ولا يجوز لنا تناولها إلا مع

(١) «الإعلام» (٦/ ٥٥ ـ ٥٩).
(٢) «نشر المثاني» (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٩).

الاضطرار، ولا اضطرار لنا».

يقول هذا ـ رحمه اللَّه ـ مع شده فقره فقد كان ينظر بستانًا بحماة وفيه العنب والتين وكثير من أنواع الفواكه فيقطفون العنب وغيره ويبيت في البستان فيصبح وعليه النّدى فيكتسي بذلك حُسنًا فلا يلتفت إليه ولا يُعرِّج عليه ولا يأكل منه حبّة واحدة.

□ جاءه إنسان يطلب الإرشاد والتزمه فأمره أن يعترف بين يديه بظلامات الناس ليأمره بالتوبة منها والتحلل وكيف يتوب ويخرج من المظالم، فاعترف بين يديه بقتل إنسان عمدًا، فقال له: لا بد أن تعترف لأوليائه وتطلب منهم العفو، فإن عَفَوْا كان طريقك مبني على أمر صحيح، وإن اقتُصَّ منك خرجت من عهدة الجناية في الدنيا باستيفائهم منك ما لهم عليك من القصاص، والصبر على القصاص في الدنيا أهون من الصبر على عذاب الآخرة، ففعل واعترف عند أولياء القتيل فأمسكوه وضيّقوا عليه واستعدوا عليه عند الحاكم، ثم لمّا بلغهم قصته مع الشيخ عمر عفوْا عنه ووهبوه له[1].

عزّ العلماء الربانيين العاملين وشرفهم وفضلهم

□ يرحم اللَّه من قال:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفـوس لعُظِّمَا

كان العلماء الربانيون يهابون ربهم وحده فهابتهم الخلائق وملوك الأرض، فمن خاف اللَّه أخاف اللَّه منه كل شيء، ومن خاف غير اللَّه وقدّم الخوف من العبيد المخلوقين على الخوف من ربِّ العالمين خوّفه اللَّه من كل شيء.

---

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٣).

◘ ولله ما أحلى قول القائل عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان
نور الوقار وعزّ سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

◘ يكفيهم شرفًا وعزًّا أنهم سبب لهداية الناس:

قال الأوزاعي: من كان مقتديًا، فليقتد بمثل ابن محيريز، إن الله لم يكن ليضلّ أمة فيها ابن محيريز[1].

◘ وهم الذين يستشفى بحديثهم، وتنزل الرحمة بذكرهم، ويسّاقط القطر من السبب بدعائهم.

قالت عائشة ﵂: عند ذكر عمر تنزل الرحمة.

وقال ابن حنبل عن صفوان بن سليم: من الثقات، يُستشفى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره[2].

* **وهم أمان للناس:**

قال رجاء بن حيوة: بقاء ابن محيريز أمان للناس.

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جُبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

قال رجل لميمون بن مهران: يا أبا أيوب! ما يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم».

قال ـ رحمه الله ـ: ثلاث لا تبْلُوَنّ نفسك بهن: لا تدخل على السلطان وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تصغينّ بسمعك إلى هوى، فإنك

---

(١) «السير» (٤/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦).
(٢) «السير» (٥/ ٣٦٤ ـ ٣٦٩).

لا تدري ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امـرأة ولو قلت: أعلمها كتاب اللَّه[١] .

قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري شيخ الإسلام عن إمام الأئمة ابن خزيمة: إن اللَّه ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر محمد بن إسحاق[٢] .

*** وفي بقاء العلماء العاملين الربانيين صلاح لهذه الأمة:**

قال يونس بن عبدالأعلى: أبو زرعة وأبو حاتم إماما خراسان، ودعا لهما وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين[٣] .

*** وهم سبب لنصر الأمة:**

قال مسلمة بن عبدالملك أمير السرايا: برجاء بن حيوة وبأمثاله نُنصر وما أمر محمد بن واسع ودعاؤه عند فتح كابل، وما خبر ابن تيمية في موقعة مرج الصفر من الناس ببعيد.

❑ وهم الذين ينقّون الدين مما علق به، وهم الذين ينفون عنه تحريف الغالين انظر إلى الجبل الشامخ أبي إسحاق الفزاري، وهو الذي أدّب أهل الثغور كان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه.

أمر سلطانًا ونهاه، فضربه مائتي سوط، فغضب له الأوزاعي وتكلّم في أمره.

أخذ الرشيد زنديقًا ليقتله، فقال الرجل: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟

---

(١) انظر «السير» (٥/ ٧١ ـ ٧٨)..

(٢) انظر ترجمته في «السير» (١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٨٢).

(٣) «السير» (١٣/ ٢٤٧ ـ ٢٦٣).

قال: فأين أنت يا عدو اللَّه من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها، فيخرجانها حرفًا حرفًا.

◻ وللَّه در القائل عنهم:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها ... كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظرًا حسنًا ... كأنكم في عيون الناس أقمارُ
لا أوحش اللَّه ربعًا من زيارتكم ... يا من لهم في الحشا والقلب تذكارُ

كلمات للحياة

*** أديب الإسلام مصطفى صادق الرافعي يبين علو شأن العلماء الربانيين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في شخص سيدهم أحمد بن حنبل:**

◻ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «كنتُ لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل، وقد ضُرِب بين يديْ المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه، فلم يتحوّلْ عن رأيه، فعلمتُ الآن أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولو هو صبر على هذا صبر الإنسان لجزع وتحوّل، ولو ضُرِب ضرب الإنسان لتألمّ وتغيّر، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحمد بن حنبل، فلو تحوّل لتحوّل الناس، ولو ابتدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أمة كاملة لا صبر فرد، وكان يُضرب بالسياط ونفسه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير، لما نالوا منه شيئًا؛ إذ لم يكن جسمه إلاَّ ثوبًا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير.

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من اللَّه، لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يُزرعون في الأمة زرعًا بيد اللَّه، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم ـ وهو يريد شيخنا

على غير رأيه وعقيدته ـ إلا كالأحمق، يقول لشجرة التفاح: أثمري غير التفّاح».

من ارتقى إلى سماء الرافعي عرف لآلئ بشر بن الحارث الحافي حين يقول عن الذين أجابوا في محنة خلق القرآن: «وددت أن رءوسهم خُضبت بدمائهم، وأنهم لم يجيبوا»[١] .

□ نعم مكانة العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عالية يهابهم من أجلها السلاطين والأمراء.

قال يعقوب بن شيبة: كان يزيد بن هارون يُعَدُّ من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

□ وقال يحيى بن أكثم: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومَن يزيد حتى يُتَّقى؟ فقال: ويحك إني لأرتضيه لا أن له سَلْطنه، ولكن أخاف إن أظهرته، فيردّ عليّ، فيختلف الناس وتكون فتنة[٢] .

□ وانظر إلى المعتصم مع إمام أهل السنة:

قال أبو زرعة: دعا المعتصم بعمٍّ أحمد، ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بن حنبل، قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم. ولولا أنه فعل ذلك، لكنت أخاف أن يقع شيء لا يُقام له. قال: ولما قال: قد سلّمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا.

قال الذهبي: قلتُ: ما قال هذا مع تمكنه في الخلافة وشجاعته إلاّ عن كبير أمر كأنه خاف أن يموت من الضرب، فتخرج عليه العامة، ولو خرج

---

(١) «السير» (١١/٣٢٣).

(٢) «السير» (٩/٣٥٨ ـ ٣٧١).

عليه عامة بغداد لربما عجز عنهم[1] .

انظر إلى علو مكانة العلماء وعزّهم لما قال الإمام أحمد بن حنبل: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز».

لما قبض الإمام أحمد صاح الناس، وعلتِ الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجّت، وامتلأت السكك والشوارع.

قال صالح بن أحمد: وحضر نحو مائة من بني هاشم، ونحن نكفّنه، وجعلوا يُقبّلون جبهته حتى رفعناه على السرير.

قال عبدالوهاب الورّاق: ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية ولا الإسلام مثله ـ يعني: من شهد الجنازة حتى بلغنا أن الموضع مُسِح وحُزِر على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف وحزرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب.

قال عبدالوهاب الورّاق: أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فسرّ اللَّه المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزّ وعلو الإسلام وكبْت أهل الزيغ.

وما صلوا ببغداد في مسجد العصر يوم وفاة أحمد.

◘ ولو لم يكن لأهل العلم إلا المنقبة التالية لكفتهم: «لولا أصحاب المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر». وأوثق ما لديهم المحابر وأغلى ما عند الشهيد دمه يوزن بأدنى ما عند العالم وهو مداد.

◘ وأهل الدنيا يعرفون شرفهم وفضلهم: فهذا ملك الهند شاهجهان بن جهانكير التيموري يزن العلاّمة الإمام عبدالحكيم السيالكوتيّ شيخ الهند مرتين بالفضة في الميزان ومنحه ما جاء في الوزن، وهو كل مرة ستة آلاف من

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ـ ترجمة الإمام أحمد (١١/ ١٧٧ ـ ٣٥٨).

النقود[١] .

☐ تعالَ وشاهد عزّ العلماء العاملين:

الشيخ كمال الدين بن الهمام قرره الأشرف برسباي سلطان مصر شيخًا في مدرسته فأعرض عنها بعد مدة، فعارضه جوهر الخازندار بغيره فغضب وقال: اشهدوا عليّ أني عزلت نفسي من هذه المشيخة وخلعتها كما خلعت طيلساني هذا، وتحوّل في الحال لبيت في باب القرافة، وبلغ ذلك السلطان فشقّ عليه وراسله يستعطف خاطره مع جقمق الذي صار سلطانًا وغيره من الأعيان فلم يُجب، وخشي جوهر غضب السلطان عليه بسببه فبادر للاجتماع به لتلافي الأمر فما أمكنه، فجلس بزاوية هناك كانت عادة الشيخ الصلاة فيها حتى جاء فقام إليه حاسر الرأس ذليلاً، فقبّل قدمه مصرّحًا بالاعتذار والاستغفار فأجابه بأنني لم أتركها بسببك بل للَّه تعالى.

وداوم على الأمر بالمعروف وإغاثة الملهوفين والإغلاظ على الملوك فمن دونهم[٢] .

* الملك الأشرف قايتباي الجركسي سلطان مصر والشيخ عبدالقادر الدشطوطي:

مرّ الملك قايتباي وهو راكب في موكبه على الشيخ عبدالقادر الدشطوطي، فنزل إليه وقبّل يديه، فقال الشيخ عبدالقادر له يومًا والذباب قد انعطف عليه: يا قيتباي، قل لهذا الذباب يذهب عني، فحار قايتباي فقال: يا سيدي: كيف يسمع الذباب مني. قال: وكيف تكون سلطانًا ولا يسمع

---

(١) «الإعلام» (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣١).

(٢) «الضوء اللامع» للسخاوي (٨/ ١٢٧).

الذباب منك. ثم قال سيدي عبدالقادر: يا ذباب اذهب عني فلم يبق عليه ذبابة[1].

◻ وتعالَ إلى ما قصّه العالم المفسر ابن كمال باشا وكان جده من أمراء الدولة العثمانية حكى عن نفسه أنه كان مع السلطان بايزيد خان في سفر وكان وزيره حينئذ إبراهيم باشا بن خليل باشا، وكان في ذلك الزمان أمير ليس في الأمراء أعظم منه يُقال له: أحمد بك بن أورنوس، قال: فكنتُ واقفًا على قدمي قدّام الوزير وعنده هذا الأمير المذكور جالسًا إذ جاء رجل من العلماء رث الهيئة فجلس فوق الأمير المذكور ولم يمنعه أحد عن ذلك فتحيّرت في هذا الأمر وقلت لبعض رفقائي: من هذا الذي تصدّر على مثل هذا الأمير. قال: هو رجل عالم مدرس يُقال له: المولى لطفي، قلت: كم وظيفته؟ قال: ثلاثون درهمًا.

قلت: فكيف يتصدّر على هذا الأمير ووظيفته هذا القدر؟ فقال رفيقي: العلماء معظّمون لعلمهم، فإنه لو تأخّر لم يرض بذلك الأمير ولا الوزير، فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف[2].

◻ قال الشيخ عبدالوهاب الشعراوي عن الشيخ العلامة شهاب الدين السنباطيّ الشافعي الواعظ: لم نرَ أحدًا من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله، وكان إذا نزل من فوق الكرسي يقتتل الناس عليه.

ولما مات أظلمت مصر لموته وانهدم ركن عظيم من الدين، وما رأيت في عمري كله أكثر خلقًا من جنازته إلا جنازة الشيخ شهاب الدين الرملي[3].

---

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٠).
(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨).
ويرحم اللّه من قال: طلبنا العلم لغير اللّه فأبى إلاّ أن يكون للّه.
(٣) «الكواكب السائرة» (٢/ ١١١ ـ ١١٢).

*** ملك العلماء عبدالعلي اللكهنوي والأمير والاجاه محمد علي خان الكوباموي:**

لما نزل ملك العلماء العلاّمة الكبير عبدالعلي بن نظام الدين السُّهالْوي اللكهنوي ومعه ستمائة نفس من رجال العلم بمدْراس ووصل إلى باب القصر استقبله الأمير بسائر أقاربه وأركان دولته راجلاً فأراد العلاّمة أن ينزل من المحفّة[1] فمنعه الأمير عن ذلك، وحمل المحفّة على عاتقه، ودخل دار الإمارة في قصر من قصورها، وأجلسه على الوسادة وقبّل قدميه، وتعود كل يوم أن يحضر لديه.

❏ «والإمام ابن دقيق العيد عظمته الملوك، وكان السلطان لاجين ينزل له عن سريره ويُقبِّل يده»[2] .

❏ وهذا سلطان اليمن في أيام الفيروز أبادي يكتب إلى الفيروز أبادي: «كانت اليمن عميًا فاستنارت فكيف يمكن أن تتقدم وأن تعلم أن اللّه قد أحيا بك ما كان ميتًا من العلم فباللّه عليك إلا ما وهبت لنا بقية هذا العمر، واللّه يا مجد الدين يمينًا بارّة إني أرى فراق الدنيا ونعيمها ولا فراقك أنت اليمن وأهله»[3] .

*** الشيخ الزاهد محمد بن حمزة الدمشقي المعروف بابن شمس الدين والسلطان محمد الفاتح:**

ظهر فضل الشيخ ابن شمس الدين حتى أن السلطان محمد خان ـ

(١) شيء شبيه بالهودج ولكنه يحمل على أعناق الرجال غالبًا.
(٢) «الإعلام» (٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩٤).
(٣) «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/ ٢١٠ ـ ٢١٤).
(٤) «الضوء اللامع» للسخاوي (١٠ ـ ٧٩ ـ ٨٦).

الفاتح ـ سلطان الروم دعاه للجهاد فقال ابن شمس الدين للسلطان: «سيدخل المسلمون القلعة في يوم كذا، فجاء ذلك الوقت الذي عيّنه لفتح القلعة فحصل مع بعض أصحابه فزع شديد من السلطان على الشيخ إذ لم يصح الخبر، فذهب إليه في تلك الحال فوجده في خيمته ساجدًا على التراب مكشوف الرأس وهو يتضرّع ويبكي فرفع رأسه وقام على رجليه وكبّر وقال: الحمد للّه مُنحنا فتح القلعة. قال الراوي: فنظرت إلى القلعة، فإذا العسكر قد دخلوا بأجمعهم ففرح السلطان بذلك، وقال: ليس فرحي لفتح القلعة إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني.

ثم بعد يوم جاء السلطان إلى خيمة صاحب الترجمة وهو مضطجع فلم يقم له، فقبّل السلطان يده وقال له: جئتك لحاجة، قال: وما هي؟ قال: أن أدخل الخلوة عندك، فأبى، فأبرم عليه السلطان مرارًا وهو يقول: لا، فغضب السلطان وقال: إنه يأتي إليك واحد من الأتراك فتُدخله الخلوة بكلمة واحدة وأنا تأبى عليّ، فقال الشيخ: إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينك فتختل أمورها فيمقت اللّه علينا ذلك، والغرض من الخلوة تحصيل العدالة فعليك أن تفعل كذا وكذا وذكر له شيئًا من النصائح، ثم أرسل إليه ألف دينار فلم يقبل، ولما خرج السلطان محمد خان قال لبعض من معه: ما قام الشيخ لي، فقال له: لعلّه شاهد من الزهو بسبب هذا الفتح الذي لم يتيسّر مثله للسلاطين العظام، فأراد بذلك أن يدفع عنك بعض الزهو[1].

* الملوك حُكّام على الناس، والعلماء حكّام على الملوك:

«قال أبو الأسود الدؤلي: الملوك حكّام على الناس، والعلماء حكّام

---

(١) «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٩).

على الملوك»[١] .

رحم اللّه من تسابق أبناء الملوك إلى تقديم نعالهم إليهم وحملها:

قال الخطيب البغدادي: «كان الخليفة المأمون قد وكّل الفرّاء يُلقِّن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفرّاء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفرّاء يُقدّمانها له، فتنازعا أيهما يُقدّمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، فقدّماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع إليه ذلك الخبر فوجّه إلى الفرّاء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعزّ الناس؟ قال: ما أعرف أحدًا أعزّ من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليّا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد منهما أن يُقدِّم له فردة. قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما من ذلك، ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، وأكسر نفوسهما عن شريفة حصلا عليها، وقد رُوي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهما ركابيهما حتى خرجا من عنده؟ فقال له بعض من حضر: أتُمسك لهذين الحَدَثْين ركابيهما وأنت أسنّ منهما؟ فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك؛ لأوجعتك لوْمًا وعُتبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبيّن عن جوهرهما»[٢] .

◘ وصبّ هارون الرشيد أمير المؤمنين الماء لأبي معاوية الضرير، فقال: أتدري من يصب ماء الوضوء عليك؟ قال: لا. قال: أمير المؤمنين، إكرامًا

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٤/ ١٥).

للعلم بأبي وأمي علماء ربانيون خدمتهم الملوك، ملوك الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وعلماء الآخرة تخدمهم الملوك.

☐ وابن تيمية الذي ملأ مشارق الأرض ومغاربها أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وصدْعًا بالحق لما مات في سجنه دخل أربعة من كبار الحفّاظ عليه يغسّلونه منهم الحافظ المزي، وكانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام بعد جنازة إمام أهل السنة ابن حنبل، وما استطاع شانئوه أن يخرجوا يوم موته خوفًا من بطش العامة بهم.

* شيخ الإسلام أبو خالد الإمام يزيد بن هارون:

قال عنه الذهبي: كان رأسًا في العلم والعمل، كبير الشأن.

قال أبو نافع سبط يزيد بن هارون: كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان ـ وأحسبه قال: شيخان، فقال أحدهما: يا أبا عبداللَّه، رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت له: يا أبا خالد، ما فعل اللَّه بك؟ قال: غفر لي وشفّعني وعاتبني، قال: قلتُ: غفر لك وشفّعك قد عرفتُ، ففيم عاتبك؟ قال: قال لي: يا يزيد، أتحدِّث عن جرير بن عثمان؟ قال: قلتُ: يا رب ما علمتُ إلاَّ خيرًا، قال: يا يزيد، إنه كان يبغض أبا حسن عليّ بن أبي طالب.

وقال الآخر: أنا رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلتُ له: هل أتاك منكر ونكير؟ قال: أي واللَّه، وسألاني: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: ألمثلي يُقال هذا؟! وأنا كنت أعلم الناس بهذا في دار الدنيا؟ فقالا لي: نم كنومة العروس لا بؤس عليك»[1].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/٣٤٦، ٣٤٧).

* **العلماء ملوك الدنيا:**

قدم الرشيد مدينة «الرقة» يومًا في موكبه، فأشرفت أم ولد لهارون الرشيد من برج الخشب والناس يتزاحمون خلف عبداللَّه بن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ حتى تقطّعت منهم النعال وارتفعت الغبرة... فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟! قالوا: عالم أهل خراسان قَدِم الرقة يُقال له عبداللَّه بن المبارك ـ فقالت: هذا واللَّه المُلك.. لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بِشُرْط وأعوان[1].

□ وسُئِل ابن المبارك: مَنْ الناس؟ قال: العلماء.

قيل: فمن الملوك؟؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السِّفْلة؟؟ قال: الذي يأكل بدينه.

□ ورضي اللَّه عن عمر بن عبدالعزيز حيث قال: لأن يكون لي مجلس من عبيداللَّه[2] ـ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

* **طاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء:**

أجاد ابن القيم حين أوجز قوامة العلماء على الأمة حكامًا ومحكومين باعتبارهم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففسّر في سطور قليلة قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ قال: إن أولي الأمر العلماء أو الأمراء.

ثم قال: والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/١٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/٣٨٤)، و«وفيات الأعيان» (٣/٣٣).

(٢) أحد فقهاء المدينة السبعة.

* إلى اللَّه نشكو أهل الممالك من أهل ملَّتنا :

«ماذا يملك أفذاذ الرجال الذين أعطاهم اللَّه البصيرة والنور حينما يَرَونَ الحالة الأليمة التي تتردَّى فيها الأمة؟! إلا أن يتوجهوا إلي ربهم بالشكوى، ثمَّ يُجرِّدوا ألسنتهم وأقلامهم لتبصير الناس وتوجيههم الوجهة الصحيحة.

هذا عالم فذٌّ من علماء الأندلس يجأرُ بالشكوى إلى اللَّه، يشكو ملوكَ زمانه؛ لانشغالهم بالدنيا عن الآخرة، وبعمارة القصور عن عمارة الشريعة، ويجمع المال عن حماية الديار.

وفي مثل هذا الجو يضعُف الأخيار ويكثر الأشرار، ويستشرف أعداء الإسلام السِّيادة والسلطان، وهذا ما حدث، عندما اتخذ بعضُ الملوكِ اليهودَ وزراءً وعمَّالاً سلَّطُوهم على رقاب المسلمين فاستأسدوا، وضَارّوا المسلمين، وتجرَّأ زعيمهُم على كتابة كتابٍ يتهجم فيه على كتاب اللَّه الكريم، ويزعم أنه متناقض. فكتب ابن حزم كتابه هذا[1] ، وبدأه بالشكوى: «اللَّهم إنَّا نشكو إليكَ تشاغُل أهل الممالك ـ من أهل ملتنا ـ بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصورٍ ـ يتركونها عمّا قريبٍ ـ عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ـ ربما كانت سببًا إلى انقراض أعمارهم، وعونًا لأعدائهم عليهم ـ عن حِياطة ملَّتهم التي بها عزُّوا في عاجِلَتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهلُ القبلة والذّمة، وانطلقت ألسنةُ أهل الكفر والشرك بما لو حقَّق النظر أربابُ الدنيا لاهتموا بذلك ضِعفَ هَمِّنا؛ لأنهم مُشاركون لنا فيما يلزم الجميع، من الامتعَاضِ للديانة الزهراء، والحميَّة للملة الغرَّاء، ثمَّ هُم بعدُ مُتردُّون بما يؤول إليه إهمالُ هذه الحال، من

(١) كتاب «الردُّ على ابن النغريلة اليهودي» ص(٤٥ ـ ٤٦) تحقيق د. إحسان عباس ـ نشر مكتبة دار العروبة ـ القاهرة.

فساد سياستهم والقدح في رياستهم. فللأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب، واللَّه أعلم بالصواب، وقد قال علي بن العباس:

لا تَحْقِرنَّ سُبَيْبًا كم جرَّ أمرًا سُبَيْبُ

□ وقال أبو نصر ابن نباتة:

فَلاَ تَحْقِرَنَّ عدوًّا رماكَ وإنْ كَانَ في سَاعِدَيْه قِصَرْ

فإنَّ السيوفَ تحزُّ الرقابَ وتعجَزُ عمَّا تَنالُ الإِبَرْ

لقد كان في المسلمين بقية خيرٍ؛ فقد أثَّرت كتابات الأخيار فيهم، وأثارت حميَّتهم قصائد الشعراء الذين بيَّنوا مساوئ اليهود، ومنها قصيدة أبي إسحاق الألبيري التي يقول فيها:

وإنِّي احتللتُ بِغرْنَاطَةَ فكنتُ أراهم بهَا عابثِينْ

وَقَدْ قسَّموها وأعمالَهَا فمنهُمْ بكلِّ مكانٍ لَعينْ

وَهُمْ يَقْبِضُونَ جِبَاياتِهَا وأنْتُمْ لأوضَاعِهَا لابِسُونْ

وهم أُمَناكم على سِرِّكمْ وكيفَ يكون أمينًا خَئُونْ

وثار المسلمون وهبُّوا جميعًا في ثورةٍ عارمةٍ أودت بحياة أربعمائة مجرمٍ يهودي، منهم ابن النغريلة، هذا الذي بلغ مرتبة الوزارة.

ما أشبه الليلةَ بالبارحة! ومُصابُ اليومِ أعظمُ، فأهل الممالكِ في زماننا أقاموا لليهود دولة في مَسْرى الرسول ﷺ، وباعوا الأرض المباركة بعرضٍ حقيرٍ، واعترف بعض هؤلاء بدولة أبناءِ الخنازير، واستقبلوهم في ديارهم. تُرى، لو كان ابن حزم حيًا ماذا يقول، وماذا يكتب؟ وتراه لو كَتَب، أيحرِّك أشجان المسلمين؟! إلى اللَّه نشكو، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العظيم»[1].

---

(١) جولة في رياض العلماء» للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(١٠٣ ـ ١٠٥)ـ طبع دار النفائس ومكتبة الفلاح.

لا يعلم إلا اللَّه ـ إن لم يأمرِ الربانيُّون بالمعروف وينهون عن المنكر ـ ما سيكون، والوحل والحضيض الذي تعيش فيه الأمة يُدمي القلوب والعيون، والمسلمون ينحدرون من هاوِيَةٍ إلى هاوية، ويتقهقرون من نكسة إلى نكسة، ويتهافتون من خَرابٍ إلى خرابٍ.

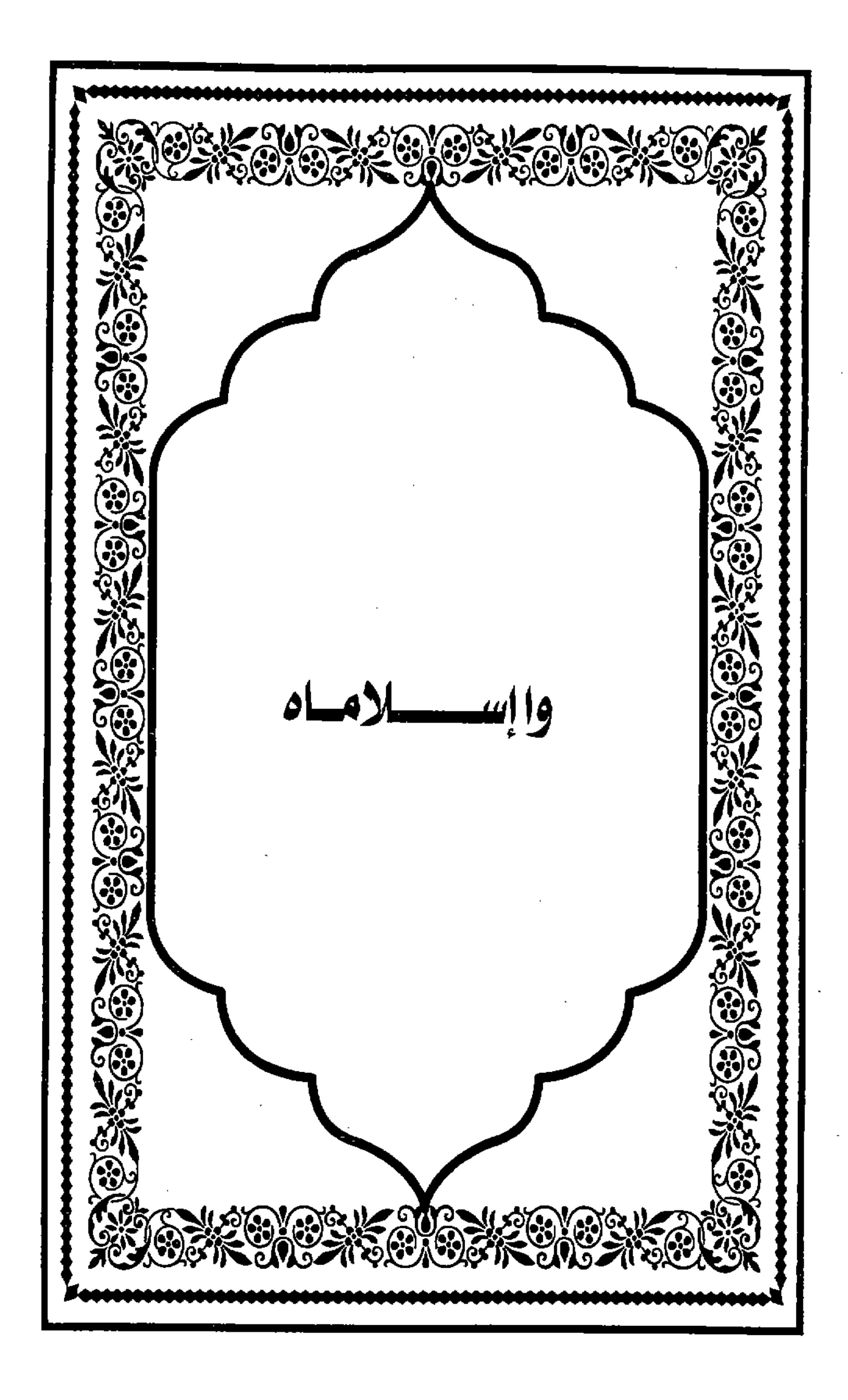
ألفَت الأمة الآثام، حتى أمست جزءًا من كِيَانِها تتمسَّك به وتدافع عنه، حَالُهم مثلُ حال الأُمم التي قال اللَّه عز وجل فيها: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ...﴾ الآية [النحل: ٦٣] جعل القبيح في عيونهم حَسَنًا، والمُرّ في مذاقهم حلوًا، وكرّه لهم الاستقامة ووَحي السماء، فهم لا يرتضُون إلا ما ابتدعوا، ولا يقبلون عنه بديلاً.

ومثال ذلك الواضح: كان القذرُ الجنسّي يتمُّ في خَفَاءٍ، ثم صار يبدو على استحيَاءٍ، ثم تواضعَ عليه الرِّعَاعُ، ثم صار قانونًا يُعملُ به، ثم انعقدت مؤتمراتٌ عالَمية تدعو إليه ولا ترى فيه عِوَجًا فمَن يُعرِّي هؤلاءِ العُراة ويفضحهم إن سكتَ الربانيُّون؟!

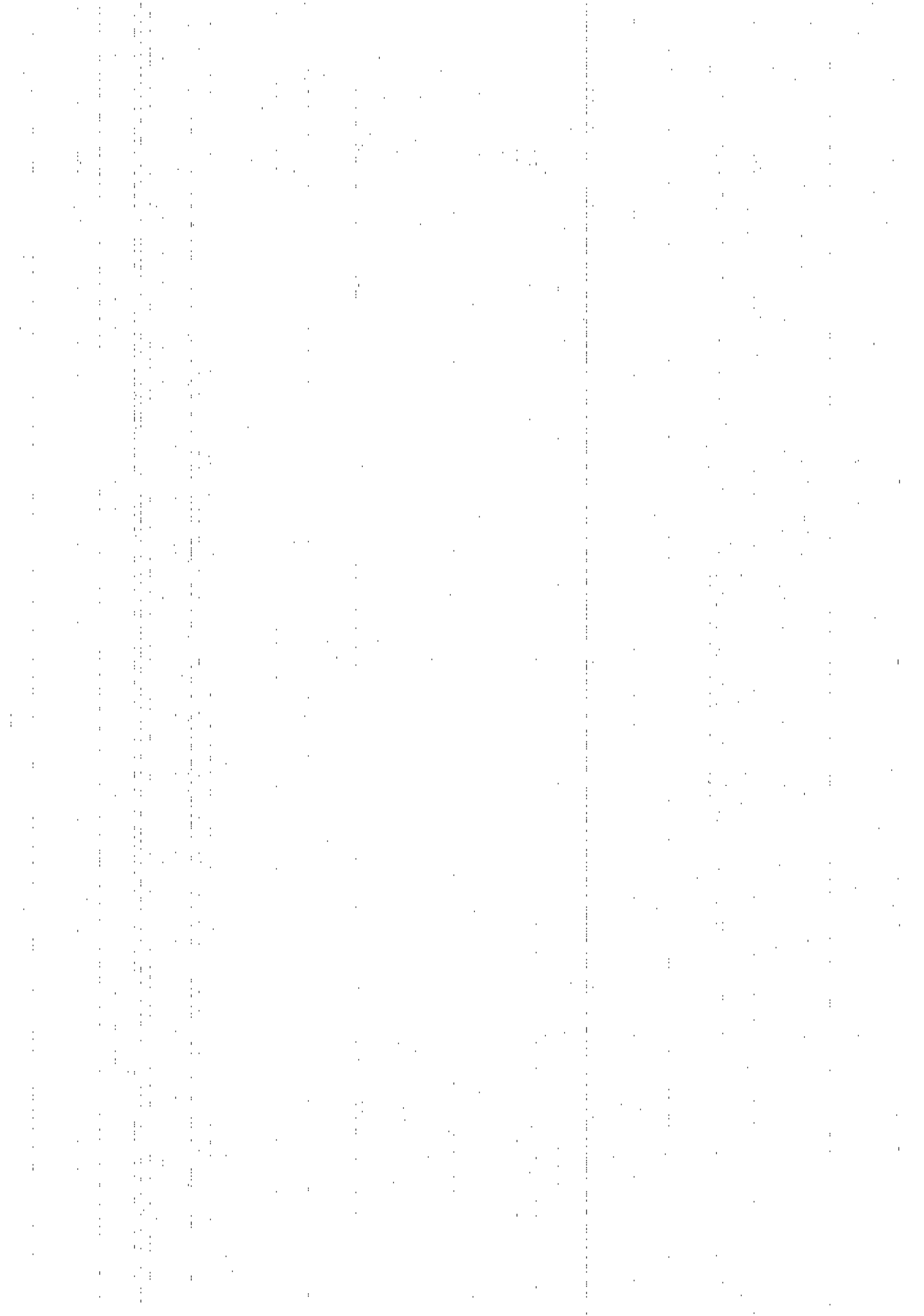
ناشئةٌ حديثةٌ تكره اللَّه ورسوله، وتنقم على الإسلام ووحيه، وتريد باسم العلمانية أن تعيدنا إلى جاهلية عمياء..

ومن لهؤلاء الأقزام يصدُّهم إلا الجبال الشُّمُّ من الربانيين الذي ذاقوا حلاوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستعذبوا ما يُلاقون، ابتغاءَ وَجه ربهم الأعلى؟! يا جيل المصاحف. أكلت مواسِمَنا الجنادب.. واستبدَّ بنا الحواة، وغادرتنا آخرُ السُّحُبِ الحميمةِ في السماء.

وأقول يا جيل المصاحف.. يا خميرَ الأرض.. يا غَرسَ الشهادة، أنت الذي سيبدِّل الأوزانَ والأحزان، يزرعُ في العيون نخيلَها، فَلَكَم تباطَأ في الرحيل عن القُرى عامُ الرَّماد!!



وا إسلاماه



وا إســــــلاماه

لله در الإمام ابن بطة العكبري وهو يصور غربة الدين في أيامه فيقول: «يا إخواني عصمنا الله وإياكم من غلبة الأهواء، ومشاحنة الآراء، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطأ وشماتة الأعداء، وأجارنا وإياكم من غِيَر الزمان، وزخاريف الشيطان، فقد كثر المغترون بتمويهاتها، وتباهى الزائغون والجاهلون بلبسة حلتها، فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأمم قبلنا، وحلَّ الذي حذَّرَنَاه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف، وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا، وترك الجمهور منا ما به أمرنا، فخلعت لبسة الإسلام، ونزعت حلية الإيمان، وانكشف الغطا، وبرح الخفا، فعبدت الأهواء واستعملت الآراء، وقامت سوق الفتنة وانتشرت أعلامها، وظهرت الرِدَّة وانكشف قناعها، وقُدحت زناد[٢] الزندقة فاضطرمت نيرانها، وخلف محمد ﷺ في أمته بأقبح الخلف، وعظمت البليَّة واشتدت الرزيَّة، وظهر المبتدعون، وتنطَّع المتنطِّعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وهُتِكتْ سُجفُ[٣] المشاينة، وشُهِرَ سيف المحاشة[٤] بعد أن كان أمرهم هيِّنًا، وحدهم ليِّنًا، وذاك حتى كان أمرُ الأمَّةِ مجتمعًا، والقلوبُ متآلفةً والأئمةُ عادلةً، والسلطانُ قاهرًا، والحقُّ ظاهرًا، فانقلبت الأعيانُ، وانعكس الزمانُ، وانفرد كلُّ قومٍ ببدعتهم، وحزب الأحزابُ، وخُولِفَ الكتابُ، واتخذ أهلُ الإلحادِ

---

(١) أي من أحداثه.

(٢) الزند هو العود الذي يُقدح به النار.

(٣) السجف: الستر.

(٤) أي شُهِرَ سيف الفُرقةِ والخِلاف.

رءوسًا أربابًا، وتحولت البدعة إلى أهل الاتفاق، وتهوك[١] في العسرة العامة وأهل الأسواق، ونَعَقَ[٢] إبليسُ بأوليائه نعقةً فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فألبسوا شيعًا، وميزوا قطعًا، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة، والمذاهب المخالفة، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، وما ذاك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر اللَّه، وصدفهم عن الحقِّ، وميلهم إلى الباطل، وإيثارهم أهواءهم، وللَّه عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رسله، فأُشْعِلَت نيران البدع في الدين، وصاروا إلى سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب مَنْ قبلهم مِنَ الأمم الماضين، وصرنا في أهل العصر الذين وردت فيهم الأخبار ورويت فيهم الآثار»[٣] .

❑ وقال أيضًا: «فلو أنَّ رجلاً عاقلاً أمعن النظر اليوم في الإسلام وأهله، لَعَلِمَ أنَّ أمورَ الناس تمضي كلها على سنن أهل الكتابين وطريقتهم، وعلى سُنَّة كسرى وقيصر، وعلى ما كانت عليه الجاهلية، فما طبقة من الناس، وما صنف منهم إلا وهم في سائر أمورهم مخالفون لشرائع الإسلام وسُنَّة الرسول ﷺ، مضاهون فيما يفعل أهل الكتابين والجاهلية قبلهم، فإنْ صَرَّفَ بصرَهُ إلى السُّلطنة وأهلها وحاشيتها، ومَنْ لاذ بها من حكامهم وعُمَّالهم، وَجَدَ الأمر كله فيهم بالضد مِمَّا أُمِرُوا به ونُصِّبُوا له في أفعالهم وأحكامهم وزِيِّهم ولباسهم، وكذلك في سائر الناس بعدهم من التُّجَّار والسوقة وأبناء الدنيا وطالبيها من الزُّرَّارع والصُّنَّاع والأُجَراء والفُقَراء والقُرَّاء والعلماء، إلا مَن عصمه اللَّه، ومتى فكَّرت في ذلك وجدت الأمرَ كما أخبرتك في المصائب والأفراح، وفي الزيِّ واللِّباس، والآنية والأبنية والمساكن

---

(١) التهوك: التهور والوقوع في الشيء بغير مبالاة.

(٢) نعيق الشيطان: هو الصياح والنوح.

(٣) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» (١/ ١٦٣).

والخُدَّام والمراكب والولائم والأعراس والمجالس والفرش والمآكل والمشارب، وكل ذلك، فيجري خلاف الكتاب والسُنَّة بالضد مِمَّا أمر به المسلمون، ونُدِبَ إليه المؤمنون، وكذلك مَنْ باع واشترى وملك واقتنى واستأجر وزرع وزارع، فمن طلب السلامة لدينه في وقتنا هذا مع الناس عدمها، ومَنْ أحبَّ أن يلتمس معيشة على حكم الكتاب والسُنَّة فقدها، وكثر خصماؤه وأعداؤه ومخالفوه ومبغضوه فيها، فاللَّه المستعان، فما أشد تعذُّر السلامة في الدين في هذا الزمان، فطرقات الحق خالية مقفرة موحشة، قد عدم سالكوها، واندفنت محاجها وتهدَّمت صواياها[1] وأعلامها، وفقد أدلاؤها وهُدَاتها، قد وقفت شياطين الإنس والجن على فجاجها وسبلها تتخطَّف الناس عنها، فاللَّه المستعان، فليس يعرف هذا الأمر ويهمه إلاَّ رجلٌ عاقلٌ مُمَيِّزٌ عاقلٌ قد أدَّبه العلم، وشرح اللَّه صدره بالإيمان»[2] .

* وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه:

أنصمتُ وتنطق شفاه نجسة مخمورة من زنادقة على أبواب جهنم؟!.. نخبة فاسدة مفسدة.. زرع الشيطان ونبته تسخر من كتاب اللَّه وترفض تطبيق شرعه؛ لأنه شرع بدوي متخلف كان يصلح للرعاة الحفاة في القرن السابع، لكنه لا يصلح لنا الآن!!!

كفر عفن تروّج له هذه النخبة المارقة.. فديننا عندهم أكذوبة، ونبينا ﷺ عندهم دعيّ وإلهنا وهم وسراب وأساطير الأولين.

❑ نخبة نجسة تحمل للدين كل الازدراء تتحدث عن تخاريف البخاري والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

---

(١) هي الحجارة التي تُوضَع علامات للشيء.
(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

❑ نخبة نجسة لم تركع للّه ركعة ولم تقرأ من القرآن آية إلا هزوًا، ولا تكتفي بذلك بل تريد أن تملك حق تحديد مواصفات الإسلام الذي ينبغي أن نسير عليها حتى لا نوصم بالتخلف أو نتهم بالإرهاب.

❑ نخبة انفجرت في بلادنا منذ أعوام بإدانة مفعمة بالاشمئزاز منا فيقول فاجرهم «أولئك المتخلفين الإرهابيين الذي بلغ من تخلّفهم أنهم يرفضون جلوس المرأة عارية ـ تمامًا ـ أمام الرسّام ليرسمها!!!».

❑ نخبة من الذئاب والخنازير والأفاعي تدافع عمن يقول عن السيدة خديجة ﵂ أنها كانت نصرانية وقد تآمرت مع عمها ورقة بن نوفل النصراني أيضًا في مؤامرة كبرى كان موجزها: كيف يمكن أن يصنعا نبيًّا؟ ويقول الكتاب إنهما قد نجحا.

❑ نخبة نسوا وتناسوا أن اللّه قد عهد إليهم ألا يعبدوا الشيطان فعبدوه.

❑ نخبة منافقة خائنة يستنسخون في كل بلد جيلاً يسخر من دينه، جيلاً مخدوعًا مستنزف الوعي مخترق الذاكرة.

❑ نخبة نتنة عفنة لا تريد إلا الإسلام المسخ المشوّه.. تريد إبعادنا عن منابعنا التي لم ولن تجفّ أبدًا وإن شبّه لهم.

❑ نخبة منحرفة في نفق تيهها المظلم أرادت أن تزلزل ديننا وعقيدتنا وهي تتظاهر بالمطالبة بحرية الفكر ولا تقصد سوى حرية الكفر، وبحرية الرأي ولا تقصد إلا حرية الإلحاد.. هم عصابة مارقة وأعني بالعصابة وبالمروق كل مدلوله وكل حرف من حروفه وكل مفهوم من مفاهيمه.

❑ يريدون أن يسرقوا منا الإسلام ويأتونا بإسلام كشف محمد جلال كشك عن تفاصيله حين أطلقوا عليه في أضابيرهم في مؤتمر انعقد هناك اسم «الإسلام العيسوي» إسلام لا جهاد.. إسلام يتراجع فيه المسلمون عن عقد

بيعهم لأنفسهم مع اللَّه بأن لهم الجنة.. إسلام لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر.. إسلام لا يتدخل في السياسة ولا في نظام الحكم ولا في الاقتصاد ولا في مكافحة الظلم.. إسلام يعتبر المباح المشروط كتعدد الزوجات جريمة كبرى في نفس الوقت الذي يعتبر فيه الزنا حرية شخصية تنعقد مؤتمرات السكان من أجل الدفاع عنه.. أما الاعتراض على الشذوذ الجنسي فهو جريمة كبرى تدل على التخلف والهمجية.. إسلام لا دخل له بالإسلام.

فقد جاء عصرٌ للخصيِّين مرتعٌ
فكمم أحراراً وشـان حلائـلا
وقد جاء يوم نطلب العـار عنـوة
على عتبات الغرب نحدوا العوائلا
نزلنا بساحات الفرنجة سُجّداً
وخُنّا «صلاح الدين» سيفًا ونابلا
وهُنّا وصار الذي مربط نوقنـا
وهان على الأيـام أن نتخاذلا
ألا إن عِزَّ المرء ما عَزّ دينـه
وبئس نوالٌ جاء للذلِّ حامـلا

◻ هذا كيد الحانقين الكارهين لوحي السماء، فأين كيدهم من كيد اللَّه ومكره بهم.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يزال اللَّه يغرس في هذا الدين غرسًا، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة»**[1].

(١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن أبي عنبة الخولاني، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٩٢) رقم (٧٦٩٢)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢).

ومن هذا الغرس المبارك الذي يؤتى أكله كل حين بإذن ربه.

* الزنديق فرج فودة وتصدّي دعاة الإسلام له وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد الغزالي والشيخ الدكتور محمود مزروعة:

القميء فرج فودة الكاره الكريه.. الكاره للَّه ورسوله وشرعه وتاريخ الإسلام كله المستهزئ بصحابة رسول اللَّه ﷺ.. والذي لقبه الزعيم عادل بالشهيد!! و«الطيور على أشكالها تقع» ويكفي سرد بعض أقواله لنعلم أي مستنقع ووحل تدنّى إليه هذا الزنديق:

* ادعاؤه تفوّق القانون الوضعي على الشريعة الإسلامية:

❑ يقول: «أنا أرى أن حجم الانحلال الموجود في المجتمع المصري أقل بكثير اليوم على مدى التاريخ الإسلامي كله.. ورأيي أن القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في قضايا الزنا مثلاً، وأكثر مما ستحققه الشريعة لو طُبِّقت»[1] !!!

❑ ويقول في كتابه «الحقيقة الغائبة»: «والنتيجة ببساطة أن القانون الحالي يعاقب على جرائم يعسر على الشريعة أن تعاقب عليها ويعكس احتياج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة»[2] .

---

(١) «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة ص(١٧٨ ـ ١٧٩) نقلاً عن كتاب «من قتل فرج فودة» ـ للأستاذ الدكتور عبدالغفار عزيز ص(٣٢) ـ دار الإعلام الدولي، وكتاب «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة ص(٣١٥ ـ ٣١٦) ـ الطبعة الأولى.

(٢) «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة ص(١٢١) نقلاً عن «من قتل فرج فودة» ص(٣٢) و«أحكام الردة والمرتدين» ص(٣١٦).

* ويعلن رفضه لتطبيق الشريعة الإسلامية:

□ يقول فرج فودة في كتاب «حوارات حول الشريعة لأحمد جودة» ص(١٤ ـ ١٥): [«ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً أو خطوة خطوة».

□ ويقول أيضًا في نفس المصدر والصفحات: «وعمومًا هناك قاعدة إسلامية تقول: «ويجوز ارتكاب معصية اتقاء فتنة»، لذلك فأنا أقول إذا كان عدم تطبيق الشريعة معصية فلتكن معصية نسعد بارتكابها اتقاء لما هو أسوأ وهو الفتنة الطائفية.. الدولة الدينية سوف تقود للحكم بالحق الإلهي.. وهو حكم جاهل وكثيراً ما أدى لمظالم ومفاسد تقشعر منها الأبدان وسوف يؤدي إلى نفس الشيء في العصر الحالي..».

□ ويقول: «ولهذا كله أرفض تطبيق الشريعة وصوتي عال جدًّا في هذا الصدد».

□ ويقول في كتاب «الطائفية إلى أين»[1]: «إن الدعوة لإقامة دولة دينية في مصر يمثل ردة حضارية شاملة بكل المقاييس».

□ وفي كتاب «حوار حول قضايا إسلامية» ص(١٧٢) يقول: «إن الإسلام دين وليس دولة، وإن الدولة الإسلامية على مدى التاريخ الإسلامي كله كانت عبئًا على الإسلام وانتقاصًا منه وليس إضافة إليه»][2].

□ وفي محاورة معه يقول لمن يحاوره: «وأنا شخصيًّا أرفض تمامًا الدولة الدينية أيًّا كان شكلها، وبالتحديد في المجتمع المصري.. أرفض قيام دولة إسلامية دينية»[3].

---

(١) «الطائفية إلى أين» لفرج فودة ص(٢٠).

(٢) «أحكام الردة والمرتدين» ص(٣١٤ ـ ٣١٥).

(٣) «من قتل فرج فودة» ص(٣٠).

◘ وهو يرى أن الإسلام دين وليس دولة، ويثبت هذا في كتبه ويدعو المعترضين إلى إثبات العكس بالبيّنة»(١) .

*** إباحته للزنا :**

◘ يقول الدكتور عبدالغفار عزيز رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر ورئيس ندوة العلماء في كتابه «من قتل فرج فودة؟» عن فرج علي فودة: «والغريب أنه كان يُفتي بجرأة في كثير من قضايا الدين إلى حد إباحته للزنا في الإسلام، ويستدل على ذلك بقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ويرى أن عملية الإكراه والإجبار هي الممنوعة، أما إن تم ذلك من غير إجبار فلا شيء في ذلك، بل يتجرّأ على بعض كبار الصحابة ويدعي أن بعضهم كان يطلب ممن تعجبه الاستمتاع بها لأيام معدودات نظير إعطائها مقابل ذلك»(٢) .

*** يبيح صناعة الخمور وبيعها في مصر، ورفضه للشعائر الإسلامية :**

في محاورة معه نُشرت في كتاب «حوارات حول الشريعة»: «المجتمع الحالي في مصر ـ مثلاً ـ له إطار مدني مسموح فيه ببعض المظاهر المخالفة للدين لاعتبار الإطار المدني ـ الخمور متاحة في مصر ـ ولكن هذا أدّى إلى نتيجة وهي أن أقل دولة في العالم تستهلك الخمور هي مصر.

أن يوجد شيخ للأزهر أهلاً وسهلاً، أما أن يصطبغ المجتمع بالصبغة الدينية فلا».

وفي نفس المحاورة ص(١٩) يقول: «إن إطالة اللحى، وارتداء الملابس

---

(١) «حوار حول قضايا إسلامية» ص(١٧٣) نقلاً عن «من قتل فرج فودة» ص(٣١).
(٢) حوار خاص مسجل معه في ٢٩/٧/٨٩ نقلاً عن «من قتل فرج فودة» ص(٢٨).

الباكستانية بحجة أنها إسلامية، ومطالبة البعض بتسييد الحجاب، واستعمال السواك بدلاً من معجون الأسنان نوع من المرض الذي يجب استئصاله»!!.

❑ ويقول في كتابه «الطائفية إلى أين»: «ومن الطريف أن أذكر أني في بحث عن التطرف الديني قد انتقدت بعض مظاهر التراجع الإعلامي أمام المدّ الديني، وأعطيت مثالاً على ذلك بالحرص على إذاعة أذان الصلاة كاملاً مهما كانت البرامج المذاعة، بعد أن كان الأمر يقتصر فيما سبق على التنبيه إلى موعد الأذان، ثم تطوّر الأمر بعد ذلك إلى إذاعة أحاديث نبوية بعد الأذان، وأنه ليس ببعيد ذلك اليوم الذي نسمع فيه شرحًا للحديث النبوي بعد إلقائه!!»[1].

❑ ويعترض على تعطيل الأعمال في المصالح والوزارات الحكومية لقضاء الصلاة جماعة»[2].

❑ ويعترض أيضًا على اهتمام التوجيه المعنوي للقوات المسلحة بالناحية الدينية، وإصدار القوات المسلحة لمجلة دينية في ص(٣٧، ٣٨) من كتابه «النذير».

❑ ويحرّض الدولة على ضباط القوات المسلّحة المتزوجين من المحجبات وفي هذا يقول عدوّ الحجاب: «إن هناك مؤشرًا يصعب تجاهله، وهو انتشار ظاهرة الحجاب داخل أسر أفراد القوات المسلحة، وهو أمر ملحوظ في نوادي هذه القوات والحجاب في حد ذاته لا يمثل خطرًا، لكن الخطر أن يكون مؤشرًا لحجاب العقل، وللانسياق في السلفية التي تقود أحيانًا إلى مواجهة مع الشرعية، وليس مقصوداً بالطبع التصدي لمثل هذه الظاهرة، فهو أمر غير

(١) «الطائفية إلى أين» لفرج فودة ص(٣٦).
(٢) «النذير» لفرج فودة ص(٣٧ ـ ٣٨).

وارد، لكننا نوردها لمجرد رصد ظاهرة قد تكون لها دلالة»[١] .

* تطاول الكلب على سادات الصحابة:

زعم فرج فودة في المناظرة التي انعقدت في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة في يوم الأربعاء الثامن من يناير عام ١٩٩٢م، والتي كانت بعنوان «مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية». والذي كان هو والدكتور محمد أحمد خلف اللَّه يمثلان الجانب العلماني فيها، وكان فضيلة الشيخ محمد الغزالي والمستشار مأمون الهضيبي والدكتور محمد عمارة يمثلون فيها الجانب الإسلامي - زعم في هذه المناظرة أن واحد في المائة فقط من التاريخ الإسلامي يناصر الدولة الدينية، وأن ٩٩٪ يناصر الدولة العلمانية، وهذا هو ما يسميه «حجة التاريخ» التي كان لا يملّ من تكرارها، والتي كان يبغي من وراء تكرارها النيل من الشريعة والطعن في الإسلام.

وهذه النسبة الضئيلة التي يرى أنها تناصر الدولة الدينية في تاريخ المسلمين تتمثل في عهد عمر بن الخطاب، عشرة سنوات ونصف، وعمر بن عبدالعزيز بسنتان وثلاثة أشهر، والمهتدي باللَّه العباسي أحد عشر شهرًا، فيكون المجموع ثمانية أشهر وثلاث عشرة سنة أي واحد في المائة تقريبًا.

وفيما عدا هذه الفترة لا يرى في تاريخ الإسلام إلاَّ كتابًا أسود أحاطت به الظلمة من كل جانب، وقد ألف كتابه الحقيقة الغائبة ليكون بمثابة قراءة جديدة في عهود الراشدين والأمويين والعباسيين ينتصر بها لنظرية الـ ٩٩٪، ويؤكد بها صدق ما يقول من دعوى حكم الدولة الدينية بنسبة ١٪ فقط من عمر التاريخ الإسلامي أي من بعد وفاة النبي ﷺ إلى وقتنا الحالي»[٢] .

---

(١) «النذير» ص(٣٨).

(٢) «من قتل فرج فودة» ص(٤٣ - ٤٤).

◻ يعلن هذا القزم تعاطفه مع المرتدين الذين حاربهم أبو بكر وتخطيئه لأبي بكر في قتاله لمانعي الزكاة؛ لأنه ـ كما ذكر ـ فتح الذريعة إلى القتال بين أهل القبلة، وأن موقفه هذا يعد البداية الحقيقية لقتال المسلمين للمسلمين[١] .

◻ ويفتري على ذي النورين عثمان ﷺ فيقول عن سياسة الحكم في أيام الراشدين: «لا قاعدة إذن ولا نظام للرقابة، والأمر كله موكول لضمير الحاكم، إنْ عدل وزهد كان عمر، وإن لم يعدل وتمسّك بالحكم كان عثمان!!

لقد أعلن عثمان أن نظام الحكم الإسلامي يستند إلى القواعد التالية:

١ ـ خلافة مؤبدة.

٢ ـ لا مراجعة للحاكم ولا حساب ولا عقاب إن أخطأ!!!

٣ ـ لا يجوز للرعية أن تنتزع البيعة منه أو تعزله. ومجرّد مبايعته له مرة واحدة تعتبر مبايعة أبدية، لا يجوز لأصحابها سحبها لو رجعوا عنها أو طالبوا المبايع بالاعتزال؛ ولأن أحدًا لا يقرّ ولا يتصوّر أن تكون هذه مبادئ الحكم في الإسلام قتله المسلمون»[٢] .

◻ كذا يتطاول هذا القميء على ابن عباس، ويتهمه بالاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل، وتهكمه عليه، وعلى من يحاول أن يكحل عينيه تأسيًا بابن عباس ﷺ، وقوله: «لو قرأ ما قرأناه عنه ما تأسّى به وما اكتحل مثله»، ويمكن مراجعة ذلك، وتطاوله على العشرة المبشرين بالجنة في كتابه «الحقيقة الغائبة» في صفحات ٥٤ إلى ٦٠[٣] .

---

(١) «الحقيقة الغائبة» ص(٤٢ ـ ٤٤)، نقلاً عن «من قتل فرج فودة؟» ص(٤٤).

(٢) «الحقيقة الغائبة» ص(٢٨، ٢٩).

(٣) انظر «من قتل فرج فودة؟» ص(٤٥، ٤٦).

*** ويقول إن الجهاد في سبيل الأرض وحدها، ويطلق اسم الشهيد على غير المسلم الذي يُقتل دفاعًا عن الأرض:**

يقول هذا الأفّاك الأثيم: «إنني عندما أدافع إنما أدافع عن مصر، وإنما أرفض أن يُضام مصري وأن يكون لمواطن حق الشهادة لأنه مصري مسلم، ولا يكون لمواطن آخر هذا الحق لأنه ذمي، وأرفض أيضًا أن يكون حق الحكم لفريق دون فريق، أو أن يكون حق التشريع لفريق دون فريق، أو أن يكون حق ولاية القضاء في أي أمر لفريق دون فريق، أو أن يكون حق الدفاع عن الأرض ـ وأكرر الأرض ولا شيء غير الأرض ـ لفريق دون فريق»[1].

✍ قاتلك اللَّه أتطلق الشهادة أعلى مراتب أهل الجنة على غير المسلم، وهذ إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة.. ما أشد جرأتك في التطاول على دين اللَّه!

*** موقفه من جون جارانج الصليبي زعيم المتمردين في جنوب السودان:**

قال فرج فودة عن الصليبي جون جارانج: «قيادات الجنوب وعلى رأسهم جارانج التي تُعارض انتماء السودان العربي والإسلامي تستحق وسامًا ويجب مساندتها في سعيها»[2].

📖 ويقول في حوار تم بينه وبين محرّر جريدة السودان الحرّ، والذي نُشِر في العدد السادس فبراير سنة ١٩٩٢: «تجربة جنوب السودان خاصة فترة ١٩٧٢ ـ ١٩٨٣ ـ كانت أخصب تجربة لكنها ضُربت لسببيْن هما: أولاً: إعادة تقسيم الجنوب، وثانيًا: تطبيق الشريعة، وعندما يدخل الدين في السياسة فإن ذلك يمزّق أي وطن ويُخرّب أي وطن وبالتحديد السودان الذي

(١) «قبل السقوط» لفرج فودة ص(٨١) نقلاً عن «من قتل فرج فودة؟» ص(٦٩).

(٢) «من قتل فرج فودة؟» ص(٧٧).

هو أكثر حساسية».

* نسفه لعقيدة الولاء والبراء:

□ يقول هذا المارق في شريط سُجِّل له في ١٩٨٩/٧/٢٩م: «خليق بمثلي أن يشعر بالأسى والأسف حين يرتفع صوت الدعاة معلنًا، أن الهندي المسلم أقرب إلى المصري المسلم من القبطي المصري ـ لا والله لن يكون ولن يكون؟ فالمصري لدينا، وأنا أقصد المصريين جميعًا، لا يتميّز إلا بحبه لوطنه وولائه لأرضه، وغير ذلك غرض في النفوس، ومرض في الصدور، وسوء في القصد، وسواد في النظرة، وفساد في الوطنية وإثم وطني عظيم»[1].

* الشيخ الغزالي وفرج فودة:

□ قال الشيخ الغزالي في صحيفة الوفد الصادرة في يوم الخميس ٢٥ يونيو سنة ١٩٩٢م: «فرج فودة بيقين كان خصمًا للإسلام ـ وهو لم يكن يداري هذا.. هو كان صريحًا في خصومته للإسلام كشريعة ونظام ومعاملات وشئون سياسية واقتصادية، وكان يهدد المجتمع بأفكار خبيثة مثل: إباحة زواج المتعة، وإباحة الرضاعة بين الكبار، وكلا هذين الرأيين رفضهما أئمة الفقه الأربعة في ثقافتنا الإسلامية».. إنه جعل التدين في الصحوة الإسلامية وليد انحرافات جنسية، وضغوط الكبت التي تحدث عنهما فرويد..» اهـ.

□ يقول هذا المجرم فرج فودة: «إن التيار الإسلامي كله خداع وكذب وتلفيق وتزوير للحقائق تدفع للاعتقاد بأنه وراء كل خسيسة ونقيصة في العالم. وحتى لا يكون الوصف قاصراً على الزمن الحاضر فإن تاريخ

---

(١) «من قتل فرج فودة؟» ص(٩١).

المسلمين كله ليس إلا امتدادًا للقهر والاستبداد». وقد قال ذلك ردًّا على الأستاذ فهمي هويدي الذي قال في إحدى مقالاته: «إن من حكام المسلمين من كانوا أهل حكمة وسداد وعلم وحزم»[1].

□ يقول الشيخ محمد الغزالي في حديثه عن فرج فودة: «كيف أُقنع رجلاً بأن الإسلام دولة وهو لا يؤمن بأنه دين. إن المقتنع بالوحي يكفي أن أقول له: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ ليقتنع بأن القرآن نزل ليحكم.

المشكلة أن يقول لك امرؤ أنا مسلم ولكني أبيح الخمر، وأنا أعرف منك بالإسلام..

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم يجيء بعدئذ من يصف مستبيح الخمر بأنه «المفكر الإسلامي الكبير ما هذا الهذر؟»[2].

وقد قال الشيخ محمد الغزالي في نفس المقال: «أما رأيي في الدكتور فرج فودة فهو صورة عربية للعقيد جون جارانج الزنجي الذي يحارب الإسلام في السودان، ويريد وضع دستور علماني لشماله وجنوبه معًا..

بقي ما قاله في آخر مقال نشرته له مجلة أكتوبر حيث زعم أن التدين المغرق يقوم على هوس جنسي، وأن المتدينين حاولوا تحريم حشو الباذنجان والفلفل؛ لأن هذا الحشو يثير الغريزة، ويذكّر بمسالك جنسية!!! أرأيت هذا الهبوط العقلي؟ أسمع امرؤ طول حياته بهذا الإسفاف؟ تلك هي الطبيعة العلمية لفرج فودة!! وقد ملأ مقاله بأفكار عن الدين والمتدينين لا تصدر إلا

---

(١) «من قتل فرج فودة» ص(١٠٥).

(٢) جريدة الشعب ٣٠/٦/٩٢ بعنوان «هذا ديننا».

عن ملتاث الفطرة مريض القلب».

فرج فودة وفئته العلمانية المقززة فئة بلا جذور وبلا فكر وبلا لون، وإن كان لها رائحة فهي رائحة نتنة لا تنبت إلا بترًا ونكدًا.

ولقد حاور الشيخ محمد متولي الشعراوي فرج فودة في جريدة اللواء الإسلامي، وبعد أن استمع إلى كثير من آرائه وأفكاره قال: «إذا كان هذا هو فكر الدكتور فرج فودة واعتقاده، فهو بذلك يعد خارجًا عن الإسلام»[1] .

❑ يقول الدكتور عبدالغفار عزيز رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر و«رئيس ندوة العلماء» عن فرج فودة:

«تفرّغ تفرّغًا كاملاً لتأليف الكتب وكتابة المقالات التي تركّز على موضوع الشريعة الإسلامية والتي قلنا إنها تخصصت في التعرّض لهذه الشريعة، وتشويه صورة الإسلام ورموزه بما لا يحتمله عقل ولا نقل، ووصل بكتاباته إلى حد تأويل آيات القرآن الكريم وإنكار الكثير من أحاديث النبي ﷺ الصحيحة، والتأكيد على قصر العمل بكثير من أحكام الشريعة على عصر النبي ﷺ ، وعلى أن الأوامر التي كانت تصدر من خلال القرآن أو السنة كانت أوامر شخصية لا يطالب بها إلا من نزلت في شأنهم أو قيلت في حقهم»[2] .

❑ وفي البيان الأول الصادر عن «ندوة علماء الأزهر» والذي نشرته جريدة النور في ٢٨ رمضان سنة ١٤١٢هـ قال الأستاذ الدكتور محمود حماية رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين فرع أسيوط:

«أما السقطة الكبرى للدكتور فودة والجريمة التي لا تغتفر بكل المقاييس

---

(١) «من قتل فرج فودة» ص(١٣٣).

(٢) «من قتل فرج فودة» ص(٢٧ ـ ٢٨)، حوار خاص مع فرج فودة تم تسجيله في ٨٩/٧/٢٩.

فهو هجومه السافر اللئيم على خيار صحابة الرسول ﷺ، لقد أعلن الحرب وتطاول على أبي بكر الصديق، ﷺ وتطاول على عثمان بن عفان ﷺ واتهمه بالظلم وعدم العدل، وتطاول على الصحابي الجليل ابن عباس ﷺ واتهمه بأنه لص سارق!! وتطاول على العشرة المبشرين بالجنة ﷺ الذين كان يجلّهم النبي ﷺ فأعلنها حربًا شعواء على الزبير وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد اللَّه وعبدالرحمن بن عوف، وإني أعتذر للقارئ الكريم عن نقل كلام هذا الكاتب وإجرامه في حق الصحابة الكرام تقديرًا لمكانتهم وحفاظًا على شخصيتهم وحتى لا نحقق رغبة هذا المارق في نقل الأباطيل وإشاعتها عن أكرم الرجال وأطهر الأصحاب، إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق معلوم النفاق.

أما الرجل ويشهد اللَّه على ما نقول: فهو يكتب بلا حياء ويسطو على محاريب العلماء ولا سند له من دين أو تاريخ أو علم أو خبرة أو أمانة.. وما أشبهه بذلك الذي قاله فيه شاعر قديم:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل»[1].

□ يقول القزم فرج فودة نصًا في كتابه «الحقيقة الغائبة» ص(٦٠) عن ابن عباس ﷺ: «هل الاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل حلال على مسلم لكونه عاصر الرسول أو الخلفاء أو الصحابة، حرام علينا لأننا جئنا في عصر غير العصر وزمان غير الزمان..» اهـ.

*** وقبل أن نسطر شهادة الدكتور محمود مزروعة نسجل ما سوّدته يد المجرم الأفاك الأثيم فرج فودة إفكًا وزورًا:**

يقول في آخر مقال له في مجلة أكتوبر تحت عنوان «اللَّهم لا حسد»

(١) «من قتل فرج فودة» ص(١٦٦، ١٦٧، ١٦٨).

قبل اغتياله بيومين: «الجماعات الظلامية لها من المشكلة الجنسية نصيب، صحيح أنها ظاهرة احتجاج سياسي لها أسبابها الاقتصادية والاجتماعية، ولها أيضًا غطاؤها الديني نتيجة تفسيرات صبيانية، إلا أن الجنس يلعب دورًا مؤثرًا في التفكير والسلوك..

في سمالوط منذ خمس سنوات حرّمت الجماعات أكل «الكوسة» والباذنجان.. حجة الجماعة أن (الكوسة) يتم حشوها وكذلك الباذنجان.. وفي الحشو إيحاء جنسي، هكذا زعم الصبيان.

إذن فالبائع يستحق الجلد، والمشترية تستحق أن يُقام عليها الحد. انتهت القصة حين لم يسمع إليهم أحد.

الحقَ أقول للقارئ إنني شعرت بتعاطف شديد معهم، البطالة وأزمة الإسكان وارتفاع المهور وغريزة الجنس لا ترحم، إذا اغتصب أعدموه، إذا هتك العرض طالبوا بإعدامه، إذا عالج مشكلته بنفسه أفتوا بحرمة ما فعل، فلتختف المرأة من أمامه، وأد البنات حرام، إذن فليكن النقاب هو الحل، ولتدفع المرأة الثمن، بيد أن الغريزة باقية، وهي غريزة لا ترحم، والكوسة والباذنجان لا بواكي لهما، إذن فلتدفع الكوسة الثمن، وليدفع الباذنجان الثمن، ولن يبكي على الكوسة أحد».

ويقول: «منذ أوائل القرن ونحن نلعب كرة القدم.. كانت عيوننا تتابع الكرة ولا أكثر، وظهرت الجماعات الظلامية وغريزة الجنس لا ترحم، تابعنا الكرة وتابعوا أفخاذ اللاعبين، كنا نهتف هذا لاعب فذّ، وكانوا يهتفون هذا لاعب فخذ، كما نهتف باللاعب اقذف الكرة في المرمى، أصبحوا يهتفون باللاعب: غطِّ فخذك أيها الداعر، اكتشفنا فجأة أن فخذ اللاعب عورة وفتنة، الأحاديث الدينية الصحيحة تنفي ذلك، كتبنا هذا ووثقناه ولم يستمع إلينا أحد انصرفت أذهانهم إلى «فتنة الأمرد»، الفتى الأمرد هو الفتى صغير

السن، أمامي كتاب من كتب زماننا السعيد، يقول الكاتب: إن فتنة الفتى الأمرد تعادل فتنة سبعين امرأة، في الملعب يوجد ٢٢ لاعبًا، فتنة كل منهم تعادل سبعين، أكثر من ألف وخمسمائة فاتنة تلهب خيال صبية الجماعات، ناهيك عن الحكم ومراقب الخط، أما الاحتياطي فيا ألطاف اللَّه، فتنة فتنة فتنة، مجتمع كافر لا يرحم، ألف وخمسمائة فاتنة في ملعب صغير، أزمة إسكان، وبطالة وارتفاع مهور، كتب وألم، ومعاناه بغير حد.

بعض كبار الفقهاء أصابهم المد، أحدهم أفتى ألا يجلس رجل مكان امرأة في الأتوبيس إلا بعد مرور دقائق عشر، الحكمة أن تختفي جرارة الجسد، آخر أفتى بكراهة تشريح الطبيبة لجثة الرجل، ثالث أفتى بحرمة أن تخلع الفتاة ملابسها أمام كلب ذكر، رابع أفتى بحرمة الموسيقى إذا اهتزّ الجسد، جسد.. جسد.. جسد.

من يُفتي معنا بحرمة هذا البلد، من يحترم معنا والدًا وما ولد، من يدرك معنا أن الإنسان خُلِق في كبد، وأن الحرمات كبد، وأن الكبت كمد، أيحسب هؤلاء أن كرامة الإنسان قد ضاعت سدى، أيحسب هؤلاء أن لا يقدر عليهم أحد»[1].

* تصدي الدكتور محمود مزروعة للعلمانيين وشهادته الجرئية في قضية القمئ فرج فودة:

تصدّى علماء الأزهر وعلى رأسهم «ندوة علماء الأزهر» لمقال فرج فودة، وطلب العلماء من الأستاذ الدكتور محمود حماية أمين عام ندوة العلماء كتابة رد على هذا السفيه، كتب الشيخ الجليل.

(١) مقتطفات من مقال «اللّهم لا حسد» آخر ما سطرّته يد الأفّاك فرج فودة قبل قلته بيومين نقلاً عن كتاب «من قتل فرج فودة؟» ص(١٩٤ ـ ١٩٧).

وتصدى الدكتور محمود مزروعة للعلمانيين ولفرج فودة فكتب قائلاً عن فرج فودة: «كان أسوأ الأمثلة لهؤلاء الذين أعلنوا الحرب ضد الإسلام والمسلمين، فقد كان عمله الوحيد الذي يصبح ويمسي عليه هو الكتابة ضد الإسلام عقائد وشرائع وأحكامًا ورموزًا، ولم ينج من بذاءته وافتراءاته شيء، طعن في القرآن حتى أعلن أن الالتزام بالآيات الصريحة يؤدي إلى الظلم والفوضى والفساد، وأن الخروج عليها ومخالفتها أمر ضروري، وطعن في السنة حتى زعم أنها لا تصلح لشيء، وأن الرسول ﷺ لم يثبت عنه سوى ستة عشر حديثًا فقط، وكل كتب السنّة بما فيها صحيح البخاري ومسلم مزوّرة مكذوبة لا يصح منها شيء، وطعن في الشريعة الإسلامية حتى زعم أن القانون الوضعي أصلح من الشريعة الإسلامية، وأن تطبيق الشريعة لا يمكن أن يحدث طالما بقي فيه عرق ينبض، وطعن في الصحابة حتى زعم أن أبا بكر رضي الله عنه من وضّاعي الحديث الذين لا دين لهم ولا خُلُق، وأن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قد سرق أموال المسلمين من بيت المال وفرّ بها إلى ديار أخواله، كل هذا وغيره كان عدو اللَّه هذا يتغنّى به ليل نهار، وما يمرّ صباح إلا وله مقال أو حديث أو محاضرة في الافتراء على الإسلام...».

على أنّ عدو اللَّه هذا ليس بدعًا من طوائف الشيوعيين والعلمانيين الملاحدة، بل هو مثال للآلاف منهم الذين نذروا حياتهم، ووقفوا جهودهم لحرب الإسلام والمسلمين والتطاول على اللَّه ورسوله ورموز دينه، والسخرية بكل هذا أو ذاك، وإن كان عدو اللَّه الذي ذهب كان أكثرهم توقحًا وتبجحًا وفجورًا، لذلك كان زعيمهم، وكان صاحب لوائهم، وقائدهم إلى حرب اللَّه ورسوله والمسلمين، وتكوّم الشيوخ خلف مكاتبهم يملؤهم الخوف على المناصب والكراسي، لا يعنيهم سوى ذلك شيء»[1] .

---

(١) «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة ص(٢٠ ـ ٢٢).

*** الشيخ الغزالي يجهر بكلمة الحق في قضية فرج فودة حين صمت أكثر الناس:**

❑ قال الدكتور محمد مزروعة رئيس قسم العقيدة بجامعة الأزهر عن الشهادة في قضية فرج فودة: «يعجب الإنسان وتأخذه الحيرة من أناس يُعَدّون من العلماء والمفكرين، بل من رءوس هؤلاء وأولئك، يدعون إلى أداء الشهادة فيمتنعون، وينهاهم ربهم عن كتمانها فيعصون ربهم ويكتمون، وهم يعلمون جيدًا أن القران بنصه القاطع الذي لا يقبل تأويلاً قد فرض على المسلم أداء الشهادة، وحرّم عليه كتمانها، وحكم على كاتم الشهادة بأنه آثم القلب، خبيث الضمير، ساقط المروءة، خاذل الحق، معين للباطل، شيطان أخرس.

وحين نتذاكر هذه المواقف المسيئة المحيّرة لطائفة من الذين يعتبرهم الناس علماء ومفكرين، يكتمون الحق، ويخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية، حين نتذاكر ذلك، لا ينبغي أن نغفل عن أمثلة مضيئة لامعة نيّرة، من علمائنا العاملين لا يخشون في اللَّه لومة لائم، من أمثال العالم الفاضل إمام الدعاة في عصرنا المجاهد بقلمه ولسانه صاحب الفضيلة الشيخ محمد الغزالي.

هذا الشيخ الفاضل العالم العامل ـ نحسبه كذلك، واللَّه حسيبه، ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ الذي ضرب المثل الرائع لهؤلاء المتقاعسين الكاتمين للشهادة، هذا العالم الفاضل سارع إلى ساحة القضاء ملبيًا نداء الحق، ليؤدي الشهادة في واحدة من أكثر القضايا المعاصرة حساسية، ذهب إلى ساحة القضاء رغم كبر سنه ـ بارك اللَّه في عمره ـ، ورغم مرضه ـ شفاه اللَّه ومتّعه بالصحة ـ، ورغم كثرة شواغله بالدعوة إلى اللَّه ـ أعانه اللَّه وسدّده ـ، ذهب الشيخ الفاضل وصدع بالحق، وقام للَّه، وشهد بالقسط، ووضع الحق في نصابه، وأعلن حكم اللَّه ـ سبحانه ـ في أعداء اللَّه المرتدين، ولم يثنه عن

الجهر بالحق، عصابات العلمانيين الملاحدة الذين ملأوا الدنيا ضجيجًا ونواحًا على قائدهم ورائدهم في مسيرة الباطل، وطريق الكفر والردّة، وكثر النواح والنباح عقب شهادة الشيخ الجليل، لكن الشيخ لم يعر هؤلاء ذرة من اهتمام، وكان من توجيهاته التي أفدت أنا منها ألا نقيم للنابحين وزنًا، ولا نعيرهم اهتمامًا، فإن الرد عليهم يعطيهم قيمة ليست لهم، ويمنحهم شرفًا لا يستحقونه.

◻ وهكذا ارتفع الشيخ الجليل فوق كاتمي الشهادة ممن يُحسبون على العلماء. ثم ارتفع فوق هؤلاء الذين ملأوا الدنيا نباحًا وتجريحًا من العلمانيين الملاحدة.

ومن قبل ذلك كله ومن بعده نحمده اللَّه تعالى ونشكره أن هيّأ للأمة أمثال الشيخ من العلماء العاملين الذين يؤاسون الأمة ويخفّفون من مصيبتها في العلماء الكاتمين»[1].

- ولما سُئل الشيخ الغزالي مِن قِبَل الدفاع بمحكمة أمن الدولة العليا بمجمع المحاكم بمدينة نصر عن حكم مَنْ يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحودًا أو استهزاء؟[2].

◻ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «الشريعة الإسلامية كانت تحكم العالم العربي والإسلامي كله حتى دخل الاستعمار العالمي الصليبي ـ وكرهه للإسلام واضح ـ فألغى أحكام الشريعة الإسلامية وأنواع القصاص وأنواع التعاذير وأنواع الحدود، وحكم الناس بالهوى فيما يشاءون. وقد صحب الاستعمار العسكري استعمار ثقافي مهمته هي جعل الناس يطمئنون إلى ضياع شريعتهم وإلى تعطيل أحكام اللَّه دون أن يتبرّموا. وأنا كأي مسلم أقرأ قوله تعالى:

(١) «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة ص(٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) كحال فرج فودة.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا..﴾ أجد الآية مقلوبة في المجتمع، وأجد القانون يقول: «إذا اتفق شخصان بإرادة حرة على مواقعة هذه الجريمة فلا جريمة وقد تُسمَّى حبًا وتُسمّى عشقًا، ولكن نص الشريعة عُطّل وروح الشريعة أُزهقت.. فكيف يقبل مسلم هذا الكلام أو يستريح لهذا الوضع، وبالتالي كيف يسخرون مني إذا قلت يجب إقامة الشريعة؟ وأعرف أناسًا كثيرين يرون تعطيل الشريعة ويجادلون في صلاحيتها ويثبتون حكم الإعدام الذي أصدرته الحكومات الأجنبية أو الاستعمار العالمي على هذه الشريعة التي شرّفنا اللَّه بها. إنهم يعدمونها إعدامًا، ويريدون تثبيت هذا الإعدام، ويجادلوننا باستهزاء أحيانًا في صلاحية الشريعة للتنفيذ. هذا كما قلت ليس بمؤمن إطلاقًا برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحدًا أو استهزاء، بل كما قال اللَّه تعالى في وصف هؤلاء الناس في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ويُعرف الإنسان المنافق من رفض حكم اللَّه.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. إلى آخر الآيات في نفس الموضوع.

□ سؤال من الدفاع: ما حكم من يدعوا إلى استبدال حكم اللَّه بشريعة وضعية تحل الحرام وتحرّم الحلال؟

□ قال الشيخ: ليس هذا بمسلم يقينًا. يقول اللَّه تعالى في هؤلاء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن

يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾.

سؤال: هل يعتبر هذا العمل عملاً كفريًا يُخرج صاحبه عن الملة؟

قال الشيخ: نعم، فمن رفض الحكم بما أنزل اللَّه جحدًا أو استهزاء هو بلا شك يخرج من الملة.

سؤال من الدفاع: هل يصح لإنسان النطق بالشهادتين أو الادعاء بالإسلام مع المجاهرة برفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوى إلى استبدال شرع اللَّه بشرائع الطواغيت من البشر؟

أجاب الشيخ: أولاً يقول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ بل إن بعض الناس كان يحلف أنه مؤمن ولكن ميله إلى الكفار وجبنه عن مقاتلتهم والدفاع عن الإسلام نفى الدين عنه وقد قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

ومعنى الآية أن قولهم مؤمنون مع تكذيب أعمالهم لهم لا يُقبل، والإيمان باتفاق العلماء قول وعقيدة وعمل.

ثم ألفت النظر إلى أن ديننا اسمه الإسلام.. أي الخضوع للَّه، ومعنى ذلك أن إبليس كان يعلم أن اللَّه حق ويجادله.. فرفض الأمر والنهي يُخرج الإنسان عن الملّة.

سؤال من الدفاع: هل يُعتبر من يأتي هذه الأفعال الكفرية والأقوال الكفرية مبدّلاً لدينه مفارقًا للجماعة؟

أجاب الشيخ: نعم يُعتبر مرتدًّا عن الإسلام»[1].

(١) «أحكام الردة والمرتدين» ص(٢٩٣ ـ ٢٩٦).

*** شهادة الأستاذ الدكتور محمود مزروعة أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر في يوم السبت ٣ / ٧ / ١٩٩٣م:**

◻ وجاء في هذه الشهادة القيّمة:

د. مندور: هل قرأت شيئًا من كتب المقتول فرج فودة؟

د. مزروعة: في الحقيقة أنا لم أسمع بفرج فودة إلا في عام، ربما ثمانية وثمانين، أو تسعة وثمانين. وقعت في يدي صحيفة «الأهالي» مرة عَرَضًا، فوجدت بها مقالاً بعنوان: «وختانه مسك» مرة ثانية عنوان المقال: وختانة مسك. حقيقة أنا ذهلت، وقتذاك ذهلت..

د. مندور: عنوان المقال: «وختانه» بالنون؟

د. مزروعة: نعم، وختانه مسك، أنا وقتذاك ذهلت من العنوان، إن العنوان جزء آية كريمة، حرّف شيء من القرآن، ووضع عنوانًا على مقال مسفٍّ جدًّا، شدَّني هذا إلى أن اسأل عن الكاتب، وأن أتابع ما يكتب، بعد ذلك قرأت له بعض الكتب وبعض المقالات. وكنت أتابع المقالات والكتب التي يصدرها، وكنا في ندوة العلماء نرد أحيانًا على ما يكتب هذا وأمثاله، فحينًا كان ينشر لنا، وأحيانًا لا ينشر، وهكذا، وأنا في وقتها ـ حين قرأت ذلك العنوان ـ ومعي زميل آخر فكرنا أن نرفع قضيته ضد هذا الذي حرف كتاب اللَّه وأخذ يسخر بهذه الصورة، يحرف بعض آية، ثم يضعه عنوانًا على مقال مسف بطريقة مثيرة.

لكن ما قرأته لفرج فودة بعد ذلك جعل هذا الذي كان أمرًا يسيرًا جدًّا؛ لأني قرأت له كتابًا أسماه «الحقيقة الغائبة»، وكتبًا كثيرة، لكن أسوأها جميعها هو هذا الكتاب، وأنا أتيت به معي راجيًا من الهيئة الموقرة أن تقبله ضمن أوراق القضية، وأنا وضعت على هوامشه علامات..

رئيس المحكمة: أنا لا آخذ منك شيئًا، قدمه لمحاميك أو هيئة الدفاع وهي تقدمه للمحكمة.

د. مندور: شكرًا لك يا دكتور على هذا الجهد المشكور، ونرجو أن تكون قد وضعت علامات على بعض الموضوعات المفيدة في الموضوع.

د. مزروعة: نعم أنا وضعت إشارات عند أكثر الموضوعات أهمية.

د. مزروعة: كان المرتد فرج فودة يقصد بعبارة: «الحقيقة الغائبة» يقصد بذلك حقيقة النبي والصحابة والإسلام، وقال: إنها غائبة نظرًا لأننا ـ كما صرح في مقدمة الكتاب ـ أننا تعودنا أن نقرأ الجانب المضيء لرسول اللَّه ﷺ وصحابته ﷺ والإسلام، وقد ركز بالذات على حكم الراشدين ﷺ ركز على حكم الخلفاء الراشدين، وأنا حين قرأت هذا الكتاب كتبت عن مؤلفه إنه عدو الإسلام، أو العدو الأول للإسلام، فهو هاجم الإسلام من جانبين:

هاجم نصوص القرآن العظيم القطعية الصريحة، وهاجم نصوص السُّنَّة الصحيحة، وهو عندما تكلم عن السُّنَّة ركز على لفظة «الصحيحة الثابتة» أي أنه يريد أن يبين لنا أنه متعمد لهذا المعنى عارف إياه، وليس هجومه عليها لجهل أو عدم معرفة. ركز على أن النصوص القرآنية القطعية والأحاديث الثابتة الصحيحة لا يجوز الالتزام بها، وإنما يجب الخروج عليها إذا كان في الخروج عليها مصلحة، وزعم أن القرآن والسُّنَّة لم يصلحا للتطبيق حتى لعشر سنوات بعد وفاة الرسول ﷺ، بدليل ـ كما يزعم ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عطل نصوص القرآن ولم يأخذ بها، وعطل السُّنَّة النبوية، وخالف رسول اللَّه ﷺ، وهذا الجانب الأول من جوانب حربه للإسلام والمسلمين في هذا الكتاب وفي غيره أيضًا..

لست أدري إن كنت أذكر دليلاً من أدلته ـ فيما يزعم ـ على عدم

صلاحية النص وأرد عليه أم لا؟

هل تسمحون لنا؟

د. مندور: تريد الكتاب لتقرأ منه هذا الدليل؟

د. مزروعة: لا، لا، أنا أعرف ما كتب في كتبه وأعيه جيدًا.

د. مندور: تفضل أكمل.

د. مزروعة: هو يزعم أن عمر بن الخطاب ﷺ قد عطل نصًّا قاطعًا في آية الصدقات بأنه لم يعط «المؤلفة قلوبهم» من الصدقات، والمسألة لا تحتاج إلى شرح طويل؛ لأنها مشهورة حتى عند العوام. يقول إن عمر بن الخطاب ﷺ جاءه جماعة من الناس..

أمين الجلسة ـ مستفسرًا ـ: المؤلفة ماذا؟

الشاهد مكررًا: يقول إن عمر بن الخطاب لم يعط المؤلفة قلوبهم سهمهم من الصدقات، فالآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ويدعي أيضًا أن عمر بن الخطاب لم يقم الحدّ على شارب الخمر الذي كان بين جند المسلمين في إحدى الغزوات.. أنا أردت هنا أن أوضح هذين الزّعْمين فقط؛ لأن الكثيرين يقعون فيهما ويضلون في فهمهما.

عمر بن الخطاب ﷺ لم يعط المؤلفة قلوبهم، لأنهم لم يكونوا موجودين، الرسول ﷺ اتخذ مؤلفة فأعطاهم، كان الإسلام ضعيفًا وكان الأمر محتاجًا إلى تأليف بعض ذوي المكانة، فكان الرسول ﷺ يعطيهم تألفًا لهم، واتقاء لشرِّهم.. لكن في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عز الإسلام، ولم يعد الإسلام بحاجة إلى أن يتألف أناسًا جلبًا لنفعهم أو دفعًا لضرهم. لذلك لم يتخذ عمر ﷺ مؤلفة؛ ولأنه لم يتخذ

مؤلفة فلمن يعطي الصدقات؛ ولأن الإسلام لم يعد بحاجة إلى تزلفهم، رفض عمر أن يتألفهم، وحين جاءوا يطلبون أعطياتهم، صرفهم دون أن يعطيهم شيئًا.

وذلك مثل ما حدث على أيام الخليفة العادل «عمر بن عبدالعزيز» ﷺ بالنسبة للفقراء والمساكين، فقد جاءته أموال الزكاة فبحث عن الفقراء فلم يجد، وبحث عن المساكين فلم يجد، لم يجد في المجتمع المسلم فقيرًا ولا مسكينًا يقبل أن يأخذ الزكاة، لذلك لم يعط فقيرًا ولا مسكينًا؛ لأنهم غير موجودين، وصرفها في مصارف أخرى، فعمر ﷺ لم يعطل، ولم يخرج على النص، وإنما ربط الأمور بأسبابها، وأرجع المعلولات إلى عللها.

الزعم الثاني: زعمه أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يجلد شارب الخمر، وعطل حدّ اللَّه تعالى في شارب الخمر، وكان ذلك في إحدى الغزوات.. هو قال في كتابه عن عمر ﷺ إنه عطل الحد أو منع إقامة الحد، لكن الحقيقة أن عمر ﷺ أجل إقامة الحد، حتى عاد الجيش إلى المدينة فأقام حدّ اللَّه على شارب الخمر، وإنما أجل عمر إقامة الحد لأمرين: الأمر الأول: أن شارب الخمر كان حديث عهد بالإسلام فخشي عمر ﷺ أن يجلده في أرض المعركة، فيرتد ويلحق بجيش الكافرين. الأمر الثاني: أن عمر ﷺ ببصيرته لم يرد أن يشاهد جواسيس العدو أمير الحرب أو قائد الجند يجلد أصحابه، لذلك أجل إقامة الحد.

لا خروج، ولا تعطيل، وفرج فودة في كتابه يقول: كانت وجهة نظر عمر صائبة، ويقول: يتضح من هذا أن عمر خرج على النص طلبًا للعدالة؛ لأن في التزام النص ضررًا وفسادًا.

د. مندور: هل تفضلتم بالرد على هذه النقاط في كتاب «الحقيقة الغائبة»؟.

د. مزروعة: لا، أنا فقط وضعت حواشي بسيطة مثل: هام، هام

جداً.

د. مزروعة: قلنا إن المرتد فرج فودة هاجم الإسلام من جانبين: جانب النصوص.

وكما هاجم الإسلام من جانب النصوص هاجم الإسلام أيضًا من جانب رموزه.

فالأمر الثاني الذي هاجم الإسلام منه، هو رموز الإسلام، أمثال الصحابة ﷺ بل أشياخ الصحابة وجلّتهم.. وأنا قد أعطيت أمثلة لهجومه على النصوص، وإذا أردتم أن أعطي مثالاً على تهجمه على الصحابة وعلى رسول الله ﷺ..

فيما يتعلق بالصحابة ﷺ، فقد بدأ بأبي بكر ﷺ شيخ الصحابة، فاتهمه بأنه وضاع للحديث، واتهمه بأنه وضع حديث: «الأئمة من قريش»، قال: عندما ذهب أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى سقيفة بني ساعدة، فوجد الأنصار ﷺ يوشكون أن ينصبوا خليفة لرسول الله ﷺ منهم. قال المرتد فرج فودة: عند ذلك سارع أبو بكر فذكر هذه العبارة التي هي: «الأئمة من قريش». قال: ولم يكن هذا حديثًا، وإنما وضعه أبو بكر قاصدًا أن ينتزع الإمامة من الأنصار ويضعها في المهاجرين. وعند هذه الجزئية وصف الوضاعين بأنهم منعدمو الأخلاق والدين والضمير واليقين.. إلى آخر ذلك، وهو يعني بهذه الصفات أبا بكر ﷺ.

بالنسبة لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال كثيرًا، بالنسبة للأصحاب ﷺ عثمان، علي، طلحة، الزبير، عائشة أم المؤمنين، عبدالله بن عباس حبر الأمة ﷺ ذكر ستة منهم واتهمهم بالاستيلاء على أموال الدولة ـ بيت المال ـ وقبل أن يدخل إلى الحديث عنهم قرر قاعدة قال فيها: انفتحت عليهم الدنيا، ودخل حب المال قلوبهم، ثم قال: ومحال أن يجتمع المال والدين

والعقيدة في قلب، بعد أن قرر هذا بدأ يتكلم عنهم، نقدهم واحدًا واحدًا، متهمًا إياهم بالسرقة، عبداللَّه بن عباس ـ على سبيل المثال ـ، وهذا حبر الأمة. له تفسير للقرآن اتهمه بأنه كان واليًا على إمارة، فاستولى على أموالها، ثم فر بها إلى ديار أخواله.

رئيس المحكمة: هل هذا موجود في الكتاب الذي. .

د. مزروعة: نعم كل هذا موجود في الكتاب، والذي أريد أن أوضحه أنه بعد أن عرض بهؤلاء الأجلاء من الصحابة وتهجم عليهم كتب في تهكم شديد يقول: وهؤلاء هم الذين بشرهم النبي بالجنة في تهكم شديد كتب هذه العبارة.

وأنا أحيل أيضًا إلى ما وضعه في هذا الكتاب، في نهايته وضع نتائج أخيرة، وضع: أولاً، وثانيًا، وثالثًا، ورابعًا. نتائج ختم بها الكتاب. في رقم واحد من هذه النتائج كتب عن الخلافة الإسلامية يقول: لم يكن هناك إطلاقًا ما يسمى بالخلافة الإسلامية، هناك خلافة لكنها عربية قرشية عصبية، هذا في رقم واحد من النتائج التي وضعها. . خلافة رسول اللَّه ﷺ وأصحاب رسول اللَّه ﷺ خلافة لا صلة لها بالإسلام كما يقول. . وفي أواخر النتائج التي وضعها في كتابه كتب يقول: «وهذا الأمر ـ يعني تطبيق الشريعة ـ لن يحدث أبدًا ما دام فيّ عرق ينبض».

له كتاب اسمه «الفتنة الطائفية» تكلم فيه عن النظام عندنا، وانتقد فيه النظام، من أنه يمنع الأقباط من رئاسة الدولة، رئاسة الوزراء، قيادة الجيش، المناصب العليا كلها، وأنه يمنعهم أيضًا من إقامة الكنائس إلا بتحفظات شديدة، وأنا أمشي في أي شارع من شوارع مصر فأعرف كذب هذه الدعوى. . تندر جدًّا أيضًا وقال. .

رئيس المحكمة: في أي كتاب هذا؟

د. مزروعة: في كتاب «الفتنة الطائفية».

الشاهد: تكلم في هذا الكتاب أيضًا ينعي استسلام الإعلام الرسمي لما أسماه: الدولة الدينية، يسميها ـ الاتجاهات الإسلامية ـ دولة دينية، وقال: لقد نبهت إلى ذلك في مقال لي حين ذعرت، لما سمعت الأذان يذاع كاملاً، من وسائل الإعلام ـ يعني التليفزيون والإذاعة ـ بعد أن كان فقط يشار إلى حلول وقته بكلمة، ثم قال: وقد تنبأت بأن التنازلات سوف تستمر، يقول: وقد صدقت نبوءتي فبعد أن كانت وسائل الإعلام تشير إلى الأذان، أصبح الأذان يذاع كاملاً، ثم أصبح يذاع بعد الأذان أحد الأحاديث النبوية، قال: ولا ندري ماذا يأتي بعد ذلك من تنازلات ومخاطر. . انتقد أيضًا أن تخصص الدولة إذاعة للقرآن الكريم، وزعم أن نسبة المستمعين إليها «صفر»، وتهجم على إذاعة القرآن المجيد، هذا كله وغيره في كتاب «الفتنة الطائفية».

له كتاب اسمه: «نكون أولا نكون». .

رئيس المحكمة ـ مقاطعًا ـ وموجهًا كلامه إلى رئيس هيئة الدفاع: الشاهد لا يشهد، وإنما يقول برأيه.

د. مزروعة: الحقيقة أن لي أكثر من ساعة ونصف الساعة وأنا أتحدث لم أقل رأيًا لي إطلاقًا، والشهادة التي أقيمها الآن، وأنا ـ أيضًا ـ أعلم أولادي ـ طلاب الجامعة ـ أننا حين نحاكم لا نحاكم أشخاصًا، وإنما نحاكم فكرًا، وأنا لم أر هذا الرجل ـ المرتد فرج فودة ـ، ولا صلة لي به إطلاقًا، وأدعو اللَّه ألا يجمعني به في الآخرة. . لكن أنا أذكر فكرًا، أنا قلت كتب كذا، وقال كذا، لم تسمعني الهيئة الموقرة أقول: يجب أن نفعل به كذا، أو رأيي كذا. إلى آخره. . أنا قلت ما قلت من خلال فكره.

بالنسبة لكتبه، له كتب كثيرة، خمسة أو ستة كتب، له كتاب ـ أيضًا ـ

عنوانه: «نكون أو لا نكون»، ومدى علمي أنه صودر عند صدوره؛ لأن فيه سبًّا شنيعًا لشيخ الأزهر الموجود حاليًا، وتهجمًا شديدًا على الإسلام وعلى علماء الإسلام.. وأنا أستحيي أن أذكر كلامًا كتبه، ومعنا سيدات؛ لأن تهجم بتوقح وإسفاف على الإسلام وعلمائه.. كان من منهجه ـ وهذا أيضًا فكره، فكر قرأته ـ كان يخترع شيئًا ثم يعتبره حقيقة، وينقده ليوهم الناس أن الذي اخترعه حق، ونسبته إلى الإسلام صحيحة، وأن الإسلام كذلك، كما ادعى أن علماء المسلمين قالوا: إن إسلام «روجيه جارودي» غير صحيح[1]، وإذا أردتم أن تتأكدوا من صحة إسلامه فاختبروه بالختان. زعم أن علماء المسلمين قالوا: اختبروه بالختان.. من هم علماء المسلمين هؤلاء الذين يتحدث عنهم، من هم علماء المسلمين الذين يأتيهم رجل يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، فيرفضون إسلامه، ويقولون: اختبروه بالختان، ليتحققوا إن كان إسلامه صحيحًا أم لا، وهذا غباء، فالذي فارق دينه وأعلنها صراحة، ما أسهل عليه أن يختتن إن كان قد أسلم نفاقًا، أو يهدف إلى شيء من وراء ذلك.. لكن فرج فودة ادعى على العلماء هذه الدعوى، ثم أخذ يناقشها تحت عنوان: «وختانه مسك»، كأنها أمر صحيح، وليوهم الناس أن علماء المسلمين قالوا ذلك فعلاً..

أيضًا.. في أخريات أحاديثه، في بعض كتاباته الأخيرة قال: إن علماء المسلمين يحرّمون «المحشي»، زاعمًا أنهم قالوا ذلك لما في صناعته من إيحاءات جنسية.. إلى آخر هذا السقط.. يذكر مثل هذه الافتراءات على

---

(١) القول الفصل في إسلام روجيه جارودي هو قول العلاّمة شيخ الإسلام ابن باز، وأنه كافر أصلي ليس بمرتد، وأنه لم يدخل الإسلام أصلاً حتى يرتد عنه، للَّه در ابن باز من إمام يقع على ما لا يقع عليه غيره.

للَّه در إمامنا من عالمٍ ... باز يصيد الطير وهو ضريرُ

علماء المسلمين، ثم يجلس فيناقشها كأنها حقيقة واقعة، دون أن يبين مَن مِن علماء الإسلام قال ذلك، أو أفتى به.. لكنه يذكر أشياء قمة في الإسفاف والسّفه ملصقًا إياها بعلماء الإسلام. أشياء كثيرة يعف لسان الإنسان أن يذكرها، لا يقصد منها إلا تجريح الإسلام والمسلمين.. له كتب كثيرة، ومقالات كثيرة، ليس له مقال واحد، ولا جملة واحدة خرجت منه في أي مجال، إلا في مجال واحد، وهي حرب الإسلام والمسلمين.. وأنا قلت مرة، وأقول مرة أخرى: أنا لم ألتق به، وليست لي به أدنى صلة، وأحمد اللَّه تعالى أني لم أره في الدنيا، واسأل اللَّه تعالى ألا يجمعني به في الآخرة إن شاء اللَّه تعالى.

د. مندور: ما مدى انطباق هذه المبادئ التي ذكرتها فضيلتك على وضع فرج فودة.. اتفضّل يا دكتور.

د. مزروعة: كنتُ أقول: إذا كان فرج فودة مرتدًا عن دين اللَّه تعالى.

رئيس المحكمة مقاطعًا: لا، ليس إذا كان، أنت قرأت..

د. مزروعة: أنا ذكرت ضوابط، هل أذكره شخصًا؟

د. مندور: أذكره شخصًا طبعًا.

د. مزروعة: فرج فودة مرتد عن دين اللَّه، نذر حياته لحرب الإسلام والمسلمين، كان إذاعة كاملة، وزارة إعلام كاملة تشيع الفساد والإفساد بين الناس، وهذا ينطبق عليه ما ذهب إليه العلماء.

... (هتافات متكررة من المتهمين وجمهور الحاضرين: اللَّه أكبر اللَّه أكبر، فليرتفع شأن الأزهر.

أ ـ ممدوح إسماعيل: هل المناظرات التي تمت بين الدكتور فرج فودة وعلماء الأزهر، والكتب التي قام بها بعض العلماء للرد عليه، هل تعتبر بمثابة إقامة حجة، واستتابة لفرج لفودة؟

د. مزروعة: تعتبر يقينًا، تعتبر كافية وأكثر من مجرد استتابة، بل إن بعض ذلك كان كافيًا»[1] .

*** العشرة المبشرون بالجنة كلهم إرهابيون هكذا يقول الضالون المفسدون من الإعلاميين:**

◻ في كتابها «للَّه يا زمري» لمقدمة البرامج الدينية بالتلفزيون المصري «السيدة كريمان حمزة» وتحت عنوان «على جثتي إذاعة العشرة المبشرين بالجنة: التي سجّلتها مع الدكتور أحمد شلبي وصورتها ليذيعها التلفاز المصري.. تقول السيدة كريمان حمزة: «تم تسجيل ثلاثين حلقة جاءت على مستوى طيب بحمد اللَّه.

أخبرت السيدة سهير الأتربي بإتمام العمل والمونتاج ومراجعة الرقابة.. فسعتْ لوضع البرنامج في وقت جيد.

جن جنون رئيس التلفزيون.. صاح صارخًا: «على جثتي إذاعة العشرة المبشرون بالجنة! ودارت أحاديث كثيرة يندى لها الجبين بين رئيس التلفزيون ونائب رئيس القناة الثانية.. الذي راح بدوره يوصّل لي كلمة بكلمة، وإليك أيها القارئ الكريم أسلوب رجل مسئول في التلفزيون، قال رئيس التلفزيون: العشرة المبشرون بالجنة!! ولماذا عشرة؟

لماذا لا يكونوا اثنين أو ثلاثة.. أو خمسة من أين تأتي لها رقم عشرة؟!!

العشرة من أيام الرسول!! لماذا مفيش واحد من اليومين دول مُبَشَّر

---

(١) هذا جزء من الشهادة التي أقامها للَّه الدكتور محمود مزروعة انظر الشهادة كاملة في كتاب «أحكام الردة والمرتدين» ص(٢٧١ ـ ٢٨٨).

بالجنّة.. واحد من السلطة مثلاً.. يعني عاطف صدقي[١] موش مالي عينيها؟! ولاّ صفوت الشريف موش من المبشرين بالجنة؟! الست كريمان موش ذكيّة بالمرة، كانت تختار اثنين من الماضي.. واثنين من الحاضر.. لا.. لا.. والله لن تذاع الحلقات.. على جثتي.

ده حتى الصحفي (فلان) قال للوزير: إن العشرة المبشرين بالجنة كلهم إرهابيين.. لا يمكن»[٢].

◻ وعن برنامجها «قرآن ربي» الذي نجح تقول كريمان حمزة:

«أشهد أن هذا البرنامج هو أفضل برنامج قدّمته في حياتي الإعلامية كلها.. وقام بإخراج الحلقات المخرج المتمكن بكر رشوان.. ونجح البرنامج نجاحًا غير عادي.. ولقي قبولاً متدفقًا من المشاهدين.. ولكننا فوجئنا بأمر ايقاف البرنامج فورًا وبدون إبداء الأسباب وبدأنا نسمع كلامًا عجيبًا لا يستساغ منطقيًا ولا عقليًّا ـ البرنامج هيشجع الأطفال على حفظ القرآن.. وده غير مطلوب!!!»[٣].

* * *

(١) كان رئيسًا للوزراء وقتها.
(٢) «اللَّه يا زمري» لكريمان حمزة ص(١٢٦ ـ ١٢٧).
(٣) «اللَّه يا زمري» ص(٢٥).

*** وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. لكن الإسلام لا بواكي له:**

استبدال كلمة «اللَّه» بكلمة «الإنسان الكامل» زندقة:

«في كثير من كتابات العلمانيين اليوم سوء أدب مع اللَّه عز وجل أو مع الرسول ﷺ، فلقد سبق لحسن حنفي مثلاً أن اقترح في «التراث والتجديد» استبدال كلمة «اللَّه» بكلمة «الإنسان الكامل»! بدعوى أنه «مع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن اللَّه ذاته وصفاته وأفعاله، فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل؛ فكل ما وصفوه على أنه اللَّه إنْ هو إلا إنسان مُكَبَّر في أقصى حدوده»[1].

*** وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. لكن الإسلام لا بواكي له:**

◻ يقول محمد أركون عن القرآن: «إن إعادة قراءة القرآن من جديد قراءة نقدية متفحصة؛ لا قراءة أيديولوجية تقليدية[2] هي الخطوة الأولى التي لا بد منها من أجل فهم المناخ الفكري والنفسي للشخصية العربية الإسلامية. إن هذه القراءة مضطرة لأن تأخذ في الاعتبار كل المسار الفلسفي والنقدي الذي قطعه الفكر الغربي، ابتداءً من نيتشه، وانتهاء بفرويد مروراً بطبيعة الحال ـ بكارل ماركس»[3].

◻ ويتأسف أركون لأن الديانتين السابقتين قد شُكِّكَ في كتابيهما «أما الإسلام، ومن ثم القرآن، فقد بقي في منأي عن انقلابات الحداثة وشكوكها»[4].

---

(١) «التراث والتجديد» لحسن حنفي ص(١٠٨) نقلاً عن مقال «كتاب الإسلام وأصول الحكم»، وذرائعية العلمانيين» لحسن محمد الغزواني ـ مجلة البيان العدد ١٧٩ ص(٩٩).

(٢) يقصد قراءة المسلم المسلِّم بالنص.

(٣) «جوله في فكر محمد أركون» ص(٦٦) نقلاً عن «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» للأستاذ عبدالسلام بسيوني ص(٣٣) ـ مكتبة الأقصى ـ قطر.

(٤) «الفكر الإسلامي: قراءة علمية» لمحمد أركون ص(٢٧٨).

◘ ويقول: «إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (الأسطوري)»[١] «تاريخية الفكر الإسلامي» لأركون ص(٢١٠). (Le coran est un discours de structure my thique)

وكلمة (Mythe) لا يوجد مقابل عربي لها غير «أسطورة» أو «خرافة» أو «وهم» وإن راوغ محمد أركون.

◘ وقال أيضًا: «إن القرآن كما هي الأناجيل ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونًا واضحًا» «تاريخية الفكر الإسلامي» ص(١٥٤)، وفي هذا إشارة إلى استحالة تطبيق هذا القانون؛ لأنه مبني على فروض مفارقة أكثر من كونه مقاربة للواقع، ولعل هذا ما يُفسِّر قوله: «إن القرآن يتكلم عن الدين المثالي الذي يتجاوز التاريخ، أو إذا ما شئنا يشير إلى التعالي»؛ أي أنه خطاب قائم على مبدأ تجاوز الواقع من خلال إعطاء الأسبقية للمثال، وتأسيس روية للتعالي تجعله نوعًا من الأسطورة.

◘ وعند محمد أركون الحديث النبوي إضافة إلى الإجماع والقياس وحتى القرآن «مبادئ غير قابلة للتطبيق»[٢].

◘ يقول محمد عركون: «نلاحظ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لا في الفكر العربي المعاصر، ولا في الفكر الإسلامي بشكل عام، نفس الشيء يمكن أن يُقال بخصوص نقد القيم الذي قام به «تيتشة» تجاه المسيحية. وهذا النقد قابل للتطبيق على الإسلام (؟!)، وإذا ما

---

(١) «الفكر العربي» لأركون ترجمة عادل العط.

(٢) «تاريخية الفكر الإسلامي» لمحمد أركون ص(٢٩٧)، نقلاً عن مقال «محمد أركون ومشروعه النقدي» لمحمد بوراس ـ مجلة البيان العدد ١٧٩ ـ ص(١٠٢ ـ ١٠٨).

نظرنا للتاريخ بكليته ضمن هذا المنظور فإنه يصبح ممكنًا تعبيد الطريق وتمهيده نحو ممارسة علمانية للإسلام.. يمكن للعلمنة عندئذ أن تنتشر في المجتمعات التي اتخذت الإسلام دينًا»[1] .

▫ يقول هذا المجرم المجدد الثقافي! محمد أركون: «إن أشكال الإسلام المدعوة مستقيمة أو أرثوذكسية (هكذا والله) كالاتجاه السني والشيعي والخارجي (؟!) الذي يدّعي كل منها أنه يحتكر الإسلام الصحيح دون غيره هي عبارة عن انتقاءات اعتباطية (!!) واستخدامات أيدلوجية لمجموعة من الأفكار والعقائد والممارسات المقدمة والمصورة على أساس أنها دينية محضة»[2] .

فالمسألة عنده ليست اجتهادًا بل اعتباطًا وانتقاء لأيديولوجيات ثم إضفاء الصبغة الدينية عليها.

* الطيور على أشكالها تقع:

▫ طه حسين يطعن في القرآن ومن بعده العلماني «محمد أحمد خلف الله» في سنة ١٩٢٦م أصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي وقد جاء في ص(٢٦) منه: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا أيضًا، ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي»[3] ، ويقول في نفس الصفحة: «.. فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة

---

(١) «تاريخية الفكر العربي الإسلامي» لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي ١٩٨٦، نقلاً عن «اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام» لعبدالسلام بسيوني ص(٤٩).

(٢) مجلة الفكر العربي الماصر العدد ٣٩ ـ نقلاً عن «اليسار الإسلامي» ص(٤٢ ـ ٤٣).

(٣) «ذيل الملل والنحل» لمحمد سيد الكيلاني ص(٤٨) عن «في الشعر الجاهلي» لطه حسين.

في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى، والقرآن والتوراة من جهة أخرى..»[١].

وفي عام ١٩٤٧م قدم الطالب محمد أحمد خلف اللَّه من كلية الآداب بجامعة فؤاد رسالة للحصول على الدكتوراه بعنوان «الفن القصصي في القرآن الكريم» قرر فيها أن ورود الخبر في القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه، وأنه يذكر أشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!) من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ «إن التاريخ ليس من مقاصد القرآن وإن التمسك به خطر أي خطر على النبي ﷺ وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة»[٢].

□ ويقول: «إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع وليست من مقاصد القرآن في شيء.. إن قصد القرآن من هذه المعاني إنما هو العظة والعبرة.. ومعنى هذا.. إن قيمتها التاريخية ليست مما حماه القرآن الكريم ما دام لم يقصده»[٣].

ويستند[٤] فيما قال على ما جاء في المنار «ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين وإنما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره»[٥] ويستدل بقول المنار: «هذا وإن أخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع»[٦]، وبقوله: «بينا

---

(١) «ذيل الملل والنحل» لمحمد سيد الكيلاني ص(٨٤) عن «في الشعر الجاهلي» لطه حسين.
(٢) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(٤٢).
(٣) المرجع السابق ص(٤٤).
(٤) المرجع السابق ص(٤٢).
(٥) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٧٩).
(٦) المرجع السابق (٤/ ٧).

مرارًا أن أحداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وأمكنتها ليس من مقاصد القرآن، وأن ما فيه من قصص الرسل مع أقوامهم فإنما هو بيان لسنة اللَّه فيهم وما تتضمنه من أصول الدين والإصلاح»[1] .

◻ واستدل أيضًا بغير ذلك من نصوص المنار، ومن هنا ندرك عمق الصلة بين هذا الموقف من قصص القرآن وموقف المدرسة العقلية الممثلة في «تفسير المنار من قصص القرآن الكريم».

◻ ثم يصل الدكتور خلف اللَّه إلى نتيجة ما قرره من الفصل بين القصة القرآنية والحقيقة التاريخية فيصف القرآن بما وصفه به المشركون من أنه «أساطير»، ويستدل على هذا بأن القرآن عرض مرة واحدة للرد على المشركين «في قيلهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان وهذه هي الآيات: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [فرقان: ٥، ٦]. فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتبها وتملى عليه ويثبت أنها من عند اللَّه، قل أنزله الذي يعلم السر.. إلخ»[2] . ثم قال: «وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد ـ عليه السلام ـ وليس من عند اللَّه إذا كان هذا ثابتًا فإنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصًّا من نصوص القرآن»[2] .

◻ ونذكر مثلاً من تطبيقه هذه النتيجة التي توصل إليها على قصص

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١٢/١٠١).

(٢) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(١٧٨ ـ ١٨٠).

القرآن قوله: «وإذا ما قال المستشرقين أن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير قلنا: ليس في ذلك في القرآن من بأس فإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخراً أن كتابنا الكريم قد سنّ السنن وقعّد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين»[١] .

◻ وزعم أيضًا أنه لن يجد من «يعارض في وجود القصة التمثيلية في القرآن الكريم وأنها وليدة الخيال وأن الخيال إنما يسود هذا النوع من القصص لحاجة البشر إليهم وجريهم في بلاغتهم عليه والله سبحانه وتعالى إنما يحدثهم من هذا بما يعتادون»[٢] .

◻ ويستدل[٣] لإثبات هذه النتيجة التي توصل إليها بما جاء في «المنار» عن إحدى قصص القرآن «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم»[٤] .

◻ ويستدل[٥] أيضًا بقول الشيخ محمد عبده: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: إن القرآن كثيرًا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ [ق: ٣٠] فليس المراد أن الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١٨٢).
(٢) المرجع السابق ص(١٧٠).
(٣) المرجع السابق ص(١٦٤).
(٤) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٣/ ٥٢).
(٥) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

مهما كثروا ونحو قوله عز وجل بعد ذكر الإستواء إلى خلق السماء: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، والمعنى في التمثيل ظاهر»[١] .

◻ ومن هنا ـ أيضًا ـ ندرك عمق الصلة بين الفكرتين فكرة خلف اللَّه وفكرة الشيخ عبده وتلاميذه في قصص القرآن ولهذا حرص أمين الخولي المشرف على الرسالة المنحرفة على التصريح بأن جامعة فؤاد التي رفضت الرسالة المنحرفة هذه «ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عامًا»[٢] .

ولا شك بعد هذا أن هذا الزعم في قصص القرآن الكريم بأنها مخالفة لحقائق التاريخ وأن المراد بها التمثيل لا الحقيقة التاريخية لا شك أنه أثر من آثار مدرسة المنار، كيف وهو إنما يستشهد بأقوال أستاذهم وإمامهم.

وسواء أكان الأستاذ الإمام يقصد ما قصده خلف اللَّه أم لم يقصده فإن الصلة بين القولين ولا شك بينة وواضحة.

✍ بقي أن نقول: إن هذه الرسالة أيضًا لقيت ردود فعل قوية واحتجاجات الرفض حتى رفضتها الجامعة، وفي الوقت نفسه كان الترحيب والقبول لما جاء به محمد عبده وتلاميذه؟!

◻ ويرى محمد أحمد خلف المارق أن: «القرآن يتقول على اليهود، ويتقوّل أمورًا لن تحدث، ويقرّر أمرًا خرافيًّا أو أسطوريًّا، ثم يعود فيقرر نقيضه ويزيد وينقص بحكم الحرية الفنية»[٣] .

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).
(٢) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحدم أحمد خلف اللَّه ص(ح).
(٣) مجلة منار الإسلام عدد شعبان ١٤٠٤هـ ص(٧٥).

◘ ويرى الدكتور محمد عابد الجابري: «أن الوحي سلطة مرجعية، تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد».

فهو ينكر أن يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية»[1].

*** ولكن الإسلام لا بواكي له.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه..**

◘ قال حسن حنفي رائد اليسار الإسلامي!! «يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلمًا حقًّا في سلوكه»[2].

وقال: «ألفاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة، ألفاظ تتجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها؛ لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس»[3].

◘ قال القرطبي: «وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن اجتراءً على اللَّه وافتراءً، والقرآن والسنة ترد عليهم»[4].

*** ماذا بقي من الإسلام إذًا أيها العلمانيون وإليك آخر الطوام قولهم بوحدة الأديان:**

◘ قال الأفغاني: «إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر

---

(١) «الخطاب العربي المعاصر» ص(٥٥ ـ ٥٦) نقلاً عن «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي.

(٢) «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» لحسن حنفي ص(٩١ ـ ٩٣) ـ دار التنوير.

(٣) «التراث والتجديد» لحسن حنفي ص(٦٤).

(٤) «تفسير القرطبي» (٦/١٩) ـ طبعة أولى ـ سنة ١٣٥٧هـ ـ دار الكتب المصرية القاهرة.

الخير المطلق، استكملته الثانية.

▫ وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن يتحد أهل الأديان الثلاثة»[١].

▫ ويقول الدكتور عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف والشئون الإسلامية السابق: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط، نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة، يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يُختم بإله واحد.. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها»[٢].

▫ ويقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد: «والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزًا اشاملاً مطلقًا محجوجون بنصوص القرآن الكريم التي تصف أنبياء اللَّه بوصف الإسلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الإنسانية، ووحدة مصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أُخذ بحمل الأمانة إنما أُخذ على آدم أبي البشرية وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]»[٣].

▫ وللدكتور محمد عمارة نظريته في وحدة الأديان أعلنها تحت شعار «وحدة الدين الإلهي» فهو يرفض تقسيم الناس على هذا الأساس (المتخلف) إلى مؤمنين وكفار؛ لأن ذلك التقسيم، قد ارتبط بالعصور الوسطى وعهود

---

(١) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني» لمحمد عمارة ص(٦٩) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت.

(٢) انظر «الإسلام والعصر» لعبدالعزيز كامل ص(١٩٤) نقلاً عن: «العصريون» ليوسف كمال.

(٣) «حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد ص(٢٠٧).

الظلام»[1] .

ويرى أن رفاعة الطهطاوي قدّم فكرًا مستنيرًا في هذا الجانب حيث قدّم «تقسيمًا جديدًا، لا يقوم على معايير الكفر والإيمان، وإنما يقوم على مقاييس التحضر الخشونة»[2] .

«والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب، ليست من الخطر بحيث تُخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي»[3] .

◘ أما الدكتور حسن حنفي فهو أشد صراحة في طرحه لهذه القضية حيث يقول: «لا يوجد دين في ذاته، بل يوجد تراث لجماعة معينة، ظهر في لحظة تاريخية محددة، ويمكن تطويرها للحظة تاريخية قادمة»[4] .

◘ ويقول عبداللطيف غزالي: «لم يعتقد أتباع كل دين أن اللَّه يختصهم بالجنة، ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ إن إلهًا هذا شأنه وإن صح، وحاشا أن يصح، لا يكون إله طائفة قليلة بالنسبة لسائر الناس؛ لأنه ليس ثمة دين يضم أكثر البشر.. وإن العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل اللَّه»[5] .

◘ وانظر على نفس النسق والمنوال رسالة رجاء جارودي المسماة «وثيقة أشبيلية».

◘ ويعجب محمود أبو رية في كتابه «دين اللَّه واحد» كيف سيحرم «أديسون» مخترع النور الكهربائي من الجنة، وقد أضاء العالم كله، حتى

(١، ٢) «تيارات اليقظة الإسلامية» لمحمد عمارة ص(٢٨٠)، سلسلة الهلال ١٩٨٢م، وانظر «غزو من الداخل» ص(٦٤).

(٣) «تجديد الفكر الإسلامي» لمحمد عمارة ص(٨٢).

(٤) «التراث والتجديد» لحسن حنفي ص(٢٢).

(٥) «العصريون» ليوسف كمال ص(١٩).

مساجد المسلمين باختراعه»؟!، وعندما قيل له: إن أديسون لم ينطق بالشهادتين. قال: إذا كان هذا الرجل العظيم لم يدخل الجنة شرعًا، أفلا يمكن أن يدخلها عقلاً بفضل اللَّه ورحمته؟ ما دام يؤمن بخالق السماوات والأرض»[1] .

*** وا إسلاماه.. ولكن الإسلام لا بواكي له:**

إنه الإنسلاخ الكامل من أركان الإسلام والتغريب المطلق:

وكان لا بد لنا من تعرية هؤلاء المنهزمين، وكل مقوماتهم سنوات يقضونها في انسلاخ تام عن ماضي أمتهم وحاضرها، في نفوسهم هزيمة التراث والإسلام، وعلى رؤوسهم قبعة الغالب، وبين أيديهم كتاب الأجنبي، وعلى ألسنتهم رطانة الأعاجم يلوكونها.. هذا زيف العلمانيين وكذبهم وزندقتهم.

❑ لقد كان العلمانيون والملاحدة يعيشون على استحياء، ويتحركون على حذر، ثم تبجّحوا، ثم توقّحوا، ثم فجروا، وكان من وقاحتهم وفجورهم تلك الحرب المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، والتي استباحوا فيها كل مقدسات الإسلام من عقائد وشرائع وأحكام ورموز فلم يسلم القرآن ولا السنة من طعونهم وافتراءاتهم، ولم ينج رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ﷺ من سبهم ووقاحتهم وسخريتهم واستهزائهم ورميهم بكل نقيصة.

*** وكان ولاؤهم للطين والتراب إن كان لهم ولاء:**

قال بعض دعاة «القومية العربية» من العلمانيين الأقحاح:

❑ يقول علي ناصر الدين: «العروبة نفسها دين عندنا ـ نحن القوميين

---

(١) «العصريون» ليوسف كمال ص(١١٢) بإيجاز.

العرب، المؤمنين العريقين، من مسلمين ومسيحيين؛ لأنها وُجِدَتَ قبل الإسلام وقبل المسيحية مع دعوتها ـ أي العروبة ـ إلى أسمى ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات»[1].

* **أما المجون فدينهم:**

□ يقول شيطان حداثي في وقاحة ودناءة وإسفاف وتحريض على الفحشاء ولوم ليوسف عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

يوسف أعرض.. يوسف أغمض
يوسف لا تُعرض!.. يوسف لا تُغمض!
تلك عروس البحر؟ فماذا لو دخلت قلبك؟
وملأت دربك؟
ماذا لو قُدّ قميصك من قُبلُ؟
ماذا لو سكب ذوب الليل، دبيب الميل في شفتيك؟
وتتسع الشفتان لحُمّى قُبَل؟!

وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه ولكن الإسلام لا بواكي له:

خليل عبدالكريم الزنديق:

والزنديق كل من يظهر طعنًا في دين اللّه، أو نبيه أو يستهزئ ويسب الصحابة أو يتنقص مجتمعهم.

□ يقول خليل عبدالكريم اليساري في كتابه «مجتمع يثرب» عن الصحابة: «كانت نزعة معافسة النساء لدى رجال «المجتمع اليثربي» من القوة بحيث دفعتهم إلى تحطيم الحواجز التي أقامتها (النصوص المقدسة) صراحة،

---

(١) «أعداء الحل الإسلامي» للدكتور يوسف القرضاوي ص(١٨٠) ـ مكتبة وهبة.

وبلا مواربة..

مثل: من يظاهر من امرأته ثم يعتليها قبل التكفير..

وآخر يركب زوجته وهي حائض أو مستحاضة.

وثالث يطؤها في نهار رمضان..

ورابع ينكح امرأة أبيه، أو يعاشرها دون عقدة نكاح..

والمملوك الذي يشرع في مفاخذة جارية سيده.. وقد يحدث العكس.

المرأة تسعى إلى أجير زوجها ليشبعها، ويروي لها ظمأها لعجز زوجها عن ذلك.. إلخ كل هؤلاء.. ذكوراً وإناثًا يعلمون علم اليقين أن الفعل الذي قارفوه حرّمته عليهم الشريعة التي بلّغها محمد.. ولكن نزعة التلاقي بالآخر يغلبهم وتقهرهم، وتملك عليهم نفوسهم وعقولهم ووجدانهم، وتعطّل ملكة التفكير السديد عليهم، فلا يرون في «النصوص المقدسة» إلا قيدوًا تحول دون انطلاقهم»[1].

أترمي رجال طهر يا لئيمُ وأنت المجرم القاصي الزنيمُ

* **ولكن الإسلام لا بواكي له:**

«في صحيفة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٩/٦/١٦م يتساءل أحمد عبدالمعطي حجازي في غضب «هل نريد حقًّا أن نحرر عقولنا من الخرافة، ونعالج أنفسنا من الخوف، ونعامل أجسادنا بما هي جديرة به من اعتزاز واحترام؟».

وتحرير عقولنا، واحترام أجسادنا في نظر حجازي لا يتحقق إلا برسم الأجساد عارية، والسماح بإدخال الموديلات العارية إلى كليات الفنون ليرسمها الطلاب.. بل يتمادى أحمد حجازي فيدعو صلاح طاهر وآخرين

(١) «مجتمع يثرب» لخليل عبدالكريم ص(٤٣) ـ دار سنا ـ القاهرة ١٩٢٢م.

أن يرسموا له صورة من هذا النوع العاري «حتى يراه الناس في الواقع، وربما رأوه على نحو أفضل»، كما يقول بالحرف الواحد».

*** الدكتورة التنويرية نوال السعداوي:**

وآخر ما أفرزته الدكتورة التنويرية (ن) ما صرّحت به في تحقيق صحفي من أن «ختان الذكور» عملية وحشية مؤذية وضارة، وتصرخ في غضب «كيف تقطع هذه الجلدة مع أن لها فوائد متعددة؟!!.

*** حيدر حيدر السوري وروايته «وليمة لأعشاب البحر»[1] :**

هذا الذي تعرّى من كل القيم ومارس العري في الكتابة، وسخر واستهزأ وتطاول على ذات اللّه ورسوله وأنبيائه عليهم السلام وارتدّ. انظر إلى عدوانه على اللّه والرسالة والقرآن.

١ ـ «نحن الآن في المطهر، لسنا في مسجد اللّه أو كنيسته، هذه برارينا، ونحن هنا آلهة هذه البراري» ص(١٦).

٢ ـ حيث لن يعرف لا الحزب، ولا الرب متى ستشرق الشمس من جديد. ص(٣٨).

٣ ـ أنا أرى في ماركس أو لينين محمدًا جديدًا، محمد القرن العشرين.. «ماركس أو لينين العربي هذا ما نحتاجه في هذا العصر المضطرب» ص(٨٧).

٤ ـ الوعي العميق بالتاريخ غائب، وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء ـ في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجّر يحكموننا

---

(١) رواية «وليمة لأعشاب البحر في ميزان الإسلام والعقل والأدب» للدكتور جابر قميحة ص(١٤) دار الاعتصام.

بقوانين آلهة البدو وتعاليم القرآن خراء (١٢٩).

٥ ـ . . إحساس المنفى يتواقت مع انفجار الحب. . وكما يتجلّى الجنس إلهًا إفريقيًّا مقدسًا ص(١٤٦).

٦ ـ «ورسولنا المعظم كان مثالنا جميعًا، ونحن على سنّته. . لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية. . وخليلة، ومتعة» ص(١٤٨).

٧ ـ رأسه مليئ باختلاطات وسخافات. . ربي لا يدركها (١٧٨).

٨ ـ جبهة التحرير. . مخلوقة عجيبة وغريبة. . حتى ربي لا يستطيع توحيدها ص(١٨٢).

٩ ـ في ذلك الوقت العصيب كان اللَّه يتقمّص السلطة، الجنة والجحيم ص(١٨٧).

١٠ ـ وهو الخارج من أضلاع اللَّه والطغاة والحروب الأهلية المغدورة ونفسه ص(١٩٢).

١١ ـ لا بد أن ربك فنان فاشل إذن ص(٢٢٠).

١٢ ـ وربك لا يعرف متى تحسم هذه الأراجيف ص(٢٤٤).

١٣ ـ كنت أتخيل السماء شجرة. . واللَّه هو القمر ص(٢٣٤).

١٤ ـ وكما أقام اللَّه مملكته الوهمية في فراغ السموات ليدخل في خلود ذاته بذاته ص(٤٢٥).

١٥ ـ الحجاج الثقفي المقعي على العرش. . رب السموات والأرضين الذي يقول للشيء كن فيكون ص(٥٦٩).

١٦ ـ انفجر شيء آخر وتشظى: اللَّه. . الوطن والأسرة ص(٥٠٨).

١٧ ـ الحرية. . الحرية. . هذا هو ربي ص(٥٤٦).

◻ وهو ينكر الغيبيات أو يسخر منها كالآخرة والجنة والنار نص (٣٦)

ويحلّ التعري والزنى واللواط وشرب الخمر (نصوص: ٢، ٣٦، ٤٧، ٥٦، ٦٥)[1].

□ ومنها إن اللَّه نسي بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها ص(٢٥٧).

□ ولن نجيب على ردّته وزندقته إلا بقول اللَّه عز وجل: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. ثم بعد هذا يقول تقرير اللجنة التي شكلّها وزير الثقافة التي رأسها الدكتور القط بأن ما ورد في الرواية لا يعد مساسًا بالدين، ثم بعد هذا يقول حيدر حيدر في دفاعه عن نفسه وعن روايته: «ليس في الرواية صفحة واحدة تسيء إلى الإسلام، بل العكس إنها تمجد الإسلام»[2].

*** وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه:**

ماذا يريد من الإسلام أدباء المراحيض والجنس.. هم واللَّه الظلاميون المتقيّحون الساقطون.

*** الليث الهادر الدكتور محمد عباس يزأر نصرة لدينه:**

وهدر الدكتور محمد عباس وزأر نصرة لدينه وعرّى التنويريين الذين

---

(١) «أخبار الأدب» ـ العدد ٣٥٦ ـ ٧/٥/٢٠٠٠ من حديث هاتفي معه جاء في «أخبار الأدب» «أخبار الأدب تنفرد بنشر تقرير اللجنة العلمية حول الرواية: «وليمة لأعشاب البحر».. عمل مقاومة ينتصر للدين»!!.

بل وقال عنها وزير الثقافة: «إنه ليس فيها ما يسيء للإسلام، وإنها لتدعو للعقيدة والإيمان وتبجّل الإسلام»!! انظر إلى «رواية وليمة لأعشاب البحر في ميزان الإسلام..» ص(٢١٥).

تدثروا بأردية صفيقة من الغش والخداع.. والكذب.. والادعاء.. والسفاهة.. من يعيشون للمراحيض والمستنقعات والشذوذ.. لقد أصبح الهجوم على الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه وقيمه العليا هو أقرب طريق وأسهله لتحقيق الشهرة الكاذبة والمجد الزائف.. وشكر اللَّه لمحمد عباس ولقلمه الطيب وجزاه اللَّه عن الإسلام وأمته خير الجزاء.

لقد جاء في نداء علماء الأزهر الشريف الذي وقّعه ستون أستاذًا ومدرسًا بجامعة الأزهر «.. من ذلك ما جاء في ديوان «امرأة يروق لها البحر» وفيه: فتاة يقاسمني في حبها اللَّه فأحبه ولا أناصبه العداء.. مونيكا حضارة الأنبياء..».

هل بعد هذا تدن وإسفاف وفجور وسقوط وردة.. هل بعد هذا إرهاب هم واللَّه الإرهابيون.

تاللَّه ما الإرهاب يهزم دعوة ... كلاّ وفي التاريخ برّ يميني
ضع في يديّ القيد ألهب أضلعي ... بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة ... أو محو إيماني ونــور يقيـني
فالنور في قلبي، وقلبي في يدي ... ربي وربــي ناصري ومعيـني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي ... وأموت مبتسمًا ليحيــا ديـنــي

* أيها المتغرّبون:

أيطربكم من جانب الغرب ثاعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تُعلمون العقل يومًا علمتمُ ... بما تحته من عثرة وشتات

□ وللَّه در القائل:

رُبَّ نظم ما له من هدفٍ ... ليس يـــدري ناظمـوه موقعـــه

---

(١) رواية «ولية أعشاب البحر في ميزان الإسلام» للدكتور قميحة ص(٢٢٥).

ومن الشعر غثيث فاتر تأنف الآذان من أن تسمعهْ
ما له من أبحرٍ أو تُرعٍ أو عيون لست تدري منبعهْ
لفّقته عصبة ما وردت بحره، بل وردت مستنقعه؟

* **معاشر العلمانيين:**

إن الإسلام ديننا ولحمنا وعرضنا، ودمنا إن الإسلام بالنسبة لنا ليس مسألة حياة أو موت، بل هو فوق الحياة وفوق الممات وفوق كل شيء:

تموت المبادئ في مهدها ويبقى لنا المبدأ الخالد
مراكب أهل الهوى أتخمت نزولاً ومركبنا صاعد
يحدثنا الليل عن نفسه وفيهمْ على نفسه شاهد

❑ ولله در القائل:

أنا الغريب إذا جاوزت معتقدي ورُحت أضربُ في وهم وفي رُجُمِ
أنا الغريب إذا استسلمت عبدُ هوًى وعربَدَتْ شهوات العمرِ ملءَ دمي
وغربة النفس تُشقِي كلما نزعتْ نفسٌ إلى صنمٍ يهوى إلى صنمِ
وقسوة الذلّ أن يرقى الشّعار على زخارفٍ كذبتْ في الساحِ والأكَمِ

* **أخي: أنت ابن الإسلام فاهتف بهم:**

إني أنا السفر الذي كلماته هدْيٌ ومن كَلِم السماء بياني
وأنا أنا البحر الخضم أنا الذي جـاشـت غـواربــه بكل مكانِ

* **أخي: هذي بساتين الجنان فوّحت فأين من يرتادُ:**

قد كثرت وتنوعت ميادين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبكثرتها فوّحت بساتين الجنان فأين من يريد عبقها الفوّاح، وأريجها الغالي.

□ أخي أيها الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أنت صاحب تعبد مطلق ليس لك غرض في تعبد بعينه تؤثره على غيره، بل غرضك تتبع مرضاة اللَّه تعالى أين كانت، فمدار تعبدك عليها، فأنت لا تزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رُفعت لك منزلة، عملت على سيرك إليها، واشتغلت بها حتى تكونُ لك منزلة أخرى، فهذا دأبك في السير حتى ينتهي سيرك.

أنت العبد المطلق الذي لا تملك الرسوم، ولا تقيدك القيود، ليس عملك على مراد نفسك وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل أنت على مراد ربك، ولو كانت راحة نفسك ولذتها في سواه.

لا تملكك إشارة، ولا يتعبّدك قيد، ولا يستولى عليك رسم، حرّ مجرّد، دائر مع الأمر حيث دار، تدين بدين الأمر أنّى توجهتْ ركائبه، وتدور معه حيث استقلّتْ مضاربه، يأنس بك كل محق، ويستوحش منك كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها. وأنت موضع الغلظة على المخالفين لأمر اللَّه، والغضب إذا انتهكت محارم اللَّه لسان حالك ومقالك لكل من حادّ اللَّه ورسوله ومن ناصبوا دين اللَّه العداء:

أنا همّكم أنا غمّكم أنا سقمكم	أنا سمكم في السرّ والإعلان
لأقطعن بمعولي أعراضكم	ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأهجونكم وأثلب حزبكم	حتى تغيّب جثتي أكفاني
ولأهتكنّ بمنطقي أستاركم	حتى أبلّغ قاصيًا أو داني
ولاهجون صغيركم وكبيركم	نصرًا لدين اللَّه والقرآن
ولانزلن إليكم بصواعقي	ولتحرقن كبودكم نيراني
ولاقطعن بسيف حقّي زوركم	وليخمدن شواظكم طوفاني
ولأقصدن اللَّه في خذلانكم	وليمنعن جميعكم خذلاني

ولأحملن على عتاة طغاتكم ... حمل الأسود على قطيع الضان
ولأرمينكم بصخر مجانقي ... حتى يهد عتوكم سلطاني
ولأكتبن إلى البلاد بسبّكم ... فيسير سير البزل بالبركان
ولأدحضن بحجتي شبهاتكم ... حتى يغطيَ جهلكم عرفاني
ولأغضبن لقول ربي فيكمُ ... غضب النمور وجملة العقبان
ولأضربنكم بصارم معولي ... ضربًا يزعزع أنفس الشجعان
ولأسعطنّ من الفضول أنوفكم ... سطعًا يعطس منه كل جبانِ

* **أخي**: كل ميدان من الميادين التي مرّت بك وذكرناها يحتاج إلى قائم للَّه بحجة يرى أن القيام للَّه وسد هذه الثغرة ورد شبه المجرمين والزود عن حياض الإسلام وحماه يفتح لك كوى من الفور تشرف منها على عالم الآخرة، وترى الجنة ببساتينها الفوّاحة لعلك تقول مقالة سعد بن معاذ ﷺ إني لأشم رائحة الجنة في دفاعي عن الإسلام في هذا الميدان. فما أكثر البساتين وما أقل الرجال الذين يعرفون قدرها.

* **أخي أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر**:

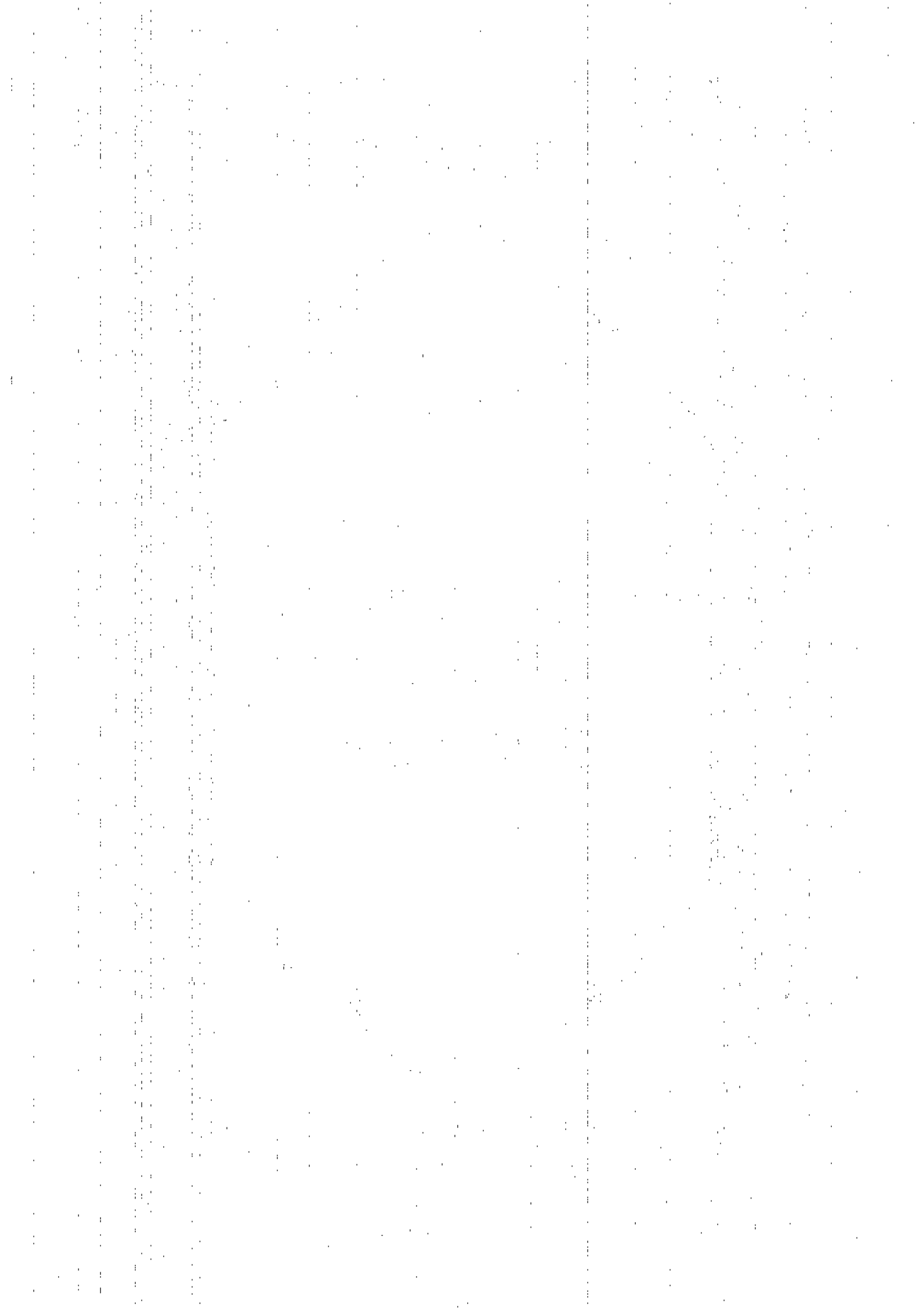
أنت للَّه وباللَّه ومع اللَّه.

❐ قد صحبت اللَّه بلا خلق، وصحبتَ الناس بلا نفْس، فواهًا لك!! ما أغربك بين الناس!! وما أشد وحشتك منهم!! وما أعظم أنسك باللَّه وفرحك به!! وسكونك إليه وطمأنينتك به للَّه درك!!.

* * *



أعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
الدعـــوة إلى الاتبـــاع
والنهي عن الابتداع



أعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
الدعوة إلى الاتباع والنهي عن الابتداع

طلب الحق أجلى بالنفوس الأبية من الشمس في رابعة النهار، وقطب تدور عليه همم الأخيار، وعُباب تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار، ومتى علت الهمة في طلق الحق، حملت على مفارقة العوائد وطلب الأوابد «فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلما يعرفه إلاّ واحد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد، فإن البدع قد كثرت، وكثرت الدعاة إليها والتعويل عليها، وطالب الحق ـ اليوم ـ شبيه بطلاّبه في أيام الفترة، وهم سلمان الفارسي وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهما، رحمهما اللَّه تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق، وبذلوا الجهد في طلبه، بلغّهم اللَّه إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمّة، فكم أدرك الحق طالبُه في زمن الفترة! وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبوة! فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصونًا عزيزًا، نفيسًا كريمًا، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوّف والتشوق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يُفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطّال ولا غافل»[1].

*** للَّه درّ من تمسّك بالسنّة ودعا إلى الاتباع ونهى عن الابتداع ولو غلت به القدور في ذات اللَّه:**

للَّه درّ من «اتخذ اللَّه وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية مقصده

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» للسيد مرتضى اليماني ص(٢٤) ـ مطبعة الآداب والمؤيد.

ومنتهى طلبه، واتخذ رسوله ﷺ ـ وحدهُ ـ دليله وإمامه وقائده وسائقه، فوحّد اللَّه بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه، وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدُّب بآدابه، وللعبد في كل وقت هجرتان: هجرةٌ إلى اللَّه بطلب والمحبة، والعبودية والتوكل، والإنابة والتسليم والتفويض، والخوف والرجاء والإقبال عليه، وصدق اللجأ والافتقار في كل نفسٍ إليه. وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقةً لشرعه الذي هو تفضيل محابّ اللَّه ومرضاته، ولا يقبل اللَّه من أحدٍ دينًا سواه، وكل عملٍ سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد، قال بعضُ العارفين: كل عملٍ بلا متابعةٍ فهو عيش النفس»[1] .

فهذا هو الغريب حقًّا «والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء. وأهل العلم في المؤمنين غرباء. وأهل السنة ـ الذين يميزونها من الأهواء والبدع ـ فيهم غرباء. والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين: هم أشدُّ هؤلاء غربة. ولكن هؤلاء هم أهل اللَّه حقًّا، فلا غربة عليهم. وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال اللَّه عز وجل فيهم: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**...﴾ [الأنعام: ١١٦] فأولئك هم الغرباء عن اللَّه ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:

فليس غريبًا مَنْ تَناءَتْ دياره ... ولكنَّ مَن تنْـأيْنَ عنه غَريبُ

غربة أهل اللَّه وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق. وهي الغربة التي مدح رسول اللَّه ﷺ أهلها، وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه: «**بدأ غريبًا**»، وأنه: «**سيعود غريبًا كما بدأ**»، وأن «**أهله يصيرون غرباء**».

وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكان، ووقت دون وقت، وبين

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم الجوزية ص(٧).

قومٍ دون قوم. ولكن أهل هذه «الغربة» هم أهل اللَّه حقًّا؛ فإنهم لم يأووا إلى غير اللَّه، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به. وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم، فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم، فيقال لهم: «ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس، ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده».

فهذه «الغربة» لا وحشة على صاحبها، بل هو آنسُ ما يكون إذا استوحش الناس، وأشدّ ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليُّه اللَّه ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه.

ومن صفات هؤلاء الغرباء ـ الذين غبطهم النبي ﷺ : التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحدٍ غير اللَّه ورسوله؛ لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة. بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى اللَّه بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده. وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًّا. وأكثر الناس ـ بل كلهم ـ لائم لهم.

فلغربتهم بين هذا الخلق: يعدّونهم أهل شذوذٍ وبدعةٍ، ومفارقة للسواد الأعظم.

● ومعنى قول النبي ﷺ : «**هم النزاع من القبائل**»، أن اللَّه سبحانه بعث رسوله، وأهل الأرض على أديانٍ مختلفة، فهم بين عباد أوثان ونيران، وعباد صور وصلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبًا، وكان من أسلم منهم، واستجاب للَّه ورسوله: غريبًا في حيّه وقبيلته وأهله وعشيرته، فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزّاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم، تغرّبوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم

الغرباء حقًّا، حتى ظهر الإسلام، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجًا، فزالت تلك الغربة عنهم. ثم أخذ في الاغتراب والترحل، حتى عاد غريبًا كما بدأ. بل الإسلام الحق ـ الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ﷺ ـ هو اليوم أشدّ غُربةً منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامُه ورسومُه الظاهرةُ مشهورةً معروفةً. فالإسلام الحقيقيّ غريب جدًّا، وأهله غرباء أشدّ الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقةٌ واحدة قليلة جدًّا، غريبةً بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول؟! فإن نفس ما جاء يضادّ أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غاياتُ مقاصدهم وإراداتهم؟.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى اللَّه على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شحهم، وأعجب كلٌّ منهم برأيه؟! كما قال النبي ﷺ: «**مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا وهوًى متّبعًا، ودنيا مُؤثرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا بد لك به فعليك بخاصّة نفسك. وإياك وعوامّهم؛ فإن وراءكم أيامًا صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر**». ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت ـ إذا تمسك بدينه ـ: أجر خمسين من الصحابة، ففي سنن أبي داود والترمذي ـ من حديث أبي ثعلبة الخشني ـ قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متَّبعًا، ودنيا مُؤثَرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على**

الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله». قلت: يا رسول اللَّه، أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم». وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن، الذي قد رزقه اللَّه بصيرةً في دينه، وفقهًا في سنة رسوله، وفهمًا في كتابه، وأراه ما الناس فيه: من الأهواء والبدع والضلالات، وتنكُّبهم عن الصراط المستقيم، الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط: فليوطن نفسه على قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ. فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقَدَح فيما هم عليه: فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيلِ كبيرهم ورَجله.

فهو غريب في دينه، لفساد أديانهم. غريبٌ في تمسكه بالسنة؛ لتمسكهم بالبدع. غريب في اعتقاده؛ لفساد عقائدهم. غريب في صلاته؛ لسوء صلاتهم. غريب في طريقه؛ لضلال وفساد طرقهم. غريب في نسبته؛ لمخالفة نسبهم. غريب في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة: فهو غريب في أمور دنياه وآخرته. لا يجد من العامة مساعدًا ولا مُعينًا. فهو عـالمٌ بين جُهّال. صاحب سنة بين أهل بدع. داعٍ إلى اللَّه ورسوله بين دعاةٍ إلى الأهواء والبدع. آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف»[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٩٦ ـ ٢٠٠).

● قال رسول الله ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**(١).

□ قال ابن قيم الجوزية: «وهذه سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان. والرضا بنبيه رسولاً يتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من موقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيءٍ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه. لا يرضى بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه. فإن عجز عنه، كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم. وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

لا يبقى في قلبه حرج من حكمه، ويسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته.

ها هنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم. فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد، فإنه والله عين العزة، والصحبة مع الله ورسوله، وروح الأُنس به، والرضا به ربًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالإسلام دينًا. بل الصادق كلما وجد مسَّ الاغتراب، وذاق حلاوته، وتنسّم روحه، قال: اللَّهم زدني اغترابًا، ووحشة من العالم، وأُنسًا بك. وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب، وهذا التفرد، رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذل عين العزّ بهم، والجهل عين الوقوف مع آرائهم وزبالة أذهانهم، والانقطاع عن التقيّد برسومهم وأوضاعهم، فلم يؤثر نصيبه من الله أحداً من الخلق، ولم يبع

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن العباس بن عبدالمطلب.

حظّه من اللَّه بموافقتهم فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان.

وغايته: مودة بينهم في الحياة الدنيا، فإذا انقطعت الأسباب، وحقَّت الحقائق، وبعثر ما في القبور، وحُصّل ما في الصدور، وبليت السرائر، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوةٍ ولا ناصر، تبيّن له حينئذٍ مواقع الربح والخسران، وما الذي يخفّ أو يرجح به الميزان»[1].

● وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق، حتى تقوم الساعة**»[2].

● وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرون**»[3].

● وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه، وهم ظاهرون على الناس**». رواه أحمد والبخاري ومسلم.

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قوامةً على أمر اللَّه، لا يضرها من خالفها**»[4].

◘ قال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم.

◘ وقال ابن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٢ - ١٧٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن عمر وصححه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٦٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن المغيرة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٦٨).

❑ وقال ابن المديني: هم أصحاب الحديث.

❑ وقال ابن حنبل: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم».

❑ وقال البخاري: «يعني أصحاب الحديث». وقال: «هم أهل العلم».

فأهل الحديث ـ حشرنا اللَّه معهم ـ لا يتعصبون لقول شخصٍ معين مهمًا سما وعلا، حاشا محمدًا ﷺ، وهم الذين هدم اللَّه بهم كل بدعةٍ شنيعة، فهم أمناء اللَّه في خليقته، وهم الطائفة الظاهرة والفرقة الناجية، بل والأمة الوسط، الشهداء على الخلق.

الدعوة إلى الاتباع.. الدعوة إلى الكتاب والسنة: منهجٌ للحياة ومنهجٌ للفكر، ومنهجٌ للتصور، تطلق الإنسان من كل قيدٍ إلا ضوابط الفطرة.

● عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من نبيٍّ بعثه اللَّه في أمةٍ قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويتقيدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[(١)].

● وقال ﷺ: **«إن أناسًا من أُمتي يأتون بعدي، يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله»**[(٢)].

● وقال ﷺ: **«أشدّ أُمتي لي حبًّا قومٌ يكونون بعدي، يودّ أحدهم أنه**

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) حسن: أخرجه الحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٠٨).

فقد أهله وماله وأنه رآني»[(١)] .

حواريُّو الرسول من يأخُذون بسنَّته، ويتقيَّدون بأمره، وهم أنصار سنته، يود أحدهم لو اشترى رؤيته بأهله وماله وولده، وهم أعلى الناس همة في اتباع هديه، وحث الناس على التمسك بسنته، وذم أهل البدع والتنفير منهم.

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ [الصف: ١٤].

«هذا الموضع الكريم الذي يرفعهم اللَّه إليه، وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيرًا للرب؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم.. كونوا أنصار اللَّه.. فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبُوا لهذا الأمر الدائم، كما انتدبَ الحواريُّون للأمر الموقوت.

وفي هذا استنهاضُ همة المؤمنين بالدين الأخير، الأُمناء على منهج اللَّه في الأرض، وورثة العقيدة والرسالة الإلهية، المختارين لهذه المهمة الكبرى، استنهاض همتهم لنصرة اللَّه ونصرة دينه. فما أطعمه من مذاق وما أعظمها من مهمة، وما أعلاها من همة.. أن تتَّبع وتقود الناس إلى الاتباع.

● عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يأتي على الناس زمانٌ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[(٢)] .

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «المسند» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٠٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٧٩)، =

● وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن من ورائكم زمان صبرٍ، للمتمسِّك فيه أجر خمسين شهيداً منكم**»[١] .

● وعن ابن عمرو ﷺ قال: قال رسول اللَّه: «**طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[٢] .

● وقال ﷺ : «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[٣] .

وفي رواية جابر ﷺ : «**الذي يصلحون إذا فسد الناس**» .

● وعن أبي موسى ﷺ ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع اللَّه بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أُخرى، إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقه في دين اللَّه ونفعه ما بعثني اللَّه به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى اللَّه الذي أُرسلت به**». متفق عليه.

= و«الصحيحة» رقم (٩٥٥).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨١٦)، و«الصحيحة» رقم (١٦١٩).

(٣) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود ﷺ، وابن ماجه عن أنس ﷺ، والطبراني في «الكبير» عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس ﷺ.

◻ انظر إلى الصديق رضي الله عنه يقول: «لست تاركًا شيئًا كان رسول اللَّه ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ».

◻ وقال عمر رضي الله عنه على المنبر: «ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم، فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر».

اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول اللَّه ﷺ برأي اجتهادًا، وواللَّه ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل، والكفار بين يدي رسول اللَّه ﷺ، وأهل مكة، فقال: «**اكتبوا بسم اللَّه الرحمن الرحيم**». فقالوا: إنا قد صدقناك بما تقول، ولكن تكتب: باسمك اللَّهم. قال: فرضي رسول اللَّه ﷺ وأبيت عليهم، حتى قال: «**يا عمر، تراني قد رضيت وتأبى؟!**» قال: فرضيت.

◻ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أيها الناس، لا تبتدعوا ولا تنطّعوا ولا تعمقوا، وعليكم بالعتيق». وقال: «اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم».

◻ قال عمرو بن زُرَارة: «وقف عليَّ عبداللَّه ـ يعني ابن مسعود ـ وأنا أقصُّ فقال: يا عمرو، لقد ابتدعت بدعة ضلالة، أو إنك لأهدى من محمد وأصحابه!! فلقد رأيتهم تفرقوا عني، حتى رأيت مكاني ما فيه أحد»[1].

«وعن يسار أبي الحكم أن عبداللَّه بن مسعود حدث أن أُناسًا بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد، فأتاهم وقد كوم كلُّ رجلٍ منهم بين يديه كومة حصى، قال: فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد، ويقول:

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» بإسنادين، أحدهما صحيح كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب»، وأخرجه الدارمي بنحوه أتم منه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٧).

«لقد أحدثتم بدعةً ظلمًا، أو قد فضلتم أصحاب رسول اللَّه ﷺ علمًا!».

ومرّ عبداللَّه ﷺ برجل يقصُّ في المسجد على أصحابه وهو يقول: سبحوا عشرًا وهللوا عشرًا. فقال عبداللَّه: «إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ أو أضل، بل هذه، بل هذه. يعني أضل».

وعن عبدة بن أبي لبابة أن رجلاً كان يجمع الناس فيقول: رحم اللَّه من قال كذا وكذا مرةً: سبحان اللَّه، قال: فيقول القوم، فيقول: رحم اللَّه من قال كذا وكذا مرةً: الحمد للَّه، قال: فيقول القوم. قال: فمر بهم عبداللَّه ابن مسعود ﷺ فقال: لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم، أو إنكم لتمسكون بذنب ضلالة».

ومر ابن مسعود ﷺ بامرأةٍ معها تسبيح تسبح به، فقطعه وألقاه، ثم مر برجل يسبح بحصًى فضربه برجله، ثم قال: لقد سبقتم، ركبتم بدعة ظلمًا، أو لقد غلبتم أصحاب محمد ﷺ علمًا.

وجاء المسيب بن نجيد إلى عبداللَّه فقال: إني تركت في المسجد رجالاً يقولون: سبحوا ثلثمائة وستين، فقال: قم يا علقمة واشغل عني أبصار القوم، فجاء فقام عليهم فسمعهم يقولون، فقال: إنكم لتمسكون بأذناب ضلال، أو إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ، أو نحو هذا»[1].

نعم يا صاحب سواك رسول اللَّه ﷺ.. هذه آنيةُ محمد ﷺ لم تجفّ، وثيابه لم تبلُ.

*** عبداللَّه بن عباس، ترجمان القرآن ﷺ:**

قد كان لترجمان القرآن القدح المعلَّى في الاتباع.

«فعن عروة بن الزبير أنه قال لابن عباس ﷺ: أضللت الناس. قال:

(١) «البدع والنهي عنها» لابن وضّاح القرطبي ص(١٧ ـ ٢٠)، طبع دار الصفا.

وما ذاك يا عرية؟ قال: تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر، وليست فيهن عمرة. فقال: أو لا تسأل أمك عن ذلك، فقال عروة: فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك. فقال ابن عباس ﵄: هذا الذي أهلككم، واللَّه ما أرى إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن النبي ﷺ وتجيبون بأبي بكر وعمر»[1].

وأخرج الدارمي عن ابن عباس ﵄ قال: أما تخافون أن تعذبوا ويخسف بكم؛ أن تقولوا: قال رسول اللَّه ﷺ وقال فلان!.

وعنه أيضًا: أيها الناس، توشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول لكم: قال رسول اللَّه ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر!!.

للَّه درك من «طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منك إلا مسك الهدى وعنبر التقى؟!».

❏ وأخرج الشافعي عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنه لقي رجلاً فأخبره عن رسول اللَّه ﷺ شيئًا فخالفه، فقال أبو سعيد: واللَّه لا آواني وإياك سقف بيت أبدًا.

***عبداللَّه بن مُغفَّل ﵁:**

أخرج الشيخان عن عبداللَّه بن بُريدة أن عبداللَّه بن مغفل رأى رجلاً يخذف فنهاه، وقال: إن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الخذف، وقال: **«إنه لا يرد الصيد، ولا ينكأ العدو، ولكنه يكسر السن، ويفقأ العين»** فرآه بعد ذلك يخذف، فقال: أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ ثم تخذف، واللَّه لا أكلمك أبدًا.

---

(١) رواه أحمد والخطيب في الفقيه والمتفقه بسند صحيح نقله في كتاب «العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون» علي حسن علي عبدالحميد، طبع مكتبة الغرباء الأثرية.

*عمرانُ بن حُصين ﷺ :

وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين أن قال: قال رسول اللّه ﷺ : «الحياءُ خير كله» فقال بشير بن كعب: إنا نجد في بعض الكتاب: أن منه سكينة ووقارًا، ومنه ضعفًا. فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه. وقال: أحدثك عن رسول اللّه ﷺ وتعارض فيه. وفي رواية: «وتحدثني عن صحفك».

ولفظ ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق: قال بشير بن كعب: إن فيه ضعفًا، وإن منه لعجزًا. فقال عمران: أحدثك عن رسول اللّه ﷺ وتجيء بالمعاريض، لا أحدثك بحديثٍ ما عرفتك. فقالوا: يا أبا نُجيد: إنه طيب الهوى.. وإنه.. وإنه، فلم يزالوا حتى سكن.

* الإمام القدوة شيخ الإسلام المُتعبِّد المتهجِّد، المُتتبِّع للأثر المُتشدِّد أبو عبدالرحمن القرشّي العدويّ عبدالله بن عمر :

ما ناقةٌ أضلت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثره من ابن عمر لرسول اللّه ﷺ .

◘ قال نافع مولى ابن عمر ﷺ: «لو نظرت إلى ابن عمر ﷺ إذا اتبع أثر النبي ﷺ ، لقلت هذا مجنون».

«وعن عاصم الأحول عمن حدثه قال: كان ابن عمر ﷺ إذا رآه أحدٌ ظن أن به شيئًا من تتبعه آثار النبي ﷺ ».

«وعن نافع عن ابن عمر ﷺ: أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول: لعل خُفًّا يقع لي على خُفٍّ؛ يعني خُفَّ راحلة النبي ﷺ »[(١)].

(١) «الحلية» (١/ ٣١٠)، «السير» (٣/ ٢٣٧).

بأبي وأمي أنت أبا عبدالرحمن.. هذه واللّه الرجولة.. وهذا واللّه الاتباع..

«لعل خفًّا يقع لى على خفٍّ».. رحمك اللّه يا ابن الفاروق.

وهل يُنبِت الخطِّيَّ إلا وَشيجُهُ ويُزرَعُ إلا في منابته النخلُ

◘ وعن زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلولةً أزراره، فسألته عن ذلك. فقال: رأيت رسول اللّه ﷺ يفعله[1].

◘ وعن مجاهد قال: «كنا مع ابن عمر ـ رحمه اللّه ـ في سفر، فمر بمكان، فحاد عنه، فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: رأيت رسول اللّه ﷺ فعل هذا؛ ففعلت»[2].

◘ وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها، ويخبر أن رسول اللّه ﷺ كان يفعل ذلك»[3].

◘ وعن أنس بن سيرين قال: «كنت مع ابن عمر ـ رحمه اللّه ـ بعرفات، فلما كان حين راح، رحت معه، حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف وأنا وأصحابٌ لي، حتى أفاض الإمام، فأفضنا معه، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي، فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٢) رواه أحمد والبزار، وقال المنذري: إسناده جيد. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣).

(٣) رواه البزار، وقال المنذري: إسناده لا بأس به.

يقضي حاجته»[1].

● روى مسلم عن عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم**».

❑ قال سالم بن عبداللَّه: فقال بلال بن عبداللَّه: واللَّه لنمنعهن. قال سالم: فأقبل عليه عبد اللَّه؛ فسبه سَبًّا سيِّئًا، ما سمعته سبه مثله، وقال: أخبرك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول: واللَّه لنمنعهن؟!

*** محمد بن سيرين:**

وحدث ابن سيرين رجلاً بحديثٍ عن النبي ﷺ، فقال له رجل: قال فلان كذا وكذا. فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ، وتقول: قال فلان وفلان، واللَّه لا أكلمك أبدًا.

*** نجيبُ بَني أميّةَ أمير المؤمنين مجدّد الدين عمرُ بن عبدالعزيز:**

❑ قال فيه عروة بن أذينة يرثيه:

وَأحيَيْتَ في الإسلام عِلمًا وسنّةً ... ولم تبتدعْ حُكمًا من الحُكمْ أسْحَمَا

فَفِي كلِّ يَوْمٍ كنتَ تهدمُ بدعةً ... وتبني لنا من سُنَّةٍ ما تَهدَّما

ومن كلامه الذي عني به، ويحفظه العلماء، وكان يعجب مالكًا جدًا. قال: «سن رسول اللَّه ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب اللَّه، واستكمال لطاعة اللَّه، وقوة على دين اللَّه، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتدٍ، ومن انتصر بها منصورٌ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه اللَّه ما تولى، وأصلاه

(١) رواه أحمد، وقال المنذري: رواته محتج بهم في «الصحيح». وصححه الألباني في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣).

جهنم وساءت مصيرًا».

ولما بايعه الناس صعد المنبر، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنةٌ، ولا بعد أمتكم أمةٌ، ألا وإن الحلال ـ ما أحل اللَّه في كتابه وعلى لسان نبيه ـ حلالٌ إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ـ ما حرم اللَّه في كتابه وعلى لسان نبيه ـ حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بمبتدع، ولكني متبع، ألا وإني لست بقاضٍ ولكني منفذٌ، ألا وإني لست بخازنٍ ولكني أضع حيث أمرت، ألا وإني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملاً، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ثم نزل.

وعند اللالكائي (١/ ٥٦) عن أبي المليح قال: «كتب عمر بن عبدالعزيز بإحياء السنة وإماتة البدعة».

وكتب له عدي بن أرطاة يستشيره في بعض القدرية فكتب إليه: «أما بعد، فإني أُوصيك بتقوى اللَّه والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذٍ قد كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى، فلئن قلتم: أمرٌ حدث بعدهم. ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم. إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مُقصِّرٌ، وما فوقهم محسر، لقد قصر عنهم آخرون فقلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدًى مستقيم»[1].

---

(١) «الاعتصام» (١/ ٤٩ ـ ٥٠) للشاطبي. وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٣)، و«الشريعة» للآجري (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٥)، و«الحلية» (٥٣٣٥) لأبي نعيم.

هذا المجدّد العظيم الذي ماكان يُبالي لو غلت به وبأهله القدور في ذات اللَّه عز وجل حتى يعيد الأمر إلى مجراه الأول.

◻ قال ـ رحمه اللَّه ـ في أصحاب القدر: يستتابون، فإن تابوا، وإلاّ نُفوا من ديار المسلمين.

◻ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ينبغي لأهل القدر أن يتقدم إليهم فيما أحدثوا من القدر، فإن كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم استلالاً»[١].

◻ وكان عمر بن عبدالعزيز يكتب في كتبه: إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيدة[٢].

وأفحم عمر بن عبدالعزيز غيلان الدمشقي وألقمه حجرًا، وقال لغيلان: «إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك إن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر». فلما ولى غيلان قال عمر: «اللَّهم إن كان كاذبًا بما قال ـ في ادعائه التوبة ـ فأذقه حر السلاح».

وفي رواية: «اللَّهم إن كان صادقًا فتب عليه، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين».

وفي رواية: فسلِّط عليه من يمثل به.

وأظهر غيلان مقالته مرة أخرى بعد موت عمر، فلما وَلِيَ هشام أرسل إليه، فقال له: أليس قد كنت عاهدت اللَّه لعمر لا تتكلم في شيء من هذا أبدًا؟ قال: أقلني فواللَّه لا أعود. قال: لا أقالني اللَّه إن أقلتك. اذهبا فاقطعا يديه ورجليه، واضربا عنقه واصلباه.

وكتب رجاء بن حيوة إلى هشام أمير المؤمنين: «بلغني أنه دخلك من

(١) «مناقب عمر بن عبدالعزيز» لابن الجوزي ص(٨٣ ـ ٨٤).

(٢) «الاعتصام» (١/٨٦).

قبل غيلان وصالحٍ، فأقر باللَّه، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم».

☐ وقال إبراهيم بن أبي عبلة: «أصاب واللَّه فيه القضية والسنة، ولأكتبن إليه فلأحسن له»[١].

☐ وكان الحسن البصري سيد زمانه علمًا وعملاً يقول: «من وقرّ صاحب بدعة فقد سعى في هدم الإسلام».

☐ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لا تجلس إلى صاحب بدعةٍ، فإنه يُمرِض قلبك ويُفسِد عليك دينك».

☐ والإمام الجبل سليمان بن طرخان التيمي.

قال عنه سعيد بن عامر: مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك، أتجزع من الموت؟ قال: لا، ولكن مررت على قدري فسلمت عليه، فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه[٢].

* وإمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه اللَّه ـ:

«قال إسحاق بن عيسى: قال مالك: أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله»[٣].

☐ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «سن رسول اللَّه ﷺ، وولاة الأمر بعده سننًا، الأخذ بها اتباعٌ لكتاب اللَّه، واستكمالٌ لطاعة اللَّه، وقوةٌ على دين اللَّه، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/ ٧١٤ ـ ٧١٧)، «الآجُريّ في الشريعة» ص(٢٢٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٣٣٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨).

(٣) «الحلية» (٦/ ٣٢٤)، و«السير» (٨/ ٩٩).

اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصورٌ، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه اللَّه ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[1] .

◻ كان ـ رحمه اللَّه ـ كثيرًا ما ينشد:

وخيْرُ أمورِ الدِّين ما كان سُنَّةً ... وشرُّ الأُمورِ المُحْدَثَاتُ البدائِع[2]

◻ وقال عبدالرحمن بن مهدي: قد سئل مالك بن أنس عن السنة، قال: ما لا اسم له غير السنة، وتلا ﴿**وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله**﴾ .

وأما ذمه للبدع وأهلها، فهو الإمام.

«قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: ما آية في كتاب اللَّه أشدُّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿**يوم تبيضُ وجوه**﴾ إلى قوله: ﴿**بما كنتم تكفرون**﴾ قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الأهواء. ورواه ابن القاسم وزاد: قال لي مالكٌ: إنما هذه الآية لأهل القبلة»[3] .

◻ وقال يحيى بن خلف الطرسوسي ـ وكان من ثقات المسلمين ـ: كنت عند مالك، فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا عبداللَّه، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق، فقال مالك: زنديقٌ، اقتلوه. فقال: يا أبا عبداللَّه، إنما أحكي كلامًا سمعته. قال: إنما سمعته منك، وعظم هذا القول»[4] .

◻ وقال مالك: القدرية لا تناكحوهم، ولا تصلوا خلفهم[5] .

---

(١) «السير» (٨/ ٩٨)، و«الحلية» (٦/ ٣٢٤).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٨٥).

(٣) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٥٦).

(٤) «الحلية» (٦/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥)، و«السير» (٨/ ٩٩).

(٥) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ١٧٦)، و«السير» (٨/ ١٠٢، ١٠٣).

«قال معن: انصرف مالكٌ يومًا، فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية، متَّهمٌ بالإرجاء، فقال: اسمع مني شيئًا أُعلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي. قال: احذر أن أشهد عليك. قال: واللَّه ما أُريد إلا الحق، فإن كان صوابًا. فقل به، أو فتكلم. قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعتني. قال: فإن غلبتك؟ قال: اتبعك. قال: فإن جاء رجل فكلمنا. فغلبنا؟ قال: اتبعناه. فقال مالك: يا هذا، إن اللَّه بعث محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقل»[1] .

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: الجدال في الدين ينشئُ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويُقسِّي ويورث الضغن.

❑ قال القاضي عياض: «قال أبو طالب المكي: كان مالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشد نقضًا للعراقيين. ثم قال القاضي عياض: قال سفيان بن عيينة: سأل رجلٌ مالكًا، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فسكت مالك حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء منه معلومٌ، والكيف منه غير معقولٍ، والسؤال عن هذا بدعةٌ، والإيمان به واجبٌ، وإني لأظنك ضالاً. أخرجوه. فناداه الرجل: يا أبا عبداللَّه، واللَّه قد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له»[2] .

جاء رجل إلى مالكٍ فسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول اللَّه ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت؟ فقال مالكٌ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ١٧٠)، و«السير» (٨/ ١٠٦).

(٢) «السير» (٨/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«ترتيب المدارك» (١/ ١٧٠ ـ ١٧١).

* الإمامُ الرَّبَّانُي : ابنُ أبي ذِئبٍ :

□ قال ابن سماك بن الفضل الشهابي: «حدثني ابن أبي ذئبٍ بحديث عن رسول اللَّه ﷺ، فقلت له: يا أبا الحارث أتأخذ بهذا؟ فضرب صدري وصاح علي صياحًا كثيرًا، ونال مني، وقال: أحدثُكَ عن رسول اللَّه ﷺ وتقول: تأخذ به؟! نعم آخذ به، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه، إن اللَّه تبارك وتعالى اختار محمداً ﷺ من الناس، فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له على لسانه؛ فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك. قال: وما سكت حتى تمنيت أن يسكت»[1] .

* وإمام أهل الشام شيخ الإسلام الأوزاعي :

هذا الإمام العظيم الذي «أجاب في سبعين ألف مسألة بالأثر» وكأن لحمه ودمه سيط بالاتباع فلا يعدوه.

□ قال ابن عيينة: كان الأوزاعي والثوري بمنى، فقال الأوزاعي للثوري: لم لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟ فقال: حدثنا يزيد بن أبي زياد. . فقال الأوزاعي: اروى لك الزهري عن سالم، عن أبيه عن النبي ﷺ، وتعارضني بيزيد رجل ضعيف وحديثه مخالف للسنة. فاحمر وجه سفيان، فقال الأوزاعي: كأنك كرهت ما قلت؟ قال: نعم. فقال: قم بنا إلى المقام نلتعن أينا على الحق. قال: فتبسم سفيان لمّا رآه قد احتد»[2] .

سبحان اللَّه. . بمثل الأوزاعي حفظ اللَّه الأرض. . يحتد من أجل السنة على جبل السنة والاتباع: الثوري.

---

(١) «الحجة في بيان المحجة لقوّام السنة» إسماعيل الأصبهاني (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) دار الراية.
(٢) «السير» (٧/ ١١٢ ـ ١١٣).

□ قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.

وقال: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عنهم فليس بعلم[1].

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: ما ابتدع رجل بدعة، إلا سلب الورع[2].

*** وأمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري جبل في الاتباع والدعوة إليه:**

□ قال عنه بشر بن الحارث الحافي: كان الثوري عندنا إمام الناس، وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما.

□ قال الثوري ـ رحمه اللَّه ـ: «استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء».

□ قال سفيان ـ رحمه اللَّه ـ: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم، خرج من عصمة اللَّه ووكل إلى نفسه. وقال: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم.

□ قال الذهبي في «السير» (٧/ ٢٦١): «قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير؛ يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة».

□ قال رجل لسفيان: رجل يكذب بالقدر، أأصلِّي وراءه؟ قال: لا تقدموه، قال: هو إمام القرية، ليس لهم إمام غيره. قال: لا تقدموه، لا تقدموه، وجعل يصيح.

---

(١) «السير» (٧/ ١٢٠).

(٢) «السير» (٧/ ١٢٥).

◘ وقال سفيان: «البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها»[١] .

◘ قال بشر بن منصور: سمعت سفيان الثوري يقول، وسأله رجل فقال: على بابي مسجدٌ، إمامه صاحب بدعة؟ قال: لا تصل خلفه. قال: تكون الليلة المطيرة وأنا شيخ كبير؟ قال: لا تُصَلِّ خلفه.

وقال له رجل: أوصني. قال: إياك والأهواء، إياك والخصومة، إياك والسلطان.

◘ قال سفيان ـ رحمه الله ـ: «لا يستقيم قولٌ إلا بعمل، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ إلا بنية، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بموافقة السنة»[٢] .

◘ قال يوسف بن أسباط: قال سفيان: يا يوسف، إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة فابعث إليه السلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قل أهل السنة والجماعة[٣] .

* وشيخ الإسلام عبدالله بن المبارك:

قال: ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة[٤].

* والإمام الرباني أبو إسحاق الفزاري:

الإمام الذي أدّب أهل الثغر، وعلّمهم السنة، وكان يأمر وينهى. وإذا

---

(١) «الحلية» (٧/ ٢٦).

(٢) «الحلية» (٧/ ٣٢).

(٣) «الحلية» (٧/ ٣٤).

(٤) «السير» (٨/ ٣٩٩).

دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه.

❑ وقال ابن عيينة: «ما أعلم أحدًا من أهل الإسلام أجدى وأدفع عن أهل الإسلام من أبي إسحاق الفزاري»[1].

نعم والله، فقد «كان الفزاري عظيم الغناء في الإسلام» كما قال أبو حاتم، وكم ذَبَّ عن السنة.

«يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله، فقال الرجل: أين أنت من ألف حديثٍ وضعتها؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها، فيخرجانها حرفًا حرفًا».

*** وسيد شباب أهل البصرة.. فتى الفتيان، وسيد العبَاد والرهبان.. المنوَر بالاتباع والإيمان أيوب السختياني:**

❑ قال ـ رحمه الله ـ: إذا حدثت الرجل بسنة فقال: دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضال.

«قال سلام بن أبي مطيع: رأي أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء فقال: إني لأعرف الذلة في وجهه، ثم تلا: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، ثم قال: هذه لكل مفترٍ. وكان يسمي أصحابَ الأهواء خوارج، ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف»[2].

❑ وقال ـ رحمه الله ـ: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.

❑ وعن سلام بن أبي مطيع: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب:

---

(١) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٢٨٣).

(٢) «الحلية» (٣/ ٩)، و«السير» (٦/ ٢١).

أُكلمك كلمة. قال: لا، ولا نصف كلمة.

وفي رواية: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فولى وهو يقول: ولا نصف كلمة، مرتين.

وعن هشام بن حسان: قال أيوب: ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهاداً إلا ازداد من اللَّه بعداً.

* نَاصِرُ السُّنَّة الإمام المُطّلبي الشَّافِعِي:

☐ قال أحمد بن حنبل عن الشافعي: لقد كان يذبُّ عن الآثار.

☐ وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: قد أعطيتك جملةً تغنيك إن شاء اللَّه: لا تدع لرسول اللَّه ﷺ حديثًا أبدًا، إلا أن يأتي عن رسول اللَّه ﷺ خلاف، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت.

☐ وقال الشافعي: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ، فقولوا بسنة رسول اللَّه ﷺ، ودعوا ما قلت.

وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط[1].

وقال: إذا وجدتم سنة من رسول اللَّه ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة، ودعوا قولي؛ فإني أقول بها.

وقال: كل مسألةٍ تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل، بخلاف ما قلت ـ فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني[2].

---

(١) «السير» (١٠/ ٣٥).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي ص(٤٧٣)، و«السير» (١٠/ ٣٥).

وقال: كل ما قلت وقال النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني.

□ وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول، وروى حديثًا، فقال له الرجل: تأخذ بهذا يا أبا عبدالله؟ فقال: متى رويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به والجماعة، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب، وأشار بيده على رءوسهم.

□ وقال الحميدي: سأل رجلٌ الشافعي بمصر عن مسألة، فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ كذا. فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيت في وسطي زنَّارًا؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟! أقول: قال النبي ﷺ وتقول لي: أتقول بهذا؟ أروي عن رسول اللّه ﷺ ولا أقول به!![1] .

□ وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال: روي عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبداللّه، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال: ويحك، أي أرضٍ تقلني، وأي سماء تظلني، إذا رويت عن رسول اللّه ﷺ شيئًا فلم أقل به؟! نعم، على الرأس والعينين، على الرأس والعينين[2] .

وقال: كل متكلم عن الكتاب والسنة فهو الجد، وما سواه هذيان.

وقال: «لا يقال: لم؟ للأصل، ولا كيف» ويعني بالأصل: القرآن والسنة.

وقال الشافعي: لم أسمع أحدًا نسبته عامة، أو نسب نفسه إلى علم - يخالف في أن فرض اللّه: اتبـاع أمر رسول اللّه ﷺ والتسليم لحكمه؛

(١) «مناقب الشافعي» ص(٤٧٤)، و«الحلية» (٩/١٠٦)، و«توالي التأسيس في مناقب الشافعي محمد بن إدريس» للحافظ ابن حجر ص(٦٣).
(٢) «مناقب الشافعي» ص(٤٧٥).

فإن اللَّه لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وإنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب اللَّه أو سنة رسوله ﷺ، وإن ما سواهما تبع لهما. وإن فرض اللَّه علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول اللَّه ﷺ واحد، لا يختلف فيه أنه الفرض، وواجب قبول الخبر عن رسول اللَّه ﷺ.

❑ قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: اسقني قائمًا، فإن النبي ﷺ شرب قائمًا.

❑ قال سالم: قالت عائشة رضي الله عنها: طيبت رسول اللَّه ﷺ بيدي، وسنة رسول اللَّه ﷺ أحقُّ أن تُتَّبع.

❑ قال الشافعي: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون من أهل العلم. فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة لغيرها، وترك ذلك الغير لرأي أنفسكم، فالعلم إذن إليكم، تأتون منه ما شئتم، وتدعون منه ما شئتم(١).

❑ وقال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: من تبع سنة رسول اللَّه ﷺ وافقته، ومن غلط فتركها خالفته. صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول اللَّه ﷺ وإن بعد، والذي أفارق من لم يقبل سنة رسول اللَّه ﷺ وإن قرب(٢).

❑ قال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: «لولا أصحاب المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر».

❑ قال قتيبة بن سعيد: مات الثوري ومات الورع، ومات الشافعي وماتت السنن، ويموت أحمد وتظهر البدع(٣).

---

(١) «الأم» للشافعي (٧/ ٢٠٠)، و«المناقب» (١/ ٤٨٤).
(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٨٥).
(٣) «السير» (١٠/ ٤٦)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ٢٥٠).

وكان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا على المبتدعة، دائب التحذير من البدع: قال يونس بن عبداللَّه: قال الشافعي: قال صاحبنا الليث بن سعد: لو رأيت صاحب هوًى يمشي على الماء ما قبلته. فقال الشافعي: أما إنه قصر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته[1].

وقال: لأن يلقى اللَّه العبدُ بكل ذنبٍ ما خلا الشِّرك باللَّه خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء. أي البدع.

◻ وقال الشافعي: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيءٍ، واللَّه ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى اللَّه عنه، ما خلا الشرك باللَّه، خير من أن يبتليه اللَّه بالكلام.

ودخل حفص الفرد ـ وكان الشافعي يسميه المنفرد ـ على الشافعي فكلمه، ثم خرج فقال: لأن يلقى اللَّهَ العبدُ بذنوبٍ مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرفٍ مما عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن. وكفر الشافعي حفصًا الفرد.

◻ قال الربيع: لقيت حفصًا الفرد فقال: أراد الشافعي قتلي.

◻ وقال الشافعي: ما ارتدى أحدٌ بالكلام فأفلح.

وقال: لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد. وقال: ما شيء أبغض إليَّ من الكلام وأهله.

◻ وقال الشافعي: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ.

◻ وقال الزعفراني: سمعنا الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر، ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

---

(١) «مناقب الشافعي» ص(٤٥٣).

وقال: مذهبي في أهل الكلام تقنيع رءوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد.

◘ قال الذهبي: هذا النفس الزكي متواتر عن الشافعي.

◘ وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه، أخزاهم اللَّه.

◘ وقال الشافعي للربيع: يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فإن خصمك النبي ﷺ غدًا، ولا تشتغل بالكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، وزاد المزني: ولا تشتغل بالنجوم.

◘ ودخل الشافعي على المأمون وعنده بشر المريسي، فقال أمير المؤمنين للشافعي: أتدري من هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: هذا بشر المِريسّي. قال: فقال الشافعي لبشر: أَدخلك اللَّهُ أسفل السافلين، مع فرعون وهامان وقارون.

◘ قال الربيع: انحدر علينا الشافعي من درجته يومًا وهم يتجادلون في القدر، فصاح: إما أن تقوموا عنا أو تجاورونا بخير.

ولما نقض إبراهيم بن إسماعيل ابن علية كلام الشافعي في «تثبيت خبر الواحد» قال الشافعي: ابن عليّة ضالٌّ، قد جلس عند باب الضّوال يضل الناس.

◘ وقال المزني: «كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم أتيته، فسألته عن مسألة من الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم، في مسجد الفسطاط. قال أنت في «تاران» تلطمك أمواجه - وتاران موضعٌ في بحر القلزم، لا تكاد تسلم منه سفينة - ثم ألقى عليّ مسألة في الفقه، فأجبت، فأدخل شيئًا أفسد جوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئًا أفسد

جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين؟ الذي فيه الزلل كثير؟! فتركت الكلام وأقبلت على الفقه»[1].

وفي رواية أخرى: قال المزني: «قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشـافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق اللّه فيه فرعون. أبلغك أن رسول اللّه ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها؛ تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مِمَّ خُلِق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أُصب في شيء منه، فقال: شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى اللّه، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]. فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. قال: فتبت»[2].

◻ قال أحمد بن حنبل: إن اللّه يُقيض للناس في رأس كل مائة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول اللّه ﷺ الكذب، قال: فنظرنا، فإذا في

---

(١) «السير» (١٠/٢٦، ٣١ - ٣٢).

(٢) «السير» (١٠/٢٦، ٣١ - ٣٢).

رأس المائة عمر بن عبدالعزيز، وفي رأس المائتين الشافعي»[١].

* شيخ المُحَدِّثين وقامع البدع: يزيد بن هارون:

انظر إلى قامع البدع الذي يخشاه ويرهبه المأمون. قال ابن الجوزي: «كان هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشر بن غياث يقول: القرآن مخلوق، ولله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلةً ما قتلتها أحدًا».

◻ قال أحمد: فكان بشر متواريًا أيام هارون نحوًا من عشرين سنة، حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة، وكان من المحنة ما كان.

فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك، ويراقب بقايا الأشياخ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه.

◻ قال ابن أكثم: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق. فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يتقى؟ قال: فقال: ويحك. إني أخاف إن أظهرته فيردّ عليّ فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة. قال: فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه، فقال له: نعم. فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد فدخل عليه المسجد وجلس إليه، فقال له: يا أبا خالد، إن أمير المومنين يقرئك السَّلام، ويقول لك: إني أُريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، قال: فقال: كذبت على أمير المؤمنين، لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقًا فاقعد إلى المجلس، فإذا اجتمع الناس فقل. قال: فلما أن كان الغد اجتمع الناس فقام فقال: يا أبا خالد، رضي الله عنك، إن أمير المؤمنين يقرئك السَّلام ويقول لك: إني

(١) «السير» (١٠/٤٦).

أردت أن أُظهر أن القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟ قال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، وما لم يقل به أحد. قال: فقدم فقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم، كان من القصة كيت وكيت. فقال له: ويحك تلعب بك»[1] .

فانظر إلى الشيخ الأثري الذي يخاف أميرُ المؤمنين جنابه، ولا يستطيع إظهار البدعة خوفًا منه.. انظر إليه وهو يتلعَّب بحاشية وخواص أمير المؤمنين ويقمع البدعة على ملأ من الناس.

* معلم الخير وإمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ:

رحم اللَّه ابن حنبل.. ما قام أحد بالسنّة وللسنّة مثلما قام، ويكفيه شرفًا ثباته ودفاعه عن القرآن وعقيدة أهل السنة.

❑ يقول علي بن المديني: «إن اللَّه عز وجل أعز هذا الدين برجلين، ليس لهما ثالث إلى يوم القيامة، بأبي بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة. وقد كان لأبي بكر الصديق أصحاب وأعوان، وأحمد ليس له أعوانٌ ولا أصحاب».

❑ وقال المزني: أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين.

فبُــورِكَ مولودًا وبــورك ناشئًا ... وبُورِك كهلاً من أمــينٍ معَــدَّلِ

وبورك مقبوضًا وبــورك مُلْحَدًا ... وبــورك مبعوثًا إلى خيــر منزلِ

وبَعْدُ فإنْ السّــنة اليوم أصبحتْ ... مُعــزَّزةً حتى كــأنْ لم تــذللِ

تصول وتســطو إذ أقيم منارها ... وحُطَّ مَنَارُ الإفــك والزُّور من عَلِ

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٣٨٥ ـ ٣٨٦).

وولى أخو الإبداع في الدّين هاربًا إلى النار يهوي مدبراً غير مقبلِ

◘ قال أبو عمير الطالقاني: سمعتهم يقولون: أحمد بن حنبل قرة عين الإسلام.

◘ وقال أبو حاتم الرازي: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة. وهو المحنة بيننا وبين أهل البدع.

◘ وقال أبو الحسن الهمداني: «أحمد بن حنبل محنة، به يعرف المسلم من الزنديق»[1].

تعالَ يا أخي إلى الإمام الذي لو كان في بني إسرائيل لكان آية، وإلى تمسكه بالسنة والأثر، يقول ابن الجوزي:

«كان ﷺ شديد الاتباع للآثار؛ حتى إنه بلغنا عن أبي الحسين بن المنادي أنه قال: استأذن أحمد زوجته في أن يتسرَّى طلبًا للاتباع فأذنت له، فاشترى جاريةً بثمنٍ يسير وسماها ريحانة، استنانًا برسول الله ﷺ.

◘ وقال الحسن بن أيوب البغدادي: قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أحياك الله يا أبا عبدالله على الإسلام. قال: والسنة.

◘ قال عبدالملك الميموني: ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحدًا من المحدثين أشد تعظيمًا لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، إذا صحت عنده، ولا أشد اتباعًا منه.

◘ قال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: إنما هو السنة والاتباع، وإنما القياس أن يقيس على أصل، أما أن تجيء إلى الأصل فتهدمه ثم تقول: هذا قياس، فعلى أي شيءٍ كان هذا القياس.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد».

□ وقال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا؛ فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت.

□ قال أبو بكر المروذي: قلت لأبي عبدالله: من مات على الإسلام والسنة مات على خير؟ فقال لي: اسكت، من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله»[1].

«قال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع أم مالك؟ قال: لا تقلِّد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيهم مخير.

□ وقال أبو داود: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه، ثم هو من بعد مع التابعين مخيّر. وقال أحمد أيضًا: «لا تقلِّدني، ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا». وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلّد دينه الرجال.

□ قال ابن القيم: ولأجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتابًا في الفقه، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك»[2].

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول اللَّه ﷺ، ومن حقرهم سقط من عين رسول اللَّه ﷺ؛ لأن أصحاب الحديث أحبار رسول اللَّه ﷺ.

□ قال الفضل بن أحمد الزبيدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول، وقد

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (٢٢٩ ـ ٢٣٤).

(٢) «إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار» لصالح بن محمد الفلاّني ص(١١٣).

أقبل أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر، فأومأ إليها وقال: هذه سرج الإسلام.

◻ وقال أبو عمران المالكي: رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث، والمحابر بأيديهم، فقال أحمد: إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس.

◻ وقال عمر بن بكار القافلاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون.

◻ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: من ردَّ حديث رسول اللَّه ﷺ فهو على شفا هلكة»[1].

* **أخي**: لقد كان يوم موت أحمد نصراً لأهل السنة.. فما ظنك برجل نصر السنة حتى في يوم موته.. فكيف نصره للسنة في حياته:

◻ قال عبداللَّه بن أحمد: «سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز». ولَمَّا مات ـ رحمه اللَّه ـ كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام.

◻ قال عبدالوهاب الوراق: «ما بلغنا أن جمعًا كان في الجاهلية والإسلام مثله، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على التصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف، وحزرنا على السور نحواً من ستين ألف امرأةٍ. وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادون من أراد الوضوء».

◻ وقال أبو زرعة: بلغني أن المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وقف عليه الناس، حيث صُلِّي على أحمد بن حنبل، فبلغ مقام ألف ألفٍ

(١) «مناقب الإمام أحمد».

وخمسمائة ألف.

«قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: صلوا على أحمد بن حنبل في المصلى، وظهر اللعن على الكرابيسيّ. فأخبر بذلك المتوكل فقال: من الكرابيسي؟ فقيل: إنه رجل أحدث قولاً لم يتقدمه أحد، فأمره بلزوم بيته حتى مات.

◻ وقال جعفر بن محمد النسوي: شهدت جنازة أحمد بن حنبل وفيها بَشَرٌ كثير، والكرابيسي يلعن لعنًا كثيرًا بأصوات عالية، والمريسي أيضًا.

◻ قال عبدالوهاب الوراق: أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فسر اللَّه المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة؛ لِمَا رأوا من العز وعلو الإسلام، وكبتَ اللَّه أهل البدع والزيغ والضلالة»[1].

للَّه درّك يا ابن حنبل من إمامٍ لأهل السنة.. بأبي هو وأمي، ما كان أعمق فهمه لعقيدة أهل السنة، يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «لا يكون صاحب الكلام ـ إن أصاب كلامه السنة ـ من أهل السنة حتى يدع الجدل ويُسَلّم»[2].

وهو نفس المحكي عن ابن المديني: «الكلام في القدر وغيره من السنة مكروه، ولا يكون صاحبه ـ وإن أصاب السنة بكلامه ـ من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالإيمان».

نعم، إن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة، وإن أصاب كلامه السنة، حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب بل التلقي والاستمداد منها، فمن تلقى من السنة فهو

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ١٥٧).

من أهلها وإن أخطأ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ، وإن وافقها في النتيجة(١) .

انظر رحمك اللَّه إلى شدة اتباع أحمد بن حنبل:

اختفى أحمد أيام الواثق عند إبراهيم بن هانئ. قال إبراهيم: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام، ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أتحوَّل إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبداللَّه. فقال: افعل، فإذا فعلت أفدتك، وطلبت له موضعًا. فلما خرج قال لي: اختفى رسول اللَّه ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحوّل، وليس ينبغي أن يُتَّبع رسول اللَّه ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة(٢) .

*** للَّه دَرُّك إمام أهل السنة:**

ولابن حنبل الصِّدِّيق نورُ هدى حتى القيامة مثل البدر في الغَسَقِ
وفَضْله بين أهل الفضل مُشتهرٌ وإصبعاه من الزِّنْديق في الحَدَقِ

*** إعراضه عن أهل البدع وذمّه لهم:**

□ قال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبداللَّه، ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: قوم سوء. فقام أحمد وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق. ودخل بيته.

□ وقال صالح بن أحمد: جاء الحزامي إلى أبي، وقد كان ذهب إلى

---

(١) «منهج الأشاعرة في العقيدة» للدكتور سفر الحوالي.
(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٣٠).

ابن أبي دؤاد، فلما خرج إليه ورآه أغلق الباب في وجهه ودخل.

□ وقال أبو داود السجستاني: قلت لأبي عبداللّه: أرى رجلاً من السنة مع رجل من أهل البدع، أترك كلامه؟ قال: لا، أو تعلمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقهُ به. قال ابن مسعود: «المرء بخدنه».

□ وقال الحسن بن ثواب: قال لي أحمد بن حنبل: ما أعلم في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان. قلت: ولم؟ قال: ظهرت بدعٌ، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها.

للّه دَرُّك يا إمام، ما أفطنك.

□ قال حسان بن عطية: ما ابتدع قوم بدعةً في دينهم إلا نزع اللّه من سُنَّتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة.

وسئل أحمد بن حنبل عن الوساوس والخطرات، فقال: ما تكلَّم فيها الصحابة ولا التابعون.

□ وقال أبو القاسم النصر أباذي: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى في دارٍ ببغداد ومات فيها، ولم يُصَلِّ عليه إلا أربعة نفرٍ.

أرسل الإمام أحمد إلى المتوكل: «إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيءٍ من أمور المسلمين، فإن في ذلك من أعظم الضرر على الدين، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين ـ أطال اللّه بقاءه ـ من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع»[١].

□ وقال الإمام أحمد ـ رحمه اللّه ـ: قبورُ أهل السنة من الفُسَّاق روضةٌ

---

(١) «مناقب الإمام» ص(٢٣٣).

من رياض الجنة، وقبورُ أهل البدع من الزُّهاد حفرة من حفر النار»[١].

* **زهر البساتين من ثبات الإمام أحمد بن حنبل إمام العلماء الربانيين:**

ذلكم الجبل الذي أعطى المجهود من نفسه.

◘ قال أبو غالب ابن بنت معاوية: ضُرِب أحمد بن حنبل بالسياط في اللَّه، فقام مقام الصديقين، في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين.

● عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يأتي على الناس زمان؛ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[٢].

● وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسّك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم**»[٣].

أُخِذ أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن أيام المأمون، ليُحمل إلى المأمون ببلاد الروم، وأُخِذَ معه أيضًا معه محمد بن نوح مقيَّدَيْن، ومات المأمون قبل أن يلقاه أحمد، فُردّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في أقيادهما، فمات محمد بن نوح في الطريق، ورُدّ أحمد إلى بغداد مقيّدًا.

◘ ودخل على الإمام أحمد بعض حفّاظ الحديث بالرّقة وهو محبوس، فجعلوا يُذاكرونه ما يُروى في التقية من الأحاديث، فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خباب: «**إن من كان قبلكم كان يُنشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصده ذلك عن دينه**»؟! فيئسوا منه.

---

(١) «مناقب الإمام» ص(٢٣٦ ـ ٢٤١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٧٩)، و«الصحيحة» رقم (٩٥٥).

قال الإمام أحمد: كنت أُصلي بأهل السجن وأنا مقيّد.

ولما مات المأمون، رُدّ أحمد إلى بغداد فسُجن، إلى أن امتحنه المعتصم.

«قال أبو بكر المروزي: لما سُجِن أحمد بن حنبل، جاء السجّان فقال له: يا أبا عبداللَّه، الحديث الذي رُوي في الظَّلَمة وأعوانهم صحيح؟ قال: نعم. قال السجّان: فأنا مِن أعوان الظلمة؟ قال أحمد: فأعوان الظلمة مَنْ يأخذ شعْرَك، ويغسل ثوبك، ويُصلح طعامك، ويبيع ويشتري منك، فأمّا أنا فمن أنفُسهم»[1].

للَّه درّ ابن حنبل، وضعوا في رجلة أربعة قيود، وهو إمام أهل السنّة!!

□ «لما أمر المعتصم بحمل أحمد إليه ـ وكان قد سجنوه في رمضان سنة تسع عشرة، في دار إسحاق بن إبراهيم ـ دخل عليه إسحاق فقال: يا أحمد، إنها واللَّه نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى إن لم تجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يُلقيك في موضعٍ لا ترى فيه الشمس، وجيء إلى أحمد بدابّة، فحُمِل عليها وعليه الأقياد، وكاد غير مرّة أن يخرّ على وجهه، لثقل القيود، فجيء به إلى دار المعتصم، وأدخلوه في حجرة، وأدخلوه إلى بيت، وأُقفل الباب عليه، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فلما كان الغد، أخرجوه إلى الخليفة ليناظره أحمد بن أبي دؤاد، والمعتصم يقول: واللَّه لئن أجابني لأُطلقن عنه بيدي، ولأركبن إليه بجندي، ولأطأن عقبه. ثم قال: يا أحمد، واللَّه إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجل أو سنّة رسوله. ومرة أخرى يقول المعتصم لأحمد: ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ قال أحمد: قد سمعت باسمه. قال: كان مؤدبي، وكان في

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٣٩٧).

ذلك الموضع جالسًا ـ وأشار إلى ناحية من الدار ـ فسألته عن القرآن فخالفني؛ فأمرت به فوُطِئ وسُحِب. وبعد ثلاثة أيام من المناظرة والإمام أحمد يُفحم المبتدعة، قال المعتصم: العقابين والسياط، فجيء بهم.

◘ قال إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم رقّ في أمر أحمد لما عُلِّق في العقابين، ورأى ثبوته وتصميمه، وصلابته في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال له: إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون، وسخِطت قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

«قال صالح: قال أبي: لما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، فأُتي بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدّموا، فجعل يتقدم إليّ الرجل فيضربني سوطين، فيقول له ـ يعني المعتصم ـ: شُدَّ قطع اللَّه يدك! ثم يتنحّى، ثم يتقدم الآخر فضربني سوطين، وهو في كل ذلك يقول لهم: شُدُّوا، قطع اللَّه أيديكم، فلما ضُرِبت تسعة عشر سوطًا، قام إلى ـ يعني المعتصم ـ فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟! إني واللَّه عليك شفيق، قال: فجعل عُجيف ينخسني بقائم سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك! الخليفة على رأسك قائم. وجعل عبدالرحمن يقول: ويحك يا أحمد! من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟! قال: وجعل المعتصم يقول: ويحك يا أحمد! أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فَرَج، حتى أطلق عنك بيدي. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجلّ أو سنّة رسوله حتى أقول به. قال: فرجع فجلس، فقال للجلاّدين: تقدّموا، فجعل الجلاّد يتقدّم ويضربني سوطين ويتنحّى، وهو في خلال ذلك يقول: شُدَّ، قطع اللَّه يدك. قال أبي: فذهب عقلي، فأفقتُ بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أُطلقت عني، فقال رجل ممّن حضر: إنا كببناك على وجهك، وطرحنا على ظَهرك باريّة، ودُسناك. قال أبي: فما

شعرتُ بذلك، وأتَوني بسُوَيق فقالوا لي: اشرب وتقيّأ. فقلت: لست أُفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر فتقدّم ابن سماعة فصلى، فلما انفتل من الصلاة، قال لي: صلَّيْت والدم يسيل في ثوبك؟! فقلتُ: قد صلى عمر وجُرحه يثغب دمًا»[1].

ثم خلي عنه فصار إلى منزله، فمكث في السجن منذ أُخِذ وحمل، إلى أن ضُرِب وخُلِّي عنه ثمانية وعشرين شهراً.

قال بعض الجلادين الذين ضربوا الإمام أحمد: لقد بطل أحمد الشُّطار، واللَّه لقد ضربته ضربًا لو أُبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب، لنقبت عن جوفه.

وقال شاباص التائب: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوْطًا، لو ضربته فيلاً لهدَّتْه.

يرحم اللَّه إمام أهل السنة، للَّه درّه ودر أم أنجبته فأوحدت به.

◻ قال علي بن المديني: «إن اللَّه أعز الإسلام برجلْين لا ثالث لهما: أبو بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة، بل إن أبا بكر له أعوان، ولم يكن لأحمد بن حنبل أعوان».

◻ قال ابن الجوزي: هذا رجل هانت عليه نفسه في اللَّه فبذلها، كما هانت على بلال نفسه.

وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه كانت نفسه عليه في اللَّه تعالى، أهون من نفس ذباب، وإنما تهون عليهم أنفسهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر، ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه، لأنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يبتلى الرجلُ على حسب دينه»** فسبحان من أيّده وبصّره، وقوّاه ونصره!!

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٠٥ ـ ٤٠٧).

قافلة النور تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتبتلى

قد ضرب الربانيون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أروع الأمثلة في القيام بالحق، وأن لا تأخذهم في اللَّه لومة لائم.

وكم للربانيين على مدار التاريخ من مواقف أنصع من ضوء النهار! بيّض اللَّه وجوههم كما بيّضوا وجه التاريخ.. وكانوا شامة الحسن فيه.

❑ قال ابن الجوزي: «وما زال الناس يُبتلون في اللَّه تعالى ويصبرون، وقد كانت الأنبياء تُقتل، وأهل الخير في الأمم السابقة يُقَتلون ويحرّقون، ويُنشر أحدهم بالمنشار، وهو ثابت على دينه، وقد سُمَّ نبينا ﷺ، وسُمّ أبو بكر، وقتل عمر وعثمان وعلي، وسُمّ الحسن، وقُتل الحسين بن علي، وابن الزبير، والضحّاك بن قيس، والنعمان بن بشير، وصُلِب خُبيب بن عدي.

وقتل الحجاج عبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبداللَّه بن غالب الحدّاني، وسعيد بن جبير، وأبا البختري الطائي، وكميل بن زياد، وحطيطًا الزيّات، وماهان الحنفي، صلبه، وصلب قبله ابن الزبير.

وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي وصلبه.

*** فأما من ضُرب من كبار العلماء:**

فعبدالرحمن بن أبي ليلى: ضربه الحجاج أربعمائة سوط، ثم قتله.

وخبيب بن عبداللَّه بن الزبير: ضربه عمر بن عبدالعزيز بأمر الوليد مائة سوط، فكان عمر إذا قيل له: أبشر. قال: كيف بخبيب على الطريق؟!

وأبو الزناد: ضربه بنو أمية.

وأبو عمرو بن العلاء: ضربة بنو أمية خمسمائة سوط.

وربيعة الرأي: ضربه بنو أمية.

وعطية العوفي: ضربه الحجاج أربعمائة سوط.

ويزيد الضبِّي: ضربه الحجّاجُ أربعمائة سوط.

وثابت البناني: ضربه ابن الجارود خليفة ابن زياد.

وعبداللَّه بن عون: ضربه بلال بن أبي بردة سبعين سوطًا.

ومالك بن أنس: ضربه المنصور سبعين سوطًا في يمينِ المُكرَه، وكان مالك يقول: لا تلزمُه اليمين.

وأبو السّوار العدوي: وعقبة بن عبدالغافر: ضُرِبَا بالسياط.

ولأحمد بن حنبل في هؤلاء الأئمة أسوةٌ»[1].

«دخل الحارث بن مسكين على الإمام أحمد، فقال له: أخبرني يوسف ابن عمر بن يزيد، عن مالك بن أنس: أن الزهريَ سُعي به حتى ضُرِبَ بالسياط، فقيل لمالك بعد ذلك: إن الزهريّ قد أُقيم للناس وعُلِّقَت كتُبه في عنقه. فقال مالك: قد ضُرب سعيد بن المسيب بالسياط، وحُلِقَ رأسه ولحيتُه، وضُرب أبو الزناد بالسياط، وضُرِبَ محمد بن المنكدر وأصحابٌ له في حمّامٍ بالسياط. قال: وقال عمر بن عبدالعزيز: لا تغبطوا أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذًى. فأعجب أحمد بقول الحارث»[2].

قيل للشافعي: يُبتلى الرجلُ خيرٌ له أم يُمكَّن؟ قال: لا يُمكَّنُ حتى يُبتلى.

ضربُوا ابن حنبل بالسياطِ بظُلْمهم ... بغْــيًا فَثُبِّــتَ بالثبـــاتِ الأنْـــورِ
قال المُوَفَّقُ حينَ مُدِّد بينهمْ ... مـــدّ الأديم معَ الصعيـــدِ القرْقرِ
إني أمـــوتُ ولا أبـــوءُ بِفَجْـــرَةٍ ... تصلى بوائقُها محلَّ المفتري

للَّه دره!!

هانتْ عليه نفسُـــهُ في دِينـــهِ ... فَفَدَى الإمـــامُ الدينَ بالجُثْمَـــانِ
للّهِ مَا لَقِيَ ابنُ حنبـــلَ صـــابرًا ... عزمًـــا وينصـــرُهُ بـــلا أعـــوانِ

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٢٢ ـ ٤٢٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٢١ ـ ٤٢٢).

☐ قال بشر الحافي ـ رحمه اللَّه ـ: إنّ ابن حنبل طار بحظّها وغنائها في الإسلام.

☐ قال إسحاق بن راهويه: لولا أحمد بن حنبل وبذلُ نفسهِ لما بذلها له؛ لذهب الإسلام.

وعن أبي هيثم العابد قال: «كنتُ عند بشر بن الحارث، فجاءه رجلٌ فقال: قد ضُرب أحمد بن حنبل إلى السَّاعة سبعةَ عشرَ سوطًا، قال: فمدَّ بشرٌ رجله، وجعل ينظر إلى ساقيه ويقول: ما أقبحَ هذا الساقَ أن لا يكون القيدُ فيه نصرة لهذا الرجل».

وقالوا لبشر: ألا صنعتَ كما صنع ابن حنبل. فقال: تريدون مني مرتبةَ النبوة، لا يقوى بدني على هذا، حَفِظَ اللَّه أحمد؛ من بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله.

«وقال بشرٌ: أُدخلَ أحمدُ الكيرَ، فخرج ذهبًا أحمر. قال علي بن خشرم: فبلغ ذلك أحمد، فقال: الحمد للَّه الذي رَضَّى بشرًا بما صنعنا»[1].

وما أروع ما كتب مصطفى صادق الرافعي، بقلمه النيّر ـ للَّه درُّه ـ: «كنتُ لا أزال أَعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل، وقد ضُرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه، فلم يتحوَّل عن رأيه، فعلمتُ الآن أنّه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي، ولو هو صبر على هذا صبر الإنسانِ لَجَزِعَ وتحوّل، ولو ضُرب ضرب الإنسان لتألَّم وتغيّر، ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمّة كلُّها لا أحمد بن حنبل، فلو تحوّل لتحوّل الناس، ولو ابتدع لابتدعوا، فكان صبره صبر أمَّة كاملة، لا صبر فرد، وكان يُضرب بالسياط ونفسه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير،

(١) «مناقب الإمام» ص(١٥٧).

لما نالوا منه شيئًا؛ إذ لم يكن جسمه إلا ثوبًا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير.

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتُمنوا عليها من اللَّه، لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يُزرعون في الأمم زرعًا بيد اللَّه، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم - وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته - إلا كالأحمق، يقول لشجرة التفاح: أثمري غير التفاح»[1].

*** الإمام أسد بن الفرات وشدّته على المعتزلة وأهل البدع:**

كان - رحمه اللَّه - ذات يوم يُقرأ عليه في تفسير المسيب بن شُريك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢١ - ٢٢]، وسليمان الفرّاء المعتزلي حاضر، فقال: من الانتظار يا أبا عبداللَّه؟ فأخذ أسد بتلابيبه وأخذ بيده الأخرى نعلاً وقال: يا زنديق لتقولنها أو لأبيضن بها عينيك، فقال سليمان: نعم ننظره، وقيل: ضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه»[2].

*** محنة الإمام سحنون وتلاميذه في محنة خلق القرآن وثباتهم حتى هُزمت المعتزلة:**

كان المعتزلة في بادئ الأمر في ذلّة وهوان؛ ولكن اعتناق حكّام القيروان الأغالبة لعقيدتهم عزّز جانبهم وأعطاهم قوة ومنعة ونفوذًا، وحاول الأغالبة إرغام الناس على اعتناق عقيدة المعتزلة والقول بخلق القرآن، فلم يجار المالكية بني الأغلب في مقالتهم المملاة عليهم من الخلفاء العباسيين في

---

(١) من «وحي القلم» لمصطفى صادق الرافعي.

(٢) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» (٣/ ٣٠٢) طبع وزارة الأوقاف المغربية.

بغداد.

وقد نزل بكثير من المالكية الأذى والضرّ برفضهم القول بخلق القرآن ولا سيما الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، ذلك أنه لما تولى أحمد بن الأغلب إمارة القيروان، أخذ الناس بالمحنة بالقول بخلق القرآن، فجمع قوّاده، وقاضيه ابن أبي الجواد الحنفي، ودعا سحنون بن سعيد فقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال سحنون: أما شيء أبتديه من نفسي فلا، ولكني سمعتُ من تعلّمت منه وأخذت عنه كلهم يقولون: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد، كَفَر فاقتله، ودمه في عنقي، غير أن الأمير أحمد لم يأخذ بهذا الرأي، ولكنه حكم على سحنون بالإقامة الجبرية في منزله، ومنعه من الفتوى[1].

ولما رفض سحنون أن يصلي خلف ابن أبي الجواد لقوله بخلق القرآن سعى به إلى الأمير زيادة اللَّه بن الأغلب، فأمر الأمير عامله على القيروان بضرب سحنون خمسمائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، ولو لا أن الوزير علي ابن حميد بادر إلى الأمير فأقنعه بالعدول عن هذا القرار لما تخلّص سحنون من هذه العقوبة[2].

وقد فرّ يحيى بن عمر الكندي تلميذ سحنون إلى سوسة من أمام ابن عبدون القاضي الحنفي بالقيروان لطرده العراقيين من مجلسه، وعدم قوله بخلق القرآن، وبعث ابن عبدون يطلبه، وأمر أن يُؤتي إليه موثقًا إن وُجد ولكنهم لم يتمكنوا منه وظل مختفيًا بسوسة حتى توفي ـ رحمه اللَّه ـ[3].

❑ كما توارى محمد بن سحنون التنوخي المتوفي عام ٢٥٦هـ خوفًا

---

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٧١).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

على نفسه من سليمان بن عمران قاضي محمد بن الأغلب لمخالفته له في المذهب ورفضه القول بخلق القرآن، حتى لجأ إلى الأمير محمد بن الأغلب، فرفع يد سليمان عنه، وأمّنه، فردّ سليمان غيظه على أصحاب ابن سحنون، فأخذ فرات بن محمد وضربه بالسياط[1] .

وقد امتحن كثير من فقهاء المالكية في مسألة خلق القرآن وأصروا على التمسك بالكتاب والسنة والثبات على عقيدة السلف، حتى كُتب لهم النصر وهُزِمت المعتزلة.

❑ يقول الدكتور حسن أحمد محمود: «فلما امتحن أهل المغرب بمحنة خلق القرآن، وتفشّت آراء المعتزلة، والقدرية، كان المالكيّون أشد الناس لهم حربًا وأكثرهم عنفًا في مقاومتهم، وامتُحِنوا في سبيل ذلك، فصبروا على الإيذاء، وتمسكوا بالكتاب والسنة، ونافحوا عنها منافحة الأبطال، حتى كُتب لهم الظفر، وأُعِزّ بهم الإسلام، ورفع كتابه وسنة نبيه، وهُزِمت المعتزلة، حتى لم يبق لها بالقيروان رأي ولا أتباع، ولم يجد الأمراء مفرًّا من النزول على رأي المالكية»[2] .

❑ قال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام أبي سعيد عبدالسلام بن حبيب المعروف بسحنون: «قرأت في تاريخ القيروان لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي قال: قال أبو العرب: اجتمعت في سحنون خلال قلّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشّن في الملبس والمطعم والسماحة، كان ربما وصل إخوانه

(١) المصدر السابق (٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣).
(٢) «قيام دولة المرابطين» للدكتور حسن أحمد محمود ص(٩٣ ـ ٩٤) طبع دار الفكر العربي، و«السلفية وأعلامها في موريتانيا» للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين ص(١٧٨ ـ ١٨١) ـ دار ابن حزم.

بالثلاثين دينارًا، وكان لا يقبل من أحد شيئًا، ولم يكن يهاب سلطانًا في الحق شديدًا على أهل البدع، انتشرت إمامته، وأجمعوا على فضله»[١] .

□ وكذلك عبداللَّه بن أبي حسان اليحصبي (ت: ٢٢٦)، قال ابن فرحون في ترجمته: «وكان جوادًا مفوّهًا قويًا على المناظرة، ذابًّا عن السنة متبعًا لمذهب مالك شديدًا على أهل البدع»[٢] .

□ وقال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ في ترجمة الإمام أبي يوسف جبلة بن حمود الصدفي من تلاميذ سحنون (ت: ٢٩٩هـ): «ذِكر شدته على أهل البدع ومجانبته إياهم وقوته في ذات اللَّه عز وجل: كان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا في ذلك، لا يداري فيه أحدًا، ولم يكن أحد أكثر مجاهدة منه للروافض وشيعهم، فنجّاه اللَّه منهم.. وكان يُنكر على من خرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور، ويقول: جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك»[٣] .

* شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي أمره سماوي أشد الناس اتباعًا ودعوة إلى الاتباع:

□ قال عنه أبو عبداللَّه الحكم: كان من الأبدال المتّبعين للآثار.

□ وقال قبيصة: كان ابن مسعود أشبه الناس برسول اللَّه ﷺ، يعني في هديه وسمته، وكان علقمة يشبَّه بابن مسعود في ذلك، ويشبَّه بعلقمة إبراهيم، وبإبراهيم منصور، وبمنصور سفيان، وبسفيان وكيع.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٦٩).

(٢) «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون ص(١٣٤) ـ دار الكتب العلمية.

(٣) «ترتيب المدارك» (٤/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

□ قال الحاكم: «قام محمد بن أسلم مقام وكيع، وأفضل من مقامه؛ لزهده وورعه وتتبعه للأثر»[١].

قال إسحاق بن راهويه: «وذكر في حديث رفعه إلى النبي ﷺ، قال: «**إن اللَّه لم يكن ليجمع أُمّة محمد على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم**»[٢]، فقال رجل: يا أبا يعقوب، من السواد الأعظم؟ فقال: محمد بن أسلم وأصحابه ومن تبعه. ثم قال: سأل رجلٌ ابن المبارك فقال: يا أبا عبدالرحمن، من السواد الأعظم؟ فقال: أبو حمزة السكوني. ثم قال إسحاق: في ذلك الزمان؛ يعني أبا حمزة، وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه. ثم قال إسحاق: لو سألت الجهال: من السواد الأعظم؟ قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أن الجماعة عالمٌ متمسِّك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة، ومن خالفه فيه ترك الجماعة. ثم قال إسحاق: لم أسمع عالمًا منذ خمسين سنة كان أشد تمسكًا بأثر النبي ﷺ من محمد ابن أسلم»[٣].

□ قال محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم: سمعت أبا يعقوب المروزي ببغداد، وقلت له: قد صحبت محمد بن أسلم، وصحبت أحمد بن حنبل، أي الرجلين كان عندك أرجح أو أكثر أو أبصر بالدين؟ فقال: يا أبا عبداللَّه، لم تقول هذا؟ إذا ذكرت محمد بن أسلم في أربعة أشياء فلا تقرن معه أحدًا: البصر بالدين، واتباع أثر النبي ﷺ في الدنيا، وفصاحة لسانه

(١) «السير» (١٢/ ١٩٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، وإسناده ضعيف، ورواه أبو يعلى الموصلي، وأبو داود وأحمد والترمذي وأبو نعيم والحاكم وابن منده والضياء في المختارة عن أنس بن مالك وأبي مالك الأشعري وأبي بصرة وابن عمر وأبي ذر ﵃، وفي كلها نظر كما قاله العراقي. قال شعيب الأرنؤوط. لكن بمجموعها يتقوى الحديث. انظر هامش «السير» (١٢/ ١٩٧).

(٣) «السير» (١٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، «الحلية» (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

بالقرآن والنحو. ثم قال لي: نظر أحمد بن حنبل في كتاب الرَّدّ على الجهمية، الذي وضعه محمد بن أسلم، فتعجب منه، ثم قال: يا أبا يعقوب، رأت عيناك مثل محمد؟ فقلت: يا أبا عبداللَّه لا يغلظ رأي محمد من أستاذيه ورجاله مثله. فتفكر ساعةً ثم قال: لا، قد رأيتهم وعرفتهم، فلم أر فيهم على صفة محمد بن أسلم.

❏ قال أبو عبداللَّه: وسألت يحيى بن يحيى عن ست مسائل فأفتى فيها، وقد كنت سمعت محمد بن أسلم أفتى فيها بغير ذلك، احتج فيها بحديث النبي ﷺ، فأخبرت يحيى بن يحيى بفتيا محمد بن أسلم فيها، فقال: يا بني أطيعوا أمره، وخُذُوا بقوله، فإنه أبصر منا؛ ألا ترى أنه يحتج بحديث النبي ﷺ في كل مسألة، وليس ذاك عندنا.

❏ قال أبو عبداللَّه: سمعت إسحاق بن راهويه ـ ذات يوم ـ روى في ترجيع الأذان أحاديث كثيرة، ثم روى حديث عبداللَّه بن زيد الأنصاري، ثم قال: يا قوم قد حدثتكم بهذه الأحاديث في الترجيع، وليس في غير الترجيع إلا حديث واحد؛ حديث عبداللَّه بن زيد، وقد أمر محمد بن أسلم الناس بالترجيع فقلتم: هذا مبتدع، عامَّةُ أهل بلده بالكُورة غوغاء، ثم قال: احذروا الغوغاء، فإن الأنبياء قتلتهم الغوغاء. فلمّا كان الليل دخلت عليه فقلت: يا أبا يعقوب، حدثت هذه الأحاديث كلها في الترجيع، فمالك لا تأمر مؤذنك بالترجيع؟ قال: يا مغفل، ألم تسمع ما قلت في الغوغاء، إنما أخاف الغوغاء، فأمّا أمر محمد بن أسلم، فإنه سماويّ، كلَّما أخذ في شيءٍ، تمَّ له، ونحن عنده عبيد بطوننا، لا يتم لنا أمرٌ نأخذ فيه، نحن عند محمد بن أسلم من السُّرّاق.

لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال، فهذا كلام إسحاق بن راهويه شيخ البخاري.

□ قال أبو عبدالله: وكتب إليّ أحمد بن نصر: أن اكتب إليَّ بحال محمد بن أسلم، فإنه ركن من أركان الإسلام.

□ وقال لخادمه عند موته: «يا أبا عبدالله؛ أنا معك وقد علمت أن معي في قميصي من يشهد علي، فكيف ينبغي لي أن آتي الذنوب، إنما يعمل الذنوب جاهلٌ ينظر فلا يرى أحدًا، فيقول: ليس يراني أحدٌ، أذهب فأُذنب. فأما أنا كيف يمكنني ذلك وقد علمت أن داخل قميصي من يشهد علي. ثم قال: يا أبا عبدالله، ما لي ولهذا الخلق، كنت في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت الدنيا وحدي، ثم تقبض روحي وحدي، وأدخل في قبري وحدي، ويأتيني منكر ونكير فيسالأني في قبري وحدي، فإن صرت إلى خيرٍ صرت وحدي، وإن صرت إلى شرٍّ كنت وحدي، ثم أوقف بين يدي الله وحدي، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بُعثت إلى الجنة بُعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي، فما لي وللناس. ثم تفكر ساعةً فوقعت عليه الرّعدة، حتى خشيتُ أن يسقط، ثم رجعت إليه نفسه، ثم قال: يا أبا عبدالله، إن هؤلاء قد كتبوا رأي أبي حنيفة، وكتبت أنا الأثر، فأنا عندهم على غير طريقٍ، وهم عندي على غير طريقٍ. وقال لي: يا أبا عبدالله، أصل الإسلام في هذه الفرائض، وهذه الفرائض في حرفين، ما قال الله ورسوله: افعل. فهو فريضة ينبغي أن يفعل، وما قال الله ورسوله: لا تفعل. فينبغي أن ننتهي عنه، فتركه فريضة، وهذا في القرآن، وفي فريضة النبي ﷺ، وهم يقرءونه ولكن لا يتفكرون فيه، قد غلب عليهم حب الدنيا. ثم قال: حديث عبدالله بن مسعود: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وحديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة، وأُمَّتي تفترق على ثلاثة وسبعين، كلها في النار إلا واحدة». قالوا: يا رسول الله ﷺ، من هم؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فرجع الحديث إلى واحد، والسبيل الذي قال في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «الذي قال ما أنا عليه وأصحابي» فدين الله في سبيلٍ واحدٍ، فكل عملٍ أوله أعرضه على هذين الحديثين، فما وافقهما عملته، وما خالفهما تركته، ولو أن أهل العلم فعلوا، لكانوا على أثر النبي ﷺ، ولكنهم فتنهم حب الدنيا وشهوة المال، ولو كان في حديث عبدالله بن عمرو الذي قال: «كلها في النار إلا واحدة»، قال: «كلها في الجنة إلا واحدة» لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا وجميع أمورنا، خوفًا أن يكون من تلك الواحدة، فكيف وقد قال: «كلها في النار إلا واحدة»[1].

❑ وقال أبو عبدالله: «وولد له ابنٌ فدفع إليَّ دراهم وقال: اشتر كبشين عظيمين وغالِ بهما فإنه كلما كان أعظم كان أفضل. فاشتريت له وأعطاني عشرة دراهم فقال: اشتر به دقيقًا واخبزه. فنخلت الدقيق وخبزته، ثم جئت به فقال: نخلت هذا؟ فأعطاني عشرة دراهم أُخَر وقال: اشتر به دقيقًا ولا تنخله واخبزه. فخبزته وحملته إليه، فقال لي: يا أبا عبدالله، إن العقيقة سنة، ونخل الدقيق بدعة، ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة، فلم أُحب أن يكون ذلك الخبز في بيتي بعد أن يكون بدعة».

الله أكبر. نخل الدقيق مباح.. ولكنه يريد أن يقتفي أثر الرسول ﷺ الذي ما رأى منخلاً قط منذ أن ابتعثه الله.

---

(١) «الحلية» (٩/ ٢٤١ ـ ٢٤٤).

فرحم اللَّه شيخ الإسلام الطوسي، الذي ما علم بسنةٍ إلا وعملها، إلا سنة واحدة أعيته، وهي أن يطوف بالبيت راكبًا مثلما طاف رسول اللَّه ﷺ بالبيت راكبًا.

*** سيِّد الحُفّاظ أبو زُرْعَة الرَّازِي عُبيد اللَّه بن عبدالكريم بن يزيد:**

«قال يونس بن عبدالأعلى: أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا.

وقال محمد بن يحيى: لا يزال المسلمون بخيرٍ ما أبقى اللَّه لهم مثل أبي زرعة، يُعلِّم الناس وما كان اللَّه يترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوه.

◻ وقال محمد بن إسحاق الصاغاني: أبو زرعة يشبه بأحمد بن حنبل»[1].

وتحت باب «ما ذكر من بدو مكاشفة أبي زرعة لأهل الرأي، وإظهاره السنن ومقاساته أى القوم» كتب ابن أبي حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٧) يقول: «سمعت أبا زرعة يقول: قال لي أبو جعفر الجمال: ما لهم - يعني أصحاب الرأي - سواك».

◻ وقال أبو زرعة: ما رغبت قط في سكنى الري، وما كاشفت القوم وأنا أريد مزاحمتهم في دنيا ولا مال ولا في ضيعة، وقلت في نفسي: أنا لست براغبٍ في شيءٍ من هذا، فأُقاسي إظهار السنن، فإن كان كونٌ، خرجت وهربت إلى طرسوس.

◻ وقال أبو زرعة: قال لي السّريّ بن معاذ: لو أني قبلت لأعطيت مائة ألف درهم قبل الليل فيك وفي ابن مسلمٍ، من غير أن أحبسكم ولا أضربكم

---

(١) «السير» (١٣/ ٧٠ - ٧٤).

أكثر من أن أمنعكم من الحديث.

سبحان اللَّه: هكذا الخوف من إظهار السنن ونشر الاتباع.

«قال الحسن بن أحمد بن الليث: سمعت أحمد بن حنبل، وسأله رجلٌ فقال: بالري شابٌّ يقال له: أبو زرعة، فغضب أحمد وقال: تقول: شاب؟! كالمنكر عليه، ثم رفع يديه، وجعل يدعو اللَّه عز وجل لأبي زرعة ويقول: اللَّهم انصره على من بغى عليه، اللَّهم عافه، اللَّهم ادفع عنه البلاء، اللَّهم.. اللَّهم، في دعاء كثير. قال الحسن: فلما قدمت الري حكيت ذلك لأبي زرعة، وحملت إليه دعاء أحمد بن حنبل له، وكتب كتبته عنه، فكتبه أبو زرعة، وقال لي أبو زرعة: ما وقعت في بلية فذكرت دعاء أحمد، إلا ظننت أن اللَّه عز وجل يفرج بدعائه عني.

وكتب عبدالرحمن بن عمر الأصبهاني ـ المعروف بـ «رُسْتَةَ» ـ من أصبهان إلى أبي زرعة: اعلم ـ رحمك اللَّه ـ أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ـ ليلي ونهاري ـ أن يُمتع المسلمون بطول بقائك، فإنه لا يزال الناس بخيرٍ ما بقي من يعرف العلم وحقه من باطله، ولولاك لذهب العلم وصار الناس إلى الجهل، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»، وقد جعلك اللَّه منهم، فاحمد اللَّه على ذلك، فقد وجب للَّه عز وجلّ عليك الشكر في ذلك».

«وكتب إليه إسحاق بن راهويه: اعلم ـ أبقاك اللَّه ـ أني كنت أسمع من إخواننا القادمين علينا، ومن غيرهم، حالك وما أنت عليه من العلم والحفظ، فأُسرّ بذلك، وإني أزداد بك كل يومٍ سروراً، فالحمد للَّه الذي جعلك ممن يحفظ سنته، وهو من أعظم ما يحتاج إليه الطالب اليوم، وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتي يكاد يفرط حُبًّا لك، وإن لم يكن فيك ـ

بحمد اللَّه ـ إفراط»[١] .

◘ قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة[٢] .

◘ وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازي: مذهبنا واختيارنا وما نعتقده وندين اللَّه به.. ترك النظر في موضع البدع.. وترك رأي الملبِّسين المُموِّهين المُزَخْرفين.. وترك النظر في كتب الكرابيسي.. وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار.

وكانا يقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا.

◘ وقال أبو زرعة: هؤلاء المتكلمون لا تكن منهم بسبيل، فإن آخر أمرهم يرجع إلى شيءٍ مكشوف ينكشفون عنه، وإنما يتموّه أمرهم سنةً أو سنتين، ثم ينكشف، فلا أرى لأحدٍ أن يناضل عن أحدٍ من هؤلاء، فإنهم إن يهتكوا يومًا قيل لهذا المناضل: أنتَ من أصحابه، وإن طلب يومًا طلب هذا به. لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء[٣] .

وسُئِل أبو زرعة عن كتب الحارث المحاسبي، فقال: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدعٍ وضلالات، عليك بالأثر، تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب. فقيل له: في هذه الكتب عبرة. فقال: من لم يكن له في كتاب اللَّه عبرة،

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤١ ـ ٣٤٤).

(٢) «الكفاية» للخطيب ص(٤٩).

(٣) «الضعفاء» للبرذعي ص(٥٥٣)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٣٧٣)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ٢٨٥).

فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟! هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم، فأتونا مرةً بالحارث المحاسبي، ومرة بعبدالحليم الدبيلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق البلخي(١)، ما أسرع الناس إلى البدع(٢).

◻ وقال أبو زرعة: إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة، فلا تشك أنَّه رافضيٌّ، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي، فلا تشك أنه ناصبي، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبداللَّه بن المبارك، فلا تشك في أنه مرجئ، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعةٌ على بغض أحمد ابن حنبل؛ لأنه ما منهم أحد إلاَّ وفي قلبه منه سهمٌ لا برء له(٣).

وانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى حرص أبي زرعة على نشر السنة، ولو عند الاحتضار:

«قال أحمد بن إسماعيل؛ ابن عم أبي زرعة: سمعت أبا زرعة يقول في مرضه الذي مات فيه: اللَّهم إني أشتاق إلى رؤيتك، فإن قال لي: بأي عمل اشتقت إليَّ؟ قلت: برحمتك يا رب»(٤).

فبيِّن الرؤية والرجاء.

◻ وقال البرذعي في كتابه «الضعفاء» ص(٥٦٩ ـ ٥٧٠): «سألته (يعني أبا زرعة) عن نصر بن عليّ الجهضمي فقال: اتق اللَّه ذاك زَفَّانٌ يجتمع بالليل مع هؤلاء المغبّرين، يزفن ويرقص معهم. قال: فضربت على ما كتبت عنه».

---

(١) حاتم الأصم وشقيق البلخي أثنى عليهما الذهبي وغيره.
(٢) «الضعفاء» للبرذعي و«تاريخ بغداد» للخطيب (٨/ ٢١٥)، و«تلبيس إبليس» ص(١٦١).
(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).
(٤) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٦).

والتغبير: هو الغناء بالأشعار الزهدية والضرب على المخادّ مع ذلك الغناء، وهذا قال فيه الشافعي: أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر اللَّه.

وانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى هذه الحكاية التي تدل على شدة اتباع أبي زرعة، وهي حكايته مع يحيى بن معاذ الرازي، وكان سليم الاعتقاد يقصُّ ويعظ، أثنى عليه الجمع الغفير من العلماء.

□ قال البرذعي في كتابه «الضعفاء» ص(٥٦٥): «شهدت أبا زرعة، وأتاه أبو العباس الهسنجاني، فكلمه أن يُقيل يحيى بن معاذ. فقال: إنه يقول: أنا على مذهبك، وأنا رجل نوَّاحٌ، أنوح وأنوح. فقال أبو زرعة: إنما النوح لمن يدخل بيته، ويغلق بابه، ينوح على ذنوبه، فأما من يخرج إلى أصبهان وفارس، ويجول في الأمصار في النوح، فإنا لا نقبل هذا منه. هذا من فعل المستأكلة، الذين يطلبون الدراهم والدنانير. ولم يقبله»[١].

□ قال أبو حاتم الرازي: «علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون إبطال الآثار عن رسول اللَّه ﷺ.

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهةً ونابتةً.

وعلامة القدرية: أن يسموا أهل السنة: مجبرةً.

وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة: مخالفة ونقصانية.

وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة: ناصبة.

وكل هذا أم عصبات معصبات. ولا يلحق أهل السنة إلا اسمٌ واحد، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء».

---

(١) ورواه ابن الجوزي في كتاب «القصاص» ص(١٢٢).

◻ وروى الإمام اللالكائي عن ابن أبي حاتم الرازي قوله:

«سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبدًا»(1).

◻ قال اللالكائي: وبه نقول.

* زَيْن الأمَّة وأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري:

◻ قال له مسلم: أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

أبو عبدالله البخاري إمام أهل خراسان وسيدهم، كتب إليه أهل بغداد:

المسلمون بخيرٌ ما بقيتَ لهم ... وليس بَعْدَك خيرٌ حينَ تُفْتَقدُ

◻ قال عنه الحسين بن محمد السمرقندي: كان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله كان في العلم.

كان ـ رحمه الله ـ جبلاً في الاتباع، ومن مثله والناس كلهم محتاجون لعلمه وحديثه.

◻ يقول ـ رحمه الله ـ: لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. فقال له محمد بن أبي حاتم: يمكن معرفة ذلك كله؟ قال: نعم.

◻ قال محمد بن أبي حاتم: «كنت بنيسابور، أجلس في الجامع، فذهب عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبدالله والي نيسابور، فأخبروه بمكاني، فاعتذر إليهم وقال: مذهبنا أنه إذا رفع إلينا غريبٌ لم نعرفه، حبسناه حتى يظهر لنا أمره. فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك:

---

(1) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (1/202).

لا تُحسن تصلي، فكيف تجلس؟ فقال: لو قيل لي شيء من هذا، ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة»[١].

هذا واللَّه الشرف.

رحم اللَّه البخاري، فقد كان رأسًا في السنة والأثر.. ومن أراد سبر غور الإمام فلينظر إلى صحيح البخاري، وخلق أفعال العباد.

«قال محمد بن العباس الفربري: أملى يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا فخاف ملالي، فقال: طب نفسًا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه»[٢].

❑ قال البخاري: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أحدًا أضل في كفرهم من الجهمية، وإني لأستجهل من لا يكفرهم.

*** الإمام القُدْوة، شيخُ أهل السُّنَّة والجماعة في عصره: البَرْبَهارِيّ أبو محمد الحسن بن عليّ بن خَلَف:**

الشديد على أهل البدع.. صاحب المقامات العظيمة في ذلك.

❑ قال أبو عبداللَّه الفقيه: «إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار، وأبا محمد البربهاريَّ، فاعلم أنه صاحب سنة»[٣].

❑ وقال أبو يعلى: «شيخ الطائفة في وقته، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع، والمباينة لهم باليد واللسان».

❑ وقال ابن الجوزي: «جمع العلم، والزهد.. وكان شديدًا على أهل البدع».

---

(١) «السير» (١٢/ ٤١٢).

(٢) «السير» (١٢/ ٤٤٥).

(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢/ ٥٨) ـ دار المعرفة.

☐ وقال الذهبي في «السير» (١٥/ ٩٠ ـ ٩٢): «كان قوالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في اللَّه لومة لائم».

☐ وقال في العبر: «شيخ الحنابلة بالعراق، قالا، وحالاً، وحلالاً، وكان له صيتٌ عظيم وحُرمةٌ تامَّة».

☐ وقال ابن كثير: «العالم الزاهد، الفقيه الحنبلي، الواعظ.. وكان شديدًا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر، تعظِّمه الخاصة والعامة»[1].

☐ قال ابن رجب: «شيخ الطائفة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد أو باللسان»[2].

لقد كان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا على أهل البدع والأهواء، منابذًا لهم باليد واللسان، وكان موقفه منهم يدلّ على الصرامة والشدة، غيرةً منه على السنة، أن يحاول النيل منها كل بدعِيٍّ مارق، فموقفه يعد أنموذجًا رائعًا لمواقف أهل السنة من أهل البدع والضلال.

☐ قال ـ رحمه اللَّه ـ: في كتابه القيم «شرح السنة»: «اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر».

وقال: واعلم ـ رحمك اللَّه.. أن الدين إنما جاء من قبل اللَّه تبارك وتعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند اللَّه وعند رسوله، فلا تتبع شيئًا بهواك، فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك، فقد بين رسول اللَّه ﷺ لأُمَّته السنة، وأوضحها لأصحابه،

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٢١٣).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٨)، و«المنهج» لأحمد (٢/ ٢٦)، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ـ دار المعرفة.

وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحق وأهله.

واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعةً قطُّ حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المُحدَثات من الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرًا يُشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينًا يدان بها، فخالف الصراط المستقيم؛ فخرج من الإسلام.

وقال: انظر - رحمك اللَّه - كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصةً، فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم به أصحاب رسول اللَّه ﷺ، أو أحدٌ من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيءٍ ولا تَختَر عليه شيئًا فتسقط في النار.

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أمّا أحدهما: فرجلٌ قد زلّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته؛ فإنك هالك. وآخر عاند الحق، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مضلٌّ، شيطانٌ مريد في هذه الأُمة، حقيقٌ على من يعرفه أن يحذر الناس منه، ويبين للناس قصته، لئلا يقع أحدٌ في بدعته فيهلك.

واعلم - رحمك اللَّه - أنه لا يتم إسلامُ عبدٍ، حتى يكون مُتَّبِعًا مصدِّقًا مسلمًا، فمن زعم أنه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام، لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ، فقد كذّبهم، وكفى به فُرقةً وطعنًا عليهم، وهو مبتدعٌ ضال، محدِثٌ في الإسلام ما ليس فيه.

واعلم - رحمك اللَّه - أنه ليس في السنة قياس، ولا يضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، وإنما هو التصديق بآثار رسول اللَّه ﷺ بلا

كيفٍ، ولا شرحٍ، لا يقال: لم؟ وكيف؟

والكلام والخصومة والجدال والمراء: محدث، يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الكلام في الرب تعالى محدثٌ، وهو بدعة ضلالة، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه.

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ، فاتّهمه على الإسلام؛ فإنه رجلٌ رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه لأنه إنما عرفنا الله، وعرفنا رسول الله ﷺ، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة، بالآثار.

واعلم ـ رحمك الله ـ أنه ما كانت زندقة قطُّ ولا كفر، ولا شك ولا بدعة ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين؛ إلا من الكلام، وأهل الكلام، والجدل والمراء والخصومة. والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال، والله تعالى يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]. فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار، والكف والسكوت.

◻ واعلم أنه لم تجئ بدعةٌ قط إلا من الهمج الرعاع، أتباع كل ناعقٍ، يميلون مع كلِّ ريحٍ، فمن كان هكذا، فلا دين له، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وهم علماء السوء وأصحاب الطمع والبدع.

واعلم أنه لا يزال الناس في عصابةٍ من أهل الحق والسنة، يهديهم الله

ويهدي بهم غيرهم، ويحيي بهم السنن، فهم الذين وصفهم اللَّه تعالى مع قلتهم عند الاختلاف ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ فاستثناهم فقال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال عصابةٌ من أُمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم ظاهرون**».

واعلم ـ رحمك اللَّه ـ أن من قال في دين اللَّه برأيه وقياسه وتأويله، من غير حُجَّة من السنة والجماعة، فقد قال على اللَّه ما لا يعلم، ومن قال على اللَّه ما لا يعلم، فهو من المتكلفين.

ومن اقتصر على سنة رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة، فَلَجَ[1] على أهل البدع كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه، إن شاء اللَّه.

ومن عرَف ما ترك أصحاب البدع من السنة، وما فارقوا فيه، فتمسك به، فهو صاحب سُنَّة وصاحب جماعة، وحقيقٌ أن يُتَّبَع وأن يُعان وأن يُحفظ، وهو ممّن أوصى به رسول اللَّه ﷺ.

وإياكَ والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام.

وكل علمٍ ادَّعاه العباد من علم الباطن، لم يوجد في الكتاب وفي السنة، فهو بدعةٌ وضلالة، ولا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه.

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يردّ الآثار، أو يريد غير الآثار، فاتَّهِمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوًى مبتدعٍ.

---

(١) أي: ظفر وفاز.

وإذا رأيت الرجل جالسًا مع رجلٍ من أهل الأهواء، فحذِّره وعرِّفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتّقه، فإنه صاحب هوى.

وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر، فلا يريده، ويريد القرآن، فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة.

واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمدًا ﷺ وقد آذاه في قبره.

وإذا ظهر لك من إنسانٍ شيءٌ من البدع، فاحذره، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر.

رأى يونس بن عبيد ابنه، وقد خرج من عند صاحب هوًى، فقال: يا بني، من أين جئت؟ قال: من عند فلان. قال: يا بني، لأن أراك خرجت من بيت خُنثى، أحبّ إليَّ من أن أراك تخرج من بيت فلان وفلان، ولأن تلقى اللَّه يا بُنيَّ زانيًا فاسقًا سارقًا خائنًا، أحبّ إليَّ من أن تلقاه بقول فلانٍ وفلان.

ألا ترى أن يونس بن عبيدٍ قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفر.

ولا تطلب من عندك حيلةً تردّ بها على أهل البدع، فإنك أُمرت بالسكوت عنهم، ولا تمكنهم من نفسك، أما علمت أن محمد بن سيرين - في فضله - لم يجب رجلاً من أهل البدع في مسألةٍ واحدةٍ، ولا سمع منه آيةً من كتاب اللَّه عز وجل، فقيل له، فقال: أخاف أن يحرفها، فيقع في قلبي شيء.

❑ وقال: قال بشر بن الحارث: الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام.

❑ وقال الفضيل: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة، فكأنما أرى رجلاً من

أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع، فكأنما أرى رجلاً من المنافقين.

وكان ابن عون يقول عند الموت: «السُّنَّة السنة، وإياكم والبدع» حتى مات.

◻ وقال أحمد بن حنبل: مات رجل من أصحابي، فُرِئِيَ في المنام فقال: قولوا لأبي عبداللَّه: عليك بالسنة، فإنه أول ما سألني اللَّه، سألني عن السنة.

◻ وقال أبو العالية: من مات على السنة مستورًا، فهو صدِّيق.

◻ وقال الفضيل بن عياض: من جلس مع صاحب بدعةٍ في طريق، فجُز في طريقٍ غيره.

وقال: من عظّم صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسّم في وجه مبتدعٍ، فقد استخفّ بما أنزل اللَّه عز وجل على محمد ﷺ ، ومن زوّج كريمته من مبتدعٍ، فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدعٍ، لم يزل في سخط اللَّه حتى يرجع.

◻ وقال فضيل بن عياض: إذا علم اللَّه من الرجل أنه مُبغِضٌ لصاحبِ بدعة، غفر له وإن قلَّ علمُه، ولا يكون صاحب سُنة يُمالئ صاحبَ بدعةٍ إلا نفاقًا، ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة، ملأ اللَّه قلبه إيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة، أمّنه اللَّه يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة، رفعه اللَّه في الجنة مائة درجةٍ، فلا تكن صاحب بدعةٍ في اللَّه أبدًا[1] .

◻ وقال البربهاري: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب، ويُخرجون أذنابهم، فإذا تمكّنوا لدغوا،

(١) «شرح السنة» للبربهاري، تحقيق خالد الردادي ـ مكتبة الغرباء بالمدينة.

وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس، فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»[١].

ما فتئ أهل الأهواء والبدع المُعادُون له يُؤلبون السلطان، ويغيظون قلبه عليه، حتى أمر الخليفة القاهر وزيره ابن مقلة في سنة ٣٢١ بالقبض على البربهاري وأصحابه، فاستتر البربهاريُّ، وقُبض على جماعةٍ من كبار أصحابه، وحُملوا إلى البصرة، وعاقب اللَّه ابن مقلة على فعله هذا، بأن أسخط القاهر عليه، وعزل عن الوزارة، وطرح في داره النار، وحُبس وخلع وسملت عيناه.

ثم تفضل اللَّه وأعاد البربهاريّ إلى حشمته.

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائة ازدادت حشمة البربهاري، وعلت كلمته، وظهر أصحابه، وانتشروا في الإنكار على المبتدعة، حتى إن البربهاري لما اجتاز بالجانب الغربي، فعطس، فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنه، فسأل عن الحال، فأُخبر بها، فاستهولها. ولم تزل المبتدعة يثقلون قلب الراضي على البربهاري، حتى نودي: أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان، فاستتر البربهاري ـ رحمه اللَّه.

❑ قال ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» ص(٦١٨ ـ ٦١٩) عن البربهاري: «جمع بين العلم والزهد، وصحب المروذي، وسهلاً التستري، وكان البربهاري شديداً على أهل البدع، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، وكان ينزل بباب محول، فانتقل إلى الجانب الشرقي، واستتر عند أخت توزون[٢]، فبقي نحواً من شهر، ثم أخذه قيام الدَّم، فمات، فقالت المرأة

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤).

(٢) أحد القوّاد الأتراك، خلع عليه المتّقي، وجعله أمير الأمراء.

لخادمها: انظر من يغسله. وأغلقت الأبواب حتى لا يعلم أحدٌ، فجاء الغاسل فغسله، ووقف يصلي عليه وحده، فاطلعت - من الروشن - فإذا الدار ممتلئة رجالاً بثيابٍ بيضٍ وخُضرٍ، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي، رأيت ما رأيت؟ قالت: نعم. قال: هذه مفاتيح الباب، وهو مغلق. فقالت: ادفنوه في بيتي، وإذا متُّ فادفنوني معه. فدفنوه في دارها، وماتت بعده فدفنت هناك.

❑ قال ابن الزاغوني: كشف قبر أبي محمدٍ البربهاريِّ؛ وهو صحيحٌ لم يرم، وظهر من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة السلام»[1] .

ولا تعجب يا أخي، فهاك كلام الإمام أحمد إمام أهل السنة: «قبور أهل السنة من الفساق روضةٌ من رياض الجنة، وقبور أهل البدع من الزُّهّاد حفرة من حفر النار»[2] .

فكيف بأئمة أهل السنة ممن لهم القدم العالي في الاتباع، وحمل الناس عليه، كالبربهاري.

* شيخُ الإسلام ابنُ تيميَةَ: مجدد زمانه وقامع المبتدعين:

حامل راية الدعوة إلى الكتاب والسنة، وإرجاع الإسلام إلى منابعه الصحيحة في القرن السابع الهجري.

نصر السُّنَّة بأوضح حُجَجٍ وأبهر براهين، وأُوذِيَ في ذات اللَّه من المخالفين، وأُخِيفَ وسجن في نصر السنة المحمدية، حتى أعلى اللَّه مناره.

❑ قال الحافظ ابن سيد الناس عنه: «كان يستوعب السنن والآثار حفظًا».

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦١٨ - ٦١٩)، و«السير» (١٩/ ٩٠ - ٩٢).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٢٣٩).

□ وقال ابن الزملكاني عنه: «ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقةً».

□ وقال الحافظ المزي: «ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه»[1].

دعا شيخ الإسلام إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة في عقائد الدين وأصوله وفروعه.

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «وليعلم أنه ليس لأحدٍ من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًّا، يتعمد مخالفة رسول اللَّه ﷺ بشيءٍ من سنته، لا دقيق ولا جليل؛ فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًّا على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كلّ أحدٍ من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول اللَّه ﷺ».

وقال: «وليس لأحدٍ أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحدٍ من الناس، كما قال ابن عباس ﵄ لرجلٍ سأله عن مسألةٍ، فأجابه فيها بحديثٍ، فقال له: قال أبو بكر وعمر ﵄، فقال ابن عباس ﵄: يوشك أن تنزل عليكم حِجَارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسول اللَّه ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «قد ذم اللَّه في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نَشَأَ عليه من دين آبائه، وهذا هو التقليد الذي حرمه اللَّه ورسوله، وهو أن يتبع غير الرسول فيما خَالَفَ فيه الرسول. وهذا حرامٌ باتفاق المسلمين على كل أحدٍ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والرسول طاعتُه فرض على كل أحدٍ من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان، في سرِّه

(١) «الردّ الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص(١٢٩) ـ المكتب الإسلامي.

وعلانيته وفي جميع أحواله».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «قد أوجب اللَّه طاعة الرسول على جميع الناس في قريبٍ من الأربعين موضعًا من القرآن، وطاعته طاعة اللَّه».

وقال: «التقليد المحرم بالنص والإجماع، أن يعارض قول اللَّه ورسوله بما يخالف ذلك، كائنًا من كان المخالف لذلك».

وقال: «إن اللَّه سبحانه لما ذكر حال من يقول على اللَّه بلا علمٍ بل تقليد السلف، ذكر حال من يكتم ما أنزل اللَّه من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٤]، فهذا حال من كتم علم الرسول، وذلك حال من عدل عنها إلى خلافها، والعادل عنها إلى خلافها يدخل فيه من قلد أحدًا من الأولين والآخرين فيما يعلم أنه خلاف قول الرسول ﷺ، سواءً كان صاحبًا أو تابعًا أو أحد الفقهاء أو غيرهم. ومن ادعى إجماعًا يخالف نصَّ الرسول، من غير نصٍّ يكون موافقًا لما يدعيه، واعتقد جواز مخالفة أهل الإجماع للرسول برأيهم، وأن الإجماع ينسخ النص ـ كما تقوله طائفةٌ من أهل الكلام والرأي ـ فهذا من جنس هؤلاء».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «وكثير من الفقهاء المتأخرين، أو أكثرهم يقولون: إنهم عاجزون عن تلقي جميع الأحكام الشريعة من جهة الرسول، فيجعلون نصوص أئمتهم بمنزلة نص الرسول، ويقلدونهم. ولا ريب أن كثيرًا من الناس يحتاج إلى تقليد العلماء في الأمور العارضة التي لا يستقل هو بمعرفتها. ومن سالكي طريق الإرادة والعبادة والفقر والتصوف من يجعل شيخه كذلك، بل قد يجعله كالمعصوم!! ولا يتلقى سلوكه إلا عنه، ولا يتلقى عن الرسول سلوكه، مع أن تلقي السلوك عن الرسول أسهل من تلقي

الفروع المُتنازَع فيها، فإن السلوك هو الطريق التي أمر اللَّه بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه، ولهذا جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة والتبليغ عن الرسول، ولا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة. .» إلى أن قال: «ولكن كثيرًا من أهل العبادة والزهادة أعرض عن طلب العلم النبوي الذي يعرف به طريق اللَّه ورسوله، فاحتاج لذلك إلى تقليد شيخٍ، وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب في ذلك ما يفهمه غالب السالكين، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد، كلها منصوصة في الكتاب والسنة؛ وإنما اختلف أهل الكلام لمّا أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف، وهكذا طريق العبادة، عامَّةُ ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع، فيقعون في البدع، فيقع فيهم الخلاف، وهكذا الفقه إنما وقع فيه الاختلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع».

*** محاربته للبدع والعقائد المخالفة للكتاب والسنة وجهاده الدائم ضد المبتدعة:**

□ قال عنه الحافظ ابن عبدالهادي: قامع المبتدعين، وقال: «كان ـ رحمه اللَّه ـ سيفًا مسلولاً على المخالفين، وشجًى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين»[1].

□ وقال الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني: «ناصر السنة قامع البدعة، حجّة اللَّه على عباده في عصره، رادّ أهل الزيغ والعناد».

(١) «العقود الدريّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي ص(٧) ـ مكتبة المؤيد.

وقال عنه أيضًا: «قامع المبتدعين محيي السنة»[١] .

☐ وقال عنه أحمد بن شيخ الحزاميين: «محيي السنة وقامع البدعة ناصر الحديث»[٢] .

☐ وقال عنه أحمد بن فضل اللَّه العمري: «وأخمد من أهل البدع كل حديث وقديم، ولم يكن منهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم»[٣] .

☐ وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: «ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قيامًا على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل الحصر»[٤] .

☐ وقال بدر الدين العيني: «السيف الصارم على المبتدعة» وقال أيضًا: «وكان سيفًا صارمًا على المبتدعة»[٥] .

☐ وقال العلاّمة التفهني: «لا يأخذه في الحق لومة لائم، قائم على أهل البدع»[٦] .

وقد أسهبنا في ذكر مواقفه مع دجاجلة الرفاعية.

☐ يقول ابن تيمية في الحموية: «من المحال أن يكون الرسول ﷺ قد علم أمته كل شيءٍ حتى الخراءة، وقال: «**تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**». وقال فيما صح عنه أيضًا: «ما بعث

---

(١) «الردّ الوافر» ص(١٠٨ ـ ١٠٩).
(٢) «الرد الوافر» ص(١٣٠).
(٣) «الرد الوافر» ص(١٤٧).
(٤) المصدر السابق ص(٢٤٨).
(٥) المصدر السابق ص(٢٦٢).
(٦) المصدر السابق ص(٢٥٤).

الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم».

❑ وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا.

❑ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ مَقَامًا، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه» رواه البخاري.

مُحالٌ مع هذا، ومع تعليمهم كل شيءٍ لهم فيه منفعةٌ في الدين، وإن دق ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم، رب العالمين».

وقال: «إن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ـ ومن حذا حذوهم ـ على طريق السلف، إنما أتوا من حيث إن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأُميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾»[1].

❑ يقول أبو حفص البزار تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية عن محاربته للبدع: «وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم، وتزييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبديد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية، بما منحه الله تعالى من البصائر الرحمانية، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية، حتى انكشف قناع الحق، وبان فيما جمعه في ذلك

(١) «العقود الدرية» ص(٧٦).

وألفه: الكذبُ من الصدق، حتى لو أن أصحابها أحياء ووفِّقوا لغير الشقاء، لأذعنوا له بالتصديق ودخلوا في الدين العتيق».

لقد تصدى ابن تيمية للفرق المنحرفة عن الكتاب والسنة القائمة في عصره:

فدحض مناهج الفلاسفة والمتكلمين، وبين أنهم أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلهية.

ورد على الأشاعرة وتأويلهم، وكان لهم منه أوفر نصيب، ورد على القدرية والشيعة، وأفحم النصارى في كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

وهاجم ضلال الصوفية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود.. رد على ابن الفارض وابن عربي والعفيف التلمساني والصدر القونوي وابن سبعين، وألف «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

وتصدى للأحمدية والرفاعية.

وقام شيخ الإسلام بتحدي هؤلاء الصوفية، الذين يزعمون الدخول في النيران، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام، وحملهم الحيات والثعابين، وغيرها من أنواع المخاريق.

تحداهم أنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولهم فيها، وأنها تحرقهم إن شاء اللّه، ولا تحرقه، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أولاً بالخلّ، وذلك لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار، فلما كشف حيلهم وتحداهم، وكان ذلك بمحضر السلطان، تراجعوا عن ذلك، وظهر كذبهم ومخاريقهم.

وقد كان للشيخ استقلاله في أخذ الفقه من الكتاب والسنة.. واختار ما ترجح بالكتاب والسنة، وجهر به، من دون أن يبالي بالذي قال خلافه من

الأئمة السابقين، فهو تابع للدليل، يدور معه حيث دار.

يقول تلميذه أبو حفص البزار: «كان لا يذكر رسول اللَّه ﷺ إلا ويصلي ويسلم، ولا واللَّه ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول اللَّه ﷺ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه، حتى إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألةٍ، ويرى أنه لم ينسخه شيءٌ غيره من حديثٍ، يعمل به ويقضي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين، كائنًا من كان. وقال ﷺ: «كلُّ قائلٍ إنما يحتج لقوله، لا به، إلا اللَّه ورسوله»[1].

❑ وقال ابن الوردي: «له باعٌ طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، قل أن يتكلم في مسألةٍ إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة. وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة».
ثم قال: «وبقي سنين لا يفتي بمذهبٍ معين، بل بما قام الدليل عليه عنده. ولقد نصر السنة المحضة واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها»[2].

وقبل أن نذكر طيب قول الشيخ عماد الدين الواسطي في شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، نذكر ما قاله ابن كثير، من أن الواسطي كان في أول الأمر من الفقهاء المتكلمين، وكان يغلب عليه الجدل والكلام والرأي، فلما انتقل من مصر إلى بغداد، والتقى بأهلها وعلمائها، وتوسعت مداركه وحاسب نفسه، وجدها فارغة من الطمأنينة، فترك سبيل الفقهاء والمتكلمين، واتجه إلى التصوف واقترب من المتصوفة، فلما رأى ما رأى عندهم من الغرائب، تكدر طبعه، وقرر السفر إلى دمشق، وحضر مجلس شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان الدرس الأول عن المتكلمين والفلاسفة وعن فقدهم طمأنينة

---

(١) «الأعلام العلية» ص(٢٩).

(٢) «تاريخ ابن الوردي» (٢/٤٠٦، ٤١٣).

القلب، وأن مشاهيرهم اعترفوا بهذا، وشهدوا على أنفسهم بالاضطراب والحيرة اللذين سببهما الكلام والفلاسفة.

❑ يقول الشيخ عماد الدين ما معناه: إن شيخ الإسلام استمر في كلامه، وأوضح أن الدواء الناجع لأمراض القلب، والسبيل الوحيد لنيل طُمأنينته، هو التمسك بما جاء في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فانقشع الظلام، وزالت الحيرة ووجدت نور الحقيقة الذي كنت حيران من أجله. قال: فلما اطلع شيخ الإسلام على أحوالي، أوصاني بقراءة السيرة النبوية؛ فإنها الوصفة الكافية الشافية من جميع أمراض القلوب.

ولقد كتب الشيخ عماد الدين الواسطي في الثناء على ابن تيمية ـ ووصى تلامذته به ـ رسالةً سمَّاها «التذكرة والاعتبار، والانتصار للأبرار» وسمى فيها بعض تلامذة ابن تيمية: عمر بن عبداللَّه بن شقير، ومحمد بن عبدالأحد، ومحمد بن المنجى، ومحمد بن محمد بن الصائغ؛ وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام، الأُمَّة الهمام، محيي السنة، وقامع البدعة، ناصر الحديث، مفتي الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهرًا وقلبه في العلى قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأُمَّة حذوهم وسبلهم، فذكرهم بها الشيخ؛ فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم محييًا. ولأعنة قواعدهم مالكًا: الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، أعاد اللَّه علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته، وأدام توفيق السادة المبدوّ بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظهم، ومزيدهم.

السلام عليكم ـ معشر الإخوان ـ ورحمة اللَّه وبركاته، جعلنا اللَّه

وإياكم ممن ثبت على قرع أبواب الحق جأشه، واحتسب للَّه ما بذله من نفسه في إقامة دينه، وما احتوشته من ذلك وحاشة، واحتذى حذو السبق الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين لم تأخذهم في اللَّه لومة لائم.

ويوصي إخوانه من تلامذة الشيخ بالمواظبة على الاتباع ونبذ الابتداع، ويثني عليهم بدعوتهم ودعوة شيخهم ابن تيمية إلى السنة فيقول:

«وبعد ذلك الحظوة في هذه الدار بلقاء رسول اللَّه ﷺ، غيبًا في غيب، وسرًّا في سر، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها. فتبقى البصيرة شاخصةً إليه، تراه عيانًا في الغيب، كأنها معه ﷺ، وفي أيامه. فيجاهد على دينه، ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته.

واعلموا ـ أيّدكم اللَّه ـ أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود. لكن من لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية. فأنتم ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ في حق هذه الأمّة الأولى، كما قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤١].

أصبحتم إخواني تحت سَنْجق[1] رسول اللَّه ﷺ، إن شاء اللَّه تعالى، مع شيخكم وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره ﵀. قد تميزتم عن جميع أهل الأرض ـ فقهائها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامِّها ـ بالدين الصحيح.

---

(١) أي تحت لوائه ورايته.

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام. فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم اللَّه ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين اللَّه، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات اللَّه.

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول اللَّه ﷺ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة، فإنكم قد نصرتم اللَّه ورسوله في تنفيذ العلم إلى أُصُوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة، تأسِّيًا بهم، لا تقليدًا لهم.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتصدية، ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين اللَّه إلى خرافاتٍ مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخَطَائها، وإعراضهم عن دين اللَّه الذي أنزله من السماء. فأنتم بحمد اللَّه تجاهدون هذا الصنف ـ أيضًا ـ كما تجاهدون من سبق. حفظتم من دين اللَّه ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تقومون من الدين ما عوجوه، وتصلحون منه ما أفسدوه.

وأنتم أيضًا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم والوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والإطراق والسجادة؛ لنيل الرزق من المعلوم، ولبس البقيار، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس، وتنميق الكلام، والعدو بين يدي المدرس راكعين، حفظًا للمناصب، واستجلابًا للرزق والإدرار.

فخلط هؤلاء في عبادة اللَّه غيره، وتألهوا سواه، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون. يجتمعون لغير اللَّه، بل للمعلوم، ويلبسون للمعلوم، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم، فضيعوا كثيرًا من دين اللَّه

وأماتوه. وحفظتم أنتم ما ضيعوه، وقومتم ما عوجوه.

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات؛ كاليونسية، والعربية، والصدرية، والسبعينية، والتلمسانية، فكل هؤلاء بدلوا دين اللَّه تعالى وقلبوه، وأعرضوا عن شريعة رسول اللَّه ﷺ.

فاليونسية يتألهون شيخهم، ويجعلونه مظهرًا للحق، ويستهينون بالعبادات، ويظهرون بالفرعنة والصولة، والسفاهة والمحالات، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبلتهم الشيخ يونس، ورسول اللَّه ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون به بألسنتهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية، يجعلون الوجود مظهرًا للحق، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه، ولا ناطق في الأشخاص غيره. وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر، فجعل الأمر كموج البحر، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر، حتى إن أحدهم يتوهم أنه اللَّه، فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي؛ لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية: فمن العابد ومن المعبود؟ صار الكل واحدًا.

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزَّوايا.

فأنتم بحمد اللَّه قائمون في وجه هؤلاء أيضًا، تنصرون اللَّه ورسوله، وتذبون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا، وعلى تقويم ما عوجوا، فإن هؤلاء محوا رسم الدين، وقلعوا أثره. فلا يقال: أفسدوا ولا عوجوا، بل بالغوا في هدم الدين ومحوا أثره، ولا قربة أفضل عند اللَّه من القيام بجهاد هؤلاء بما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام. وكذلك جهاد كل من ألحد في دين اللَّه، وزاغ عن حدوده وشريعته، كائنًا في ذلك ما كان من فتنةٍ وقول، كما قيل:

إذا رَضي الحبيبُ فلا أُبالي   أقام الحيُّ أم جَدَّ الرَّحيلُ

واللَّه المستعان.

وكذلك أنتم بحمد اللَّه قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين اللَّه، بما أمكن، وذلك لبعد العهد عن رسول اللَّه ﷺ؛ لأن اليوم له سبعمائة سنة، فأنتم بحمد اللَّه تجدِّدون ما دَثَرَ من ذلك ودُثر.

وكذلك أنتم بحمد اللَّه قائمون في وجوه العامة، ممّا أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقَلَنْدس، وخميس البيض، والشَّعانين، وتقبيل القبور والأحجار، والتوسل عندها. ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية، وإنما بُعث رسول اللَّه ﷺ ليُوحَّد اللَّه ويعبد وحده، ولا يُؤَلَّه معه شيء من مخلوقاته. بعثه اللَّه تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد. فأنتم بحمد اللَّه قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك.

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء، أهل الكيد والضرار لأولياء اللَّه، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة.

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدرية، وأصناف أهل البدع والضلالات؛ لأن الناس متفقون على ذمهم. يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون، بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء، فلا يجاهدون وتأخذهم في اللَّه اللائمة؛ لحفظ مناصبهم، وإبقاء على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين اللَّه في وجوه مثل هؤلاء ـ حق القيام ـ سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء ـ إن شاء اللَّه ـ بقيامكم

بنصرة شيخكم وشيخنا ـ أيده اللَّه ـ حق القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

ثم اعرفوا إخواني حقَّ ما أنعم اللَّه عليكم من قيامكم بذلك. واعرفوا طريقكم إلى ذلك، واشكروا اللَّه تعالى عليها. وهو أن أقام لكم ولنا ـ في هذا العصر ـ مثل سيدنا الشيخ، الذي فتح اللَّه به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقل بين هذه الفرق، ولم يهتدِ إلى حقيقة دين الرسول ﷺ.

ومن العجب أن كُلاً منهم يدعي أنه على دين الرسول، حتى كشف اللَّه لنا ولكم ـ بواسطة هذا الرجل ـ عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا.

فاشكروا اللَّه الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة، مَنْ بيَّن لكم أعلام دينكم، وهداكم اللَّه به وإيانا إلى نهج شريعته، وبين لكم بهذا النور المحمدي، ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم. وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وهم بالشأم إن شاء اللَّه تعالى.

ثم إذا علمتم ذلك، فاعرفوا حق هذا الرجل ـ الذي هو بين أظهركم ـ وقدره، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره، فمن وقع دين الرسول ﷺ من قبله بموقعٍ يستحقه، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين أظهر عباد اللَّه، يقوم معوجهم، ويصلح فسادهم، ويلمّ شعثهم، جهد إمكانه، في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين،

وجهلت السنن، وعهدت البدع، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والقابض على دينه، كالقابض على الجمر، فإن أجر من قام بإظهار هذا النور ـ في هذه الظلمات ـ لا يوصف، وخطره لا يعرف. هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعي الظاهر، فهنا قوم عرفوه من حيثية أخرى من الأمر الباطن. ومن يقوده إلى معرفة أسماء اللَّه تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك مما لا يمكن شرحُه في كتاب.

فشيخكم ـ أيّدكم اللَّه تعالى ـ عارفٌ بذلك، عارف بأحكام اللَّه الشرعية، عارف بأحكامه القدرية، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢].

فالناس يحسون بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصةٌ إلى الغيب، ينتظرون ما تجري به الأقدار، يشعرون بها أحيانًا عند تنزلها. فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق؛ واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حكي عن الجنيد ـ رحمه اللَّه ـ أنه قيل له: «كم تنادي على اللَّه تعالى بين الخلق؟ فقال: أنا أنادي على الخلق بين يدي اللَّه».

فاللَّه اللَّه في حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حرماته في الغيب والشهادة، وحب من أحبه، ومجانبة من أبغضه وتنقّصه، وردِّ غيبته، والانتصار له في الحق.

واعلموا ـ رحمكم اللَّه ـ أن هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس

وأذواقهم، وأشرف على غالب أحوالهم، فواللَّه، ثم واللَّه، ثم واللَّه، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم: علمًا، وعملاً، وحالاً، وخلقًا، واتباعًا، وكرمًا وحلمًا؛ في حق نفسه، وقيامًا في حق اللَّه عند انتهاك حرماته. أصدق الناس عقدًا، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همَّةً، وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمدٍ ﷺ.

ما رأينا ـ في عصرنا هذا ـ من تُستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح، أن هذا هو الاتباع حقيقةً.

◘ وتكلم عمن يطعن في الشيخ ابن تيمية:

يا سبحان اللَّه العظيم، أين عقول هؤلاء؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم؟! أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا؟! وقد بقيت هذه الخطة الضيقة، يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام، وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدعاة إلى الباطل وإقامته، ودحض الحق وأهله، ما لا يحصر في كتاب. ثم إن اللَّه تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجلٍ قوي الهمة، ضعيف التركيب، قد فرق نفسه وهمه في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهماتهم، وحوائجهم، ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات، وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق؟!

فهو مع هذا كله قائمٌ بجملة ذلك وحده، وهو منفردٌ بين أهل زمانه، قليلٌ ناصره، كثيرٌ خاذله، وحاسده، والشامت فيه!!

◘ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في جمعه لعقيدة السلف الصالح: «ما

جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاصٌ بهذا. والإمام أحمد إنما هو مبلِّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول ﷺ، لم نقبله. وهذه عقيدة محمد ﷺ».

وقال أيضًا: «الإمام أحمد ﷺ، لَمَّا انتهى إليه من السنة ونصوص رسول اللَّه ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء، قال: المذهب لمالكٍ والشافعي، والظهور لأحمد بن حنبل. يعني أن الذي كان عليه أحمد، عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل، ما ليس لبعضٍ».

❑ وللَّه درّ شيخ الإسلام ابن تيمية، العلم في الاتباع، حين يدافع عن عقيدته؛ عقيدة السلف: «قلت مرات: قد أمهلت كل من خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرفٍ واحد عن القرون الثلاثة، التي أثنى عليها النبي ﷺ - حيث قال: «خير الناس القرن الي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» - يخالف ما ذكرته، فأنا راجعٌ عن ذلك. وعليَّ أن آتى بنقولِ جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته».

وما ذاك إلا أنه لنبيِّه ... نبّي الهُدى في كل شيءٍ متابعُ

❑ ويقول آخر:

منه حُبُّ الكتابِ والسُّنّة الـ ... ـمُثْلَى جرى في عُرُوقه والعظامِ

❑ ويقول الشيخ المتيم عبداللَّه بن خضر الرومي تلميذ شيخ الإسلام، في الثناء على شيخه ابن تيمية ورثائه:

ملأتُ النواحي من نُواحي وكيف لا ... أنوح على قومٍ هُم خير جيرتي

ومن عجبٍ أني أحنُّ إليهمُ وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرتُ فلم أنس زمان وصالهم أأنسى ليالٍ بالعُذيب تقضَّت
منازُل أحبابي مواطن سادتي مطالع أقماري شروق أهلَّتي
معاهد أفراحي ديار سعادتي مواسم أرباحي أُويقات لَذَّتي
وحاشايَ أن أسْلُو هواهم وحُبُّهم يُذكِّرني حِفْظ العهود القديمة
فهو سرٌّ أسراري ونور مناظري ورُوحي وريحاني وأُنسي وبهجتي
وهم عينُ أعياني وقلبي وقالبي وهم منتهى قصدي ومشهد رؤيتي
وهم في معانيهم حياتي حقيقةً وهم في مغانيهم أُهَيْلُ مودّتي
وهم في تجلِّيهم شموسٌ إذا بَدَوْا وهم في تجنِّيهم رياضي ونزهتي
وهم أينما كانوا نهاية مقصدي وهم أينما حلُّوا مرادي وبُغيتي
وقد آن أنْ أُبدي خفايا صبابتي وأُظهر للعُذّال أصل رَزِيَّتي
وأبكي على مَن كان يجمعُ شملنا على طاعة الرحمن في كلِّ لمحة
وأندب أحزاني بما قد أصابني وأنثُر أشجاني بنظْم قصيدتي
فقدتُ إمامًا كان أوْحَدَ عصرِهِ وقد فُجعتْ فيه جميعُ البَرِيَّة
فقدتُ إمامًا لم يَزَلْ متوكِّلاً على اللّه لا يُصغي إلى غير سُنَّة
فقدتُ إمامًا كان بالعلم عاملاً وكان حقيقًا قامعًا كلَّ بدعة
أتى بكتاب اللّه والسُّنّة التي علَتْ وارتقتْ حقًّا على كلِّ ملَّة
أتى بأحاديث الرسول وشرحها وعمّنْ رواها بالمتون الصحيحة
أتانا بأحوال الرسول حقيقة وسيرته تسمو على كل سيرة
أتانا بأحوال الصحابة كلِّهم والتَّابعين الملَّة المستقيمة
أتانا بوصف الصالحين وحالهم وما هم عليه من جميل العقيدة
وعلَّمنا شرعَ الرسول ودينَهُ بأفصح ألفاظٍ وأصدق لهجة

أعْلَمَنا أن النجاة من الهوى ... تمسُّكنا بالسُّنّة النّبويّة
وحذّرنا من كل زيغٍ وبدعةٍ ... وعن كل طاغٍ خارجٍ عن مَحَجَّة
وناظَرَ أربابَ العقائد كلّهم ... وبيّن مَنْ قد ضلَّ من كلِّ فرقة
وردَّ على أهل الضلال جميعهم ... بأوضح برهانٍ وأبْلَغِ حُجّة
وبيّن تكذيب اليهود وخُبْثهم ... وما بدّلوا في المِلّة المُوسويَّة
وأخبرهم عن سرِّ أسباب كفرهم ... فتعسًا لهم من أُمَّةٍ غَضَبيَّة
وأظهر أيضًا للنصارى ضلالهم ... وما أحدثوا في المِلّة العيسويَّة
وباحَثَهم حتى تبيَّن أنّهم ... سُكارى حَيارى بالطِّباع الخبيثة
وردَّ على كُتُب الفلاسفة الأُلى ... بمنقولِ أحكامٍ ومعقولِ حِكْمة
وقرَّر إثبات النُّبّوات عندهم ... وجال عليهم كرَّةً بعدَ كرَّة
وردّ على جَهْمٍ وجَعْدِ بن دِرْهمٍ ... وبشرِ المَرِيسي عُمْدة الجَهْميَّة
زنادقةٌ كم أهلكوا من عوالمٍ ... بُسوءِ اعتقاداتِ النُّفوسِ السَّقيمة
وجادَلَ أهلَ الاعتزال جميعهم ... وسلَّ عليهم سيفَه بالأدلَّة
وباحَثَ أشياخَ الرَّوافض وانثنى ... يُقاتلهم بالدِّرَّةِ العُمَريَّة
وردَّ على قومٍ تربَّتْ نُفُوسهم ... على النَّفْي والتعطيل من غير حُجَّة
وردَّ على قومٍ وشتَّتَ شملَهم ... وهم أهلُ تشبيه أتَوْا بكبيرة
وردَّ على أهل التَّناسُخ عندما ... تَجَرَّوْا وخاضُوا في أمورٍ عظيمة
وردّ على أهل الحُلُولِ فإنَّهم ... يروْن تجلّي الحقِّ في كلِّ صورة
وقد زعموا أن التَّجلّيَ ظاهرٌ ... ولا سيَّما في صورةٍ أمْرَديَّة
فمن أجْلِ هذا يرقصون ديانةً ... وفي رقصهم جاءوا بكُلِّ قبيحة
يروْن شهودَ المُرْدِ والرَّقص قُربةً ... فيا وَيْلهم من خِزْي يومِ الفضيحة
وردَّ على أتْباعِ إبليسَ عندما ... رآهم وقد مالوا إلى الجَبْريَّة

وكم قد طوى في عِلْمه من طوائف … حَرُورِيَّةٍ منهم على حَشَوِيَّة
مطايا بُنَيَّات الطريق سرتْ بهم … إلى أن أناخُوا في عِراضِ القطيعة
وفي بحر آراء العقائد أغرقوا … رمتْهم خيالاتُ العقول السخيفة
وكم قدْ أراهم كلّهم سُبُل الهُدى … وكم قد نهاهم مرَّةً بعد مرّة
فمن كان قطب الكون في حال عصره … سواه ومنْ قد فاز بالبَدَلِيَّة
شجاعٌ هُمامٌ بارعٌ في صفاته … يروم مرامًا في المراقي العَلِيَّة
هو الحَبْر والقُطب الذي شاع ذكْرُه … وفاح شذاه كالعبير المُفَتَّت
ألا يا تقيَّ الدين يا فردَ عَصْرِه … بُرُوقُك قد لاحتْ كشمسٍ مضيئة
وبانتْ لكلٍّ الناس أوصافُك التي … برزتَ بها مثْلَ العيون الغزيرة
ظهرتَ بأنواع العلوم وجنسها … وسارت بها الرُّكْبانُ في كلٍّ بلدة
لقد كُنتَ رُوحًا للقلوب وراحةً … وقُوتًا وأُنسًا للنفوس النفيسة
تمسَّكت بالدين الحنيفيّ والهُدى … وبالعُروة الوثقى وأصل الشريعة
وجُدتَ بكأس الفضل منك تكرُّمًا … على تابعين السُّنّة المحمديّة
لقد عشتَ محبوبًا ومتَّ مكرَّمًا … عليك من الرحمن أزْكَى تحيَّة[1]

* تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة والأصول:

□ قال الحافظ البزار: «وأمَّا ما خصَّه اللَّه تعالى به في معارضة أهل البدع في بدعيتهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم، وتزييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبديد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المُحمديَّة، بما منحه اللَّه تعالى به من البصائر

(١) «العقود الدرية» ص(٤٦٥ ـ ٤٧٢).

الرحمانية، والدلائل النقلية، والتوضيحات العقلية، حتى ينكشف قناع الحقّ، وبان ـ بما جمعه في ذلك وألّفه ـ الكذب من الصدق، حتى لو أنَّ أصحابها أحياء، ووفِّقوا لغير الشقاء؛ لأذعنوا له بالتصديق، ودخلوا في الدين العتيق.

ولقد وجب على كلٍّ من وقف عليها، وفهم ما لديها؛ أن يحمد اللَّه تعالى على حسن توفيقه هذا الإمام لنصر الحق بالبراهين الواضحة العظام.

ولقد أكثر ﷺ التصنيف في الأصول فضلاً عن غيره من بقية العلوم، فسألتُه عن سبب ذلك، والتمستُ منه تأليف نصٍّ في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته؛ ليكون عمدةً في الإفتاء. فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب، ومن قلَّد ـ المسلمُ ـ فيها أحد العلماء المُقلَّدين؛ جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقَّن خطأه، وأما الأصول: فإني رأيتُ أهل البدع والضلالات والأهواء، كالمتفلسفة، والباطنية، والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية، والنُّصيرية، والجهمية، والحلولية، والمُعطلة، والمُجسِّمة، والمُشبِّهة، والراوندية، والكُلابية، والسُّليمية، وغيرهم من أهل البدع ـ قد تجاذبوا فيها بأزمَّة الضلال، وبان لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المُقدَّسة المحمدية، الظاهرة العليَّة على كل دين، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قلَّ أن سمعتُ أو رأيتُ مُعرضًا عن الكتاب والسُّنة مُقبلاً على مقالاتهم؛ إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده. فلما رأيت الأمر على ذلك؛ بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شُبَهِهم وأباطيلهم، وقطع حُجَّتهم وأضاليلهم؛ أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم، ويُزيِّف دلائلهم؛ ذبًّا عن المِلَّة الحنيفية، والسُّنَّة الصحيحة الجليَّة.

ولا واللَّه ما رأيت فيهم أحداً ممن صنَّف في هذا الشأن، وادَّعى عُلُوَّ المقام، إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام وسببُ

ذلك: إعراضه عن الحق الواضح المبين، وعمَّا جاءت به الرسل الكرام عن ربِّ العالمين، واتِّباعه طُرُقَ الفلسفة في الاصطلاحات التي سمَّوها بزعمهم حكميات وعقليات، وإنما هي جهالات وضلالات، وكونه التزمها مُعرضًا عن غيرها أصلاً ورأسًا، فغلبت عليه حتى غطَّت على عقله السليم، فتخبَّط حتى خبط فيها عشوًا، ولم يُفرِّق بين الحق والباطل، وإلا فاللَّه أعلم لطفًا بعباده أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق ويُثبته، ويُبطل الباطل وينفيه، لكن عدم التوفيق، وغلبة الهوى، أوقع من أوقع في الضلال، وقد جعل اللَّه تعالى العقل السليم من الشوائب ميزانًا يزِنُ به العبد الواردات، فيُفرِّق بين ما هو من قبيل الحق، وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث اللَّه الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال: إنه مُخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن اللَّه تعالى، هذا باطل قطعًا، يشهد له كل عقل سليم، لكن ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

قال الشيخ الإمام قدَّس اللَّه روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب أنِّي صرفتُ جُلَّ همِّي إلى الأصول، وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبتُ عنها بما أنعم اللَّه تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية.

قلتُ ـ البزار ـ: وقد أبان ـ بحمد اللَّه تعالى فيما ألَّف فيها ـ لكل بصير الحقَّ من الباطل، وأعانه بتوفيقه حتى ردَّ عليهم بدَعَهم وآراءهم، وخِدَعَهم وأهواءهم، مع الدلائل النقلية بالطريقة العقلية، حتى يُجيب عن كل شبهة من شبههم بعدة أجوبة جليَّة واضحة يعقلها كل ذي عقل صحيح، ويشهد لصحتها كلُّ عاقل رجيح، فالحمد للَّه الذي منَّ علينا برؤيته وصُحبته، فلقد جعله اللَّه حُجَّةً على أهل هذا العصر، المُعرض غالب أهله عن قليله وكثيره؛ لاشتغالهم بفاني الدنيا عما يحصل به باقي الآخرة، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه»[1].

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» للبزار ص(٣٠ ـ ٣٥).

❑ قال العلامة شيخ الشافعية ابن الزملكاني في شيخ الإسلام ابن تيمية:

ماذا يقولُ الواصفون له ... وصفاتُهُ جلَّتْ عن الحصرِ
هو حُجَّةٌ للَّه قاهرةٌ ... هو بيننا أُعْجُوبةُ الدهرِ
هو آيةٌ للخلقِ ظاهرةٌ ... أنوارُها أربتْ على الفجرِ

*** من كلامه في أهل البدع:**

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ «رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر»[1].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبارات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل.

فبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل اللَّه، إذ تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»[2].

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ١٧٤).
(٢) المصدر السابق (٢٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

وقال ـ أيضًا ـ: «ومن كان مبتدعًا ظاهر البدعة، وجب الإنكار عليه، ومن الإنكار المشروع امتناع أهل الدين من الصلاة عليه لينزجر من يتشبه بطريقته، ويدعو إليه، وقد أمر بمثل هذا مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من الأئمة، والله أعلم»[1] .

«ولهذا لم يكن للمعلن بالبدع والفجور غيبة، كما روي ذلك عن الحسن البصري وغيره؛ لأنه لما أعلن ذلك استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يذم عليه لينزجر ويكف الناس عنه وعن مخالطته، ولو لم يذم ويذكر بما فيه من الفجور والمعصية أو البدعة لاغترّ به الناس، وربما حمل بعضهم أن يرتكب ما هو عليه، ويزداد أيضًا هو جرأةً وفجورًا ومعاصي، فإذا ذكر بما فيه انكفّ وانكفّ غيره عن ذلك وعن صحبته ومخالطته، قال الحسن البصري: أترغبون عن ذكر الفاجر؟! أذكروه بما فيه كي يحذره الناس، وقد روي مرفوعًا، و«الفجور» اسم جامع لكل متجاهر بمعصية أو كلام قبيح يدل السامع له على فجور قلب قائله.

ولهذا كان مستحقًّا للهجر إذا أعلن بدعة أو معصية أو فجورًا أو مخالطة لمن هذا حاله بحيث لا يبالي بطعن الناس فإن هجره نوع تعزير له، فإذا أعلن السيئات أعلن هجره، وإذا أسر أُسر هجره، إذ الهجرة هي الهجرة على السيئات، وهجر السيئات هجرة ما نهى الله عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ .

* وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾»[2] .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٩٢).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٥/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «والكلام الذي ذمّوه (أي السلف) نوعان: أحدهما أن يكون في نفسه باطلاً وكذبًا، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب فإن أصدق الكلام كلام اللَّه.

والثاني: أن يكون فيه مفسدة، مثلما يوجد في كلام كثير منهم: من النهي عن مجالسة أهل البدع، ومناظرتهم، ومخاطبتهم، والأمر بهجرانهم. وهذا لأن ذلك قد يكون أنفع للمسلمين من مخاطبتهم، فإن الحق إذا كان ظاهرًا قد عرفه المسلمون، وأراد بعض المبتدعة أن يدعو إلى بدعته، فإنه يجب منعه من ذلك، فإذا هُجر وعُزِّر، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ بن عسل التميمي، وكما كان المسلمون يفعلونه، أو قُتل كما قَتل المسلمون الجعد بن درهم وغيلان القدري وغيرهما، كان ذلك هو المصلحة، بخلاف ما إذا تُرك داعيًا، وهو لا يقبل الحق: إما لهواه، وإما لفساد إدراكه، فإنه ليس في مخاطبته إلا مفسدة وضرر عليه وعلى المسلمين»[1].

❑ يقول ابن رجب عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولقد نصر السنّة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبَق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها. حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، بل يقول الحق المرَّ الذي أداه إليه اجتهاده فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية مصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه اللَّه، فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، والاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش، إلى أن قال: ولعل من الحق علينا هنا أن نضيف إلى تلك الأسباب التي خلقت هذه

---

(١) «درء التعارض لابن تيمية» (٧/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

الخصومات سببًا آخر نحسٌ آثاره في كل عصر، وهو داء الحسد الذي إذا تملك قلب إنسان أفسده وأعمى بصيرته، وجعله لا يبغي لخصمه إلا الشر والأذى.

ولأن ابن تيمية اشتهر وذاع صيته واجتهد في أمور كثيرة خالف فيها علماء عصره، فدب الحسد والغضب إلى مدعي العلم والمقلدة والخرافيين الذي يضيقون أن يروا عالمًا يبزهم ويظهر جهلهم. فوشوا به إلى الحكام واتهموه بالكفر. فزجوا به في أعماق السجون تارة في القاهرة، وتارة في الإسكندرية، ولايكاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون يفرج عنه لما يجد من فضله وعلمه حتى يسارع هؤلاء الهدامون من جديد للوشاية به واختلاق الأكاذيب وإثارة الفتن ضده حتى يعاد به إلى السجن بعد تسليط الرعاع والغوغاء عليه وإيذائهم له واعتدائهم عليه، وكان يسجن معه أحيانًا أخواه شرف الدين عبداللّه وزين الدين عبدالرحمن»[١].

ويذكر صاحب فوات الوفيات[٢] أن الشيخ أملى سنة ٦٩٨هـ ـ ١٢٩٨م المسألة المعروفة بالحموية في قعدة بين الظهر والعصر وهي رسالة أجاب بها عن سؤال ورد من «حماة» في الصفات، وجرى له بسببها محنة ولكن اللّه نصره وذلّ أعداءه.

وقد كان شيخ الإسلام سلفيًّا في كل آرائه، فاتهم بلا حق بأنه يرى رأي المجسِّمة أو المشبِّهة، وأثار خصومه الناس وبعض السلاطين والأمراء عليه بسبب آرائه في هذه المسألة التي جاءت في الرسالة الحموية، فكانت فتنة ومحنة نجَّاه اللّه منها.

ويبسط ابن كثير القول قليلاً في هذه المسألة، فيذكر أنه في أواخر دولة

---

(١) «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» لمحمود مهدي الاستابنولي ص(١٩).
(٢) «فوات الوفيات» (١/ ٥٠ ـ ٥١).

الملك المنصور لاجين السلحداري قام على ابن تيمية جماعة من الفقهاء وأرادوا أن يحضر إلى مجلس القاضي الحنفي جلال الدين، ولكنه أبى أن يحضر فشنعوا عليه بالمناداة في البلد ضد رأيه الذي أبانه في الرسالة الحموية.

ولكن أحد الأمراء انتصر له وأرسل يطلب من قالوا ضده فاختفى الكثيرون منهم، كما ضرب بعض من نادوا عليه فسكت الباقون وسكنت الفتنة. ثم اجتمع الشيخ بالقاضي جلال الدين وعنده جماعة من العلماء والفضلاء، وباحثوه في الرسالة وناقشوه في مواضع منها، فأجاب الشيخ عما سألوه بما أسكتهم بعد كلام كثير(١).

ثم امتحن سنة ٧٠٥هـ ـ ١٣٠٥م بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان، فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرءوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه العقيدة سُنِّية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعًا ومنهم من قاله كرهًا.

*** محنة شيخ الإسلام وسجنه:**

ويذكر أن المصريين هم الذين دبروا الحيلة في أمر الشيخ، ورأوا أنه لا يمكن البحث والجدل معه، وأجمعوا أمرهم على أن يعقد له مجلس ويُدَّعى عليه فيه وتقام عليه الشهادات.

وكان القائمون في ذلك منهم بيبرس الجاشنكير(٢) الذي صار سلطانًا فيما بعد، ونصر المنبجي وكان خصمًا للشيخ لأكثر من سبب شديد المراس،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٤).

(٢) كان المنبجي شيخ بيبرس حاكم مصر، كان متصوفًا من أنصار مذهب الاتحاد والحلول. انظر «الطبقات» (٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

وابن مخلوف قاضي المالكية. ومهما يكن من أمر، فقد عقد المجلس لمحاكمته، وادَّعى عليه المدعي بأنه يعتقد أن اللَّه على العرش حقيقةً، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسيّة، وأنه يتكلم بحرف وصوت، ثم قال: اطلب التقرير على ذلك، التقرير البليغ، يشير إلى القتل على مذهب مالك.

□ فقال القاضي ابن مخلوف: ما تقول يا فقيه؟ فأخذ في حمد اللَّه والثناء عليه، فقيل له: أسرع، ما جئت لتخطب، فقال: أأمنع من الثناء على اللَّه تعالى!.. فقال القاضي: أجب، فقد حمدت اللَّه، فسكت الشيخ، فقال: أجب.. فقال الشيخ له: من هو الحاكم فيَّ؟ فأشاروا: القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي فكيف تحكم فيَّ؟ فأقيم الشيخ ومعه أخواه، ثم رُدَّ. وقال: رضيت أن تحكم فيَّ، فلم يُمكَّن من الجلوس.

وكان بعد هذا أن حبسوه في برج أيامًا نقل بعدها ليلة عيد الفطر إلى السجن المعروف بالجب. وتلا ذلك إرسال كتاب سلطاني إلى الشام بالطعن عليه والحط منه وإلزام الناس ـ وبخاصة أهل مذهبه ـ بالرجوع عن عقيدته وإلا كان العزل والحبس مصيرهم، ونودي بهذا في الجامع والأسواق.

ولبث في السجن عامًا وبضعة أشهر، ورفض الإفراج عنه على أن يرجع عن بعض عقيدته، حتى إذا كان شهر ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ ـ ١٣٠٧م حضر حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب إلى مصر ودخل السجن وأخرج الشيخ بنفسه بعد أن استأذن في ذلك، وعقدت له مجالس حضرها أكابر الفقهاء وانتهت على خير[1].

على أنه لم يخرج من السجن إلا ليعود إليه في العام نفسه بسبب

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/٤٥).

شكاية تقدم بها الصوفية في شهر شوال ضده إلى القاضي، وذكروا في شكايتهم أنه يحمل على ابن عربي وغيره من المتصوفة.

ولكن الدولة لم ترضَ بهذا (ولعله بإيعاز من الشيخ نصر المنبجي عدو ابن تيمية) فخير بين أشياء وهي: الإقامة بدمشق أو بالإسكندرية بشروط أو الحبس، فكان أن اختار الحبس مؤثرًا له على قبول تلك الشروط. إلا أن أصحابه رغبوا إليه في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرطوه عليه، فأجابهم وركب فعلاً متوجهًا إليها، إلا أنه صدر الأمر برده فرد في الغد إلى القاهرة وحضر عند القاضي، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس، إلا أن أحدًا من القضاة لم يجرؤ على الحكم عليه لأنه ما ثبت عليه شيء.

ولما رأى الشيخ تحيرهم بين الحق وبين ما تريده الدولة، قال: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فأرسل إلى حبس القاضي المعروف.

وحينئذٍ لم يجدوا بدًا من إخراجه إلى الإسكندرية، وبقي في الحبس بها مدة سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، فلما عاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون إلى السلطنة، أمر بإحضار الشيخ إلى القاهرة في شوال سنة ٧٠٩هـ ـ ١٣٠٩م وأكرمه إكرامًا زائدًا، وقام إليه وتلقاه في مجلس حفل بالقضاة المصريين والشاميين وأعيان الدولة[٢] ، ثم استشاره في خصومه إذ كان همَّ بقتل بعضهم فصرفه عن ذلك وأثنى عليهم. وكان ابن مخلوف المالكي يقول: ما رأينا أفتى (من الفتوة والمروءة) من ابن تيمية، سعينا في دمه، فلما قدر علينا عفا عنا[٣] .

---

(١) محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص(١٠٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ٤٥) وما بعدها.

(٣) راجع قضية الطلاق في كتاب «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» محمد بهجة البيطار، ص(٥١). ففيها إسهاب مجمل لهذه القضية والرد عليها.

لبث الشيخ بعد أن عاد إلى دمشق بضع سنين لا يزعجه خصومه، فتفرغ لنشر العلم والتأليف والإفتاء، ولكن سئل في مسألة الحلف بالطلاق وهي من المسائل الفقهية التي تفرد في عصره بالقول بها، ورأيه أنه لا يقع الطلاق بالحلف به بدل الحلف بالله، ولكن على الحالف إذا حنث في يمينه كفارة اليمين المعروفة في القرآن، كما كان رأيه أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع به إلا طلقة واحدة رجعية[1].

وفي عام ٧١٨ هـ ـ ١٣١٨م ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، وعقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك ونودي به في البلد. ثم في سنة ٧١٩هـ ـ ١٣١٩م عقد له مجلس أيضًا كالمجلس الأول وقرئ كتاب السلطان بمنعه من ذلك وعوتب على فتياه بعد المنع. وبعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة لأجل ذلك مرة أخرى ومنع بسببه من الفتيا مطلقًا، فأقام مدة يفتي بلسانه ويقول: لا يسعني كتم العلم[2] واستمر على هذا حتى حبس بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، ثم أخرج من السجن بعد ذلك وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال بالعلم والتعليم.

لما ورد أمر بسجنه بقلعة دمشق، أظهر السرور بذلك، وقال: إني كنت منتظرًا ذلك وهذا فيه خير عظيم، ونقل عنه وارث علومه العلامة ابن قيم الجوزية الذي حبس بقلعة دمشق معه في كتابه «الكلم الطيب والعمل الصالح» أنه قال: ما صنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول من مجلسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة

---

(١) «فوات الوفيات» (١/ ٥٢).

(٢) محمد بهجة البيطار «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(٣٤).

ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا إليَّ فيه من الخير ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللَّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء اللَّه. وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما أُدخل ووصل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال[1] : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. ويذكر أنه كتب بفحم يقول: إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم. وكان السلطان رسم بحرمانه من الكتب وأدوات الكتابة، فأخرجوا في تاسع جمادى الآخرة من هذا العام كل ما عنده من الكتب والأوراق والدواة والقلم وبذلك منع من الكتابة والمطالعة وزاد إقباله على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين.

*** قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز:**

مات ابن تيمية وقد ختم القرآن إلى أن وصل إلى قول اللَّه عز وجل ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وأخيرًا.. آن لابن تيمية العابد العالم والمجاهد أن يلقى ربه، آن له أن ينطلق من سجنه وأن يرتاح من خصومه، وأن يترك الدنيا ومتاعها.. فكانت وفاته ليلة الإثنين العشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ - ١٣٢٧م وهو لا يزال في سجنه بقلعة دمشق.

---

(١) محمد يوسف موسى «ابن تيمية» ص(١٠٩). أيضًا عبداللَّه اليافعي، مرآة الجنان، ج٤. (بيروت ١٩٧٥). و«الأعلام العلية والرد والوافر». وهما من تحقيق زهير الشاويش طبع المكتب الإسلامي، ص(٢٧٧).

وكان مشهد تشييعه إلى المقر الأخير أمرًا عظيمًا، فقد تزاحم الناس على جنازته، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والثناء عليه والدعاء له، ولم تصل الجنازة إلى مستقرها إلا وقت العصر[1].

دخلت جنازة الإمام جامع بني أميّة، وصلي عليه، ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر ذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت معايشها حينئذٍ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم. وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد، والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام. قال بعض من حضر: لم يتخلف فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته، فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم بحيث غلب على ظنهم متى خرجوا رجمهم الناس واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه أنهم يزيدون على نحو من ستين ألفًا إلى أكثر من ذلك، وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألفًا[2].

وكانت جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية في ضخامتها ثاني جنازة في التاريخ الإسلامي بعد جنازة الإمام أحمد.

وليس السجن حبس الجسم قهرًا	فــــذا أنسٌ برب العـالمينـــا
سَـجينٌ من نأى عن شـــرع ربي	سجـــين الروح عن هدي الأمينـــا

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ الإمام ابن قيم الجوزية ـ:

لقد كان هذا الإمامُ العظيمُ إمامًا في السنة والاتباع، ثائرًا على التقليد

(١) «ابن تيمية» لمحمد يوسف موسى ص(١١٠).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (١٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» ص(١٧٣). و«ابن تيمية والصوفية» لمحمد أحمد درنيقة وسوهام توفيق المصري ـ مكتبة الإيمان طرابلس.

«يندد بالمقلدة ويَنعَى عليهم حظهم من العلم، ويعقد مجالس المناظرة بين المقلد وصاحب الحجة ـ في كتبه ـ ويصفه بأنه بدعة، وأنه من المحدثات بعد خير القرون، وقد عالج هذه القضية في كتبه في مناسبات كثيرة، وقد بسط الحديث عن أحكام الاجتهاد والتقليد في كتابه «إعلام الموقِّعين» في أكثر من مائة صحيفة.

وابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ لم يصل في هذا إلى حظيرة المتهورين الذين أزروا بالأئمة الأربعة وأصحابهم، كمتطرفي الظاهرية ومن نحا نحوهم، فردوا بدعة التقليد ببدعة الإزراء بالسلف واقتراف إثمه وجرمه. ولم يكن أيضًا من أولئك الذين أشقاهم التعصب، وأصمهم وأعمى أبصارهم عن نور الوحيين: الكتاب والسنة، حتى بلغ بهم الهوس. ردًّا لمذهب بمذهبٍ آخر، وأبدوا من غرائب المواقف والتراشق، ما يكون سُبَّةً وعارًا في تاريخ المسلمين، ولكنه ـ رحمه اللَّه ـ أخذ بالطريق الأوسط، وهو بعبارةٍ مختصرة: «مُناشدة الدليل مع احترام الأئمة».

◘ يقول في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٧٧): «كثيرًا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه».

فمعرفة المذهب شيءٌ، والتقليد له شيءٌ آخر. فالمعرفة مع الانقياد للدليل، هو منهج أصحاب الأئمة، وهو مقام مدحٍ لا مقام ذمٍّ، بخلاف التقليد بلا دليل»[1].

وقد أُوذي ابن القيم بسبب مجاهدته لنشر عقيدة السلف، ومحاولة ردّ الخلف إلى طريق السلف، فحُبس مدةً لإنكاره شدّ الرِّحال إلى قبر الخليل،

---

(١) «ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره» لبكر بن عبداللَّه أبو زيد ص(٤٤ ـ ٤٥).

وسجن بسبب فتاويه القائمة على الدليل، كمسألة الطلاق الثلاث بلفظٍ واحد، فقد تصدى للفتوى بهذه المسألة على وفق اختيار شيخه ابن تيمية، وعامة أهل الأرض مطبقون على أن طلاق الثلاث بلفظ واحدٍ، يعتبر ثلاثًا لا واحدةً.

فرحم اللَّه من سجن لكسر سلطان التقليد، وانتصر للدليل ردًّا للأُمّة إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

◻ وابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في فاتحة كتابه «إعلام الموقعين» يذكر انعقاد الإجماع ـ خلفًا وسلفًا ـ على وجوب الرد إلى اللَّه ورسوله، وأن التقليد مع ظهور الدليل، حكمه التحريم، والمقلد الأعمى خارجٌ عن زمرة العلماء، وينعى حال عصره، وما ينال من قام بهذا الشأن من الكيد والأذى، فيقول بعد امتداحه لحال الصحابة ﷺ: «ثم خلف من بعدهم خلوفٌ فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا، وكل إلينا راجعون، جعلوا التعصُّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورءوس أموالهم التي بها يتّجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مقتدون.

والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب، ولسان الحق يتلو عليهم: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣].

◻ قال أبو عمر وغيره من العلماء: «أجمع الناس على أن المقلّد ليس معدودًا من أهل العلم، وأنّ العلم معرفة الحق بدليله». وهذا كما قال أبو عمر ـ رحمه اللَّه تعالى؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد. فقد تضمن هذان الإجماعان: إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء،

وسقوطهما باستكمال من فوقهما وراثة الأنبياء، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر، وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه، ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى، ولا يشعر بتضييعه؟!.

تالله، إنها فتنة عمت فأعمت، ورمت القلوب فأصمت، ربا عليها الصغير، وهرم فيها الكبير، واتخذ لأجلها القرآن مهجوراً، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطوراً، ولما عمت بها البلية، وعظمت بسببها الرزية، بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها، ولا يعتبرون العلم إلا إياها، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل، وبغوا له الغوائل، ورموه عن قوس الجهل والبغي والعناد، وقالوا لإخوانهم: إنا نخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد.

فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة، ألاَّ يلتفت إلى هؤلاء، ولا يرضى لهم بما لديهم، وإذا رفع له علم السنة المحمدية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم. فما هي إلا ساعة حتى يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، وتتساوى أقدام الخلائق في القيام لله، وينظر كل عبدٍ ما قدمت يداه، ويقع التمييز بين المحقين والمبطلين، ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، أنهم كانوا كاذبين».

فرحم الله ابن القيم، لقد كان ـ مع ما ناله في هذا السبيل ـ رابط الجأش، ثابت الجنان كالجبل الأشم، لا تؤثر فيه العوامل من الرياح والأمطار والمناخ، ولا تثنيه عن مسلك الحق وقولة الحق، ويرى أن هذا كله طيش وسفه، لا يلبث أن يذوب ويتفرق شأن الباطل، ولا يؤثر إلا على من في

عقله ضعف وفي دينه ذلة. وفي ذلك يقول[1] : «من في عقله ضعف: تؤثر فيه البداءات، ويستفز بأوائل الأمور، بخلاف الثابت التام العاقل؛ فإنه لا تستفزه البداءات، ولا تزعجه ولا تقلقه، فإن الباطل له دهشة وروعة في أوله، فإذا ثبت له القلب، رده على عقبيه. واللَّه يحب من عبده العلم والأناة، فلا يعجل، بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه، ولا يعجل بأمرٍ قبل استحكامه، فالعجلة والطيش من الشيطان، فمن ثبت عند صدمة البداءات، استقبل أمره بعلمٍ وحزمٍ، ومن لم يثبت لها، استقبله بعجلةٍ وطيشٍ وعاقبته الندامة، وعاقبة الأول حمد أمره، ولكن للأول آفة متى قرنت بالحزم والعزم نجا منها، وهي الفوت؛ فإنه لا يخاف من التثبيت إلا الفوت، فإذا اقترن به العزم والحزم، تم أمره».

ولقد تم الأمر ـ ولله الحمد ـ للشيخ ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى، فقد أرسى سفينة النجاة على شاطئ السلامة، تحمل النور والهدى، وكسر المقلدة المتعصبة، ومن نحا نحوهم، فذابت العصبية المذهبية في الطريقة الأثرية؛ فصححت المفاهيم، وأخذ يدبّ في الناس روح الأخذ بالدليل، مع احترام الأئمة السالفين، بل هو مسلكهم وكريم منهجهم، وما زال هذا يدب في كل عهدٍ ومهدٍ حتى أيامنا هذه، بل في هذه الأيام والأزمان الحاضرة، لم يجد الناس بداًّ من ذلك المنهج السوي والمشرع الروي؛ لأنه هو الذي يتمشى ووقائع العصر ونوازله، فعاد أعداء المدرسة الأثرية لها أصدقاء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولقد كان الاعتماد على الأدلة من الكتاب والسنة، أبرز خصائص المدرسة السلفية التي قام بنشرها ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ على أنقاض

---

(١) «مفتاح دار السعادة» ص(١٥٤).

الرد إلى محض الآراء ومستبعد الأقيسة وفاسد التأويل.

فابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يبرز الأدلة من الكتاب والسنة، ويستنبط الأحكام الشرعية منها بأسلوبٍ سهل مبسط، خالٍ من التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، متطلبًا نشر التشريع وبث التوجيه ردًّا إلى اللَّه ورسوله، وإلى أن يرد الناس منابع الشريعة الأولى خاليةً من كل وَضَرٍ، خالصةً من كل شائبةٍ.

وهذا منهجٌ أصيل في عامَّة كتبه ومباحثه، لا أراني مضطرًّا إلى سياق مواضع من كلامه للتدليل عليه.

لكني أراني مضطرًّا إلى نقل طائفةٍ من كلامه في احترام الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، والتنديد بمن أعرض عن هذا وخالفه، لمخالفته أمر اللَّه ورسوله ﷺ؛ لأن هذا هو الذي يشكل التقعيد والتأصيل لمنهج ابن القيم رائد المدرسة السلفية. ومن ذلك ما يلي:

قال في مقام الأدب مع النبي ﷺ: «ومن الأدب معه ﷺ أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياسٍ، بل تهدر الأقيسة وتغلى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيالٍ يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحدٍ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ، وهو عين الجرأة».

ويقرر ابن القيم في «مدارج السالكين» بحثًا ممتعًا لطيفًا، في وجوب إذعان المسلم وتواضعه للدليل، وحرمة المعارضة والمخالفة، أسوقه بطوله لنفاسته، فيقول ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «التواضع للدين هو الانقياد لِمَا جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له والإذعان، وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن لا يعارض شيئًا مما جاء به، بشيءٍ من المعارضات الأربعة

السارية في العالم، المسماة: بالمعقول، والقياس، والذوق، والسياسة. فالأول: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين، الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل، قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عزل تأويلٍ وإما عزل تفويض. والثاني: للمتكبرين من المتسبين إلى الفقه، قالوا: إذا تعارض القياسُ والرأيُ والنصوصُ، قدمنا القياس على النص، ولم نلتفت إليه. والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المتسبين إلى التصوف والزهد، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدموا الذوق والحال، ولم يعبئوا بالأمر. والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأُمراء الجائرين، إذا تعارضت عندهم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة هم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله.

الثاني: أن لا يتَّهِم دليلاً من أدلة الدين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة، أو قاصرها، أو أن غيره كان أولى منه. ومتى عرض له شيءٌ من ذلك، فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه، كما قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا ... وآفَتُهُ مِن الفَهْمِ السَّقِيمِ
ولكنْ تأخُذُ الأذهانُ منه ... على قَدْرِ القَرائحِ والفُهُومِ

وهكذا في الواقع حقيقةً: أنه ما اتهم أحدٌ دليلاً للدين، إلا وكان المتهم هو الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل، لا في نفس الدليل. وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك، وينبو فهمك عنه، فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزًا من كنوز العلم. ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك، وأما بالنسبة إلى غيرك: فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي، وليكن ردها أيسر شيءٍ عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك، فلست على شيءٍ ولو.. ولو.. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

□ قال الشافعي ـ قدّس اللَّه روحه ـ: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ، لم يحل له أن يدعها لقول أحدٍ».

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلاً البتة، لا بباطنه ولا بلسانه، ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحسَّ بشيءٍ من الخلاف، فهو كخلاف المقدم على الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس. بل هذا الخلاف أعظم عند اللَّه من ذلك، وهو داعٍ إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم.

واعلم أن المخالف للنص؛ لقول متبوعه وشيخه ومقلده، أو لرأيه ومعقوله وذوقه وسياسته: إن كان عند اللَّه معذوراً ـ ولا واللَّه ما هو بمعذورٍ ـ فالمخالف لقوله؛ لنصوص الوحي، أولى بالعذر عند اللَّه ورسوله وملائكته والمؤمنين من عباده.

فوا عجبًا إذا اتسع بطلان المخالفين للنصوص لعذر من خالفها تقليداً أو تأويلاً أو لغير ذلك، فكيف ضاق عن عذر من خالف أقوالهم وأقوال شيوخهم؛ لأجل موافقة النصوص؟! وكيف نصبوا له الحبائل، وبغوه الغوائل، ورموه بالعظائم، وجعلوه أسوأ حالاً من أرباب الجرائم؟! فرموه بدائهم وانسلوا منه لواذًا، وقذفوه بمصابهم وجعلوا تعظيم المتبوعين ملاذًا لهم ومعاذًا. واللَّه أعلم.

نهج ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في مسائل العلم منهج الاسترواح والتطلب من كتاب اللَّه تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسوله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، فإن لم يجد، أخذ بأزمة أقوال الصحابة ﷺ؛ لأنهم أبر الأمّة قلوبًا وأعمقها دينًا وأصحها فهومًا.

وهذه صفة بارزة وسمة ظاهرة في جميع مباحثه في العقائد والأحكام.

ولهذا أفاض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بالاستدلال لهذا الأصل، ووجوب الأخذ به، والعمل بموجبه، من ستةٍ وأربعين وجهًا، بسطها في كتابه «إعلام الموقعين»[1].

* مدى تأثُّره بابن تيمية:

إن المدرسة السلفية التي جدد بناءها شيخ الإسلام ابن تيمية، بما ملأ الأسماع، وصار حديث أهل الإسلام في شتى الأقطار، وبما آتاه اللَّه من المواهب النادرة، والتفنن في علوم الإسلام، وابن القيم يسمع ويرى، ويعايش هذا الاتجاه الفكري الانقلابي على التقليد والطائفية والمذاهب الكلامية، والتخبطات العقائدية، رجوعًا بالأُمّة إلى ما كان عليه السلف الصالح، وردًّا لكل نزاعٍ في ذلك إلى اللَّه والرسول. كل ذلك لا بد أن يكون له في نفوس المتعلمين الأثر الكبير، وابن القيم يعيش في مرحلة الطلب، ولديه من الهمة والعلم والذكاء والألمعية، ما يسيره إلى الطريق السوي والمَشْرع الروي، بعد حلول العناية الربانية في أعطاف ما أعطاه اللَّه من المواهب، فما كان لابن القيم إذن أن ينفلت من ذلك التأثير، فاتصل بشيخ الإسلام عام قدومه، وثنى ركبتيه في حلقات درسه، لينهل من معارفه وعلومه، وصحبه في ذلك ستة عشر عامًا وهو يقرأ عليه فنون العلم.

فصار لهذه الصحبة والملازمة الطويلة، الأثر البالغ على ابن القيم في تكوين اتجاهه، وتغذية مواهبه، وإشباع نهمته بعلوم الكتاب والسنة والرد إلى اللَّه والرسول، حتى صار أبرع تلاميذه، وألمعهم نجمًا، وأجلاهم اسمًا، فلا يكاد يذكر الشيخ ابن تيمية، إلاَّ ويذكر معه تلميذه ابن قيم الجوزية، وسرى نور هذين العلمين في آفاق المعمورة، بسعة العلم، وأصالة الفكر، والتجديد

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ١٢٣ ـ ١٥٦).

في دعوة الناس إلى صراط اللَّه المستقيم.

وقد اتفقت كلمة النقلة، على أن تاريخ اللقاء بينهما كان منذ سنة ٧١٢هـ ـ واستقر إلى أن مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ سنة ٧٢٨هـ.

وقد بقي ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ملازمًا له طيلة هذه المدة؛ أي طوال ستة عشر عامًا، فأخذ عنه علمًا جمًّا، وتلقى فنونًا كثيرة.

ومن مآثر شيخ الإسلام ابن تيمية وأياديه البيضاء: توبة ابن القيم على يديه بعد اتصاله به، وتأثره به في النهج السلفي في الاعتقاد والاتباع.

ذكر ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في النونية بعض ما يقوله الأشاعرةُ وغيرهم، في الصِّفات من التأويلات. وبعض ما في كتب النُّفاة من الطّامّات، وبيَّن ضررهم على الدين، ومناهضتهم لنصوص الكتاب والسنة. ثم عقد فصلاً أعلن فيه أنه قد وقع في بعض تلك المهالك، حتى أتاح له الإلهُ من أزال عنه تلك الأوهام، وأخذ بيده إلى طريق الحق والسلامة، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

◘ وفي إعلانه لتوبته على يديه يقول:

يا قوم واللَّهِ العظيمِ نصيحةٌ ... مِن مُشفِقٍ وأخٍ لكم مِعْوانِ
جرَّبتُ هذا كلَّه ووقعتُ في ... تلك الشِّباكِ وكنت ذا طَيَرانِ
حتى أتاح ليَ الإلهُ بَفضلِه ... مَن ليس تجزيه يدي ولساني
فتًى أتى من أرض حَرَّانَ فيا ... أهلاً بمن قد جاء مِنْ حرّانِ
فاللَّهُ يجزِيه الذي هو أهْلُه ... من جنَّةِ المأوى مَعَ الرِّضوانِ
أخذتْ يداه يدي وسار فلم يَرُمْ ... حتى أراني مَطْلَعَ الإيمانِ
ورأيتُ أعلامَ المدينة حولها ... نُزُلُ الهُدى وعساكرُ القرآنِ
ورأيت آثاراً عظيمًا شأنُها ... محجوبةً عن زُمرةِ العمْيانِ

ووردت كأس الماء أبيضَ صافيًا حَصْباؤه كلآلئ التِّيجانِ
ورأيتُ أكوابًا هناك كثيرة مِثْل النُّجُوم لوارِدٍ ظمآنِ
ورأيتُ حَوْضَ الكَوْثَرِ الصافي الذي لا زال يَشخُبُ فيه ميزابانِ
ميزاب سُنَّته وقول إلهِهِ وهما مدى الأيام لا يَنيانِ
والناس لا يَرِدُونهُ إلاَّ من الـ آلاف أفرادٌ ذوو إيمانِ
وَرَدُوا عِذابَ مَناهِلٍ أكْرِمْ بها ووَرَدْتُمُ أنتم عَذابَ هَوانِ

❑ فبين أنه طاف المذاهب يبتغي الهدى والنور، فما زاده ذلك التطواف إلا ظلمةً وحرقةً، حتى هداه اللَّه تعالى وتداركه بلطفه، فأخذ بزمام الكتاب والسنة، واستعصم بهما عن المذاهب الكلامية والمناهج الفلسفية، وفي ذلك يقول:

يا طالبَ الحقِّ المُبينِ ومُؤْثِرًا عِلْمَ اليقينِ وحُجَّةَ الإيمانِ
اسمعْ مقالةَ ناصحٍ خَبَرَ الذي عند الوَرَى قد شبَّ حتى الآنِ
ما زال مُذ عقدتْ يداه إزارَهُ قد شدَّ مِئْزَرَهُ إلى الرحمنِ
وتَخَلُّلُ الفَتَرَاتِ للعَزَمات أمْـ ـرٌ لازِمٌ لطبيعة الإنسانِ
وَتَولُّد النُّقْصانِ من فَتَرَاتِه أو ليس سَائِرُنا بَني النقصانِ
طاف المذاهبَ يبتغي نورًا ليَهْـ ـدِيَهُ وينجيه من النيرانِ
وكأنَّه قد طاف يبغي ظلمة اللَّـ ـيْلِ البهيم ومذهبَ الحَيْرانِ
واللَّيْلُ لا يزدادُ إلاَّ قوةً والصُّبْحُ مقهورًا بذا السُّلْطانِ
حتى بدتْ في سيْرِه نارٌ على طور المدينةِ مَطْلَع الإيمانِ
فأتى ليَقْبِسَها فلم يُمكنه معْ تلك القُيُودِ مَنالُها بأمانِ
لو لا تَدارَكَهُ الإلهُ بلُطْفه ولَّى على العَقِبيْن ذا نُكصانِ
لكن توقَّف خاضعًا مُتذلِّلاً مُسْتَشْعِرَ الإفلاس من أثمانِ

فأتاه جندٌ حلَّ عنه قيودَهُ ... فامتدَّ حينئذٍ له الباعانِ

واللَّهِ لو لا أن تُحلّ قيودُه ... وتَزُول عنهُ رِبْقَةُ الشَّيطانِ

كان الرُّقِيُّ إلى الثُّرَيَّا مصعداً ... مِن دون تلك النارِ في الإمكانِ

فرأى بتلك النار آطامَ المديـ ... ـنة كالخيامِ تَشُوفُها العينانِ

ورأى هُنالك كلَّ هادٍ مهتدٍ ... يدعو إلى الإيمان والإيقانِ

فهناك هنَّا نَفْسَه متذكِّرًا ... ما قاله المشتاقُ منذ زمانِ

والمُسْتَهام على المحبّةِ لم يَزَل ... حَاشَا لذكْركمُ من النسيانِ

لو قيل ما تهوى لقال مبادرًا ... أهوى زيارتُكم على الأجفانِ

تاللَّه إن سمح الزمانُ بقُرْبكم ... وحللتُ منكم بالمحلِّ الدّاني

لأُعفِّرنَّ الخَدَّ شُكرًا في الثَّرى ... وأُكحِّلَنَّ بُترْبِكم أجفاني

إنْ رُمتَ تُبصِر ما ذكرتُ فغُضّ طر ... فًا عن سوى الآثارِ والقرآنِ

واتْرُكْ رسوم الخلق لا تعبأْ بها ... في السَّعْد ما يُغنيك عن دَبَرانِ

حذِّقْ لقلبك في النصوص كمثل ما ... قد حذّقُوا في الرّأي طُول زمانِ

واكْحَلْ جفونَ القلب بالوحْيَيْنِ واحْـ ... ـذَرْ كُحْلهم يا كثرة العُمْيَانِ

فاللَّهُ بيَّن فيهما طرق الهُدى ... لعبادِهِ في أحسن التِّبيانِ

لم يُحوِجِ اللَّه الخلائقَ معْهما ... لخيال فَلْتانٍ ورأي فُلانِ

فالوحي كافٍ للَّذي يُعْنَى به ... شافٍ لداءِ جهالة الإنسانِ

والعلم أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابعٍ والحقّ ذو تِبيانِ

علمٌ بأوصاف الإلهِ وفعْله ... وكذلك الأسماء للرحمنِ

والأمر والنهي الذي هو دينُهُ ... وجزاؤه يوم المعادِ الثاني

والكلُّ في القرآن والسُّننِ التي ... جاءت عن المبعوثِ بالقرآنِ

▫ يرحم اللَّه ابن القيم، فقد امتحن وأُوذي من أجل مناصرته لشيخه في ذات اللَّه، ومن أجل نصرة السنة والدليل.

▫ يقول ابن رجب: «وقد امتحن وأُوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلاَّ بعد موت الشيخ»[١].

▫ ويقول ابن حجر: «إنه اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة، بعد أن أُهين وطيف به على جملٍ مضروبًا بالدرة، فلما مات، أُفرج عنه»[٢].

وكما احتفى بشيخه وعلومه حال حياته، وأخلص في محبته وولائه، فقد كان خليفته الراشد بعد وفاته، فتلقف راية التجديد، وثبت على جادة التوحيد: بنشر العلم، وبرد الخلف إلى مذهب السلف.

فاتسعت به دائرة المدرسة السلفية، وانتشر روادها في كل ناحية وصقع. وكان من حفاوته بشيخه (شيخ الإسلام) أن دون في ثنايا كتبه جُمَلاً من مواقفه، وسؤالاته له، وأسئلة غيره له، وطائفة من أحواله ومرائيه واختياراته، مما لو استل من مؤلفات ابن القيم، لظهر في مجلدة لطيفة، ترفل بعزيز الفوائد ولطائف العلم. واللَّه أعلم.

▫ يقول الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥) عن ابن القيم: «ليس له على غير الدليل معول.. وبالجملة فهو أحد من قام بنشر السنة، وجعل بينها وبين الآراء المحدثة أعظم جنة، فرحمه اللَّه وجزاه عن المسلمين خيرًا».

▫ ويقول العلاَّمة صديق حسن خان عن ابن القيم: «كان يتقيد بالأدلة

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).

(٢) «الدرر الكامنة» (٤/ ٢١).

الصحيحة، معجبًا بالعمل بها، غير مصرٍّ على الرأي».

❑ يقول الشيخ بكر أبو زيد: «وهذه أرضى العبارات وأسعدها بالقبول، لمطابقتها عين الواقع لمن كانت له دربة تامة على مؤلفات ابن القيم، ودرى ما فيها من العلم والفقه».

❑ يقول ابن القيم مبيِّنًا أن اتباع السنة والقرآن طريق النجاة من النيران:

يا مَن يُريد نجاتَهُ يوم الحسا ... ب من الجحيم ومُوقد النِّيرانِ
اتْبَعْ رسول اللَّه في الأقوال والْـ ... أعمالِ لا تَخْرُج عن القرآنِ
قَدِّرْ رسول اللَّه عندك وَحْدَهُ ... والقولُ منه إليك ذو تبيانِ
ماذا ترى فرضًا عليك مُعَيَّنًا ... إن كُنت ذا عَقْلٍ وذا إيمانِ
عَرْض الذي قالوا على أقواله ... أو عَكْس ذاك فذانِكَ الأمرانِ
هي مَفْرقُ الطرقات بَيْنَ طريقنا ... وطريق أهل الزَّيْغ والعُدوانِ
قدِّرْ مقالاتِ العبادِ جميعهم ... عَدَمًا وراجع مَطْلَع الإيمانِ
واجعلْ جُلُوسَك بين صَحْب محمدٍ ... وتَلَقَّ معْهم عنه بالإحسانِ
وتَلَقَّ عنهم ما تلقَّوْه هُمُ ... عنه من الإيمان والعِرْفانِ
أفليس في هذا بلاغُ مُسافرٍ ... يبغي الإلَهَ وجنة الحيوانِ
فلأيِّ شيءٍ يَعْدِلُ الباغي الهُدى ... عن قوله لو لا عَمَى الخذْلانِ
فالنَّقْل عنه مُصَدَّقٌ والقولُ مِن ... ذي عصمةٍ ما عندنا قوْلانِ
والعَكسُ عند سواه في الأمرين يا ... مَن يهتدي هل يستوي النَّقْلانِ
تاللَّه قد لاح الصبّاحُ لمن له ... عينان نحو الفجر ناظِرتانِ
وأخو العَمَاية في عَمَايَتِه يقو ... ل اللَّيْل بعدُ أيستوي الرَّجُلان
تاللَّهِ قد رُفِعتُ لك الأعلامُ إنْ ... كنتَ المُشَمِّر نلتَ دارَ أمانِ

❑ ويقول ابن القيم ناصحًا باتباع السنة في نونيته:

يا مَنْ تعزُّ عليهمُ أرواحُهُمْ ... وَيَرونْ غَبْنًا بَيْعها بهوانِ
ويَرَوْنَ خسرانًا مُبينًا بَيْعها ... في إثْرِ كلِّ قبيحة ومهانِ
ويرونْ مَيْدان التَّسابُق بارزًا ... فيتاركون تَقَحُّم الميدانِ
ويرون أنفاسَ العبادِ عليهمُ ... قد أُحصيتْ بالعَدِّ والحسبانِ
ويرون أن أمامهم يوم اللِّقا ... للَّه مسألتان شاملتانِ
ماذا عبدتم ثُمَّ ماذا قد أجَبْـ ... ـتُم مَن أتى بالحقِّ والبرهانِ
هاتوا جوابًا للسُّؤال وهيئُوا ... أيضًا صوابًا للجواب يدانِ
وتيقَّنُوا أن ليس يُنجيكم سوى ... تجريدكم لحقائق الإيمانِ
تجريدُكم توحيده سبحانه ... عن شركةِ الشيطان والأوثانِ
وكذاك تجريد اتِّباع رسوله ... عن هذه الآراء والهَذَيَانِ
واللَّه ما يُنجي الفتى من ربه ... شيءٌ سوى هذا بلا رَوَغانِ

❑ ويتكلم ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ عن الفرق بين أهل السنة وغيرهم، فيقول في النونية لخصوم أهل السنة:

والفَرْق بَيْنَكمُ وبين خصومكم ... من كلِّ وجهٍ ثابتٌ ببيانِ
ما أنْتُم مُنهم ولا هم منكمُ ... شَتَّان بين السَّعْدِ والدَّبَرانِ
فإذا دَعَوْنا للقُرَانِ دعوتمُ ... للرَّأْي أين الرأيُ من قرآنِ
وإذا دعونا للحديث دعوتمُ ... أنتم إلى تقليدِ قولِ فُلانِ
وكذا تلقّينا نصوص نبيِّنا ... بقَبُولِها بالحقِّ والإذعانِ
من غير تحريفٍ ولا جَحْدٍ ولا ... تفويضِ ذي جهلٍ بلا عرفانِ
لكنْ بإعراضٍ وتجهيلٍ وتأ ... ويلٍ تلقَّيْتُم مع النُّكرانِ
أنكرتموها جُهْدَكم فإذا أتى ... ما لا سبيل له إلى نكرانِ

أعرضتمُ عنه ولم تستنبطُوا ... منه هُدًى لحقائق الإيمانِ
فإذا ابتُليتم مُكْرَهِين بسَمْعِها ... فوَّضْتُمُوها لا عَلَى العرفانِ
لكنْ بجهلٍ للذي سِيقَتْ له ... تفويض إعراضٍ وجهلٍ ومعانِ
فإذا ابتُليتم باحتجاجِ خُصُومِكم ... أوْلَيْتُموها دَفْعَ ذي صَوَلانِ
فالجَحْد والإعراض والتأويل والتَّـ ... ـجهيل حظُّ النصِّ عند الجاني
لكنْ لدَيْنا حظُّـه التَّسْلُيم مَعْ ... حُسْنِ القَبُول وفَهْم ذي الإحسانِ
ولنا الحقيقةُ من كلام إلهنا ... ونَصيبُكم منه المجاز الثاني
وقواطعُ الوحْيَيْن شاهدةٌ لنا ... وعليكم هل يستوي الأمرانِ
وجنودُنا مَنْ قد تقدَّم ذِكْرُهم ... وجُنُودُكُم فعساكِرُ الشيطانِ
وخيامُنا مضروبةٌ بمشاعر الْـ ... وحْيَيْنِ من خَبَرٍ ومنِ قرآنِ
وخيامُكم مضروبةٌ بالتِّيه فالسُّـ ... ـكَّان كلُّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
ولنا المسانِدُ والصِّحاحُ وهذه الـ ... ـسُّنَنُ التي نابتْ على القرآنِ
ولكم تصانيفُ الكلام وهذه الْـ ... آراءُ وهْي كثيرةُ الهَذَيانِ
شُبهٌ يُكَسِّرُ بعضُها بعضًا كبَيْـ ... ـتٍ من زُجاج خرَّ للأركانِ
هل ثَمَّ شيءٌ غيرَ رأيٍ أو كلام ... مٍ باطلٍ أو منطقِ اليونانِ
ونقول قال اللَّه قال رسولُه ... في كلِّ تصنيفٍ وكلِّ مكانِ
لكن تقولوا قال آرسطو وقا ... ل ابنُ الخطيب وقال ذو العرفانِ
شيخٌ لكم يُدعَى ابن سينا لم يكن ... متقيِّداً بالدين والإيمانِ
وخيارُ ما تأتُون قال الأشعريُّ ... وتشهدون عليه بالْبُهتانِ
هذا ونحن فتاركو الآراء للنَّـ ... ـقْل الصحيح ومُحْكَم الفرقانِ
وعرضتمُ قول الرسول على الذي ... قال الشيوخُ ومحكم الفرقانِ
فالمحكم النَّصُّ المخالف قولهم ... لا يَقْبَلُ التأويلَ في الأذهانِ

لكنَّما النَّصّ المخالف قولهم ... لا يقبل التأويل في الأذهــان
لكن عرضنا نحنُ أقوال الشيو ... خ على الذي جاءتْ به الوَحْيَـــان
ما خالف النَّصَّيْن لم نعبأْ به ... شيئًا وقُلنا حَسْبُنا النَّصَّان
والمُشْكِل القول المخالف عندنا ... في غاية الإشكال لا التِّبيــان
هذي سبيلُكمُ وتلك سبيلُنا ... والموعدُ الرحمنُ بعد زمــان
وهناك يُعْلَمُ أيّ حزبَيْنا على الْـ ... ـحقِّ الصريح وفِطْرةِ الدَّيَّـــان
فاصبرْ قليلاً إنّما هي ساعةٌ ... فإذا أُصِبْتَ ففي رضا الرحمنِ
فالقومُ مِثْلك يَأْلَمُون ويصبرو ... نَ وصبرُهم في طاعـة الشيطانِ

* * *

☐ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ في كفاية النصين وجناية أعداء السنة عليهما:

وكفايةُ النَّصَّيْن مشروطٌ بتَجْـ ... ـريد التَّلَقِّي عنهما لِمَعَانِ
وكذاك مشروطٌ بخـلْع قيودهم ... فقيودهم غُلٌّ إلى الأذقــانِ
وكذاك مشروط بهــدم قواعد ... ما أنزلت ببيانهـا الوحيـــانِ
وكذاك مشروطٌ بإقــدامٍ على الْـ ... آراء إن عَرِيَتْ عن البُرهـــانِ
بالــرَّدِّ والإبطــال لا تعبـأْ بها ... شيئًا إذا ما فاتهــا النَّصَّـــانِ

* * *

☐ ثم يقول عن خصوم السنة ممن ناصبوه وناصبوا السنة العداء:

هذا وإني بَعْدُ مُمْتَحَنٌ بـأر ... بعةٍ وكلُّهمُ ذَوو أضْغــانِ
فَظٌّ غليظٌ جاهلٌ مُتَمَعْلِمٌ ... ضخمُ العِمامـةِ واسعُ الأَرْدَانِ
مُتَفَيْهِقٌ مُتضلِّعٌ بالجهـل ذو ... صَلَعٍ وذو جَلَحٍ من العرفــانِ
مُزْجَى البضاعةِ في العلوم وإنَّـه ... زاجٍ من الإيهــانِ والهَذَيـانِ
أو حاسدٌ قد باتَ يغلي صدرُهُ ... بعَدَاوَتي كالمِرْجَلِ المــلآنِ

لو قلتُ هذا البَحْرُ قال مكذِّبًا هذا السَّرابُ يكون بالقيعانِ
أو قلتُ هذي الشمسُ قال مُباهتًا الشمسُ لم تَطْلُع إلى ذا الآنِ
أو قلتُ قال اللَّهُ قال رسولُه غَضِبَ الخبيثُ وجاء بالكتمانِ
أوْ حرَّف القرآنَ عن موضوعِه تحريفَ كذَّابٍ على القرآنِ
والثالث الأعمى المقلِّد ذَيْنِكَ الـ ـرَّجُلَيْنِ قائِدُ زُمْرَةِ العميانِ
هذا ورابعُهُم وليس بكَلْبِهم حاشا الكلابَ الآكلي الأنتانِ
خِنْزِيرُ طبْعٍ في خَلِيقَةِ ناطقٍ مُتَسَوِّف بالكذبِ والبُهتانِ
كالكلبِ يَتْبَعُهُم يُمَشْمِشُ أعظُمًا يَرْمُونها والقوم لِلَّحْمانِ
هو فَضْلَةٌ في الناس لا عِلْمٌ ولا دينٌ ولا تمكينُ ذي سُلطانِ
فبقاؤه في الناس أعظَمُ مِحْنَة من عسكر يُعْزَى إلى غَازانِ
هذي بضاعةُ ضاربٍ في الأرض يَبْـ ـغي تاجرًا يَبْتَاعُ بالأثمانِ
وَجَدَ التُّجَار جميعهم قد سافروا عن هذه البُلْدانِ والأوطانِ
إلا الصَّعَافقَةَ الذين تكلَّفُوا أن يَتْجَرُوا فينا بلا أثمانِ
فَهُمُ الزُّبُونُ لها فباللَّهِ ارحموا مِنْ بَيْعةٍ من مفلس مِدْيَانِ
يا رَبِّ فارزُقْها بحقِّك تاجرًا قد طاف بالآفاقِ والبلدانِ
ما كلّ مَنْقُوشٍ لديه أصفرٍ ذَهَبًا يراه خالصَ العِقْيَانِ
وكذا الزُّجاجُ ودُرَّةُ الغوَّاصِ في تمييزه ما إن هُمَا مِثْلانِ

* * *

- ويقول عمّن يُبغِض أهل الحديث وهم أنصار هذا الدين:

يا مُبغِضًا أهْلَ الحديث وشاتِمًا أبشِرْ بعَقْدِ ولايةِ الشيطانِ
أوَ مَا علمتَ بأنَّهم أنصارُ ديـ ـنِ اللَّه والإيمانِ والقرآنِ
أوْ ما علمتَ بأن أنصار الرَّسُو لِ هُمُ بلا شكٍّ ولا نُكرانِ

هل يُبْغض الأنصارَ عبدٌ مؤمنٌ ... أو مُدْرِكٌ لروائحِ الإيمانِ
شهد الرسولُ بذاك وَهْيَ شهادةٌ ... من أصدقِ الثقلَيْنِ بالبُرهانِ
أوَ ما علمتَ بأن خَزْرَجَ دينه ... والأوسَ هُمْ أبداً بكُلِّ زمانِ
ما ذنُبهم إذ خالفوك لقوله ... ما خالفوه لأجلِ قولِ فُلانِ
لَمَّا تحيَّزتم إلى الأشياخِ وانْـ ... ـحَازُوا إلى المبعوثِ بالقرآنِ
نُسِبُوا إليه دُونَ كلِّ مقالةٍ ... أو حالةٍ أو قائلٍ ومكانِ
والله ما يُنْجِيكَ من سجن الجحيـ ... ـم سوى الحديثِ ومُحكمِ القرآنِ
والله ليس الناسُ إلاَّ أهْلُهُ ... وسواهُمُ من جُملةِ الحيوانِ

***

❑ ويقول ـ رحمه الله ـ:

والله ما خَوفِي الذنوبَ فإنها ... لَعَلَى طريقِ العَفْوِ والغُفرانِ
لكنَّما أخشى انسِلاخَ القلبِ مِنْ ... تحكيمِ هذا الوَحْيِ والقرآنِ
ورضًا بآراءِ الرجالِ وخَرْصِها ... لا كان ذاك بمِنَّةِ الرحمنِ
فبأيِّ وَجْهٍ ألْتَقِي ربي إذا ... أعرضتُ عن ذاك الوحي طولَ زمانِ
وعزلتُه عمَّا أُريدَ لأجلِهِ ... عَزْلاً حقيقيًا بلا كتمانِ

***

❑ يقول ابن القيم في تعين الهجرتين إلى الله ورسوله:

يا قومُ فَرْضُ الهجرتَيْنِ بحالِه ... والله لم يُنسخ إلى ذا الآنِ
فالهجرةُ الأُولى إلى الرحمن بالْـ ... إخلاص في سِرٍّ وفي إعلانِ
والهجرةُ الأُخرى إلى المبعوث بالْـ ... إسلام والإيمان والإحسانِ
أتَرَوْنَ هَذي هجرةَ الأبدانِ لا ... والله بل هِيَ هجرةُ الإيمانِ
قَطْعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في ... دَرْكِ الأُصُولِ مع الفروعِ وَذَانِ

أبدًا إليه حُكْمُها لا غَيْرُهُ ... فالحُكْم ما حَكَمَتْ به النَّصَّان

يا هجرةً طالتْ مسافَتُها على ... مَنْ خُصَّ بالحِرْمانِ والخِذْلانِ

يا هجرةً طالتْ مسافتها على ... كَسْلانَ مَنْخُوبِ الفُؤاد جبانِ

يا هجرةً والعَبْدُ فوقَ فراشه ... سَبَقَ السُّعاةَ لمنزلِ الرِّضْوانِ

رُفِعت له أعلامُ هاتِيكَ النُّصُو ... صِ رُءوسُها شَابَتْ من النِّيرانِ

نارٌ هي النُّورُ المُبِينُ ولم يكُن ... ليرَاهُ إلاَّ مَنْ له عينانِ

مكحولتان بمِرْوَدِ الوَحْيَيْنِ لا ... بمَرَاوِدِ الآراء والهَذَيَانِ

فَلِذَاكَ شَمَّرَ نحوها لم يلتفتْ ... لا عن شَمَائِله ولا أيمانِ

يا قومُ لو هاجرتم لرأيتمُ ... أعلامَ طَيْبَةَ رُؤْيَةً بعيانِ

ورأيتمُ ذاكَ اللِّواءَ وتحتَهُ الـرُّ ... سلُ الكرامُ وعَسْكَرُ القرآنِ

وكذا المُهاجِرَةُ الأُلى سبقوا كذا الْـ ... أنْصَارُ أهْلُ الدَّارِ والإيمانِ

والتابِعونَ لهم بإحسانٍ وَسَا ... لِكُ هَدْيِهم أبدًا بكلِّ زمانِ

لكنْ رَضِيتُم بالأماني وابْتُلِيـ ... ـتُمْ بالحُظُوظ ونُصرة الإخوانِ

ونَبَذْتُمُ غَسْلَ النُّصُوصِ وراءكم ... وقَنَعْتُمُ بقُطَارَةِ الأذهانِ

وتركتمُ الوَحْيَيْنِ زُهدًا فيهما ... ورَغِبْتُمُ في رَأْيِ كلِّ فلانِ

وعزلتمُ النَّصَّيْنِ عمَّا وُلِّيَا ... للحُكْم فيه عَزْلَ ذي عُدوانِ

وزعمتمُ أن ليس يحكُمُ بيننا ... إلاَّ العقولُ ومنطقُ اليُونانِ

فهما بحُكْم الحقِّ أوْلَى منهما ... سُبحانك اللَّهمَّ ذا السُّبْحَانِ

حتَّى إذا انكشَفَ الغطاءُ وحُصِّلَتْ ... أعمال هذا الخلْقِ في الميزانِ

وبَدَتْ على تلك الوجوه سِماتُها ... وَسْمَ المليك القادرِ الدَّيَّانِ

مُبْيَضَّةٌ مثْلَ الرِّياضِ بجَنَّةٍ ... والسُّودُ مثْلَ الفَحْمِ للنِّيرانِ

فهناك يعلمُ راكِبٌ ما تَحْتَهُ ... وهناك يَقْرَعُ ناجذَ النَّدْمانِ

وهناك يعلم مُؤثِرُ الآراء والشَّـ ـطَحَات والهَذَيان والبُطلان
أيَّ البضائعِ قد أضاع وما الذي منها تَعَوَّضَ في الزمَـانِ الفاني

* * *

☐ يقول ابن القيم فيما أعد اللَّه للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ :

هذا وللمُتَمَسِّكِينَ بُسنَّة الْـ ـمُخْتارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الأزمانِ
أجْرٌ عظيمٌ ليس يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلاَّ الذي أعطـاهُ للإنسـان
فَروَى أبو داوُدَ في سُنَنٍ له ورواهُ أيضًا أحمدُ الشَّيْبَاني
أثَرًا تَضَمَّنَ أجْرَ خمسين امْرَأ مِنْ صَحْبِ أحْمَدَ خيرة الرحمنِ
إسنادُهُ حَسَنٌ ومصداقٌ له في مُسلمٍ فافْهَمْهُ بالإحسـان
إنَّ العبادَةَ وَقْتَ هَرْجٍ هِجْرَةٌ حقًّا إليَّ وذاك ذو بُرهـان
هذا فكَمْ مِنْ هجرةٍ لك أيُّها السُّـ ـنِّيُّ بالتَّحْقيقِ لا بأمـان
هذا وكَمْ من هجرةٍ لهمُ بما قال الرسولُ وجاء في القرآنِ
وَلَقَدَ أتى مِصداقُهُ في الترمذي لمن لَهُ أُذُنـان واعيَتـان
في أجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ ماتت فَذَا كَ مَعَ الرسولِ رفيقهُ بجِنانِ[1]
هذا ومِصداقٌ له أيضًا أتى في التِّرمِذيِّ لمن له عينـان
تشبيهُ أُمَّته بغَيْثٍ أوَّلٌ منه وآخِرُهُ فمُشْتَبِهَانِ
فلذاك لا يُدْرَى الذي هو منهما قد خُصَّ بالتَّفْضِيلِ والرُّجْحَانِ
ولقد أتى في الوَحْيِ مِصداقٌ له في الثُّلَّتَيْنِ وذاك في القـرآن
أهْلُ اليمينِ فَثُلَّةٌ مَعْ مِثْلِهَا والسَّابِقُونَ أقَلُّ في الحُسْبَان
ما ذاك إلا أن تابِعَهُمْ هُمُ الْـ ـغُرَبَاءُ ليستْ غُربَة الأوطـان

---

(١) الحديث في ذلك ضعيف.

لكنَّها واللَّهِ غُربةُ قائمٍ ... بالدِّينِ بين عساكِرِ الشيطانِ
فانظُرْ إلى تفسيرِهِ الغُرَباءَ بالْـ ... ـمُحْيِينَ سُنَّتَهُ بكلِّ زمانِ
طُوبَى لهم والشَّوْقُ يَحْدُوهُم إلى ... أخْذِ الحديثِ ومُحكَمِ القرآنِ
طوبى لهم لم يَعْبَئُوا بنُحَاتَةِ الْـ ... أفكارِ أو بزبالةِ الأذهانِ
طوبى لهم رَكِبُوا على مَتْنِ العَزَا ... ئمِ قاصدينَ لَمطْلعِ الإيمانِ
طوبى لهم لم يَعْبَئُوا شيئًا بذي الْـ ... آراءِ إذْ أغناهُمُ الوَحْيَانِ
طوبى لهم وإمامُهُمْ دُونَ الورَى ... مَنْ جاءَ بالإيمانِ والفُرقانِ
واللَّهِ ما ائتَمُّوا بشخصٍ دُونَهُ ... إلاَّ إذا ما دَلَّهُمْ ببَيانِ
هذا وقد بَعُدَ المَدَى وتَطَاوَلَ الْـ ... ـعَهْدُ الذي هو مُوجِبُ الإحسانِ
ولذاك كان كقابِضٍ جَمْرًا فَسَلْ ... أحشاءَهُ عن حَرِّ ذي النِّيرانِ
واللَّهُ أعْلَمُ بالذي في قَلْبِه ... يكفيه عِلْمُ الواحدِ المَنَّانِ
برٌّ وتوحيدٌ وصَبْرٌ مَعْ رِضًا ... والشُّكْرُ والتَّحكيمُ للقرآنِ

* * *

□ يقول شيخ الإسلام ابن القيم مبينًا نشأة الفرق الضالة وذم السلف لهم:

«لما أظلمت الأرض وبعد عهد أهلها بنور الوحي، وتفرقوا في الباطل فرقًا وأحزابًا، لا يجمعهم جامع، ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم، فإنَّهم فقدوا نور النبوّة. ورجعوا إلى مجرد العقول..، فأطلع اللَّه شمس الرسالة في تلك الظلم سراجًا منيرًا وأنعم بها على أهل الأرض في عقولهم وقلوبهم ومعاشهم ومعادهم نعمة لا يستطيعون لها شكورًا فأبصروا بنور الوحي ما لم يكونوا بعقولهم يبصرونه ورأوا في ضوء الرسالة ما لم يكونوا بآرائهم يرونه..، فمضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النّور، لم تطفئه عواصف

الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة والخوارج والقدريّة والمرجئة، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمّة، ومع هذا فلم يفارقوه بالكليَّة، بل كانوا للنصوص معظمين، وبهَا مستدلين. ولها على العقول والآراء مقدّمين، ولم يدّع أحدٌ منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنّما أتوا من سوء الفهم فيها، والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم، ورأوا أنَّهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم، **فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرّأوا منهم، وحذّروا من سبيلهم أشدّ التحذير، ولا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم**، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنّة، وهو أكثر من أن يذكر ها هنا..»[1].

وقال: «فكل بدعة مضلّة في الدين أساسها القول على اللّه بلا علم.

ولهذا اشتدّ نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذّروا فتنتهم أشدّ التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرّة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»[2].

* * *

(١) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (٣/ ١٠٦٨ ـ ١٠٧٠).
(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٧٢).

*** عهد لابن القيم مع ربه بجهاد أهل البدع وقمعهم:**

□ يقول ابن القيم في عهده مع ربه، وعهد الرجال الجبال يبين عن علو همتهم:

يا ناصرَ الإسلام والسُّنَن التي ... جاءتْ عن المبعوث بالقرآنِ
اشرحْ لدينك صدْرَ كلِّ مُوحِّدٍ ... شرحًا ينال به ذُرَا الإيمانِ
واجْعَلْهُ مُؤتَمًّا بَوحْيِكَ لا بما ... قد قالَهُ ذُو الإفْكِ والبُهتانِ
وانْعِشْ به مَنْ قصْدُهُ إحياؤه ... واعصمْهُ من كيْد امْرِئٍ فَتَّانِ
فَوَحَقِّ نعمتِك التي أوليتَنِي ... وجعلت قلبي واعِيَ القرآنِ
وكتبتَ في قلبي مُتابَعَةَ الهُدى ... فقرأتُ فيه أسْطُرَ القرآنِ
وَنَشَلْتَنِي من حُبِّ أصحاب الهوَى ... بحبائل من مُحكَمِ القرآنِ
وجعلتَ شِرْبِي المنْهَل العَذْبَ الذي ... هُو رأسُ ماءِ الواردِ الظَّمآنِ
وعصمتَني من شِرْبِ سِفْلِ الماء تَحْـ ... ـتَ نجاسةِ الآراءِ والأذهانِ
وحَفِظْتَنِي مِمَّا ابتليتَ به الأُلى ... حكموا عليك بِشرْعَةِ البُهتانِ
نَبَذُوا كتابَكَ مِنْ وراءِ ظُهُورهم ... وتمسّكُوا بزَخَارفِ الهَذَيانِ
وأريتَني البدَعَ المُضِلَّةَ كيف يُلْـ ... ـقيهَا مُزَخْرَفَةً إلى الإنسانِ
شيطانُهُ فَيَظَلّ يَنْقُشُهَا لهُ ... نَقْشَ المُشبِّه صُورةً بِدِهَانِ
فَيَظُنّها المغرورُ حقًّا وَهْيَ في التَّـ ... ـحْقيقِ مِثْلُ اللاَّلِ في العقيانِ
لأُجَاهِدَنَّ عِداكَ ما أبْقَيْتَني ... ولأجعلنَّ قتالَهُمْ دَيْدَاني
ولأفْضَحَنَّهُمُ على رُوس المَلا ... ولأفْرِينَّ أديمَهُمْ بلساني
ولأكْشِفَنَّ سَرائِرًا خَفِيَتْ على ... ضُعَفاءِ خَلْقِكَ منهُمُ بِبَيانِ
ولأتْبَعَنَّهُمُ إلى حيث انْتَهَوْا ... حتّى يُقالَ أبَعْدُ عَبَّادانِ
ولأرْجُمَنَّهُمُ بأعلامِ الهُدى ... رجْم المريد بثاقِبِ الشُّهْبَانِ

ولأقْعُدَنَّ لهم مَرَاصِدَ كَيْدِهم ولأحْصُرَنَّهُمُ بكُلِّ مكانِ
ولأجْعَلنَّ لُحُومَهم ودماءَهم في يومِ نصْركَ أعْظَمَ القُربانِ
ولأحْمِلَنَّ عليهمُ بعَسَاكِر ليستْ تَفرُّ إذا الْتَقَى الزَّحْفانِ
بعَسَاكِرِ الوَحْيَيْنِ والفِطْرَات بالـ ـمعْقُولِ والمنقُولِ بالإحسانِ
حتَّى يَبِينَ لمن له عَقْلٌ مَن الْـ أوْلَى بحُكْمِ العَقْلِ والبُرهانِ
ولأنْصَحَنَّ اللَّهَ ثُمَّ رسولَهُ وكتابهُ وشرائعَ الإيمانِ
إن شاءَ رَبِّي ذا يكُونُ بحوْلِه إن لم يشأ فالأمْرُ للرحمنِ

◻ ولقد صدق ابن القيم في عهده مع ربه أيما صدق، ووفَّى أعظم توفيةٍ، للَّه درُّه.

* * *

أزاهير في التمسك بالسنة واتباع الخليل ﷺ

* قال اللَّه تعالى، وكلام الملوك ملوك الكلام:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الدعوة إلى الكتاب والسنة.. الدعوة إلى الاتباع: دعوةٌ تُحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن العبودية لغير اللَّه، والمذلَّة للعبدِ أو للشهواتِ سواءٌ.

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

* وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١-٢].

◘ يقول ابن القيم - رحمه اللَّه -: «فرأس الأدب مع الرسول ﷺ كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن

يحمله معارضة خيالٍ باطلٍ يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان. كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب اللَّه إلا بهما: توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره. ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً. فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنبٍ على الإطلاق ـ ما خلا الشرك باللَّه ـ خيرٌ له من أن يلقاه بهذ الحال.

ولقد خاطبت يومًا بعض أكابر هؤلاء، فقلت له: سألتك باللَّه، لو قُدِّرَ أن الرسول ﷺ حَيٌّ بين أظهرنا، وقد وَاجَهَنا بكلامه وبخطابه، أكان فرضًا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره، وكلامه ومذهبه، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟ فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفاتٍ إلى سواه. فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنا؟ وبأي شيءٍ نسخ؟ فوضع إصبعه على فيه، وبقي باهتًا متحيِّرًا، وما نطق بكلمة.

هذا أدب الخواص معه، لا مخالفة أمره، ورفع الأصوات، وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم، وعزل كلامه عن اليقين، وأن يستفاد منه معرفة اللَّه، أو يتلقى منه أحكامه، بل المعول في باب معرفة اللَّه: على العقول المنهوكة المتحيرة المتناقضة، وفي الأحكام: على تقليد الرجال وآرائها.

والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبركًا، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعه. ومن طلب ذلك ورامه، عاديناه وسعينا في قطع دابره واستئصال شأفته: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣ - ٧٤].

والناصح لنفسه، العامل على نجاتها يتدبّر هذه الآيات حقّ تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقومٍ كانوا فبانوا «فالحديث لك واسمعي يا جارة» واللّه المستعان.

ومن الأدب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سببٌ لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟ أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال؟! ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها»[1].

* قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. قال ابن

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٨٧ - ٣٨٩).

عباس رضي الله عنهما: سبيلٌ وسنة.

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨]. قال الحسن: على السنة.

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال عطاء: يتبعونه حقّ اتّباعه، ويعملون به حق عمله.

* وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. قال الحسن: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة.

* وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. قال سعيد بن جبير: ثم استقام. قال: لزوم السنة والجماعة. وقال شمر بن عطية: ثم اهتدى. قال: للسنة.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال: فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة.

* وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. قال عطاء: طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة.

* وقال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فرُدُّوه إلى اللَّه والرسول﴾. قال ميمون بن مهـران: ما دام حيًّا، فإذا قُبض فإلى سنته. وقال مجاهد: كتاب اللَّه وسنة نبيه، ولا تردوا إلى أُولي الأمر شيئًا.

* وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

الأَنْهَارُ﴾ [النساء: ١٣].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

* وقال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

* وقال تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

والدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها.. وللمحبة علامات حتى لا يدعي الخلي حرقة الشجي.

فأول علامات المحبة: الاتباع والاعتصام بالكتاب والسنة.

❑ قال الحسن: ادَّعى قوم على عهد رسول اللَّه ﷺ محبة اللَّه، فابتلاهم اللَّه بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وثمرة الاتباع محبة اللَّه للمتبع.. وشأن عظيم أن تُحِب، وأعظم منه أن تُحَبَّ.

● وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهدّيين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[1] .

وقوله: «**عضّوا عليها بالنواجذ**» أي: اجتهدوا على السُّنَّة والزموها، واحرصوا عليها كما يلزم العاضُّ على الشيء بنواجذه، خوفًا من ذهابه وتفلُّته.

● وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**». قالوا: بلى. قال: «**إن هذا القرآن طرَفه بيد الله وطَرَفه بأيديكم، فتمسَّكُوا به، فإنكم لن تضلّوا ولن تهلكوا بعده أبدًا**»[2] .

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**تركت فيكم شيئين، لن تضلّوا بعدهما؛ كتاب الله وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٠).

هذه الأحاديث وأكثر منها وردت في كتاب لي تحت الطبع وهو: «عطر الياسمين في اتّباع سيِّد المرسلين».

الحوض»[١] .

● وعن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه، ألا يُوشك رجلٌ شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه، وإن ما حرم رسولُ اللَّه ﷺ كما حرَّم اللَّه، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهليُّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السِّباع؛ ولا لُقَطَة معاهدٍ، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم، فعليهم أن يقروه[٢] ، فإن لم يقروه، فله أن يُعقبهم بمثل قِراه»[٣] .

● وروى الترمذي بسند صحيح، عن أبي رافع ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «لا أُلْفينّ أحَدَكم متَّكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب اللَّه اتَّبعناه»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سُنَّتي، وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضّوا عليها بالنّواجِذ، وعليكم

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه ووافقه الألباني، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٣٤).

(٢) أي: يُضيِّفوه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «الأطعمة» وفي السنة، وروى الدارمي نحوه وكذا ابن ماجه إلى قوله: «كما حرَّم اللَّه». وقال الألباني في التعليق على المشكاة (١/ ٥٧ ـ ٥٨): سنده صحيح.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي في «دلائل النبوة» وسنده صحيح.

بالطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيدَ انقاد»[١] .

● وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالةٌ». رواه مسلم.

● وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ حين أتاه عمر رضي الله عنه، فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمُتَهَوِّكُون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي».

ولفظ الدارمي: عن جابر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟! فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا. فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني»[٢] .

● عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذت

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن العرباض، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٦٩).

(٢) حسن: رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان» والدارمي، وقال الألباني في التعليق على «مشكاة المصابيح» (١/ ٦٣): «وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن عندي؛ لأن له طرقًا كثيرةً عند اللالكائي والهروي وغيرهما».

مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللَّهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. واجعلهن من آخر كلامك، فإن مت من ليلتك، مت وأنت على الفطرة». قال: فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت قال: «قل: آمنت بنبيك الذي أرسلت»[1].

للَّه ما أحلى هذا الحديث في الحثّ على الاتباع.. قد يقول قائل: ما الفرق بين نبيك ورسولك؟ الفرق بينهما الاتباع.

❑ قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٥٦٣): «اختار المازري وغيره، أن سبب الإنكار، أن هذا ذكر ودعاء، فينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أُوحي إليه ﷺ بهذه الكلمات، فيتعين أداؤها بحروفها، وهذا القول حسن».

إن كان يتعين هذا في باب الأذكار، فما ظنك بالاعتقاد والأحكام؟! فاقصد البحر وخلِّ القنوات.. إذا أتى نهر اللَّه بطل نهر معقل.. في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل.

*** عود على بدء:**

ها نحن من جديد نعطر الصفحات بقول العلماء الربانيين السادات من الأمر بالاتباع والتمسك بالسنة وندون ما قالوه فتعال معي إلى بساتينهم، وشُمّ من أريجهم الفوّاح:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من دعا إلى هُدًى،

---

(١) رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

كان له من الأجر مثل أُجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان له من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».
أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

❑ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة، عبادةٌ[1].

❑ وعن الزهري: الاعتصام بالسنة نجاةٌ.

❑ وقال أبو العالية: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يمينًا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء». وصدق ونصح كما قال الحسن وابن سيرين.

❑ وعن الحسن قال: يا أهل السنة تفرقوا ـ رحمكم اللَّه ـ فإنكم من أقل الناس.

❑ وعن سعيد بن جبير: لا يقبل قولٌ إلا بعمل، ولا يقبل عملٌ إلا بقولٍ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ إلا بنيَّةٍ، ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيّةٌ إلا بنيّةٍ مُوافِقةٍ للسنة.

❑ وقال يونس بن عبيد: أصبح مَن إذا عُرِّف السُّنَّة عرفها، غريبًا، وأغْرَب منه من يُعرِّفها.

وقال يونس: إن الذي يعرض عليه السنة لغريب، وأغرب منه من يعرفها.

---

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٥٥).

وقال: ليس شيءٌ أغرب من السنة، وأغرب منها من يعرفها.

❑ قال أيوب السختياني: إن من سعادة الحدث والأعجمي، أن يوفقهما اللَّه لعالِمٍ من أهل السنة.

❑ وعن ابن شوذب: إن من نعمة اللَّه على الشاب إذا نسك، أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها.

❑ وقال أيوب لعمارة بن راذان: يا عمارة، إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة، فلا تسأل عن أي حال كان فيه.

❑ وقال حماد بن زيد: حضرت أيوب السخياني وهو يغسِّل شعيب بن الحبحاب، وهو يقول: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم، واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون.

❑ وقال ابن عون: ثلاث أُحِبُّهن لنفسي ولأصحابي. فذكروا قراءة القرآن والسنة، والثالثة: أقبل رجلٌ على نفسه ولها من الناس، إلا من خَيْرٍ.

❑ وقال الأوزاعي: ندور مع السنة حيث دارت.

وقال: كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسانٍ: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل اللَّه.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن ابن مسعود: ما من شيءٍ إلا بيِّن لنا في القرآن، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه، فلذلك قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

❑ للَّه ما أروع هذا الكلام!

وقال رجل عن مطرف بن عبداللَّه: لا تحدثونا إلا بما في القرآن. فقال مطرف: إنّا واللَّه ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا.

□ وأخرج الدارمي عن سعيد بن جبير، أنه حدث يومًا بحديث عن النبي ﷺ فقال له رجل: في كتاب اللَّه ما يخالف هذا. فقال: لا أراني أُحدِّثك عن رسول اللَّه ﷺ وتعرض فيه بكتاب اللَّه، كان رسول اللَّه ﷺ أعلم بكتاب اللَّه منك.

□ وأخرج البيهقي عن أيوب السختياني قوله: إذا حدثت الرجل بِسُنَّةٍ، فقال: دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن، فاعلم أنه ضالٌّ.

□ وكتب عمر بن عبدالعزيز: لا رَأْيَ لأحدٍ في كتاب اللَّه ولا في سُنَّة رسول اللَّه ﷺ، وإنما رأيُ الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب، ولم تَمْضِ به سُنَّةٌ عن رسول اللَّه ﷺ.

□ وقال الأوزاعي: إن السنة جاءت قاضيةً على الكتاب، ولم يجئ الكتاب قاضيًا على السنة. وكذا قال يحيى بن أبي كثير.

□ وقال مكحول: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن.

□ قال البيهقي: ومعنى ذلك أن السنة مع الكتاب أُقيمت مقام البيان عن اللَّه، كما قال اللَّه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

□ وقال السيوطي: والحاصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة؛ أنها مبينة له ومفصلة لمجملاته؛ لأن فيه كنوزًا تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها، فيبرزها، وذلك هو المنزل عليه ﷺ.

وهذا هو معنى كون السنة قاضيةً عليه، وليس القرآن مبينًا للسنة ولا قاضيًا عليها؛ لأنها بيِّنَةٌ بنفسها.

«كان إبراهيم التيمي يقول: اللَّهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبل الضلالة، ومن شبهات

الأمور، ومن الزيغ والخصومات.

❑ وقال ابن المبارك: اعلم ـ أي أخي ـ أن الموت كرامةٌ لكل مسلمٍ لقي اللَّه على السنة، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، فإلى اللَّه نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى اللَّه نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأُمّة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع»[1].

❑ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والمتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل اللَّه عز وجل.

❑ قال الألباني: هذا في زمانه، فماذا يقال في زماننا؟!.

❑ قال ابن عمر: لا يزالون على الطريق ما اتبعوا الأثر.

❑ قال وكيع: لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئًا إلا أن يمنعه من الهوى، كان قد أصاب فيه.

❑ وقال سفيان: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض.

❑ وقال سفيان: استوصوا بأهل السنة خيرًا؛ فإنهم غرباء[2].

❑ وقال فضيل بن عياض: إن للَّه عبادًا يحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السنة، ومن كان يعقل ما يدخل جوفه من حله، كان من حزب اللَّه.

❑ وقال أبو بكر بن عيّاش: السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان.

❑ وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا شرح السُّنة من أبي بكر بن عياش.

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/٨٦).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (١/٦٣).

□ وعن عون قال: من مات على الإسلام والسنة، فله بشيرٌ بكل خيرٍ.

□ وقال معتمر بن سليمان: دخلت على أبي وأنا منكسر، فقال: ما لك؟ قلت: مات صديقٌ لي. قال: مات على السنة؟ قلت: نعم. قال: فلا تخف عليه.

□ وقال معافى بن عمران: لا تحمدن رجلاً إلا عند الموت: إما يموت على السنة أو يموت على بدعة.

□ وقال شداد بن يحيى: ليس طريقٌ أقصد إلى الجنة من طريق من سلك الآثار.

دِينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ ... نِعْمَ المطيَّةُ للفتى آثارُ
لا تَعْدِلَنَّ عن الحديث وأهْلِهِ ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولرُبَّما غَلِطَ الفتى أثَرَ الهُدى ... والشمسُ بازِغَةٌ لها أنوارُ

□ وقال ابن خزيمة: ليس لأحدٍ قولٌ مع رسول اللَّه ﷺ إذا صحّ الخبر.

□ وقال يحيى بن آدم: لا يحتاج مع قول النبي ﷺ إلى قول أحدٍ، إنما كان يقال: سنة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر؛ ليعلم أن النبي ﷺ مات وهو عليها.

□ وقال مجاهد: ليس أحدٌ إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي ﷺ.

□ وقال أبو حنيفة: إذا جاء عن النبي ﷺ، فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحابه، نختار من أقوالهم، وإذا جاء عن التابعين، زاحمناهم.

□ وقال عروة بن الزبير: اتباع السنن قوام الدين.

❑ وقال ابن سيرين: كانوا يقولون: ما دام على الأثر، فهو على الطريق.

❑ وقال الأوزاعي: إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديثٌ، فإياك أن تقول بغيره، فإن رسول الله ﷺ كان مبلغًا عن الله.

❑ وقال الثوري: إنما العلم كله العلم بالآثار.

❑ وقال كهمس: من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين، فإنه يعد في ضعفاء المساكين، الذين لا يدينون لله بدين، يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ [الزمر: ٢٣]، ويقول رسول الله ﷺ: «**حدثني جبريل عن الله**».

❑ قال أبو إلياس الألباني: ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، ومن ورع لا يتسع.

* كلمات في الاتّباع وذَمّ البدع لأهل الزُّهْد وأصحاب السلوك:

❑ قيل لإبراهيم بن أدهم: إن الله يقول في كتابه: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا؟! فقال: ماتت قلوبكم في عشرة أشياء: أولها: عرفتم الله فلم تؤدُّوا حقه. والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به. والثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.. إلى آخر الحكاية.

❑ وقال ذو النون: من علامة حب الله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته.

❑ وقال: إنما فسد الخلق من ستة أشياء: الأول: ضعف النية بعمل الآخرة. والثاني: صارت أبدانهم مُهَيَّأَةً لشهواتهم. والثالث: غلبهم طول

الأمل مع قصر الأجل. والرابع: آثروا رضاء المخلوقين على رضاء اللَّه. والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ. والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم، ودفنوا أكثر مناقبهم.

◻ وقال لرجل أوصاه: «ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك، إحكام ما افترض اللَّه عليك، واتقاء ما نهاك عنه؛ فإنّ ما تعبَّدك اللَّه به، خيرٌ لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد، كالذي يؤدب نفسه بالفقر والتقلل، وما أشبه ذلك، وإنما للعبد أن يراعي أبدًا ما وجب عليه من فرضٍ يحكمه على تمام حدوده، وينظر إلى ما نهي عنه، فيتقيه على إحكام ما ينبغي، فإن الذي قطع العباد عن ربهم، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان، وأن يبلغوا حقائق الصدق، وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة - تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم؛ في قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وبطونهم وفروجهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها، لأُدخل عليهم البر إدخالاً تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم اللَّه من حسن معونته، وفوائد كرامته، ولكن أكثر القراء والنساك حقروا محقرات الذنوب، وتهاونوا بالقليل مما هم فيه من العيوب، فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل».

◻ وقال بشر الحافي: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا بشر، أتدري لم رفعك اللَّه بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول اللَّه. قال: لاتباعك سنتي وحرمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي، هو الذي بلغك منازل الأبرار.

◻ وقال يحيى بن معاذ الرازي: اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول، فلكل واحد منها ضد، فمن سقط عنه وقع في ضده: التوحيد وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية.

❑ وقال أبو بكر الترمذي: لم يجد أحد تمام الهمة بأوصافها إلا أهل المحبة، وإنما أخذوا ذلك باتباع السنة ومجانبة البدعة، فإن محمدًا ﷺ كان أعلى الخلق كلهم همة وأقربهم زلفى.

❑ وقال أبو عليّ الحسن بن علي الجوزجاني: من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق، واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته.

وسئل: كيف الطريق إلى اللَّه؟ فقال: الطريق إلى اللَّه كثيرة، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه: اتباع السنة قولاً وفعلاً وعزمًا وعقدًا ونيّةً؛ لأن اللَّه يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]. فقيل له: كيف الطريق إلى السنة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء، وبذلك أُمِر النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣].

❑ وقال أبو الحسن الورَّاق: لا يصل العبد إلى اللَّه إلا باللَّه وموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جَعَلَ الطريق إلى الوصول في غير الاقتداء، يضلُّ من حيث يظن أنه مُهتدٍ.

❑ وقال: الصدق استقامة الطريق في الدين، واتباع السنة في الشرع.

وقال: علامة محبة اللَّه متابعة حبيبه ﷺ.

❑ وقال إبراهيم القمار: علامة محبة اللَّه إيثار طاعته ومتابعة نبيه ﷺ.

❑ وقال أبو محمد بن عبدالوهاب الثقفي: لا يقبل اللَّه من الأعمال إلا

ما كان صوابًا، ومن صوابها إلا ما كان خالصًا، ومن خالصها إلا ما وافق السنة.

وقد كان إبراهيم بن شيبان القرميسيني ـ الذي صاحب إبراهيم الخواص ـ شديدًا على أهل البدع، متمسكًا بالكتاب والسنة، لازمًا لطريق المشايخ والأئمة، حتى قال فيه عبدالله بن منازل: إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات.

❑ وقال أبو بكر بن سعدان ـ وهو من أصحاب الجنيد ـ: الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات.

❑ وقال أبو عمر الزجاجي ـ وهو من أصحاب الجنيد والثوري ـ: كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النبي ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع، فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع، ويستقبح ما يستقبحه.

❑ وقيل لإسماعيل بن محمد السلمي جد أبي عبدالرحمن السلمي ـ ولقي الجنيد ـ: ما الذي لا بد للعبد منه؟ فقال: ملازمه العبودية على السنة، ودوام المراقبة.

❑ وقال أبو عثمان المغربي التونسي: هو الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ [الطلاق: ١].

❑ وقال بندار بن الحسين: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

❑ وقال أبو بكر الطمستاني: الطريق واضح، والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا، وفضل الصحابة معلومٌ لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم، فمن صحب منا الكتاب والسنة، وتغرب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله، فهو الصادق المصيب.

☐ وقال أبو يزيد البسطامي[1] : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشد من العلم ومتابعته، ومتابعة العلم هي متابعة السنة لا غيرها.

وروي عنه أنه قال: قم بنا ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية. وكان رجلاً مقصودًا مشهورًا بالزهد، قال الراوي: فمضينا، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال: هذا غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسول اللَّه ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه؟!.

☐ قال الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ٩٤): «وهذا أصل أصَّله أبو يزيد - رحمه اللَّه - للقوم: وهو أن الولاية لا تحصل لتارك السنة، وإن كان ذلك جهلاً منه، فما ظنك إذا كان عاملاً بالبدعة كفاحًا؟!».

وقال: هممت أن أسأل اللَّه أن يكفيني مؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز أن أسأل اللَّه هذا، ولم يسأله رسول اللَّه ﷺ؟! فلم أسأله، ثم إن اللَّه سبحانه كفاني مؤنة النساء، حتى لا أبالي أستقبلتني امرأة أم حائط.

وقال: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات، حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

☐ وقال سهل التستري: كل فعل يفعله العبد بغير اقتداءٍ، طاعةً كان أو معصية، فهو عيش النفس - يعني اتباع الهوى - وكل فعلٍ يفعله العبد بالاقتداء فهو عتابٌ على النفس، واتباع الهوى هو المذموم، ومقصود القوم

---

(١) له كلامٌ طيِّبٌ، وله شطحات، عفا اللَّه عنه، فنأخذ منه كلامه الطيب، ولنا سلفٌ في ذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

تركه البتة.

وقال: أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب اللَّه، والاقتداء بسنة رسول اللَّه ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: قد أيس الخلق من هذه الخصال الثلاث: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق. وسئل عن الفتوة فقال: اتباع السنة.

◻ وقال أبو سليمان الداراني: ربما تقع في قلبي النكتة من نكتة القوم أيامًا، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة.

◻ وقال أحمد بن أبي الحواري: من عمل عملاً بلا اتباع سنةٍ، فباطلٌ عمله.

◻ وقال أبو حفص الحداد: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقتٍ بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال.

وسئل عن البدعة، فقال: التعدي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاتباع والاقتداء.

قال: وما ظهرت حالةٌ عاليةٌ إلا من ملازمة أمرٍ صحيح.

وسئل حمدون القصار: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إذا تعين عليه أداء فرضٍ من فرائض اللَّه في علمه، أو خاف هلاك إنسانٍ في بدعةٍ، يرجو أن ينجيه اللَّه منها.

وقال: من نظر في سير السلف، عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.

◻ قال الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ٩٥): «وهذه ـ واللَّه أعلم ـ إشارةٌ إلى المثابرة على الاقتداء بهم، فإنهم أهل السنة».

❑ وقال أبو عثمان الحيري: الصحبة مع اللَّه تعالى: بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع رسول اللَّه ﷺ: باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم.

ولما تغير عليه الحال، مزق ابنه أبو بكرٍ قميصًا على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: خلاف السنة ـ يا بني ـ في الظاهر؛ علامة رياءٍ في الباطن.

وقال: مَن أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة؛ قال اللَّه تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور: ٥٤].

❑ وقال محمد بن الفضل البلخي: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم.

وقال: أعرفهم باللَّه أشَدُّهم مجاهدةً في أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ.

❑ وقال شاه الكرماني: من غضَّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال، لم تخطئْ له فِرَاسةٌ.

❑ وقال أبو العباس بن عطاء، وهو من أقران الجنيد: من ألزم نفسه آداب اللَّه، نور اللَّه قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه.

❑ وقال إبراهيم الخوّاص: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العالم من اتبع العلم واستعمله، واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم.

وسئل عن العافية فقال: العافية أربعة أشياء: دينٌ بلا بدعةٍ، وعملٌ بلا

آفةٍ، وقلبٌ بلا شغلٍ، ونفسٌ بلا شهوةٍ.

وقال: الصبر: الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقال أبو حمزة البغدادي: من علم طريق الحق، سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى اللَّه إلا متابعة سنة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله.

وسُئل أبو علي الرّوزباري عمّن يسمع الملاهي ويقول: «هي لي حلال، لأني قد وصلت إلى درجةٍ لا يؤثر في اختلاف الأحوال». فقال: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر.

◻ وقال أبو محمد عبداللَّه بن منازل: لم يضيع أحدٌ فريضةً من الفرائض، إلا ابتلاه اللَّه بتضييع السنن، ولم يبتل بتضييع السنن أحدٌ، إلاَّ يوشك أن يُبتلى بالبدع.

◻ وقال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاَّ من اقتفى آثار الرسول ﷺ.

وقال: من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة. وقال: هذا مشيد بحديث رسول اللَّه ﷺ.

هذا قول سيد من سادات العابدين العاملين، فلم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق من الصوفية، ونواب إبليس وشرطه.

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ﷺ، فإن اللَّه عز وجل يقول: وعزتي وجلالي، لو أتوْني من كل طريقٍ، واستفتحوا من كل بابٍ، لما فتحت لهم، حتى يدخلوا خلفك[1].

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم ص(٧).

وقال رجل له: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله. فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، ولو بقيت ألف عام، لم أنقص من أعمال البر ذرَّةً، إلا أن يحال بي دونها.

«فهذا كلام أهل الحقائق والمواجد، والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم، بل يأتي ببدعٍ محدثات، وأهواء متبعات»[1].

فالسابقون مَضَوْا وما خدعوا الورَى ... بالتُّرَّهَـات لأنّهم أُمَنـاءُ
واللاّحِقون مضوْا على أهوائهم ... أرأيتَ ما فعلتْ بنا الأهـواءُ
بدع بها جمعوا من الأموال ما ... جمعـوا ومجموعُ الهباءِ هبـاءُ
في ذمة العُلماءِ هذا كُلُّه ... إن كان فيما بيننا علمـاءُ

* * *

(١) «الاعتصام» للشاطبي بتصرف (١/ ٩٠ ـ ٩٨).

ذم الابتداع، والتحذير من أهل الأهواء وهجرهم والشدة عليهم وقمعهم

◘ قال العلامة ابن بطة العكبري: «يا إخواني، عصمنا اللَّه وإياكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء، وأعاذنا وإياكم من نصرة الخطاء وشماتة الأعداء، وأجارنا وإياكم من غِيَر الزمان وزخاريف الشيطان، فقد كثر المغترون بتمويهاتها، وتباهي الزائغون والجاهلون بلبس حلتها، فأصبحنا وقد أصابنا ما أصاب الأُمَمَ قبلنا، وحل الذي حذرناه نبينا ﷺ من الفرقة والاختلاف، وترك الجماعة والائتلاف، وواقع أكثرنا الذي عنه نهينا، وترك الجمهور منا ما به أُمرنا، فخُلعتْ لبسة الإسلام، ونزعت حلة الإيمان، وانكشف الغطا، وبرح الخفا، فعُبدت الأهواء، واستُعملتْ الآراء، وقامت سوق الفتنة، وانتشرت أعلامها، وظهرت الردة، وانكشف قناعها، وقُدحتْ زناد الزندقة، فأُضرمت نيرانها، وخلف محمد ﷺ في أُمَّته بأقبح الخلف، وعظمتْ البليَّة، واشتدت الرزيَّة، وظهر المبتدعون، وتنطّع المتنطعون، وانتشرت البدع، ومات الورع، وهتكت سجف المشاينة، وشهر سيف المحاشة، بعد أن كان أمرهم هينًا، وحدهم لينًا، وذاك حين كان أمر الأُمَّة مجتمعًا، والقلوب متآلفة، والأئمة عادلة، والسلطان قاهرًا، والحق ظاهرًا، فانقلبت الأعيان، وانعكس الزمان، وانفرد كلُّ قومٍ ببدعتهم، وحُزِّبَ الأحزاب، وخولف الكتاب، واتخذ أهل الإلحاد رءوسًا وأربابًا، وتحولت البدعة إلى أهل الاتفاق، وتهوك في العسرة العامة وأهل الأسواق، ونعق إبليس بأوليائه نَعْقةً فاستجابوا له من كل ناحية، وأقبلوا نحوه مسرعين من كل قاصية، فأُلْبسوا شيعًا، ومُيِّزوا قِطَعًا، وشمتت بهم أهل الأديان السالفة والمذاهب المخالفة، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، وما ذاك إلا عقوبة أصابت القوم عند تركهم أمر اللَّه، وصدفهم عن الحق، وميلهم إلى الباطل،

وإيثارهم أهواءهم، ولله عز وجل عقوبات في خلقه عند ترك أمره ومخالفة رُسُله، فأشعلتْ نيران البدع في الدين، وصاروا إلى سبيل المخالفين، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الأمم الماضين»[١].

❑ قال الشاطبي في «الاعتصام» (١/٣٨): «هذا تمام الحكاية، فكأنه ـ رحمه الله ـ تكلم على لسان الجميع».

ولقد وردت عن سيد البرية ﷺ أحاديث عطرة في ذم البدع والتنفير من أهلها:

● عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**». متفق عليه.

ولفظ مسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**».

● وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ في الحرم، ومُبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطَّلِب دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه**». رواه البخاري.

● وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أُمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبى**». قيل: ومَن أبَى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

وفي حديث أنس: «**فمن رغب عن سنتي، فليس مني**». متفق عليه.

● وعن عائشة ﵂ قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**﴾ وقرأ إلى: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾

---

(١) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» لابن بطة (١/١٦٣ ـ ١٦٥).

(٢) رواه البخاري.

[آل عمران: ٧] قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم اللَّه؛ فاحذروهم**» متفق عليه. وعند مسلم: «**فإذا رأيتم**».

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجالون، كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنوكم**». رواه مسلم.

● وعن عبداللَّه بن عمرو قال: هجرت إلى رسول اللَّه ﷺ يومًا، قال: فسمع أصوات رَجُلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول اللَّه ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**». رواه مسلم.

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾** الآية [البقرة: ١٣٦]. رواه البخاري.

● وعن خبّاب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّ بني إسرائيل لمّا هلكوا قَصُّوا**»(١).

أي لما هلكوا بترك العمل، أخلدوا إلى القصص، وعولوا عليها واكتفوا بها. قاله المناوي.

وحال كثير من المؤمنين اليوم يشبه حالهم، فقد أعرضوا عن العلم

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة»، وأبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٤١)، و«الصحيحة» رقم (١٦٨١).

النافع والعمل الصالح.

● وقال ﷺ: «لتتَّبعنَّ سُنَن الذين من قبلكم، شبرًا بشبرٍ، أو ذراعًا بذراعٍ، حتى لو سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن!»[١].

● وقال ﷺ: «لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضَبٍّ لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع أمّه بالطريق لفعلتموه»[٢].

● وقال ﷺ: «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»[٣].

● وقال ﷺ: «من صنع أمرًا على غير أمرنا، فهو ردٌّ»[٤].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أُمّتي أخذ القرون قبلها، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ». قيل: يا رسول اللَّه، كفارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلاّ أولئك»[٥].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ليأتينَّ على أُمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة، وتفترق أُمّتي

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي سعيد، والحاكم عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٤٣).

(٣) حسن: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٣٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود عن عائشة. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٦٩).

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة.

على ثلاثٍ وسبعين ملّة، كلهم في النار، إلا ملّة واحدة؛ ما أنا عليه وأصحابي»[١].

● وقال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار»[٢].

● وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم».

● وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ، قال: خطَّ لنا رسول اللَّه ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل اللَّه». ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه». وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٣].

● وعن معاوية ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج

---

(١) حسن: رواه الترمذي عن ابن عمرو، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه عن عوف بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٨٢).

(٣) إسناده حسن: رواه أحمد والنسائي والدرامي والحاكم وصححه. وحسّن إسناده الألباني في «التعليق على المشكاة» (١/ ٥٩).

من أُمّتي أقوام تَجَارَى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجَارَى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرق ولا مَفْصِل إلا دَخَلَه»(١) .

● وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «ما ضل قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه، إلا أُوتوا الجدل». ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾(٢) [البقرة: ١٣٦].

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ : «أبْغَضُ الرِّجال إلى اللَّه الألَدُّ الخَصِم»(٣) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «المدينة حرام، ما بين عَير إلى ثور، فمن أحدثَ فيها حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنةُ اللَّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللَّه منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً»(٤) .

هذا في المحدث المبتدع، والذي يأويه لا يقبل اللَّه منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، وعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «المِراءُ في القرآن كفر»(٥) .

● وعن أبي برزة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنما أخشى عليكم

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد وأبو داود. وقال الألباني: وسندهما صحيح.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه. وقال الألباني: سنده صحيح. انظر «مشكاة المصابيح» (١/ ٦٤).

(٣) رواه البخاري، وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي.

(٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن علي، ومسلم عن أبي هريرة، ونحوه عن أنس رواه أحمد والبخاري ومسلم. ورواه الطيالسي وأبو نعيم والبيهقي في السنن.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الحاكم والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٥٦٣).

شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم، ومُضِلات الهوى»[١] .

● وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «وأما المُهلِكات؛ فشُحٌّ مُطاع، وهوًى مُتَّبَعٌ، وإعجاب المرء بنفسه»[٢] .

● وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه حَجَبَ التوبة عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَعَ بدعته»[٣] .

● وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «أبى اللَّه أن يقبل عَمَلَ صاحبِ بدعةٍ حتى يَدَع بدعته»[٤] .

● وعن عبداللَّه بن عمرو ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «لكلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، ولكل شِرةٍ فَترةٌ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي، فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك، فقد هلك»[٥] .

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «لكل عملٍ شِرَّة[٦] ، ولكل شرّةٍ فَتْرةٌ، فإن كان صاحبها سَدَّدَ أو قارَبَ فارْجُوه، وإن أشُير إليه

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في معاجمه الثلاثة. وقال المنذري: وبعض أسانيدهم رواته ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٢) حسن: رواه البزار والبيهقي، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٣) صحيح: رواه البزار وقال المنذري: إسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٥).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم في «السنة». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٦).

(٥) صحيح: رواه أحمد والطحاوي، وابن حبان وابن أبي عاصم. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦).

(٦) الشِرَّة: النشاط والهمّة.

بالأصابع، فلا تعدُّوه»[١] .

● وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لقد تركتُكم على مثل البيضاءِ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»[٢] . قال أبو عمران الجوني: ليت شعري، أيَّ شيءٍ علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار.

من سار على المحجة البيضاء في الدنيا، يسير على المرمرة البيضاء أرض الجنة في الآخرة. . واحدة بواحدة.

أنت القتيـــــلُ بكُلِّ من أحْبَبْتَــهُ   فا خْتَرْ لنَفْسِكَ في الهوى مَنْ تَصْطَفِي

● وعن أبي الدرداء قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «**وايم اللَّه لأتركنكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها سواء**». فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: صدق اللَّه ورسوله، فقد تركنا على مثل البيضاء[٣] .

● وعن العرباض رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إياكم والبدع**»[٤] .

● وعن العرباض رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة ضلالةٌ**»[٥] .

وفي رواية: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة**».

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والطحاوي وابن حبان في «صحيحه». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن أبي عاصم. وقال المنذري: رواه بن أبي عاصم بإسناد حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦) وصححه الألباني.

(٤) **حديث حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٠) وحسَّنه الألباني.

(٥) **حديث صحيح**: رواه ابن أبي عاصم ـ واللفظ له ـ وابن حبان وابن ماجه، وصححه الألباني في التعليق على «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ١٧).

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومن الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه، وويلٌ لمن جُعل مفتاح الشر على يديه**»[١].

● عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرقٍ أو مغربٍ، فيحملها الرجل إليّ، فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة، فترد ليه كما أخرجه[٢].

● عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يدخل الجنة عاقٌّ ولا مُكذِّبٌ بقدَرٍ ولا مُدمِنُ خمرٍ**»[٣].

● وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا يقبل الله لهم صرفًا ولا عدلاً: عاقٌّ، ومنَّانٌ ومُكذِّبٌ بالقَدَر**»[٤].

● وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم**»[٥].

---

(١) **حديث حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) وحسَّنه الألباني.

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ٥٥).

(٣) **حديث حسن**: رواه ابن أبي عاصم واللفظ له، وأحمد والبزار والطبراني وحسنه الألباني في «التعليق على «السنة» لابن أبي عاصم (١/ ١٤١).

(٤) **إسناده حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٢) وحسن إسناده الألباني.

(٥) **حديث حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» واللفظ له، وابن ماجه، والطبراني في «الصغير»، والآجري في الشريعة، وحسنه الألباني.

● وعن ابن عمر ﵄ أن النبيَّ ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[(١)] .

● وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن لكلِّ أُمَّة مجوسًا، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا على جنائزهم إذا ماتوا**»[(٢)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الخوارج كلابُ النار**»[(٣)] .

● وقال ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ**»[(٤)] .

● وقال ﷺ: «**سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند اللَّه يوم القيامة**»[(٥)] .

● وقال ﷺ: «**سيكون بعدي من أُمَّتي قومٌ يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه،**

---

(١) **حديث حسن**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٥٠) وحسَّنه الألباني.

(٢) **حديث صحيح**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٥١) واللفظ له، والآجري في الشريعة، والدولابي في «الكنى» وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن أبي أوفى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٤٧).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن علي.

هم شر الخلق والخليقة سيماهم التحليق»(١) .

اعلم يا أخي أن الدعوة إلى الاتباع والنهي عن الابتداع، أصل عظيم من الدعوة إلى اللَّه «وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا اللَّه منهم بمنّه وكرمه» كما قال ابن القيم، والمبلغون لهم من حفظ اللَّه وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه.

● وقال عمر بن الخطاب ﷺ في خطبته التي ذكرها ابن وضّاح في كتاب «الحوادث والبدع»(٢) له قال: «الحمد للَّه الذي امتنّ على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويُحيون بكتاب اللَّه أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا، فما نسيهم ربهم، وما كان ربك نسيًّا، جعل قصصهم هدى، وأخبر عن حسن مقالتهم، فلا تقصد عنهم، فإنهم في منزلة رفيعة، وإن أصابتهم الوضيعة».

● وقال ابن مسعود ﷺ: «إن للَّه عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذبّ عنها، وينطق بعلاماتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على اللَّه».

☐ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الرادُّ على أهل البدع مجاهد، حتى

---

(١) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاري.

(٢) «البدع والنهي عنها» لابن مفلح.

كان يحيى بن يحيى يقول: الذبُّ عن السنة أفضل الجهاد»[١] .

□ يقول ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «وأنت إذا تأمّلت تأويلات القرامطة والملاحدة والفلاسفة والرافضة والقدرية والجهمية، ومن سلك سبيل هؤلاء من المقلدين لهم في الحكم والدليل، ترى الإخبار بمضمونها عن اللَّه ورسوله لا يقصر عن الإخبار عنه بالأحاديث الموضوعة المصنوعة، التي هي مما عملته أيدي الوضّاعين وصاغته ألسنة الكذّابين، فهؤلاء اختلقوا عليه ألفاظًا وضعوها، وهؤلاء اختلقوا في كلامه معاني ابتدعوها، فيا محنة الكتاب والسنة بين الفريقين، وما نازلة نزلت بالإسلام إلا من الطائفتين فهما عدوان للإسلام كائدان، وعن الصراط المستقيم ناكبان، وعن قصد السبيل حائران..» ثم قال: «فكشف عورات هؤلاء، وبيان فضائحهم، وفساد قواعدهم، من أفضل الجهاد في سبيل اللَّه، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه: «**إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله**»، وقال ﷺ: «**اهجهم أو هاجهم وجبريل معك**»، وقال ﷺ: «**اللَّهم أيِّده بروح القدس ما دام ينافح عن رسولك**»، وقال ﷺ عن هجائه لهم: «**والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل**»[٢] .

□ وقال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، ومن ضال جاهل لا يعلم طريق رشده قد هدوه، ومن مبتدع في دين اللَّه بشهب الحق قد رموه جهادًا في اللَّه، وابتغاء مرضاته»[٣] .

---

(١) «نقض المنطق» لابن تيمية ص(١٢)، وانظر كتابه «التسعينية» (١/ ٢٣١).
(٢) «الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).
(٣) «مفتاح دار السعادة».

☐ وقال في نونيته(١) :

هذا ونصر الدين فرض لازم لا للكفاية بل على الأعيـــان

بيدٍ وإمّا باللسان فإن عجز ت فبالتوجــه والدعـا بجنـان

☐ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ(٢) : «ومن تأمل أحوال الرسل مع أممهم؛ وجدهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشدّ قيام حتى لقوا اللَّه تعالى، وأوصوا من آمن بهم بالإنكار على من خالفهم وأخبر النبي ﷺ: «أنّ المتخلّص من مقامات الإنكار الثلاثة ليس معه من الإيمان حبّة خردل»، وبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشدّ المبالغة، حتى قال: «**إن الناس إذا تركوه؛ أوشك أن يعمهم اللَّه بعقاب من عنده**».

وأخبر أن تركه يمنع إجابة دعاء الأخيار ويوجب تسلّط الأشرار.

وأخبر أن تركه يوقع المخالفة بين القلوب والوجوه، ويحلّ لعنة اللَّه كما لعن اللَّه بني إسرائيل على تركه».

فالصحابة ﭫ قد واجهوا البدع وأهلها بشدّة، فقمعوها وتبرءوا من أهلها وذلك واضح جلي لمن تدبّر سيرتهم، وعرف أخبارهم.

☐ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «وقد كان ابن عباس شديدًا على القدريّة، وكذلك الصحابة»(٣) .

☐ وقال ابن عباس ﭭ: «لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب»(٤) .

(١) «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» ص(٤٠٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/١٢٣).

(٣) «شفاء العليل» لابن القيم ص(٦٠).

(٤) «الإبانة» لابن بطة (٢/٤٣٨).

□ وعن عطاء ـ رحمه اللَّه ـ قال: أتيت ابن عباس ﷺ وهو ينزع في زمزم قد ابتلت أسافل ثيابه فقلت: قد تُكلم في القدر.

قال: أو قد فعلوها؟. فقلت: نعم.

قال: «فواللَّه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أولئك شرار هذه الأمة، لا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، فإن أريتني أحدهم فقأت عينيه بأصبعيّ هاتين[1] ».

□ عمر بن الخطاب ﷺ قد شجّ رأس صبيغ بن عسل لما كان يسأل عن المتشابه في القرآن، فعن سليمان بن يسار أنّ رجلاً من بني تميم يقال له: صبيغ بن عِسل قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعدّ له عراجين النخيل.

فلما دخل عليه جلس، قال: من أنت؟

قال: أنا عبداللَّه صبيغ.

قال عمر: وأنا عبداللَّه عمر وأومأ عليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه وجعل الدم يسيل على وجهه.

فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد واللَّه ذهب الذي أجد في رأسي»[2].

□ وعن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفّق لنا عبداللَّه بن عمر بن الخطاب ﷺ داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أنّ صاحبي سيَكِلُ

---

(١) «شرح السنة» للالكائي (٤/ ٧١٢)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ٢٠٥).

(٢) «شرح السنّة» للالكائي (٣/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦).

الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنّهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآء منّي والذي يحلف به عبدالله بن عمر! لو أنّ لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قَبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[1].

▢ وكان سمرة بن جندب ﷺ شديدًا على الخوارج فكانوا يطعنون عليه[2].

▢ قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

نعم.. لئن لم يسعنا ما وسع القوم، فلا وسعتنا رحمة الله.

▢ عن حميد بن مهران قال: سألت الحسن: كيف يصنع أهل هذه الأهواء الخبيثة بهذه الآية في آل عمران ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥] قال: نبذوها وربِّ الكعبة وراء ظهورهم.

▢ وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ يعني أهل البدع.

▢ وعن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدع.

---

(١) رواه مسلم (٨).
(٢) «الإصابة» لابن حجر (٣/ ١٣٠).

* قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

▫ قال بكر بن العلاء: أحسبه أراد شيطانًا من الإنس وهي البدع، والله أعلم.

▫ وعن مجاهد، في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، قال: البدع والشهوات.

▫ وعن عمرو بن قيس الملائي قال: «لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك»[١].

▫ وقال إبراهيم النخعي: «لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغضة في قلوب المؤمنين»[٢].

▫ وقال مجاهد: «لا تجالس أهل الأهواء فإن لهم عرّة كعرب الجرب»[٣].

▫ وقال إسماعيل بن عبيد الله: «لا تجالس ذا بدعة فيمرض قلبك، ولا تجالس مفتونًا فإنه ملقّن حجته»[٤].

▫ وقال مفضل بن مهلهل: «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنّة في بدو مجلسه ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك»[٥].

---

(١) «الإبانة» (٢/ ٤٦٣).
(٢) «الإبانة» (٢/ ٤٣٩).
(٣) «الإبانة» (٢/ ٤٤١).
(٤) «الإبانة» (٢/ ٤٤٣).
(٥) «الإبانة» (٢/ ٤٤٤).

◻ وعن هشام بن حسان قال: «كان الحسن ومحمد بن سيرين يقولون: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[١] .

◻ وقال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبداللَّه يقول: «أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم»[٢] .

◻ وعن ثابت بن عجلان قال: «أدركت أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعبداللَّه بن أبي مليكة والزهري ومكحول والقاسم أبا عبدالرحمن وعطاء الخراساني وثابت البناني والحكم بن عتيبة وأيوب السختياني وحماد ومحمد بن سيرين وأبا عامر ـ وكان قد أدرك أبا بكر الصديق ـ ويزيد الرقاشي وسليمان بن موسى، كلهم يأمروني بالجماعة وينهوني عن أصحاب الأهواء»[٣] .

* وقال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [النحل: ٩].

◻ قال التستري: ﴿**قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ طريق السنة، ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾ يعني إلى النار، وذلك الملل والبدع.

وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما، أنهم قالوا: كل صاحب بدعةٍ أو فريةٍ ذليلٌ. واستدلوا بقول اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٧٢)، و«سنن الدارمي» (١/ ١٢١)، و«شرح السنة» للالكائي (١/ ١٣٣، و«الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٤٤).

(٢) «الإبانة» (٢/ ٤٧٥).

(٣) «المعرفة والتاريخ» للفسوي (٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢)، و«شرح السنة» للالكائي (١/ ١٣٣).

[الأعراف: ١٥٢].

❑ قال أبو الجوزاء ـ وذكر أصحاب الأهواء فقال ـ: والذي نفس أبي الجوزاء بيده؛ لأن تمتلئ داري قردةً وخنازير، أحب إليَّ من أن يجاورني رجلٌ منهم، ولقد دخلوا في هذه الآية: ﴿هَا أَنتُمْ أُوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ الآية: [آل عمران: ١١٩].

❑ وقال الحسن: صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا؛ صيامًا وصلاة، إلا ازداد من اللَّه بعدًا».

❑ وعن أبي إدريس الخولاني أنه قال: لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها، أحبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيع تغييرها.

❑ وقال الفضيل بن عياض: اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

❑ وقال الحسن: لا تجالس صاحب هوى؛ فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك.

❑ وعن أبي قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[١]. قال أيوب: وكان واللَّه من الفقهاء ذوي الألباب.

وعنه أيضًا، أنه كان يقول: «إن أهل الأهواء أهل ضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار». وعنه: «ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحل السيف».

❑ وعن أيوب السختياني: ما ازداد صاحب بدعةٍ اجتهادًا، إلا ازداد من اللَّه بعدًا.

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ١٢٠)، و«السنة» لعبداللَّه بن أحمد (١/ ١٣٧)، و«شرح السنة» للالكائي (١/ ١٣٤)، و«الإبانة» (٢/ ٤٣٥).

❑ وعن سفيان قال: كان رجل فقيه يقول: ما أُحبّ أني هديت الناس كلهم وأضللت رجلاً واحدًا.

❑ وكان ابن سيرين يرى أسرع الناس ردة أهل الأهواء.

❑ وعن إبراهيم: لا تكلموهم؛ إني أخاف أن ترتد قلوبكم.

❑ وعن هشام بن حسان قال: لا يقبل اللَّه من صاحب بدعة صيامًا ولا صلاةً، ولا حجًّا ولا جهادًا ولا عمرةً، ولا صدقةً ولا عتقًا، ولاً صرفًا ولا عدلاً، وليأتين على الناس زمانٌ يشتبه فيه الحق والباطل، فإذا كان ذلك، لم ينفع فيه دعاء إلا كدعاء الغرق.

❑ وقال يحيى بن أبي كثير: إذا لقيت صاحب بدعةٍ في طريقٍ، فخذ في طريق آخر.

❑ وعن بعض السلف: من جالس صاحب بدعةٍ، نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه.

❑ وعن العوام بن حوشب، أنه كان يقول لابنه: يا عيسى، أصلح قلبك، وأقلل مالك. وكان يقول: واللَّه لأن أرى عيسى في مجالس أصحاب البرابط[1] والأشربة والباطل، أحب إليَّ من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات. قال ابن وضاح: يعني أهل البدع.

❑ وقال يحيى بن أبي عمر الشيباني: كان يقال: يأبى اللَّه لصاحبِ بدعةٍ توبةً، وما انتقل صاحب بدعةٍ إلا إلى شرٍّ منها.

❑ وقال أبو العالية: إياكم وهذه الأهواء، التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. فحُدث الحسن بذلك فقال: رحمه اللَّه، صدق ونصح.

---

(١) البرابط: جمع بربط، هو المزهر والعود، وهو فارسيٌّ معرب.

وقال آخر: «أهل هذه الأهواء آفة أُمَّة محمد ﷺ، إنهم يذكرون النبي ﷺ وأهل بيته، فيتصيدون بهذا الذكر الحسن عند الجهال من الناس، فيقذفون بهم في المهالك، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل! ومن يسقي السم القاتل باسم الترياق! فأبصرهم، فإنك إن لا تكن أصبحت في بحر الماء، فقد أصبحت في بحر الأهواء، الذي هو أعمق غورًا وأشد اضطرابًا، وأكثر صواعق، وأبعد مذهبًا من البحر وما فيه، فَفُلْك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال: اتباع السنة»[1].

❑ وقال ابن شبرمة:

إذا قلتُ جدُّوا في العبادة واصبروا ... أصرُّوا وقالوا لا الخصومةُ أفْضَلُ

خلافًا لأصحاب النبي وبدعةً ... وهُمْ لسبيل الحقِّ أعْمَى وأجْهَلُ

❑ وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير: لو كانت هذه الأهواء كلها هوًى واحدًا، لقال القائل: الحق فيه. فلما تشعبت واختلفت، عرف كل ذي عقلٍ أن الحق لا يتفرق.

❑ وقال مالك بن أنس: الكلام في الدين كله أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه، ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عَمَلٌ، فأما الكلام في اللَّه، فالسكوت عنه؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما كان تحته عملٌ.

❑ وقال مالك: مهما تلاعبت به من أمر شيء، فلا تلاعبن بأمر دينك.

❑ وقال الأوزاعي: إذا أراد اللَّه بقومٍ شرًّا، ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

---

(١) «الاعتصام» (١/ ٨٢ ـ ٨٦).

◘ وقال عبدالله بن المبارك: صاحب البدعة على وجهه الظلمة، وإن ادَّهَنَ كل يومٍ ثلاثين مرَّةً.

◘ وقال عطاء الخراساني: ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعةٍ بتوبةٍ.

◘ وقال الحسن بن أبي الحسن: أبى الله تبارك وتعالى أن يأذن لصاحب هوًى بتوبةٍ.

◘ وقال الحسن: ليس لصاحب بدعةٍ ولا لفاسقٍ يعلن بفسقه، غيبةٌ.

◘ وعن كثير بن أبي سهل: يقال: أهل الأهواء لا حرمة لهم[1].

◘ «وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يقف عند الشبهة، ومن دخل على صاحب بدعة فليست له حرمة، وإذا أحب الله عبداً، وفقه لعملٍ صالحٍ، فتقربوا إلى الله بحب المساكين.

◘ وقال ابن المبارك: لم أر مالاً أحمق من مال صاحب بدعةٍ.

◘ وقال: اللَّهم لا تجعل لصاحب بدعةٍ عندي يداً، فيحبه قلبي.

◘ وقال ابن المبارك: يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجالس صاحب بدعةٍ.

◘ وقال الفضيل: من أتاه رجلٌ فشاوره، فدله على مبتدعٍ، فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على أصحاب البدع؛ فإنهم يصدون عن الحق.

وقال ـ رحمه الله ـ: لا تجلس مع صاحب بدعةٍ، فإني أخاف أن ينزل عليك اللعنة.

وقال: لا تجلس مع صاحب بدعةٍ أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

(١) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ١٤٠ ـ ١٥٠).

وقال: صاحب البدعة لا تأمَنْه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعةٍ، ورَّثه اللَّه العمى.

وقال: إن للَّه ملائكةً يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك؛ لا يكون مع صاحب بدعةٍ؛ فإن اللَّه لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعةٍ.

وقال: الأرواح جنودٌ مجندةٌ، ولا يمكن أن يكون صاحب سنةٍ يمالئ صاحب بدعةٍ إلا من النفاق.

وقال: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنةٍ، وينهون عن أصحاب البدع.

وقال: لا يرفع لصاحب بدعةٍ إلى اللَّه عملٌ.

وقال عبداللَّه بن عمر السرخسي ـ عالم الخزز ـ: أكلت عند صاحب بدعةٍ أكلة، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال: لا كلمته ثلاثين يومًا.

❑ وقال إبراهيم بن ميسرة: من وقر صاحب بدعةٍ، فقد أعان على هدم الإسلام.

❑ وقال يونس بن عبيد: لا تجالس سلطانًا ولا صاحب بدعة.

❑ وقال محمد بن النضر الحارثي: من أصغى سمعه إلى صاحب بدعةٍ، وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه.

❑ وقال الثوري: إياك والأهواء والخصومة، وإياك والسلطان.

وقال: المسلمون كلهم عندنا على حالةٍ حسنةٍ إلا رجلين: صاحب بدعة، أو صاحب سلطان.

❑ وقال عمر بن عبدالعزيز: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ

دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»[1] .

◻ «قال معمر: كان ابن طاوس جالسًا، فجاء رجلٌ من المعتزلة، فجعل يتكلم. قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أُذُنَيْه وقال لابنه: أي بني، أدخل إصبعيك في أُذنيك، واشدد، لا تسمع من كلامه شيئًا. قال معمر: يعني أن القلب ضعيف»[2] .

◻ وقال عبدالرزاق: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا! قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم. قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أُكلِّمك؟ قلت: لا. قال: ولم؟ قلت: لأن القلب ضعيف، وإن الدين ليس لمن غلب[3] .

◻ وقال الثوري: من سمع بدعةً فلا يحكها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم[4] .

◻ وقال أيوب: لست ترد عليهم بشيءٍ أشد من السكوت[5] .

◻ وقال عبدالله بن السري: ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء، ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحدًا منهم.

«وروي عن حنبل بن إسحاق بن حنبل، أنه قال: كتب رجلٌ إلى أبي عبدالله ـ رحمه الله ـ كتابًا يستأذن فيه أن يضع كتابًا، يشرح فيه الرد على أهل البدع، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم.

فكتب إليه أبو عبدالله كتابًا فيه: الذي كنا نسمع، وأدركنا عليه من

---

(١) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ١٣٥ ـ ١٤١).

(٢) «المصنف» لعبدالرزاق الصنعاني رقم (٢٠٠٩٩).

(٣) «الإبانة» لابن بطة.

(٤) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢٢٧).

(٥) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

أدركنا من أهل العلم، أنهم كانوا يكرهون الكلام، والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه ﷺ، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم، فإنهم يلبسون عليك، وهم لا يرجعون، فالسلامة - إن شاء اللَّه - في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم»[١].

❑ وعن إسماعيل بن خارجة قال: دخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آيةً من كتاب اللَّه؟ قال: لا. قال: تقومان عني وإلا قمت. فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرأا آية؟ قال: إني كرهت أن يقرأا آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي[٢].

❑ وقال الحسن البصري: أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى.

❑ وقال محمد بن سيرين: لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء.

❑ وعن إبراهيم قال: إذا امتنع الإنسان في الشيطان، قال: من أين آتيه؟ قال: ثم قال: بلى آتيه من قبل الأهواء.

❑ وعن الشعبي قال: إنما سميت الأهواء؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار.

❑ وقال أبو العالية: ما أدري أي الغنمين علي أعظم، إذا أخرجني اللَّه من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوًى!!.

❑ وعن الحسن، أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد، إني أريد أن

---

(١) «الإبانة» لابن بطة.

(٢) «الشريعة» للآجري (١/ ٥٧).

أخاصمك. فقال الحسن: إليك عني، فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه[١] .

❑ وقال جعفر الباقر: إياكم والخصومات في الدين؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق.

❑ وقال الأحنف بن قيس: كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب.

❑ وقال معاوية بن قرة: إياكم وهذه الخصومات؛ فإنها تحبط الأعمال.

❑ وقال هرم بن حيان: صاحب الكلام على إحدى المنزلتين: إن قصر فيه خُصم، وإن أغرق فيه أثم.

❑ وقال الفضيل بن عياض: لا تجادلوا أهل الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات اللَّه.

❑ عن مجاهدٍ قال: قيل لابن عمر: إن نجدة[٢] يقول كذا وكذا. فجعل لا يسمع منه كراهيةَ أن يقع في قلبه منه شيءٌ.

❑ وعن عبداللَّه بن خباب بن الأرت قال: بينما نحن في المسجد، ونحن جلوسٌ مع قوم نقرأ السجدة ونبكي، فأرسل إليَّ أبي، فوجدته قد أحضر معه هراوة له، فأقبل عليَّ، فقلت: يا أبه، مالي مالي؟ قال: ألم أرك جالسًا مع العمالقة[٣] . ثم قال: هذا قرن خارجٌ الآن.

❑ وعن عبداللَّه بن أبي الهذيل العنبري قال: كنا جلوسًا مع عبداللَّه ابن خباب بن الأرت، وهو يقول: سبحوا كذا وكذا، واحمدوا كذا وكذا، وكبروا كذا وكذا. قال: فمر خبابٌ فنظر إليه، ثم أرسل إليه فدعاه، فأخذ

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» ص(٥٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (١/ ١٢٩).

(٢) هو نجدة بن عامر الحروري الخارجي.

(٣) العمالقة: يقال لمن يخدع الناس ويخلبهم عملاق، والعملقة: التعمق في الكلام.

السوط، فجعل يضرب رأسه به، وهو يقول: يا أبتاه، فيم تضربني؟! فقال: مع العمالقة؟! هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد بزغ[١].

◻ وعن الضحاك قال: رأيت عمر بن عبدالعزيز يسجن القُصَّاصَ ومن يجلس إليهم.

◻ وقال عمر بن العلاء اليماني لسفيان الثوري: يا أبا عبداللَّه، أستقبل القاصّ؟ فقال: ولُّوا البدع ظهوركم[١].

«عن حميد الأعرج: قدم غيلان مكة يجاور بها، فأتى غيلان مجاهداً فقال: يا أبا الحجاج، بلغني أنك تنهى عني وتذكرني، بلغك عني شيءٌ لا أقوله؟ إنما أقول كذا. فجاء بشيءٍ لا ينكر، فلما قام قال مجاهد: لا تجالسوه؛ فإنه قَدَريٌّ. قال حميد: فإنه يومًا في الطواف، لحقني غيلان من خلفي يجذب ردائي، فالتفت، فقال: كيف يقول مجاهدٌ حرف كذا؟ فأخبرته، فمشى معي، فبصر بي مجاهد معه، فأتيته فجعلت أُكلمه، فلا يرد علي، وأسأله فلا يجيبني. قال: فغدوت إليه، فوجدته على تلك الحال، فقلت: يا أبا الحجاج، أبلغك عني شيء؟! ما أحدثت حدثًا، ما لي؟! قال: ألم أرك مع غيلان، وقد نهيتكم أن تكلموه أو تجالسوه؟! قال: قلت: يا أبا الحجاج، ما أنكرت قولك، وما بدأته، هو بدأني. قال: واللَّه يا حميد، لولا أنك عندي مصدق، ما نظرت لي في وجهٍ منبسطٍ ما عشت، ولئن عدت، لا تنظر لي في وجه منبسط ما عشت.

◻ وعن أيوب: كنت يومًا عند محمد بن سيرين، إذ جاء عمرو بن عبيد فدخل، فلمّا جلس، وضع محمدٌ يده في بطنه وقام، فقلت لعمرو: انطلق بنا. قال: فخرجنا، فلما مضى عمرو رجعت، فقلت: يا أبا بكر، قد

(١) «البدع والنهي عنها» لابن وضّاح القرطبي ص(٢٤، ٢٧، ٢٨).

فطنت إلى ما صنعت. قال: أقد فطنت؟ قلت: نعم. قال: أما إنه لم يكن ليضمني معه سقف بيتٍ.

◻ وعن أيوب: دخل رجلٌ على ابن سيرين، فقال: يا أبا بكر، أقرأ عليك آيةً من كتاب اللَّه، لا أزيد أن أقرأها ثم أخرج؟ فوضع إصبعيه في أُذُنَيْه ثم قال: أعزم عليك، إن كنت مسلمًا إلا خرجت من بيتي. قال: فقال: يا أبا بكر، لا أزيد على أن أقرأ الآية، ثم أخرج. فقام لإزاره يشده، وتهيأ للقيام، فأقبلنا على الرجل، فقلنا: قد عزم عليك إلا خرجت، أفيحلُ لك أن تخرج رجلاً من بيته؟ قال: فخرج، فقلنا: يا أبا بكر، ما عليك لو قرأ آيةً ثم خرج؟! قال: إني واللَّه لو ظننت أن قلبي ثبت على ما هو عليه، ما باليت أن يقرأ، ولكن خفت أن يلقي في قلبي شيئًا، أجهد في إخراجه من قلبي فلا أستطيع.

◻ روي عن ابن مسعود أنه قال: من أحب أن يكرم دينه، فليعتزل مخالطة الشيطان ومجالسة أصحاب الأهواء؛ فإن مجالستهم ألصق من الجرب.

◻ وعن بعضهم قال: كنت أمشي مع عمرو بن عبيد، فرآني ابن عونٍ، فأعرض عني. وقيل: إنه دخل دار ابن عونٍ، فسكت ابن عون لَمَّا رآه، وسكت عمروٌ عنه فلم يسأله عن شيء، فمكث هنيهةً، ثم قال ابن عون: بم استحل أن يدخل داري بغير إذني؟! مرارًا يرددها.

◻ وعن مؤمّل بن إسماعيل قال: قال بعض أصحابنا لحماد بن زيد: ما لك لم ترو عن عبدالكريم إلا حديثًا واحدًا؟ قال: ما أتيته إلا مرة واحدة لمساقه في هذا الحديث، وما أُحبُّ أن أيوبَ علم بإتياني له، وأنّ لي كذا وكذا، وإني لأظنه لو علم، لكانت الفصيلة بيني وبينه.

◻ وعن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب: لا تقربنا ما دمت على

رأيك هذا. وكان مرجئًا.

❑ وعن حماد بن زيد قال: لقيني سعيد بن جبير فقال: ألم أرك مع طلق؟ قلت: بلى، فما له؟ قال: لا تجالسه، فإنه مرجئ.

❑ وعن محمد بن واسع قال: رأيت صفوان بن محرز وقريبٌ منه شيبةُ، فرآهما يتجادلان، فرأيته قائمًا ينفض ثيابه، ويقول: إنما أنتم جُرب.

❑ وعن الأوزاعي: لا تكلموا صاحب بدعةٍ من جدلٍ، فيورث قلوبكم من فتنته»[1].

❑ وقال أبو يوسف لبشر المريسي: يا بشر، إما أن تتوب أو تفسد علينا خشبة.

وانظر إلى جعد بن درهم، وهو أول من تفوه بكلمةٍ خبيثة في الاعتقاد، ونفى صفات اللَّه، وقال بخلق القرآن، وأنكر أن يكون اللَّه قد تكلم به، وقال: إن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلاً. فذبحه خالد بن عبداللَّه القسري أمير العراق بواسط، في يوم الأضحى حيث قال: «أيها الناس، اذهبوا إلى أضاحيكم، يتقبل اللَّه منكم، فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى تكليمًا». ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة.

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كلُّ صاحِبِ سُنَّةٍ ... للَّه دَرُّك مِنْ أخي قُرْبانِ

وانظر إلى أُسِّ الضلالة ورأس الجهمية: جهم بن صفوان: الذي تبنى آراء الجعد، وزاد عليها بدعًا أُخرى:

❑ قال عنه إبراهيم بن طهمان: ما ذكرته، ولا ذكر عندي إلا

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨).

دعوت اللَّه عليه، ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه العظيم.

لما أسـر الجهم وأوقف بيني يدي سلم بن أحوز، فأمر بقتله؛ لإنكاره أن اللَّه كلم موسى، فقال: إن لي أمانًا من أبيك. فقال: ما كان له أن يؤمنك، ولو فعل ما أمنتك، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب، ما نجوت، واللَّه لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك. وأمر ابن ميسر فقتله. وفي رواية ابن جرير: وأبرأك إليَّ عيسى بن مريم، ما نجوت[1].

❑ وأحمد بن أبي دؤاد الإيادي، الذي جر البلاد إلى محنة خلق القرآن، وأهان علماء الأُمَّة، وتكلم في عقيدة أهل السنة، دعا عليه الإمام أحمد، فحبسه اللَّه في جسده، فدخل عليه عبدالعزيز الكناني وقال له: لم آتك عائدًا، بل لأحمد اللَّه أن سجنك في جلدك[2].

❑ قال الخطيب البغدادي: «لما مات بشر بن غياث المريسي، لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلا عبيد الشونيزي، فلما رجع من جنازته، أقبل عليه أهل السنة والجماعة، وقالوا له: يا عدو اللَّه، تنتحل السنة، وتشهد جنازة المريسي؟! فقال: أنظروني حتى أُخبركم، ما شهدت جنازةً رجوت بها من الأجر، ما رجوت في شهود جنازته؛ لما وضع في موضع الجنائز، قمت في الصف فقلت: اللَّهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللَّهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك، اللَّهم فاحجبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك، اللَّهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللَّهم فعذبه اليوم في قبره عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين، اللَّهم عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللَّهم فخفف ميزانه يوم

(١) «البداية والنهاية» (١٠/٢٨)، «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٩٥)، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٠ ـ ١٧١).

القيامة، اللَّهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة، اللَّهم فلا تشفع فيه أحداً من خلقك يوم القيامة. قال: فسكتوا عنه وضحكوا»[١].

* تحذير السلف من أهل البدع بأعيانهم:

□ قال ابن تيمية: «فلا بد من التحذير من تلك البدع وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم»[٢].

وتحذير السلف من أهل البدع بأعيانهم كثير جداً، وما حملهم على ذلك إلا النصيحة للَّه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه اللَّه ـ حذّر من أهل البدع بأعيانهم.

١ ـ كما قال عبدالرحمن بن مهدي: دخلت عند مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: «لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن اللَّه عمراً فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام..»[٣].

٢ ـ وقال: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنّة»[٤].

٣ ـ وقال ابن أبي زيد: قال رجل لمالك: يا أبا عبداللَّه ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ كيف استوى؟

قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة وأمر بإخراجه[٥].

وهذا إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل ـ رحمه اللَّه ـ جاء عنه التحذير

---

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٧/ ٦٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٣).
(٣) «مناقب مالك» للزواوي ص(١٤٧ ـ ١٤٨).
(٤) «مناقب مالك» للزواوي ص(١٤٨).
(٥) «مناقب مالك» للزواوي ص(١٣٤).

من أهل البدع بأسمائهم في كثير من أقواله وما ذلك إلا نصيحة لدين اللَّه، قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ:

«وقد كان الإمام أبو عبد اللَّه أحمد بن حنبل لشدّة تمسكه بالسنّة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنّة، وكلامه محمول على النصيحة للدين»[1] ، فمن ذلك:

١ ـ عن أبي مزاحم موسى بن عبيد اللَّه بن خاقان قال: قال لي عمي أبو علي عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان قال: أمر المتوكل بمسألة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء؟ فسألته.

قال أبو مزاحم: فسألته أن يخرج إلي جوابه، فوجه إلي بنسخة فكتبها ثم عدت إلى عمي فأقرّ لي بصحة ما بعث به.

وهذه نسخته:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، نسخة الرقعة التي عرضتها على أحمد بن محمد ابن حنبل بعد أن سألته عما فيها فأجابني عن ذلك بما قد كتبته، وأمر ابنه عبداللَّه أن يوقع بأسفلها بأمره، ما سألته أن يوقع فيها:

سألت أحمد بن حنبل عن أحمد بن رباح، فقال فيه: إنه جهمي معروف بذلك، وإنّه إن قلّد القضاء من أمور المسلمين كان فيه ضرر على المسلمين لما هو عليه من مذهبه وبدعته.

وسألته عن ابن الخلنجي، فقال فيه ـ أيضًا ـ مثل ما قال في أحمد بن رباح وذكر أنه جهمي معروف بذلك، وأنه كان من شرهم وأعظمهم ضرراً على الناس.

وسألته عن شعيب بن سهل، فقال فيه: جهمي معروف بذلك.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٢٥٣).

وسألته عن عبيدالله بن أحمد، فقال فيه: جهمي معروف بذلك.

وسألته عن المعروف بأبي شعيب، فقال فيه: إنه جهمي معروف بذلك.

وسألته عن محمد بن منصور قاضي الأهواز، فقال فيه: إنه كان مع ابن أبي دؤاد وفي ناحيته وأعماله، إلا أنه كان من أمثلهم ولا أعرف رأيه.

وسألته عن ابن علي بن الجعد، فقال: كان معروفًا عند الناس بأنه جهمي مشهور بذلك، ثم بلغني عنه الآن أنه رجع عن ذلك.

وسألته عن الفتح بن سهل صاحب مظالم محمد بن عبدالله ببغداد، فقال: جهمي معروف بذلك، من أصحاب بشر المريسي، وليس ينبغي أن يقلّد مثله شيئًا من أمور المسلمين لما في ذلك من الضرر.

وسألته عن ابن الثلجي، فقال: مبتدع صاحب هوى.

وسألته عن إبراهيم بن عتّاب، فقال: لا أعرفه إلا أنه كان من أصحاب بشر المريسي، فينبغي أن يحذر ولا يقرّب، ولا يقلّد شيئًا من أمور المسلمين.

وفي الجملة إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين؛ فإن في ذلك أعظم الضرر على الدين، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من التمسك بالسنّة والمخالفة لأهل البدع»[1].

٢ ـ وقال علي بن أبي خالد: قلت لأحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: إنّ هذا الشيخ ـ لشيخ حضر معنا ـ هو جاري، وقد نهيته عن رجل، ويحب أن يسمع قولك فيه: حارث القصير ـ يعني حارثًا المحاسبي ـ وكنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة، فقلت لي: لا تجالسه، فما تقول فيه؟ فرأيت أحمد قد احمرّ لونه، وانتفخت أوداجه وعيناه، وما رأيته هكذا قط، ثم جعل ينتفض، ويقول: «ذاك؟ فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خَبَرَه وعرفه،

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

أوّيه، أوّيه، وذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان، **فأخرجهم إلى رأي جهم**، هلكوا بسببه. فقال له الشيخ: يا أبا عبدالله، يروي الحديث، ساكنٌ خاشعٌ، من قصته ومن قصته؟ فغضب أبو عبدالله، وجعل يقول: لا يغرّك خشوعه ولينه، ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه، فإنه رجل سوء ذلك لا يعرفه إلا من خبره، لا تكلمه، ولا كرامة له، **كل من حدّث بأحاديث رسول الله ﷺ وكان مبتدعًا تجلس إليه؟! لا، ولا كرامة ولا نُعْمَى عين**، وجعل يقول: ذاك، ذاك»[1].

٣ ـ وقال أبو داود في مسائله للإمام أحمد[2]: «ورأيت أحمد سلّم عليه رجل من أهل بغداد ـ قال أبو داود: بلغني أنّه أبو بكر المغازلي ـ **ممن وقف فيما بلغني**، فقال له: أُغرب لا أرينّك تجيء إلى بابي ـ في كلامٍ غليظ ـ ولم يرد عليه السلام، وقال له: ما أحوجك أن يصنع بك ما صنع عمر بصَبيغ ـ أفهمني (عمر بصَبيغ) بعض أصحابنا ـ فدخل بيته وردّ الباب».

٤ ـ وقال أبو بكر المرّوذي: أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذّر أبو عبدالله ـ أحمد بن حنبل ـ منه، وقد كان المتوكل أَمَرَ عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عمّن يقلّد القضاء. قال عبدالرحمن: فسألتُه عن يعقوب بن شيبة، فقال: «**مبتدع صاحب هوى**». قال الخطيب: وصفه أحمد بذلك لأجل الوقوف[3].

٥ ـ وقال الحاكم ـ رحمه الله ـ: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت أبا إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد ابن الحسن الترمذي عند أبي عبدالله، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبدالله

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٤).

(٢) ص(٣٥٥) برقم (١٧٠٧).

(٣) انظر «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٥٠)، و«السير» للذهبي (١٢/ ٤٧٨).

ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبداللَّه وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق! زنديق! ودخل البيت[1].

٦ ـ وقال عبداللَّه بن أحمد: سمعت أبي يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق هذا كلام سوء رديء، وهو كلام الجهمية، قلت له: إن الكرابيسي يقول هذا، فقال: **كذب هتكه اللَّه الخبيث**، وقال: قد خلف هذا بشرًا المريسي[2].

٧ ـ وقال صالح بن أحمد: جاء الحزامي إلى أبي وقد كان ذهب إلى ابن أبي دؤاد، فلما خرج إليه ورآه، أغلق الباب في وجهه ودخل[3].

٨ ـ وقدم داود الأصبهاني الظاهري بغداد وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسن، فكلم صالحًا أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه، فأتى صالح أباه فقال له: رجل سألني أن يأتيك. قال: ما اسمه؟ قال: داود. قال: من أين؟ قال: من أهل أصبهان، قال: أيّ شيء صنعته؟ قال وكان صالح يروغ عن تعريفه إيَّاه، فما زال أبو عبداللَّه يفحص عنه حتى فطن فقال: هذا قد كتب إليّ محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني. قال: يا أبت ينتفي من هذا وينكره، فقال أبو عبداللَّه: محمد بن يحيى أصدق منه، لا تأذن له في المصير إليّ[4].

◻ وقال عاصم الأحول: جلستُ إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع

---

(١) «معرفة علوم الحديث» ص(٤)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٢٤٧)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٣٨).

(٢) «السنّة» لعبد اللَّه بن أحمد (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٣) «مناقب أحمد» لابن الجوزي ص(٢٥٠).

(٤) «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٧٤).

فيه فقلت: لا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض، فقال: يا أحول أو لا تدري أن الرجل إذا ابتدع فينبغي أن يُذكر حتى يُحذر. فجئت مغتمًّا فنمت فرأيت عمرو بن عبيد يحك آية من المصحف، فقلت له: سبحان اللَّه، قال: إني سأعيدها. فقلت: أعدها قال: لا أستطيع[1].

❑ وقال الفلاس: عمرو متروك صاحب بدعة[2].

❑ وقال الذهبي في واصل بن عطاء: كان من أجلاد المعتزلة[3].

وقال ـ أيضًا ـ في ابن أبي دؤاد: جهمي بغيض[4].

❑ وقال أحمد: «كان ثور يرى القدر، وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه»[5].

❑ وقال أبو توبة: حدثنا أصحابنا أن ثورًا لقي الأوزاعي فمد يده إليه، فأبى الأوزاعي أن يمد يده إليه، وقال: «يا ثور لو كانت الدنيا لكانت المقاربة ولكنه الدين»[6].

❑ وقال أبو إدريس الخولاني: «ألا إن أبا جميلة لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه»[7].

❑ وقال إسماعيل ابن علية: قال لي سعيد بن جبير غير سائله ولا ذاكرًا ذا كله: لا تجالسوا طلقًا، يعني: لأنه مرجئ[8].

---

(١) «الميزان» للذهبي (٣/ ٢٧٣).
(٢) «الميزان» (٣/ ٢٧٥).
(٣) «الميزان» (٤/ ٣٢٩).
(٤) «الميزان» للذهبي (١/ ٩٧).
(٥) «الميزان» للذهبي (١/ ٣٧٤).
(٦) «السير» للذهبي (١١/ ٣٤٤).
(٧) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٤٩).
(٨) «الإبانة» (٢/ ٤٥٠).

وقال الإمام ابن بطّة بعد أن ذكر مقالات أهل البدع وطوائفهم: «هم شعوب وقبائل وصنوف وطوائف أنا أذكر طرفًا من أسمائهم وشيئًا من صفاتهم؛ لأن لهم كتبًا قد انتشرت ومقالات قد ظهرت، لا يعرفها الغرّ من الناس ولا النشؤ من الأحداث تخفى معانيها على أكثر من يقرؤها فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد اللَّه والثناء عليه والإطناب في الصلاة على النبي ﷺ ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشرّه فيظن الحدث الذي لا علم له والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان ومن بارز اللَّه ووالى الشيطان.

فمن رؤسائهم المتقدمين في الضلال منهم: الجهم بن صفوان الضّال.

وقد قيل له وهو بالشام: أين تريد؟ فقال: أطلب ربًّا أعبده، فتقلد مقالته طوائف من الضُّلال، وقد قال ابن شوذب: ترك جهم الصلاة أربعين يومًا على وجه الشك.

ومن أتباعه وأشياعه: بشر المريسي والمردار وأبو بكر الأصم وإبراهيم بن إسماعيل ابن علية وابن أبي دؤاد وبرغوث وربالويه والأرمني وجعفر الحذّاء وشعيب الحجام وحسن العطار وسهل الحرار وأبو لقمان الكافر في جماعة سواهم من الضلال وكل العلماء يقولون في من سميناهم أنهم أئمة الكفر ورؤساء الضلالة.

ومن رؤسائهم أيضًا ـ وهم أصحاب القدر ـ: معبد الجهني وغيلان القدري وثمامة بن أشرس وعمرو بن عبيد وأبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام وبشر بن المعتمر في جماعة سواهم أهل كفر وضلال يعمّ.

ومنهم: الحسن بن عبدالوهاب الجبائي وأبو العنبس الصميري.

ومن الرافضة: المغيرة بن سعيد وعبداللّه بن سبأ وهشام الفوطي وأبو الكروس وفضيل الرقاشي وأبو مالك الحضرمي وصالح قبة.

بل هم أكثر من أن يحصوا في كتاب أو يحووا بخطاب ذكرت طرفًا من أئمتهم ليتجنب الحدث ومن لا علم له ذكرهم ومجالسة من يستشهد بقولهم ويناظر بكتبهم.

ومن خبثائهم ومن يظهر في كلامه الذّبّ عن السنّة والنصرة لها وقوله أخبث القول: ابن كلاب وحسين النجار وأبو بكر الأصم وابن علية[1] أعاذنا اللّه وإياكم من مقالتهم وعافانا وإياك من شرور مذاهبهم»[2].

▢ وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤):

أهون بقول جهم الخسيس	وواصل وبشر المريسي
ذي السخف والجهل وذي العناد	مُعمّر وابن أبي دؤاد
وابن عبيد شيخ الاعتزال	وشارع البدعة والضلال
والجاحظ القادح في الإسلام	وجبت هذي الأمة النّظام
والفاسق المعروف بالجبائي	ونجله السفيه ذي الخناء
واللاحقيٍّ وأبي الهذيل	مؤيدي الكفر بكل ويل
وذي العمى ضرار المرتاب	وشبههم من أهل الارتياب
جميعهم قد غالط الجُهّالا	وأظهر البدعة والضلالا
وعدّ ذاك شرعة ودينًا	فمنهم للّه قد بَرِئنا[3]

* * *

(١) هو إبراهيم بن الإمام إسماعيل بن علية.

(٢) «الشرح والإبانة» ص(٣٤٨ ـ ٣٥٢).

(٣) «الأرجوزة المنّبهة» للداني ص(١٨٢ ـ ١٨٤)، وانظر «السير» (١٨/ ٨٢ ـ ٨٣).

✍ أعلم رحمك اللَّه أن هجر أهل البدع ومنابذتهم من أعظم أصول الدين . .

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

* وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

◘ قال ابن عون: كان محمد بن سيرين ـ رحمه اللَّه ـ يرى أن أسرع الناس ردّة أهل الأهواء وكان يرى أن هذه الآية أُنزلت فيهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1] .

◘ وعن ليث بن أبي سُليم عن أبي جعفر قال: «لا تُجالسوا أهل الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات اللَّه»[2] .

◘ وقال الإمام الطبري في «تفسيره»: «وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم»[3] .

◘ وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ عند ذكر مكايد الشيطان: «ومن أنواع مكايده ومكره أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٣١).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/ ٢٢٩)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ١٢).

(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ٣٣٠).

الآثام والفجور، فيلقاه من لا يخلّصه من شره إلا تجّهمه والتعبيس في وجهه والإعراض عنه، فيحسن له العدوّ أن يلقاه ببشره وطلاقة وجهه وحسن كلامه، فيتعلّق به فيروم التخلص منه فيعجز، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته، فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقه الوجه.

ومن ههنا وصّى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا يُسلّم عليهم ولا يريهم طلاقة وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض»[1].

وانظر إلى ردود أهل السنة على مخالفيهم مثل «الصارم المنكى في الرد على السبكي» لابن عبدالهادي وردود الأئمة على النبهاني كـ «غاية الأماني في الرد على النبهاني» لمحمود الألوسي، ورد نعمان الألوسي على ابن حجر الهيتمي في كتابه «جلاء العينين»، وردود أئمة الدعوة في نجد كردودهم على ابن جرجيس وغيره، وكردود الأئمة على الكوثري وأبي غدة، كرد المعلمي في تنكيله وغيره، وردودهم على ضلالات سيد قطب وغيره.

*** شدة أهل السنة على المبتدعة أهل الأهواء منقبة لهم:**

وكتب التراجم مليئة بذلك.

☐ فهذا الإمام الرشيد المتمسك بالمنهج الحميد، أبو إسماعيل حمّاد بن زيد:

قال فطر بن حماد بن واقد: سألت حماد بن زيد، فقلت: يا أبا إسماعيل، إمامٌ لنا يقول: القرآن مخلوق، أصلي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٤٠) لابن القيم. وانظر «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضحوي الظفيري ص(١٩ ـ ٥٦) ـ دار المنهاج.

وكان يقول: «لا يزال الرجل منكم داحضًا في بوله، يذكر أهل البدع في مجلس عشيرته حتى يسقط من أعينهم»[١].

وكان يقول: «لئن قلت: إن عليًّا أفضل من عثمان لقد قلت: إن أصحاب رسول اللَّه ﷺ قد خانوا».

◻ وهذا ـ أيضًا ـ الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة حماد بن سلمة البصري (ت: ١٦٧)، قال الذهبي في ترجمته: قال شيخ الإسلام (أبو إسماعيل الأنصاري) في الفاروق له: «قال أحمد بن حنبل: **إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام؛ فإنّه كان شديدًا على المبتدعة**».

◻ والقاضي شريك بن عبداللَّه النخعي الكوفي (ت: ١٧٧)، قال معاوية بن صالح الأشعري: سألت أحمد بن حنبل عن شريك، فقال: «كان عاقلاً صدوقًا محدثًا، وكان شديدًا **على** أهل الريب والبدع»[٢].

◻ وقال عنه الحافظ ابن حجر: «وكان عادلاً فاضلاً **شديدًا على أهل البدع**»[٣].

ومن أقواله ـ رحمه اللَّه ـ: «لئن يكون في كل قبيلة حمار أحب إلي من أن يكون فيها رجل من أصحاب أبي فلان رجل كان مبتدعًا»[٤].

وكذلك الإمام عبدالرحمن بن هرمز الأعرج (ت: ١١٧) والإمام عبدالرحمن بن القاسم (ت: ١٢٦) ـ رحمهما اللَّه ـ، قال عنهما الإمام مالك: «كان ابن هرمز قليل الكلام، وكان يشدّ **على أهل** البدع، وكان أعلم

---

(١) «الحلية» (٦/٢٥٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/٢٠٩).

(٣) «تقريب التهذيب» لابن حجر ص(٤٣٦).

(٤) «الإبانة» لابن بطة (٢/٤٦٩).

الناس بما اختلفوا فيه من ذلك، وكذا كان عبدالرحمن بن القاسم»[1] .

◻ وقال أبو الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي في ترجمة إبراهيم بن طهمان (ت: ١٦٣): «كان شديدًا على الجهميّة»[2] .

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت: ١٧٩) ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث»[3] .

وقال أيضًا: «لا تجالس القدري، ولا تكلمه إلا أن تجلس إليه، فتغلظ عليه، لقوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فلا توادّوهم»[4] .

◻ وهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ (ت: ٢٠٤) قال عنه البيهقي: «وكان الشافعي ﷺ شديدًا على أهل الإلحاد وأهل البدع مجاهرًا ببغضهم وهجرهم».

◻ وعمر بن هارون قال عنه قتيبة بن سعيد: «كان عمر بن هارون شديدًا على المرجئة وكان يذكر مساويهم وبلاياهم»[5] .

◻ والإمام العظيم أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي صاحب الإمام الشافعي قيل في ترجمته «إنه كان شديدًا على أهل البدع»[6] .

◻ والإمام عثمان بن سعيد الدارمي، قال عنه ابن حبان: «كان الدارمي

---

(١) «مناقب مالك» للزواوي ص(١٥٢).
(٢) «السير» (٧/ ٣٨٠).
(٣) «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني ص(١٢٥).
(٤) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١٣١).
(٥) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥/ ٣٦٥).
(٦) «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص(٣٤٨).

من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع، وتفقه وصنّف وحدّث، **وأظهر السنّة ببلده ودعا إليها وذبّ عن حريمها وقمع مخالفها**».

◻ وقال الذهبي: «كان لهجًا بالسنّة، بصيرًا بالمناظرة، **جذعًا في أعين المبتدعة**»[١].

وهو الذي قام على محمد بن كرّام الذي ينسب إليه الكرّاميّة وطرده عن هراة فيما قيل»[٢].

وما جاء في ترجمة إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت: ٢٨٢): «وكان شديدًا على أهل البدع يرى استتابتهم، حتى إنّهم تحاموا بغداد في أيامه..»[٣].

◻ وأبو جعفر محمد بن العباس بن أيوب الأخرم (ت: ٣٠١) جاء في ترجمته أنه «كان متعصبًا للسنة غليظًا على أهل البدع»[٤].

◻ وجاء في ترجمة المحدث الإمام أحمد بن عون اللّه بن حدير أبي جعفر الأندلسي القرطبي (ت: ٣٧٨هـ)، فقد قال أبو عبداللّه بن أحمد بن مفرج: «كان أبو جعفر أحمد بن عون اللّه محتسبًا على أهل البدع غليظًا عليهم مذلاً لهم طالبًا لمساوئهم مسارعًا في مضارّهم شديد الوطأة عليهم مشرّدًا لهم إذا تمكن منهم غير مبقٍ عليهم، وكان كل من كان منهم خافيًا منه على نفسه متوقيًا، لا يداهن أحداً منهم على حال ولا يسالمه، وإن عثر على منكر وشهد عليه عنده بانحرافٍ عن السنّة نابذه وفضحه وأعلن بذكره والبراءة منه وعيّره بذكر السوء في المحافل وأغرى به حتى يهلكه أو ينزع عن قبيح

(١) «السير» (١٣/ ٣٢٢).
(٢) «السير» (١٣/ ٣٢٣)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٦٢٢).
(٣) «الديباج المذهب» لابن فرحون ص(٩٤).
(٤) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ ابن حبان (٣/ ٤٤٧).

مذهبه وسوء معتقده ولم يزل دؤوبًا على هذا جاهدًا فيه ابتغاء وجه اللَّه إلى أن لقي اللَّه عز وجل»[١].

❑ وكذلك ما جاء في ترجمة بكر بن جعفر بن راهب أبي عمرو المؤذن (ت: ٣٨٠)، قال جعفر بن محمد المعتز في «تاريخ نسف»: . . وكان ـ رحمه اللَّه ـ قارئًا آناء الليل والنهار، شديدًا على أهل البدع»[٢].

❑ وما جاء في ترجمة ابن السوسنجري أنه كان «حسن الاعتقاد شديدًا في السنة»[٣].

❑ محمد بن أحمد بن محمد أبو الحسن البزاز المعروف بابن رزقويه (ت: ٤١٢هـ) قال الخطيب: «حسن الاعتقاد، جميل المذهب، مديمًا لتلاوة القرآن، شديدًا على أهل البدع»[٤].

❑ وقال الخطيب عن أبي القاسم الخفاف المعروف بابن النقيب (ت: ٤١٥): «كتبت عنه وكان شديدًا في السنة»[٥].

❑ وقال الذهبي في «ترجمة الإمام أبي عمر أحمد بن محمد المعافري الأندلسي الطلمنكي عالم أهل قرطبة (ت: ٤٢٩): «وكان فاضلاً شديدًا في السنّة، قال خلف بن بشكوال: كان **سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات اللَّه**»[٦].

❑ وقال الذهبي ـ أيضًا ـ في ترجمة الشيخ مسند الأندلس أبي العاص

(١) «تاريخ دمشق» (٥/ ١١٨).
(٢) «التقييد» لابن نقطة (١/ ٢٦٤).
(٣) «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٧٣).
(٤) «تاريخ بغداد» (١/ ٣٥١).
(٥) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).
(٦) «السير» (١٨/ ٥٠٩).

حكم بن محمد بن حكم الجُذامي القرطبي (ت: ٤٤٧): «قال الغساني: كان رجلاً صالحًا، ثقة مسندًا، صلبًا في السنّة، **مشدّدًا على أهل البدع** عفيفًا ورعًا صبورًا على القلِّ رافضًا للدنيا، مهينًا لأهلها»[(١)] .

❑ وقال الخطيب في ترجمة أبي منصور عبدالملك بن محمد بن يوسف البغدادي (ت: ٤٦٠): «كان أوحد وقته في فعل الخير، ودوام الصدقة، والإفضاء على العلماء، **والنصر لأهل السنّة، والقمع لأهل البدع**»[(٢)] .

❑ وقال ابن كثير: «كان أوحد زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبادرة إلى فعل الخيرات واصطناع الأيادي عند أهلها من أهل السنّة، **مع شدّة القيام على أهل البدع ولعنهم**»[(٣)] .

❑ وقال أبو الحسين الفراء في ترجمة الشريف أبي جعفر عبدالخالق بن أبي موسى الهاشمي الحنبلي (ت: ٤٧٠): «لزمته خمس سنين وكان إذا بلغه منكر عَظُم عليه جدًا، **وكان شديدًا على المبتدعة**، لم تزل كلمته عالية عليهم وأصحابه يقمعونهم ولا يردّهم أحد وكان عفيفًا نزهًا»[(٤)] .

وقال ـ أيضًا ـ في ترجمة عبدالرحمن بن محمد بن مندة (ت: ٤٧٠): «**وكان شديدًا على أهل البدع، مباينًا لهم**»[(٥)] .

❑ وقال في ترجمة إبي علي الحسن بن أحمد المعروف بابن البنا (ت: ٤٩١): «وكان أديبًا **شديدًا على أهل الأهواء**»[(٦)] .

---

(١) «العبر» (٢/٣٤٣).

(٢) «السير» (١٨/٣٣٣).

(٣) «البداية والنهاية» (١٢/١٠٣).

(٤) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٥٣٨)، وانظر «السير» (١٨/٥٤٧).

(٥) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٤٢).

(٦) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٤٣).

□ وقال في ترجمة القاضي أبي علي يعقوب بن إبراهيم البرزيني (ت: ٤٨٦): «وكان متشدداً في السنة»[١].

وكذلك ما قيل في شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبداللّه بن محمد الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١)، فقد قال عنه الرهاوي: «وكان شيخ الإسلام مشهوراً في الآفاق بالحنبليّة **والشدّة في السنّة**»[٢].

□ وقال ابن رجب: «كان سيّداً عظيماً وإماماً عارفاً وعابداً زاهداً ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات كثير السهر بالليل **شديد القيام في نصر السنّة والذبّ عنها والقمع لمن خالفها**، وجرى له بسبب ذلك محنٌ عظيمة، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب أحمد»[٣].

□ وقال الذهبي: «وكان هذا الرجل **سيفًا مسلولاً على المتكلمين**، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظّمونه ويغالون فيه، ويبذلون أرواحهم فيما يأمر به، كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير وكان طوداً راسيًا في السنّة لا يتزلزل ولا يلين..»[٤].

وقال ـ أيضًا ـ: «كان سيفًا مسلولاً على المخالفين، **وجذعًا في أعين المتكلمين**، طوداً في السنّة لا يتزلزل».

وقال ـ أيضًا: «كان جذعًا في أعين المبتدعة وسيفًا على الجهميّة»[٥].

□ وقال ابن الجوزي: «وكان كثير السهر بالليل وحدّث وصنّف وكان

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٤٦).
(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٥٧).
(٣) «ذيل الطبقات» (٣/ ٦٠ ـ ٦١).
(٤) «السير» (١٨/ ٥٠٩).
(٥) «العبر» (٢/ ٣٤٣).

شديدًا على أهل البدع قويًّا في نصرة السنّة»[١] .

وقد جاء في ترجمته أنه قال: عُرضت على السيف خمس مرّات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن اسكتْ عمن خالفك، فأقول: لا أسكت[٢] .

وجاء في ترجمة الأستاذ أبي محمد عبداللَّه بن سهل الأنصاري المقرئ شيخ القرّاء بالأندلس (ت: ٤٨٥)، أنه كان إمام وقته في فنِّه، وبعد صيته وكان شديدًا على أهل البدع، قوّالاً بالحق مهيبًا، امتحن وغرّب[٣] .

وكذلك ما جاء في ترجمة الإمام أبي المظفَّر منصور بن عبدالجبار التميمي السمعاني (ت: ٤٨٩) ـ رحمه اللَّه تعالى ـ، فقد قال الذهبي: «صنّف كتاب «الاصطلام»، وكتاب «البرهان»، وله «الأمالي» في الحديث، تعصّب لأهل الحديث والسنّة والجماعة، وكان شوكًا في أعين المخالفين، وحجة أهل السنّة»[٤] .

وما جاء في ترجمة أبي عبداللَّه محمد بن فرج (ت: ٤٩٧)، قال ابن فرحون: «وكان شيخًا فاضلاً فصيحًا، وكان قوالاً بالحق شديدًا على أهل البدع»[٥] .

وقال ـ أيضًا ـ في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت: ٧٨٠): «صلبًا في الحق شديدًا على أهل البدع ملازمًا للسنّة»[٦] .

---

(١) «المنتظم» (١٦/ ٢٧٨).

(٢) «السير» (١٨/ ٥٠٩).

(٣) «معرفة القراء الكبار» للذهبي (١/ ٤٣٦)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٣/ ٢٩٨).

(٤) «السير» (١٩/ ١١٦).

(٥) «الديباج المذهب» ص(٢٧٥).

(٦) «الديباج المذهب» ص(٤٢).

* عود على بدء: أقوال العلماء في هجر أهل البدع والأهواء:

● نصيحة من إمام أهل الشام:

❑ قال الإمام الأوزاعي ـ رحمه اللَّه ـ: «اتقوا اللَّه معشر المسلمين، واقبلوا نصح الناصحين، وعظة الواعظين، واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعمّن تأخذون وبمن تقتدون ومَن على دينكم تأمنون؛ فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفّاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتّقون ولا مع ذلك يُؤمنون على تحريف ما تسمعون ويقولون ما لا تعلمون في سرد ما يُنكرون وتسديد ما يفترون، واللَّه محيط بما يعملون، فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين، فإن علماءكم الأولين، ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون، واحذروا أن تكونوا على اللَّه مظاهرين ولدينه هادمين، ولعراه ناقضين موهنين بتوقير لهم، أو تعظيم أشد من أن تأخذوا عنهم الدين وتكونوا بهم مقتدين ولهم مصدّقين موادعين مؤالفين، مُعينين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون، وتأليف من يتألفون من ضعفاء المسلمين لرأيهم الذي يرون ودينهم الذي يدينون، وكفى بذلك مشاركة لهم فيما يعملون»[1] .

● نصيحة الإمام عبدالرحمن بن أبي الزناد (ت: ١٧٤):

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أوليّة الناس يعيبون الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم، وحذّرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرونا أنهم على ضلال وتحريف لكتاب اللَّه وسنن رسوله ﷺ وما تُوفي رسول اللَّه ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب عن الأمور وزجر عن ذلك، وحذره المسلمين في غير

---

(١) «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٦٢).

موضع حتى كان من قول النبي ﷺ في كراهية ذلك أن قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[١] .

* ذَمُّ الرَّأْي:

وهو الرأي الذموم غير المبني على أُسٍّ من كتاب ولا سُنَّة.

● قال ﷺ : «**إن اللَّه تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا**»[٢] .

❑ وعن ابن عبدالبر في «التمهيد»: «فيبقى ناسٌ جهالٌ يُستفتون، فيفتون برأيهم فيضلون ويُضلون».

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء بعلمهم، ويبقى جهالٌ، فيسألون فيفتون، فيضلون ويُضلون**»[٣] .

❑ وعن ابن عباس ﷺ: **من أحدث رأيًا ليس في كتاب اللَّه، ولم تمض به سنة من رسول اللَّه ﷺ ، لم يدر ما هو عليه إذا لقي اللَّه عز وجل.**

❑ وعن ابن مسعود ﷺ: **قراؤكم يذهبون، ويتخذ الناس رؤساء جهالاً**

---

(١) الإبانة» لابن بطة (٢/ ٥٣٢).

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو.

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٧).

يقيسون الأمور برأيهم.

◘ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: السنة ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا حظ الرأي سنة للأمة.

◘ وعن عروة بن الزبير: لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا حتى أدرك فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، فأخذوا بالرأي، فأضلوا بني إسرائيل.

◘ وعن الشعبي: إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس.

◘ وعن الحسن: إنما هلك من كان قبلكم حين شعبت بهم السبل، وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم، فضلوا وأضلوا.

وعن دراج بن السهم بن أبي السمح: يأتي على الناس زمانٌ يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحمًا، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تعود نقضًا، يلتمس من يفتيه بسنةٍ قد عمل بها، فلا يجد إلا من يفتيه بالظن.

◘ وقال أبو بكر بن أبي داود: أهل الرأي هم أهل البدع. وقال:

وَدَعْ عنك آراءَ الرِّجالِ وقَولَهُم ... فقَوْلُ رسول الله أزْكَى وأشْرَحُ

◘ وقال مسروق: من رغب برأيه عن أمر الله يضل.

◘ وقال الشافعي: «من استحسن فقد شرع».

والرأي المذموم يشمل البدع المحدثة في الاعتقاد، ويشمل أيضًا العمليات.. وإعمال النظر العقلي مع طرح السنن: إما قصدًا أو غلطًا وجهلاً.

فعليكم بالسنن والآثار.. وترك ومجانبة أهل البدع الأشرار، وعليكم بطريق الصحابة الأبرار.

◘ قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا،

وأقومها هديًا، وأحسنها خلالاً، قومٌ اختارهم اللَّه لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم».

*** دُرر الفضيل بن عياض:**

إن للَّه عز وجل ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، فإن اللَّه تعالى لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة، وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنّة وهم ينهون عن أصحاب البدعة»[١] .

❑ وقال الفضيل - رحمه اللَّه -: «من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومَن تبسّم في وجه مبتدع فقد استخفّ بما أنزل اللَّه عز وجل على محمد ﷺ، ومن زوّج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط اللَّه حتى يرجع»[٢] .

❑ قال الشاطبي - رحمه اللَّه -: «فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنّة على سنّتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِّر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء.

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٤).

(٢) «شرح السنّة» للبربهاري ص(١٣٩).

وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه»[1].

◻ وقال الفضيل ـ رحمه الله ـ: «من جالس صاحب بدعة لم يُعط الحكمة».

وقال: «لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة».

وقال: «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه».

وقال: «آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد»[2].

* مع شيخ الإسلام حقًّا، وإمام أهل السنّة صدقًا: أحمد بن حنبل:

◻ قال ـ رحمه الله ـ: «إياكم أن تكتبوا عن أحدٍ من أصحاب الأهواء قليلاً أو كثيراً، عليكم بأصحاب الآثار والسنن».

وقال الإمام أحمد: «إذا سلّم الرجل على المبتدع فهو يحبه»[3].

◻ وقال أبو داود السجستاني: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل البيت مع رجل من المبتدعة أترك كلامه؟ قال: لا، أو تُعلِمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به، قال ابن مسعود: المرء بخدنه»[4].

* وصدق والله الإمام:

◻ فقد قال ابن مسعود ﷺ: «إنما يماشي الرجل، ويصاحب من يحبّه

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ١١٤).
(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٣٨ ـ ١٣٩)، و«الإبانة» (٢/ ٤٦٠).
(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ١٩٦).
(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٠)، و«مناقب أحمد» ص(٢٥٠).

ومن هو مثله»[١].

◻ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومجلسه»[٢].

◻ وقال الفضيل: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق»[٣].

◻ قال الإمام أحمد: «الذي كنا نسمع، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنّهم يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمور بالتسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم، فإنه يلبّسون عليك وهم لا يرجعون.

فالسلامة إن شاء اللَّه في ترك مجالستهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم»[٤].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إنه لا يفلح مَنْ أحبّ الكلام، وكلّ من أحدث كلامًا لم يكن آخر أمره إلاّ إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير.. ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام»[٥].

◻ وقال الإمام إسماعيل بن يحيى المزني (ت: ٢٦٤) في رسالته «شرح السنة» عن أهل البدع: «فمن ابتدع منهم ضلالاً، كان على أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا، ويُتقرّب إلى اللَّه بالبراءة منه، ويهجر ويحتقر،

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٧٦).

(٢) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٦٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٥٦).

(٤) «مسائل الإمام أحمد» لابنه صالح (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٥) «الإبانة» (٢/ ٥٣٩).

وتجنب غدّته، فهي أعدى من غُدّة الجرب».

◻ وقال الإمام الآجّري: «ينبغي لكل من تمسّك بما رسمناه في كتابنا هذا، وهو كتاب الشريعة، أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج، والقدرية، والمرجئة والجهمية، وكل من يُنسب إلى المعتزلة وجميع الروافض، وجميع النواصب وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، وصحّ عنه ذلك، فلا ينبغي أن يُكلَّم ولا يُسلّم عليه، ولا يُجالس، ولا يصلى خلفه، ولا يُزوّج، ولا يتزوّج إليه من عرفه، ولا يشاركه، ولا يُعامله ولا يناظره ولا يجادله، بل يُذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك»[١].

◻ وقال الإمام ابن بطة: «ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقربه في جوارك. ومن السنّة مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه[٢]، وهجرانه والمقت له، وهجران من والاه، ونصره، وذبّ عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنّة»[٣].

◻ وقال العلامة شيث بن إبراهيم القفطي المعروف بابن الحاج (ت: ٥٩٨هـ): «فبيّن سبحانه بقوله ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ ما كان أمرهم به من قوله في السورة المكيّة ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ثم بيّن في هذه السورة المدنيّة أن مجالسة مَن هذه صفته لحوقٌ به في اعتقاده، وقد ذهب قوم من أئمة هذه الأمة إلى هذا المذهب، وحكم بموجب هذه الآيات في مُجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا:

---

(١) «الشريعة» للآجري (٣/ ٥٧٤).

(٢) أي من البدع.

(٣) «الشرح والإبانة» ص(٢٨٢).

يُنهى عن مجالستهم، فإن انتهى وإلا أُلحق بهم يَعْنُون في الحكم»[١].

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن يُوالي الاتحادية ـ وهي قاعدة عامة في جميع البدع ـ: «ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذبّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظّم كتبهم أو عُرف بمساندتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو، أو من قال إنه صنّف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات، لأنهم أفسدوا العقول والأديان، على خلْق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يَسْعَوْن في الأرض فسادًا ويصدون عن سبيل اللَّه»[٢].

□ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرّب إلى اللَّه عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم»[٣].

□ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صوْن آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالآذان وَقَرَت في القلوب ضرّت وجرّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرّت، وفيه أنزل اللَّه عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]»[٤].

(١) «حزّ الغلاصم في إفحام المخاصم» للقفطي ص(١١٠ ـ ١١١).
(٢) «مجموع الفتاوي» (٢/ ١٣٢).
(٣) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني ص(١٢٣).
(٤) المصدر السابق ص(١١٤ ـ ١١٥).

◘ قال عبداللَّه بن داود سنديلة: «من علامات الحق البُغض لمن يدين بالهوى، ومن أحبَّ الحق فقد وجب عليه البغض لأصحاب الهوى، يعني: أهل البدعة»[(١)] .

◘ قال رجل لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة. قال: فرأيته يشير بيده ويقول: ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة[(٢)] .

◘ وعن ابن سيرين أنه كان إذا سمع كلمة من صاحب بدعة وضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: لا يحلّ لي أن أكلمه حتى يقوم من مجلسه[(٣)] .

◘ وقال معمر: كان ابن طاوس جالسًا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، قال: وقال لابنه: أي بني أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا[(٤)] .

◘ وقال يحيى بن أبي كثير: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر[(٥)] .

◘ وقال الإمام البغوي ـ رحمه اللَّه ـ: «والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان من ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا»[(٦)] .

◘ وقال أبو العباس القرطبي (ت: ٦٥٦هـ): ـ بعد أن ذكر تحريم الهجر

---

(١) «سير السلف الصالحين» للتيمي (٣/ ١١٥٤)، و«الحلية» (١٠/ ٣٩٢).
(٢) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٧٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٧٣).
(٤) «الإبانة» (٢/ ٤٤٦).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٤٧٥).
(٦) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢٢٤).

فوق ثلاث ـ: «وهذا الهجران الذي ذكرناه هو الذي يكون عن غضب لأمر جائز لا تعلّق له بالدين.

فأما الهجران لأجل المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوب من ذلك، ولا يُختلف في هذا»[١].

◻ وقال العظيم أبادي صاحب «عون المعبود»: «وهذا فيما يكون من المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة على مرّ الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع»[٢].

◻ ويرحم اللَّه من قال:

وخير أمـــور الدين ما كان سنّةً ... وشرُّ الأمـور المحدثات البدائـعُ

* الحذار الحذار من قراءة كتب المبتدعة الفُجّار:

◻ قال ابن القيم للَّه دره عن المبتدعة:

يا من يظن بأننا حفنا عليـ ... ـهم كتبهم تُنبيك عن ذا الشانِ

فانظر ترى لكن نرى لك تركها ... حذرًا عليك مصـائد الشـيطانِ

فشباكها واللَّه لم يَعْلَق بها ... من ذي جنــاحٍ قاصر الطيرانِ

إلا رأيت الطير في قفص الردى ... يبكي له نـــوح على الأغصـانِ

ويظل يخبط طالبًـا لخلاصه ... فيضيق عنه فرجـة العيـــدانِ

والذنب ذنب الطير خلّى أطيب الثـ ... ـثمرات في عـالٍ من الأفنـــانِ

وأتى إلى تلك المزابل يبتغي الـ ... ـفضلات كالحشرات والديدان[٣]

(١) «المفهم لما أُشكِل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٥٣٤).
(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٣/ ١٧٤).
(٣) «نونية ابن القيم» ص(١٨٠).

□ قال الشيخ محمد خليل هرّاس شارحًا هذه الأبيات: «ولا يظنن أحد أننا نتجنّى على القوم أو نتهمهم بغير الحق، فتلك كتبهم تُخبر عنهم كل من ينظر فيها وتشهد عليهم شهادة صدق، فليقرأها من شاء ليتأكد من صحة ما نسبناه إليهم، لكننا مع ذلك ننصح كل أحد أن لا يقرأ هذه الكتب حتى لا يقع في حبائلها ويغرّه ما فيها من تزويق المنطق وتنميق الأفكار لا سيما إذا لم يكن ممن رسخ في علوم الكتاب والسنة قدمه، ولا تمكّن منهما فهمه فهذا لا يلبث أن يقع أسير شباكها، تبكيه نائحة الدوح على غصنها، وهو يجتهد في طلب الخلاص فلا يستطيع، والذنب ذنبه هو، حيث ترك أطيب الثمرات على أغصانها العالية حلوة المجتنى طيبة المأكل، وهبط إلى المزابل وأمكنة القذارة يتقمّم الفضلات كما تفعل الديدان والحشرات.

وما أروع تشبيه الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ حال من وقع أسير هذه الكتب وما فيها من ضلالات مزوّقة قد فُتِن بها لبُّه وتأثّر بها عقله، بحال طير في قفص قد أُحكِم غلقه، فهو يضرب بجناحيْه طالبًا للخلاص منه لا يجد فرجة ينفذ منها لضيق ما بين العيدان من فرج.

وما أجمل أيضًا تشبيهه لعقائد الكتاب والسنة بثمرات كريمة المذاق على أغصان عالية، بحيث لا يصل إليها فساد ولا يلحقها تلوّث، وتشبيهه لعقائد هؤلاء الزائغين بفضلات قذرة وأطعمة عفنة أُلقيت في إحدى المزابل، فلا يأوي إليها إلاّ أصحاب العقول القذرة والفطرة المتكسة»[1].

□ قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلّة وإتلافها».

□ قال المروذي: قلت لأحمد: استعرتُ كتابًا فيه أشياء رديئة ترى أني

---

(١) «شرح نونية ابن القيم» للشيخ محمد خليل هرّاس (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

أخرقه أو أحرقه؟ قال: نعم، وقد رأى النبي ﷺ بيدي عمر كتابًا اكتتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن، فتمعّر وجه النبي ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التنوّر فألقاه فيه»(١) .

* ابن خلدون لله دره:

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «وأما حُكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلّة وما يُوجد من نسخها بأيدي الناس، مثل: (الفصوص) و(الفتوحات) لابن عربي، و(البُدّ) لابن سبعين، و(خلع النعلين) لابن قسي، و(عين اليقين) لابن بَرَّجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني وأمثالهما أن تُلحق بهذه الكتاب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض، فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وُجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء، حتى ينمحي أثر الكتابة لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المضلّة».

ثم قال: «فيتعيّن على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعًا للمفسدة العامة، ويتعيّن على مَن كانت عنده التمكين منها للإحراق، وإلا فينزعها وليّ الأمر ويؤدبه على معارضته على منعها لأن وليّ الأمر لا يُعارض في المصلحة العامة»(٢) .

* الحافظ ابن حجر العسقلاني وغضبه لله ورسوله:

□ قال الحافظ السخاوي في ترجمة الحافظ ابن حجر: «ومن الاتفاقات الدالة على شدة غضبه لله ولرسوله أنهم وجدوا في زمن الأشرف برسباي شخصًا من أتباع الشيخ نسيم الدين التبريزي وشيخ الخروفية المقتول على

(١) «الطرق الحكمية» لابن القيم ص(٢٣٣ ـ ٢٣٥).
(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١).

الزندقة سنة عشرين وثمانمائة ومعه كتاب فيه اعتقادات منكرة فأحضروه، فأحرق صاحب الترجمة الكتاب الذي معه، وأراد تأديبه، فحلف أنه لا يعرف ما فيه وأنه وجده مع شخص، فظنّ أن فيه شيئًا من الرقائق فأُطلِق بعد أن تبرّأ مما في الكتاب المذكور، وتشهّد والتزم بأحكام الإسلام»[1] .

*** لآلئ البيان للشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ:**

◻ قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ: «ومن هجران أهل البدع ترك النظر في كتبهم خوفًا من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب؛ لقوله ﷺ في الدجّال «**من سمع به فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**» رواه أبو داود، وقال الألباني: وإسناده صحيح.

لكن إذا كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصّن به، وكان قادرًا على الردّ عليهم، بل ربما كان واجبًا؛ لأن ردّ البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2] .

◻ قال الحافظ أبو عثمان سعيد بن عمرو البردعي: «شهدت أبا زرعة ـ وقد سُئِل عن الحارث المحاسبي وكتبه ـ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.

قيل له: في هذه الكتب عبرة.

فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب

---

(١) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٢/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨) ـ دار ابن حزم.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (٥/ ٨٩).

عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنّفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم.. ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع»[1].

*** قاضي الجماعة ابن حمدين الأندلسي (ت: ٥٠٨) وإحراقه لكتاب إحياء علوم الدين:**

❑ هو شيخ القاضي عياض ولي القضاء في عهد يوسف بن تاشفين، فسار فيه أحسن سيرة، وفي عهد علي بن يوسف بن تاشفين كان يشغل منصب قاضي الجماعة بقرطبة، وكان حميد الأحكام، واقفًا عند حدود اللّه صارمًا في الحق، منكرًا للبدعة.

❑ وقال عنه الذهبي: وكان يحطّ على الإمام أبي حامد في طريقة التصوف، وألف في الردّ عليه «وملخص القضية أنه ما إن وصل كتاب إحياء علوم الدين إلى المغرب والأندلس، وقرأه الفقهاء السلفيون خاصة قاضي الجماعة ابن حمدين حتى ثارت ثائرتهم فاجتمعوا واتفقوا على ضرورة إتلافه، لما يتضمنه من الفكر الصوفي، ومذاهب الفلاسفة، ورفعوا أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فنزل على رأيهم، وأصدر أمره إلى جميع الأقاليم التابعة لحكمه بمصادرة الكتاب وحرقه، كما أمر بتفتيش المكتبات العامة والخاصة، وأن يحلف من يشك في أمرهم بأنهم لا يملكون كتاب الإحياء.

وقد نفذ أمر علي بن يوسف على أكمل وجه، حيث جُمعت نسخ الإحياء التي تم العثور عليها، وأُشبعت بالزيت، وأُحرقت على الباب الغربي

---

(١) «كتاب الضعفاء» لأبي زرعة، ضمن كتاب «أبو زرعة الرازي وجهوده في السنّة النبوية» (٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٢).

من رحبة مسجد قرطبة الجامع بحضور جماعة من أعيان قرطبة وعلمائها، يتقدمهم القاضي ابن حمدين وكان الإحراق عام ٥٠٣هـ.

وفي الحقيقة أن هذه الحادثة تمثل موقفًا حازمًا ضد التصوف الفلسفي الذي يتضمنه كتاب الإحياء.

☐ قال الطرطوشي المتوفى عام ٥٢٠ أن الغزالي في كتابه الإحياء دخل في علوم الخواطر ومزامير الصوفية، ثم شاب ذلك بآراء الفلاسفة، وأن هذا الكتاب إن تُرك انتشر بين ظهور الخلق، ومن لا معرفة لهم بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سُطِّر فيه مما هو ضلال، فحُرِق قياسًا على ما أحرقته الصحابة ﷺ من صحائف المصحف التي تخالف المصحف العثماني. وقد أورد الذهبي ملخص هذه الرسالة التي أرسلها أبو بكر الطرطوشي إلى عبيد اللَّه بن مغفر يجيبه فيها عن حقيقة الغزالي[١].

وفي كلام القاضي عياض ما يدل لذلك، فقد أورد قضية الحرق في كتابه «معجم أبي علي الصدفي[٢]» وذكر أن الغزالي غلا في طريقة التصوف بقوله: «والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرّد لنصرة مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألّف فيه تَواليفه المشهورة، أُخِذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، واللَّه أعلم بسره، ونفد أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل لذلك»[٣].

● قال عليه السلام: «**وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما**

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦).

(٢) هذا الكتاب مفقود، وقد أورد الذهبي هذا النص في «السير» (١٩/ ٣٢٧).

(٣) «السلفية وأعلامها في موريتانيا» للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين ص(١٩٣ ـ ١٩٥).

يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[١] .

◻ قال الشيخ العلاّمة عبيدالله بن عبدالسلام المباركفوري عن قول النبي ﷺ في هذا الحديث: «وفي هذا التشبيه فوائد منها: التحذير من مقاربة تلك الأهواء ومقاربة أصحابها، وبيان أن داء الكَلَب فيه ما يشبه العدوي، فإن أصل الكَلَب واقع في الكلب، ثم إذا عضّ ذلك الكلْب أحدًا صار مثله ولم يقدر على الانفصال منه في الغالب إلا بالهلكة فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلّما يَسلَم من غائلته، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته، وإما أن يثبت في قلبه شكًّا يطمع في الانفصال عنه فلا يقدر، هذا بخلاف المعاصي، فإن صاحبها لا يضارّه ولا يداخله فيها غالبًا إلاّ مع طول الصحبة والأنس به، والاعتياد لحضور معصيته، وقد أتى في الآثار ما يدلّ على هذا المعنى، فإن السلف الصالح نهوا عن مجالستهم، ومكالمتهم وكلام مُكَالمهم وأغلظوا في ذلك»[٢] .

◻ فإياك ومجالسة أهل البدع فكم لهم من خفي مكر ودقيق كفر.

● قال ﷺ : **«من سمع منكم بخروج الدجّال فلينأ عنه ما استطاع؛ فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات»**[٣] .

*** «ياقومنا أجيبوا داعي الله» :**

◻ قال ابن القيم: «أسمع ـ والله ـ لو صادف آذانًا واعية، وبصّر لو

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، و«صححه الألباني كما في السنة» لابن أبي عاصم (١/ ٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٧٨).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، وأبو داود (٤٣١٩) من حديث عمران بن حُصين.

صادف قلوبًا من الفساد خالية. لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء، فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها آراء الرجال، فأغلقت أبوابها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذًا، وتحكمت فيها أسقام الجهل، فلم تنتفع معها بصالح العمل.

وا عجبًا لها! كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام رب العالمين، ونصوص حديث نبيه المرفوع؟! أم كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب، وخفي عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب؟!.

وا عجبا! كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها، ومقبولها ومردودها، وراجحها ومرجوحها، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام من كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان، وكلام من أُوتي جوامع الكلم، واستولى كلامه على الأقصى من البيان؟!.

كلا، بل هي واللَّه فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرائق قصدها، يربى فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير.

وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون، وتزاحموا عليها، وهيهات، أين السهى من شمس الضحى؟! وأين الثرى من كواكب الجوزاء؟! وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليلٍ معلومٍ، من النقل المصدق عن القائل المعصوم؟! وأين الأقوال التي أعلا درجاتها: أن تكون سائغة الاتباع، من النصوص الواجب على كل مسلمٍ تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع؟! وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر، من النصوص التي فرض على كل عبدٍ أن يهتدي بها ويتبصر؟! وأين المذاهب التي إذا مات أربابها فهي

من جملة الأموات، من النصوص التي لا تزول إذا زالت الأرض والسموات؟!.

سبحان اللَّه! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس العلم من مشكاته - من كنوز الذخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟! قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فكرًا، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرًا، وأوحى بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا.

درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودرسرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه النيّرة من آفاق نفوسهم، فلذلك لا يحبونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها، فليسوا يبصرونها.

خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين. وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم كمينٌ بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام، وتلقوها من بعيد، ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز. وقالوا: ما لك عندنا من عبور، وإن كان ولا بد، فعلى سبيل الاجتياز. أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان؛ له السكة والخطبة، وما له حكم نافذ ولا سلطان. المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول. والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة، والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول. وأهل الكتاب والسنة، المقدمون لنصوصها على غيرها، جهال لديهم منقوصون. ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣].

حرموا - واللَّه - الوصول، بعدولهم عن منهج الوحي، وتضييعهم

الأصول. وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتميز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقدموا على ما قدموه ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] وسقط في أيديهم عند الحصاد لَمَّا عاينوا غلة ما بذروه.

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثوراً، ويا عظم المصيبة عندما يتبين بوارق أمانيه خلبًا، وآماله كاذبة غروراً. فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى، والتعصب للآراء، بربه يوم تبلى السرائر؟ وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر؟

أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله، أن ينجو من ربه بآراء الرجال؟! أو يتخلص من بأس اللَّه بكثرة البحوث والجدال، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال؟! أو بالإشارات والشطحات، وأنواع الخيال؟!.

هيهات واللَّه، لقد ظن أكذب الظن، ومنّته نفسه أبين المحال. وإنما ضمنت النجاة لمن حكّم هدى اللَّه على غيره، وتزود التقوى وائتمَّ بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، واللَّه سميع عليم» اهـ.

* عليكم بالعتيق وإياكم والهمج الرعاع:

إياكم والهمج الرعاع الذين ضلّوا وتنكّبوا الطريق.. المحقبون[1] دينهم أشباه الرجال الذين تنكبوا الجادة وتركوا المحجّة البيضاء.

(١) المحقب: المقلّد التابع لغيره، من الإحقاب وهو الإرداف وشدّ المتاع وراء ظهر الراكب.

وهم الذين عناهم عليٌّ ﷺ حين قال لكميل بن زياد: «وهمج رعاع أتباع كلّ ناعقٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى رُكنٍ وثيق.. أُفٍّ لحامل حقٍّ لا بصيرةَ له، ينقدح الشّكُّ في قلبه بأول عارضٍ من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ، وإن أخطأ لم يدر، مشغوفٌ بما لا يدري حقيقته، فهو فتنةٌ لمن فتن به».

❑ وعن علي ﷺ: إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم اللّه فيه فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم اللّه فيه فيعمل بعمل أهل الجنة، فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين، فبالأموات لا بالأحياء. وأشار إلى رسول اللّه ﷺ وأصحابه الكرام.

❑ وفي «الصحيح» عن أبي وائل قال: جلست إلى شيبة في هذا المسجد قال: جلس إليّ عمر في مجلسك هذا، قال: هممتُ أن لا أدَعَ فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعلٍ. قال: لم؟ قلت: لم يفعله صاحباك. قال: هما المَرءَانِ أهتدي بهما. يعني النبي ﷺ وأبا بكرٍ ﷺ.

*** درة من درر ابن القيم:**

❑ قال ـ رحمه اللّه ـ في بيان أقسام الناس من حيث المخالطة:

«القسم الرابع: من مخالطته الهلاك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السمّ، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن اللّه فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم اللّه: وهم أهل البدع والضلالة الصّادون عن سنّة رسول اللّه ﷺ الداعون إلى خلافها الذين يصدّون عن سبيل اللّه ويبغونها عوجًا، فيجعلون السنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.. فالحزم كل الحزم التماس مرضات اللّه تعالى ورسوله بإغضابهم وأن لا تشتغل

بأعتابهم ولا باستعتابِهم ولا تُبالي بحبهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك»[1] .

منكرو السنة كُليًّا أو جزئيًّا

العقلانيون أفراخ المعتزلة ـ القرآنيون

أقلام وعقول تستجدي سقط متاع التاريخ وزبالة أحداثه، قطوف عَفِنة من حدائق الخوارج الدموية.. أو حنظل المعتزلة وثمارها النَّكِدة.. وفروع جافة من أشجار مدرسة القرآنيين التي لا ظلّ لها وغوص في مستنقع الضلال، يعلن الحرب على عائشة أم المؤمنين تارة، وعلى أبي هريرة والرسول ﷺ تارة أخرى، ثم بلا لفٍّ أو دوران وجَّهوا سهامهم نحو الإمام البخاري، لا تصفية حسابات مع عائشة أو أبي هريرة أو البخاري إنما الحقيقة التي طالما ترددوا كثيرًا في إعلانها هي إنكار سنة النبي محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم إجمالاً..

وفي سنوات ضعف فيها ساعد الحق تم توزيع الأدوار، وانتشرت الأفاعي والخفافيش هنا وهناك، تعلن في صوت واحد لا للسنة النبوية المشرفة»[2] .

◻ وتاريخ إنكار السنة تاريخ أسود.

فللحديث رجال يُعرفون به ... وللتساويد نُسّاخ وكُتّابُ

يبدأ هذا التاريخ من الخوارج الذين أنكروا كل سنة يظنون أنها تخالف

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٢٧٥). ويراجع كتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضحوي الظفيري فهو نافع في بابه، وأبى اللَّه العصمة إلا لكتابه.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ص(٣) ـ بيت الحكمة.

القرآن كالرجم ونصاب السرقة..

والشيعة الذين جرّحوا العدول بل وكفّروا جمهور الصحابة حملة الحديث إلى من بعدهم.

◻ والمعتزلة الذين قدّموا العقل على النقل، وأتوا بمنطق اليونان وحكّموه في الأمة وافترى النظام منهم وأنكر حجية الحديث المتواتر ولم يحتج به وقال: إن القرآن غير معجز في نظمه، وزعم هذا الزنديق أن أبا هريرة كان أكذب الناس، وينكر حديث انشقاق القمر وهو متواتر ويكذِّب ابن مسعود، ويقول هذا الزنديق عن سمرة بن جندب الصحابي الجليل: ما نصنع بسمرة ابن جندب؟ قبّح اللَّه سمرة.

◻ وقال عمرو بن عُبيد شيخ المعتزلة: لما ذكر حديث النبي ﷺ الذي رواه الأعمش قال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت اللَّه يقول هذا لقلتُ: ليس على هذا ميثاقنا».

ويرى الدكتور محمد عمارة تلميذ الغزالي والممثل لمدرسته من بعده أن «التوحيد بمعناه النقيّ المبرأ من الشبهات هو الذي دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن لأنهم ينفون الصفات عن الذات العلية حتى لا يكون هناك إقرار بقدم هذه الصفات فيكون مع القديم قديم آخر»[1].

بل ويكتب فصلاً كاملاً عن بدعتهم «المنزلة بين المنزلتين» في آخر كتابه «الإسلام والمستقبل» ص(٢٥٦) لينصر هذه البدعة.

◻ وهو يثني على رجال المعتزلة القدرية قبلهم ثناءً حارًّا وعلى مواقفهم ويعتبرهم من أفذاذ رجال الإسلام وأصحاب الفكر المستنير في تراثنا.

---

(١) «نظرة جديدة إلى تراث» للدكتور محمد عمارة ص(٩١).

فيقول عن غيلان الدمشقي المبتدع: «كانت حياة غيلان نموذجًا فريدًا يُجسِّد الموقف الثوري من سلبيات مجتمعه كذلك كان مماته نموذجًا فريدًا يجسِّد سلبيات هذا المجتمع ويدين هذه السلبيات»(١) .

◻ يقول محمد عمارة عن مدرسة الأفغاني «هي بحق مدرسة الجامعة الإسلامية كان رُوَّادها الشيخ الغزالي ومن قبله الإمام محمد عبده والكواكبي والمراغي»(٢) .

◻ ولقد ردّ العقلانيون بعض الأحاديث الصحيحة التي سلطوا عليها عقولهم باعتبار أنها أحاديث آحاد منها:

١ ـ حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وهو حديث متواتر تواترًا معنويًّا ردوه وطعنوا فيه(٣) .

٢ ـ أحاديث الدجال(٤) والجساسة وقد أخرجه مسلم.

---

(١) «مسلمون ثوار» لمحمد عمارة ص(١٤٩).

(٢) «هامش (١) ص(١٣٩) من كتاب «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» لسليمان ابن صالح الخراشي دار الجواب.

(٣) انظر قول الشيخ محمد عبده في «المنار» (١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، والشيخ المراغي مجلة الرسالة العدد ٥١٩ ص(٤٦٦)، والشيخ رشيد رضا ـ «المنار» (٨/ ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧)، والشيخ شلتوت ـ مجلة الرسالة العدد ٥١٤ ص(٣٦٥)، ومجلة الرسالة ـ العدد ٥١٨ ص(٤٤٥)، و«أضواء على السنة النبوية» لعدو السنة أبي رية ص(١٤١)، و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» لمحمد الغزالي ـ طبعة دار الشروق.

(٤) وأحاديث الدجال في صحيح البخاري ومسلم.

قال القاضي عياض فيما نقله عنه النووي: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده.. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة» «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٥٨).

انظر الطعن في الدجال والجساسة في مجلة المنار (١٠/ ٢٤٦)، (١٩/ ٩٩) و«أضواء على السنة المحمدية» ص(١٤٠ ـ ١٤١)، و«موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» =

٣ ـ حديث موسى عليه السلام وملك الموت[١] .

٤ ـ حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام[٢] .

٥ ـ حديث سحر النبي ﷺ[٣] .

= لمحمد إسماعيل السلفي ص(٣٩)، و«السنة النبوية» ص(١٢٢ ـ ١٢٥).

(١) انظر «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، «السنة النبوية» للغزالي ص(٢٦ ـ ٢٩) والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٢٣ باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة (٢/ ٩٢ ـ ٩٣)، وكتاب الأنبياء باب وفاة موسى (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (٤/ ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣) والنسائي في «سننه» ـ كتاب الجنائز ـ باب نوع آخر من التعزية (٤/ ٩٦)، وأخرجه أحمد في «مسنده» نحوه (٢/ ٣١٥، ٥٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٢٣)، ولقد زعم عدو السنة أبو رية أن رائحة الإسرائيلية تفوح منه ـ «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، فوسمه الشيخ المعلمي على خرطومه في كتابه القيم «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» ص(١٩٤) ـ المطبعة السلفية «ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكك في حكم البخاري؛ لأنه أعرف الناس برائحة الحديث النبوي، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشمّ أو فاسده». أما الشيخ الغزالي فقد قال: «والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة. ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافًا عقائديًا، والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي ـ انظر «السنة النبوية» ص(٢٩) فهل أصحاب الفكر السطحي هم أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم والنسائي وابن قتيبة وابن خزيمة والمازري والقاضي عياض والنووي وأئمة الإسلام.. إنها إساءة بالغة توجه لعلماء الإسلام وأئمته وهذا جور وظلم وتجني عليهم.

(٢) والحديث رواه البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب قول اللّه تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ (٤/ ١٣٨)، ومسلم حديث رقم (٢٣٦٦). وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٣/ ٢٩٢)، ومجلة المنار (١٠/ ١٦٦)، (١٩/ ٥٣٦، ٥٣٧)، و«أضواء على السنة المحمدية» ص(١٤٤، ١٤٧، ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٧ ـ ٩٨).

(٣) رواه البخاري ـ كتاب الطب ـ باب السحر (٧/ ٣٠)، وكتاب الأدب باب قول اللّه تعالى: ﴿إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان﴾ (٧/ ٨٨)، وكتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب: باب هل يستخرج السحر (٧/ ٢٩ ـ ٣٠) وكتاب الدعوات باب =

٦ ـ حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه[١] .

٧ ـ حديث إسلام شيطان النبي ﷺ[٢] .

٨ ـ حديث المعراج[٣] .

٩ ـ حديث وقوع الذباب في الإناء[٤] .

= تكرير الدعاء. و«مسلم» ـ كتاب السلام باب السحر حديث رقم (٢١٨٩ ـ (٤/١٧١٩ ـ ١٧٢١) وأنكره محمد عبده في «تفسير جزء عم» ص(١٨١ ـ ١٨٣)، ومجلة المنار (١٢/٦٩٧)، (٢٩/١٠٤)، و«أضواء على السنة المحمدية» ص(٢٥٩)، وسيد قطب.

(١) والحديث أخرجه البخاري (١/٩١ ـ ٩٣)، (٢/١٦٧)، (٤/٧٧ ـ ٧٨)، (٤/١٠٦ ـ ١٠٨)، (٤/٢٤٨ ـ ٢٥٠)، (٨/٢٠٣ ـ ٢٠٥)، و«مسلم» (١/١٤٧ ـ ١٥١).

وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٣/٢٩٢)، مجلة المنار (١٠/١٦٦)، (١٩/٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦)، «وأضواء على السنة» ص(١٤٥ ـ ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٢) رواه مسلم (١٤/٢٨) ـ (٤/٢١٦٧ ـ ٢١٦٨).

انظر الطعن فيه في «تفسير المنار» (٣/٢٩٢)، مجلة المنار (١٠/١٦٦)، و«أضواء على السنة» (١٤٧ ـ ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وطعن فيه أبو رية في «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٢٣ ـ ١٢٤).

(٤) رواه البخاري (٧/٣٣)، والدارمي نحوه (٢/٩٨ ـ ٩٩)، ونحوًا منه البيهقي في سننه. وابن خزيمة في «صحيحه» (١/٥٥ ـ ٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦، ٤٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» والطبراني في «الأوسط»، وابن الجارود في «المنتقى».

انظر مجلة المنار (١٩/٩٧ ـ ٩٩)، (٢٩/٤٨ ـ ٥١)، و«أضواء على السنة المحمدية ص(١٩٩ ـ ٢٠١)، و«السنة النبوية» للغزالي.

ولله درّ ليث الحديث أبو الأشبال الشيخ أحمد محمد شاكر إذ يقول في تحقيق «المسند» (١٢/١٢٥) ـ «الهامش»: «والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث، لما وقر في قلوبهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها، وعصمهم إيمانهم من أن يجرءوا على المقام الأسمى، فاستضعفوا أبا هريرة.

والحق أيضًا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ولكنهم =

١٠ ـ حديث: إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة[١] .

١١ ـ حديث تحاجت الجنة والنار[٢] .

*** الشيخ محمد حسين الذهبي والمدرسة العقلية الحديثة:**

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ عنها: «إنها أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلاّ مجرد الاستبعاد أو الاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة اللَّه وصلاحيتها لكل ممكن.

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحمّلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودًا عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهما أصحّ الكتب بعد كتاب اللَّه تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها»[٣] .

= لا يصرّحون! ثم اختطوا لأنفسهم خط عجيبة: أن يقدموها على كل شيء، وأن يؤولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربي، إذا ما خالف ما يسمونه «الحقائق العلمية» وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه! افتراءً على اللَّه، وحبًّا في التجديد».

(١) «رواه البخاري (٧/ ٢١٠)، (٤/ ٧٨ ـ ٧٩)، (٤/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، (٨/ ١٨٨)، ورواه مسلم (٢٦٤٣)، (٤/ ٢٠٣٦).

وانظر الطعن فيه في «السنة النبوية» للغزالي ص(١٤٥ ـ ١٤٦، ١٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٤٨)، (٨/ ١٨٦)، ومسلم (٢٨٤٦، ٢٨٤٧). والطعن فيه في «أضواء على السنة المحمدية» لعدو السنة أبي رية ص(١٩٨).

(٣) «التفسير والمفسرون» محمد حسين الذهبي (٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

□ وقال: «وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة في تفسيره للقرآن الكريم فإنا نجده يُغرق في هذه الحرية ويتوسّع فيها إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف في أفكاره والغلوّ في آرائه»[١].

وقال في موضع آخر ما خلاصته «الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة»[٢].

وقال عن موقفه من حديث: «**كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها**»، وقد رواه الشيخان قال الذهبي عن موقف محمد عبده: «فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء فقط»[٣].

وقال أيضًا: «وهذا المسلك الذي جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ومسلك الزمخشري وغيره من المعتزلة الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلاً للفرار من الحقائق التي يصرح بها القرآن ولا تعجز عنها قدرة اللَّه وإن بعدت عن منال البشر»[٤].

وقال: «ثم إن صاحب المنار لا يرى السحر إلا ضربًا من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة وهو يوافق بهذا القول قول

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٣٥).

(٢) «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي (٣/ ٢٤١).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤١).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٢٤٩).

شيخه وقول المعتزلة من قبله»[١] .

ولم يكن الشيخ الذهبي بالوحيد الذي ربط بين اتجاههم واتجاه المعتزلة بل حتى أنور الجندي الذي أشاد بهذه المدرسة وخدع بها قال: «وإذا كان جمال الدين الأفغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفة في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقًا إلى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الفلسفات الحديثة على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة فإن محمد عبده هو الذي عمق هذا الاتجاه حتى أطلق عليهما اسم «معتزلة العصر الحديث»[٢] .

أما الدكتور علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق فقالا عن المدرسة العقلية: «ونحن ـ على عكس كثير غيرنا ـ نحسن الظن بأصحاب هذه المدارس ولا نقبل أن نسميهم عملاء، وإن بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر»، «ولكننا وإن نفينا عنهم «العمالة» فلا نستطيع أن ننفي عنهم «السذاجة» أنهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويمكروا به فإذا به أشد مكرًا ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الإسلام وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب والتغيير الاجتماعي»[٣] .

وقالا: «وبهذه النية التي نحسن الظن بها ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الأديان فيها المسلمون والنصارى واليهود.. ولعله لم يدرك أن التقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية لا يمكن أن يكون إلا على حساب الإسلام.. لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف.. ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول الله ﷺ ذلك التقارب حين قالوا نعبد إلـهك يومًا وتعبد آلهتنا يومًا فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة ﴿قُلْ

---

(١) المرجع السابق (٣/٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٢) «اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار» لأنور الجندي ص(١٣٢).

(٣) «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» لعلي جريشة ومحمد الزيبق.

يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ السورة»[١] .

وقالا: ـ «وأما الذي نأخذه على الرجل العالم:

أولاً: اقتصاره من الإسلام على الإصلاح عن طريق التعليم فالإسلام ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية ومنهاج حياة، وليته في هذا الجانب استطاع أن يصلح.

ثانيًا: أن الرجل وهو في موضع القدوة للمسلمين مالأ «الكافرين» الذين غصبوا الديار وما بعد الديار!.. ولا ندري هل كان الإمام يحفظ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...**﴾ الآية وهل قرأ غيرها من الآيات في نفس المعنى أم أن له فيه تأويلاً كتأويله في الملائكة أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن أو في السحر أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) ليقول «بالرأي في كتاب اللَّه؟!» لقد مضى الرجل إلى ربه فنترك له حساب سره وعلانيته لكننا إزاء الظاهر.

وعمره الذي أفنى في محاولة إصلاح التعليم بلوغًا إلى مقاومة الاستعمار أو إلى النهوض بالإسلام لا نملك إلا أن نتلو قول اللَّه ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. ونترك من قبل ذلك ومن بعد ذلك حسابه على اللَّه لكننا نسوق ما نسوق ليعتبر أولو الأبصار.. ويتذكر أولوا الألباب فلا تتكرر الصورة مرة أخرى»[٢] .

---

(١) المرجع السابق ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) «أساليب الغزو الفكري» ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥).

أما الأستاذ غازي التوبة فعد من أخطاء محمد عبده دعوته للتقريب بين الأديان فقال: «قد أخطأ محمد عبده في دعوته إلى التأليف والتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام والمسلمين، وما ذلك إلا لأنه لم يلتزم حدّ الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطًا»[1].

واستعرض الأستاذ غازي جملة الأخطاء والانحرافات بعد أن قسمها إلى قسمين:

*** نتائج سياسية: وعدّ منها:**

١ ـ التعاون مع رياض باشا عميل الإنجليز.

٢ ـ التعاون مع المحتل الإنجليزي.

٣ ـ الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطتان سلطة الاحتلال وسلطة الخديوية إحداهما مغتصبة والأخرى شرعية تمثلت الأولى في الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانية في الخديوي عباس الثاني.

٤ ـ تبرير وجود المحتل.

٥ ـ تكوين مدرسة سياسية باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال في محمد عبده وتلاميذه مدرسة سياسية تحقق أغراضه وتنفذ مآربه فرعاها ونماها.

*** النتائج الفكرية:**

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضارة الغربية وأخذه منها في كل مجال وتقليده لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن ـ في الوقت نفسه بأن الهوة ستبقى قائمة بين الغرب والمسلمين من جهة ولا يؤمن الانتكاس من

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٢٣).

جهة ثانية طالما أن الإسلام باق على طبيعته وحقيقته لذلك فقد صبّ جهودًا كبيرة كي يحوّر ويحوّل الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية من ناحية وتناولها دون التحرج من ناحية أخرى، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التي تحقق له هدفه ذلك في التحويل والتحوير أو قل التي تبدأ له بالخطوة الأولى في ذاك التحويل والتحوير»(١) .

*** قول هام للدكتور محمد محمد حسين عن المدرسة العقلية الحديثة :**

والدكتور محمد محمد حسين غير مكثر في ميدان الكتابة لكنه رصين الأداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر إلى الأمور في عمق كما قال الأستاذ أنور الجندي(٢) ، وقد كان لدراسته العميقة في دعوة الأفغاني وتلاميذه نتيجة خطيرة توصل إليها حيث يقول: «الذي يبدو لي هو أن دعوة الأفغاني التي ربي محمد عبده في أحضانها كان لها ـ ككل الدعوات السرية ـ ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير. وهو يصور ما يريد صاحب الدعوة أن يعرفه جمهور المسلمين مما يعجبهم ويقع في قلوبهم موقع الارتياح والقبول، وباطنها يمثل حقيقتها التي يخفيها أصحابها عن الناس، ولا يكشفون الستر عنها قبل أن تحقق أهدافها بالوصول إلى مركز السلطة ومحمد عبده كان تابعًا لسيده الأفغاني أو خادمًا له كما تعود هو نفسه أن يكتب إليه في بعض رسائله والأفغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تتستر وراء التشيع»(٣) .

---

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٤٤ ـ ٦٥).

(٢) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٤).

(٣) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد حسين ص(٨٣).

وإذا اردت أن تعرف أي تخبط وقعت فيه المدرسة العقلية الحديثة فانظر إلى قول الشيخ محمد عبده حيث يقول: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا يُنظَر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخِذ بما دل عليه العقل وبقى في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه.

والثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل»[1] .

❑ وإذا أردت أن تعرض الطوام في عقيدتهم فانظر إلى عقيدتهم وتأويلهم الفاسد للملائكة وأصل الإنسان، والجن، وإنكارهم للمعجزات، قولهم في القضاء والقدر، وأمارات الساعة، والدجال والمهدي.

ولعل اللَّه يأذن في كتابة مجلد مستقل عن أخطاء المدرسة العقلية الحديثة وطوامها.

*** الدكتور التركي محمد توفيق صدقي دجّال من الدجاجلة:**

ينكر الدكتور توفيق صدقي حجية السنة ويعلن عنوان مقاله «الإسلام هو القرآن وحده» وينشر له الأستاذ محمد رشيد هذا المقال في عددين من مجلته المنار السابع والثاني عشر من السنة التاسعة.

ويزعم في مقاله أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه وأنه بينه وفصله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة وإلا كان الكتاب مفرطًا فيه ولما كان تبيانًا لكل شيء.

ويلحد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فيزعم أنه تكفل بحفظ القرآن وحده دون السنة، ولو كانت دليلاً

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده (٣/ ٢٨٢) جمع وتحقيق د. محمد عمارة.

وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها؟!.

*** أحمد أمين يدسّ السُّم بالعسل ويخلط الحق بالباطل:**

وجاء من بعده أحمد أمين صاحب كتب «فجر الإسلام، وضحاه، وظهره» تحدث في فجر الإسلام عن الحديث النبوي فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل كما يقول المرحوم مصطفى السباعي(١) .

زعم أن هناك أموراً كثيرة تضعف من حجية السنة منها أن الحديث لم يدون في عهد رسول اللَّه ﷺ وزعم أنه نشأ عن هذا كثرة الوضع والكذب على الرسول ﷺ ساعد على ذلك كثرة دخول الشعوب في الإسلام، وزعم أن علماء الحديث إنما اعتنوا بالسند ولم يعتنوا بنقد المتن عشر عنايتهم بالسند ثم شكك في حديث أبي هريرة ﷺ وفي حفظه؟!

وأنت قد لا تجد في كلامه نصًّا صريحًا واضحًا في إنكار حجية السنة فهو أدهى من أن يظهر هذا بل يرشد من يريد إنكار حجية السنة إلى السبيل لذلك فيقول للدكتور علي حسن عبدالقادر: «إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم صراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام، وضحى الإسلام» هذا ما قاله الدكتور علي حسن نفسه للمرحوم مصطفى السباعي(٢) .

*** إسماعيل أدهم يفتري على الأئمة:**

وقد نشر إسماعيل أدهم رسالة سنة ١٣٥٣هـ زعم فيها أن الأحاديث التي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٦).
(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٨).

فيها ويغلب عليها صفة الوضع، وثارت حول هذه الرسالة ضجة انتهت بمصادرتها ودافع أدهم عن نفسه بأن ما قاله قد وافقه عليه كبار أدباء وعلماء ذكر منهم أحمد أمين، ولم يكذب أحمد أمين ما قال هذا بل كتب ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه واعتبار ذلك محاربة لحرية الرأي، وحجر عثرة في سبيل البحوث العلمية[1] »[2].

☐ وكتاب الدكتور إسماعيل أدهم هذا هو «مصادر التاريخ الإسلامي».

ولقد كان هذا الرجل عضو في المجمع الشرقي لنشر الإلحاد ثم مات منتحراً.. ومزابل التاريخ تسع الكثير.

كان هذا المفتري على حفّاظ الحديث قد أرسل رسالة إلى مجلة الفتح الإسلامي نُشِرت في العدد ٤٩٤، يؤكد فيها أن ما ذهب إليه من الشك في صحة السنة لم ينفرد به، إنما هو بموافقة جماعة من كبار الأدباء، ذكر من بينهم الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية بعد ذلك، والذي لم يكن قد أفصح عن عدائه للسنة.

*** أحمد أمين وإنكاره للسنة وخيانة الأمة وأسفه على موت المعتزلة:**

في كتبه الثلاث فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام قبح وجرم وخيانة الأمانة العلمية وعدم التزام الدقة البحثية والاعتماد القصدي للنقول المكذوبة والتغاضي عن الصحيحة والموثوقة، الحد الذي وصفه الأستاذ أنور الجندي ببراعة التضليل، وقد حذا حذو المستشرقين وبعض زعماء الخوارج والمبتدعة في إنكارهم للسنة النبوية المطهرة، وينقل كذبًا عن الإمام أحمد أنه لم يصح من أحاديث التفسير شيء، وتشكيكًا في صحابة رسول اللّه

---

(١) المرجع السابق ص(٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٤٦).

ﷺ الذين نقلوا أحاديثه أو رووها أنهم ﷺ كانوا ينتقدون بعضهم بعضًا بعدم الثقة والتكذيب والريبة، ويطعن في أبي هريرة ﷺ ويدلس تدليسًا علميًّا لا يخفى على الحُذّاق.

يقول تابعه على الدرب زكي مبارك: «إن أحمد أمين لا يهمه أن يردّ الحقوق إلى أربابها، إلا في موطن واحد هو اعترافه بأنه استأنس بآراء المستشرقين ليُقال إنه يطَّلع على أقوالهم فخراً.». يقول أحمد أمين: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة»[1].

* الدكتور محمد حسين هيكل صاحب «حياة محمد» من الطاعنين في السنّة:

وهو ممن يستخدم سلاح القرآن ليطعن به السنة ويشكك في صحتها، وفي صدق الأحاديث التي انطوت عليها بصورة قطعية.

وهو يشكك في رصد الشبهات التي تشكك في رواة الحديث وفي صدق الأحاديث وفي ضوابط جمعها والقائمين عليها، ثم ما لبث أن أهال التراب على معجزات الرسول ﷺ بحجة أن القرآن لم يشر إليها فيقول:

«لقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة، لو أن أمة مسلمة آمنت اليوم بهذا الدين ولم تحتج إلى التصديق بمعجزة غير القرآن لما طعن ذلك في دينها ولا نقص من إسلامها».

◘ لقد تبع الدكتور هيكل وزير المعارف بغير إحسان المستشرقين فقال منكرًا معجزات النبي ﷺ غير القرآن: «إن الشهادة برسالة محمد لا تحتاج

---

(١) «ضحى الإسلام» لأحمد أمين (٣/ ٢٠٧).

إلى معجزة غير القرآن ولا تحتاج إلى أكثر من تلاوة الكتاب الذي أوحاه اللَّه إليه». وقد أنكر هذا الرجل معجزات النبي إلا القرآن وقال: «كتب السيرة تذكر أن طائفة من المسلمين قد ارتدّوا عن إسلامهم حينما ذكر لهم النبي، أنه أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

ويقول: «وندع الدين جانبًا (!!) ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة»[١].

وفي حديث شق الصدر الذي رواه البخاري ومسلم يقول هيكل: «لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكيْن ويرونها ضعيفة السند»[٢].

والصلة بين هيكل والمدرسة العقلية الحديثة عميقة الصلة.. يكفي أن تعلم أن «الشيخ مصطفى المراغي هو الذي كتب المقدمة لهذا المؤلّف مشيدًا بما جاء فيه ومعجبًا به ومؤيدًا له. ودافع عن المؤلف والكتاب السيد رشيد رضا في مجلته المنار وجاء في دفاعه «أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة اللَّه القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات.. وإن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل»[٣].

والمؤلف ـ هيكل ـ نفسه كثيراً ما يستشهد فيما يذهب إليه بأقوال محمد

---

(١) «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل ص(٣٤).

(٢) «حياة محمد» ص(١١١ ـ ١١٢).

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٤ الجزء العاشر ص(٧٩٣) ـ عدد ٣ مايو ١٩٣٥م.

عبده نفسه ويشيد به[١] .

□ ويقول عن الشيخ محمد عبده ودعوته «وكانت دعوته موضع إعجابي[٢] »[٣] .

*** زكي مبارك:**

نشر في مقال له بالعدد الممتاز من مجلة الرسالة «كان محمد إنسانًا بشهادة القرآن» ويعلن انضمامه إلى منكري السنة النبوية فيكمل النص بشيء من التعريض الذي هو سمة من سماتهم جميعًا في قلة الأدب والحياء في خطابهم مع النبي الكريم ﷺ فيقول: «**وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق!!**».

*** عدوّ السنة وعدوّ أبي هريرة محمود أبو رية يتصدى لظلماته العالمان الجليلان: محمد عبدالرزاق حمزة وعبدالرحمن المعلمي اليماني:**

لقد كان هذا الهالك سبّاقًا في جرأته على النبي الكريم بما لم يتجرأ به أحد، نشر مقالاته في مجلة الرسالة منذ إبرايل ١٩٥١م، ونُشرت أبحاثه تحت عنوان «في الحديث النبوي» ثم جُمعت في كتاب «أضواء على السنة المحمدية» وردّ عليه الشيخ محمد عبدالرزّاق حمزة في كتاب «ظلمات أبي ريّة أمام أضواء السنّة المحمدية».

ثم ردّ عليه الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار

---

(١) انظر الصفحات (٣٤، ٧٠، ١٨١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٧٣).

(٢) «حياة محمد» ص(٧٠).

(٣) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٧٧ ـ ٧٧٩) للدكتور فهد الرومي ـ مؤسسة الرسالة.

الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة»، ثم سوّد كتابًا آخر فيه من الفحش والفسق والفجور والطعن على أبي هريرة ﷺ ما يعفّ اللسان عن نطقه ويأبى القلم أن يخطّه على الورق، يتهم فيه أبا هريرة بالكذب، هذا الدجال عدو أبي هريرة لما مات اسوّد وجهه وجعل يقول: «ما لي ولأبي هريرة».

هذا الذي ما أقرّ بعدالة الصحابة ولم يُسَلِّم بهذا. وقال طاعنًا في حفّاظ الحديث وحملة سنّة النبي ﷺ ساخرًا منهم:

«ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة ـ ومبلغ علمهم أنهم قرءوا بعض كتب الحديث واستظهروا عددًا مما فيها، يجترّونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروّجوا به ما فشى بين الناس من الترّهات والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم.

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عند أحفظهم على عشرات من الأحاديث، وأن كتابًا من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغني عنهم جميعًا! لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا في جحورهم، ولأراحوا الناس من نقيقهم.

ورحم اللَّه أستاذنا الإمام محمد عبده ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال في رجل وصفوه بأنه قد جدّ واجتهد حتى بلغ ما لم يبلغه أحد، فحفظ متن البخاري كله ـ «لقد زادت نسخة في البلد». حقًّا واللَّه ما قاله الإمام، أي أن قيمة هذا الرجل ـ الذي أعجب الناس جميعًا به لأنه حفظ البخاري ـ لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخاري لا تتحرك ولا تعي»[١] .

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٢٩).

* ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾:

وصدق أبو حاتم الرازي لما قال: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[١].

☐ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم واستخفافهم»[٢].

☐ وقال ابن أبي داود في قصيدته الشهيرة:

ولا تك من قوم تلَهّوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدحُ

☐ ورحم اللَّه الفضيل لما قال: «الملائكة حرّاس السماء، وأهل الحديث حراس الأرض».

☐ وللَّه درّ من قال: «من لم يقرّ بأن أهل الحديث هم أنصار هذا الدين فإنه يُعدّ في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون للَّه بدين.

☐ وقال السفاريني: «ولسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث فإنّ مناقبهم شهيرة ومآثرهم كثيرة وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص، ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص»[٣].

☐ لقد قال الدجال أبو رية عن أبي هريرة أن كبار الصحابة جرّحوه وشكّوا في روايته لأجل إكثاره من الحديث واتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلي[٤].

---

(١) «السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).
(٢) «عقيدة السلف» للصابوني ص(١٠١).
(٣) «لوائح الأنوار» للسفاريني (٢/ ٣٥٥).
(٤) «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٥٤ ـ ١٥٥).

◻ وقال إن عمر ضربه بالدرّة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقنّه بأرض دوس أو بأرض القردة، ولذا لم يحدّث إلا بعد قتل عمر[١].

◻ ويقول عن أبي هريرة أيضًا أنه كان كثير النسيان لضعف ذاكرته، فاختلق قصته ليسوغ بها كثرة أحاديثه، ويثبت صحة ما يرويه في أذهان السامعين[٢] »، وأنه «لم يكن له علم ولا فقه ولا رأي ولا نصيحة، ولذا لم يجعله عمر في أهل شورته»[٣]، وأنه «كان من عامة الصحابة، ولم يكن بينهم في العير ولا في النفير[٤]. ولم يُذكر في طبقة من طبقاتهم، ولم يرد في فضله حديث»[٥] وأنه «كانت به غفلة وغرّة وسذاجة. ولذا استغله أعداء الإسلام في بث الخرافات والأوهام في الدين الإسلامي»[٦].

◻ أما زعمه بأن أبا هريرة غير فقيه، فلا يُؤخذ بما رواه مخالفًا للقياس فهو زعم واه ضعيف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفي حكايته غنى عن تكلف الردّ عليه»[٧].

◻ وقد كان أبو هريرة ﷺ ممن يُرجع إليه في الفتوى.

روى مالك بسنده إلى معاوية بن أبي عيّاش الأنصاري، أنه كان جالسًا مع عبداللّه بن الزبير، وعاصم بن عمر بن الخطاب. قال: فجاءهما محمد بن إياس بن البكير. فقال: «إن رجلاً من أهل البداية طلّق امرأته ثلاثًا قبل أن

---

(١) المرجع السابق ص(١٦٣، ١٩٧).
(٢) المرجع نفسه ص(١٧٧).
(٣) المرجع السابق ص(٢٠٣) الهامش.
(٤) المرجع نفسه ض(١٥٢).
(٥) المرجع نفسه ص(١٨٤ ـ ١٨٥).
(٦) المرجع نفسه ص(١٧٢ ـ ١٧٣).
(٧) «فتح الباري» (٤/ ٣٦٤).

يدخل بها. فماذا تريان؟ فقال عبدالله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول، فاذهب إلى عبدالله بن عباس، وأبي هريرة، فإني تركتهما عند عائشة، فسَلْهما. ثم ائتنا فأخبرنا، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها، والثلاثة تحرِّمها حتى تنكح زوجًا غيره، وقال ابن عباس مثل ذلك رضي الله عنهم»[1] .

▫ فقد دفع ابن عباس رضي الله عنهما الفتوى إلى أبي هريرة لما كان يعلمه عنه من فقهه وسعة علمه، ولذا قال الذهبي: «احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدّب معه، ويقول: افت يا أبا هريرة»[2] .

▫ وقد ذكره ابن سعد في النفر من الصحابة رضي الله عنهم الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة وهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة وجابر رضي الله عنهم[3] .

▫ كما ذكره ابن حزم في المتوسطين من الصحابة رضي الله عنهم ممن رُوي عنهم الفُتيا[4] . وذكر ذلك أيضًا ابن القيم[5] »[6] .

▫ يقول الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي في كتابه القيم «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩):

---

(١) إسناده صحيح: رواه مالك في «الموطأ» ـ كتاب الطلاق ـ باب طلاق البكر (٢/ ٥٧١).
وذكره الذهبي في «السير» (٢/ ٦٠٧)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٠٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٧٢).

(٤) «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ٩٢).

(٥) «أعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ١٣).

(٦) «موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية» للأمين الصادق الأمين ص(٣٧٩) ـ مكتبة الرشد.

«وفي عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م ظهر كتاب جديد وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوب الذي نهجه صاحبه وما رأيت مثله؟! رجل يحمل معول هدم السنة ينكر أحاديثها ويلقي أفظع السباب والشتائم على ناقلها الأول أبي هريرة رضي الله عنه ثم يزعم بعد هذا أنه يدافع عن الحديث؟!

أما المؤلف فمحمود أبو ريّة، وأما الكتاب فـ «أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث»؟.

ومن التوافق العجيب أن الذي قدم لهذا الكتاب الذي أنكر حجية السنة هو الذي أنكر صدق قصص القرآن وأنكر حجيته فيما يخبر به ـ كما مر بنا ـ وأعني به طه حسين.

أنكر محمود أبو رية حجية السنة، وإذا ما قال له قائل كيف تنكر حجية السنة وأنت تستدل على ما ذهبت إليه بأحاديث منها؟ أجاب «أن الأحاديث التي أوردها في سياق كلامي للاستدلال بها على ما أريد في كتابي إنما أسوقها لكي نقنع من لا يقنع إلا بها على اعتبار أنها عنده من المسلمات التي يصدقها ولا يماري فيها «ويشبه أسلوبه هذا باحتجاج» المسلم على النصراني بما في الإنجيل وهو في نفسه غير مؤمن بما يحتج به أو عكس ذلك[1] ؟!

وحتى ندرك أيضًا الصلة التي تربطه برجال المدرسة العقلية الحديثة وتأثره بهم فيما ذهب إليه نقول إنه كثيرًا ما يسوق نصوصهم ويستشهد بها في التقليل من شأن حجية السنة أو التجريح بصحابي جليل، وحينما عاب عليه طه حسين كثرة نقله عن رشيد رضا أجاب بأنه لم يصنع ذلك «عفوًا أو فقرًا من الأدلة»[2] ، وإنما كان يقصد من ذلك أمورًا مهمة، «منها أن هذا السيد

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(٣٤ ـ ٣٥).

يعتبر في هذا العصر من كبار أئمة الفقهاء المجتهدين عند أهل السنة الذين يعتد برأيهم. إلخ»[١] «وأنه بلا منازع شيخ محدثي أهل السنة في عصرنا بحيث يعلم من أمر الأحاديث التي حملتها الكتب المشهورة لدى الجمهور ويدرك ما أعتراها من فعل الرواة وغير ذلك مما يتصل بكتابي ما لم يعلم مثله سواه»[١] «على أنه فوق ذلك ورث علم الأستاذ الإمام محمد عبده وناهيك به علمًا وفضلاً بحيث لا يختلف اثنان في أنه من كبار أئمة الدين المجتهدين فما يقوله السيد رشيد إنما أعتبره كأنه صادر عن أستاذه الإمام، وذلك فيما أرى أنه من منهج الأستاذ الإمام وأسلوبه في النظر إلى الدين»[٢] ، وفوق هذا وذاك فهو يكتب عن السيد رشيد بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته ويسميه «شيخنا» ويردد هذه العبارة[٣] .

إذن فهو يستند فيما ذهب إليه إلى أقوال أئمة رجال المدرسة العقلية الحديثة الأستاذ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد، ويحسب قوله بعد هذا فوق الشبهات!!» اهـ.

* أخي:

هل تتخيل أن عدو السنة أبا ريّة يقول عن الإمام أبي هريرة: «إنه شخصية وهمية لم يقف أحد على اسمه، فكان حريًا عدم الثقة في شخصه والتشكيك في كل ما يُروى على لسانه»[٤] .

وقال عنه أنه: «نقل من الأحاديث أكثر مما يطيق عقل بشر».

---

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٤ ـ ٣٥).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

(٣) «مجلة الرسالة أغسطس ١٩٤٠م مقال: «السيد رشيد رضا» بقلم محمود أبو رية ص(١٣٥٥).

(٤) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ص(٣٢).

ويأبى الدكتور طه حبيش إلا أن يكشف لنا النقاب ويفكّ اللغز المحيّر في سبب هذا الكمّ من حقد أبي رية الجاحد على أبي هريرة ﷺ، إذا اشتهر عن محمود أبو ريّة فشله في الدراسة الأولية بالأزهر الشريف، وتردده الدائم على بعض الأديرة والكنائس، والتقائه فيها بمن أوهمه بأنه سوف يكون رجلاً ذا شأن إذا ما سلك هذا الطريق الوعر»[١] .

◻ يقول الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد في مقدمته لكتاب «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» ص(٥) عن أبي رية: «وكتابه «أضواء على السنة المحمدية» صادف رغبة أعداء الإسلام حتى اشترت إحدى السفارات الأجنبية في القاهرة أكثر نسخه، وأرسلتها إلى مكتبات الجامعات الغربية لتكون بين يدي الحاقدين على الإسلام ورسوله وصحابته وليستندوا إليها فيما أورده من أكاذيب وأباطيل»[٢] .

*** الكذّاب الأشِر المدعو «السيد صالح أبو بكر» وجنونه العجيب!!**

«كأن خداع العناوين مرض انتقل من أبي رية في زعمه الدفاع عن الحديث النبوي في عنوان كتابه إلى المدعو «السيد صالح أبو بكر» فنشر كتابًا زعم أنه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» زعم فيه أن من أهدافه «تقديم حصيلة الفحص الدقيق للأحاديث المعارضة للقرآن، والمنافية لما يليق بالله وبرسوله والتي جمعناها من صحيح البخاري باعتباره عمدة المراجع في هذا المجال وعددها مائة وعشرون حديثًا والتعقيب القرآني على كل منها بما يثبت أنها دخيلة على كلام النبي ﷺ»[٣] .

(١) المصدر السابق ص(٣٣).
(٢) نقلاً عن «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(٤٦٧).

وعدّ من أهدافه «القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم»[١]، ومنها «إدراك العواقب المترتبة على ترك الأحاديث المخالفة للقرآن الكريم دون تجريح وإظهار لعيوبها»، و«إثبات أن دين اللّه هو القرآن بداية ونهاية»، وقال أخيرًا: «كتابنا هذا يستند إلى كتاب اللّه نصًّا ومعنى»[٢].

والحق أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الأهداف والحق أيضًا أن هذا الرجل بعيد كل البعد عن المنهج الذي زعم بل عماد نقله وأسّه محمود أبو ريه السالف ذكره فهو كثيرًا ما ينقل عنه بل نستطيع القول أن الجزء الأول منه خلاصة لكتاب أبي رية، ثم أراد المؤلف منافسة أبي رية على مناهله الأولى فنقل أيضًا عن محمد عبده وعن رشيد رضا وغيرهم من مدرسة المنار.

بل إن بدء هجومه على أبي هريرة ﷺ يصدره برأي مدرسة المنار فيضع عنوانًا «أبو هريرة ورأي علماء الحديث فيه ممثلاً في مدرسة المنار»[٣].

وقد خصص المؤلف الصفحات من ٥٨ إلى ٦٣ للتشكيك في أبي هريرة ﷺ وفي روايته.

وإن شئت مثالاً من الأحاديث المائة والعشرين التي كذبها المؤلف من صحيح البخاري وأسلوبه في التكذيب، حتى تدرك بعد منهجه عن عنوان الكتاب «الأضواء القرآنية» وعن أهدافه التي زعمها فإليك واحدًا منها.

● ففي حديث ابن عمر ﷺ «قام رسول اللّه ﷺ في الناس فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: **«إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه:**

---

(١) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» للسيد صالح أبو بكر ص(٣ ـ ٦).

(٢) المصدر السابق ص(٣ ـ ٦).

(٣) المصدر السابق ص(٥٨).

تعلمون أنه أعور، وأن اللَّه ليس بأعور» رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾.

◻ أتدرون ماذا قال المؤلف بعد أن نقله نقلاً غير ملتزم بألفاظه كما هو شأن علماء الحديث الصالحين أتحسبون الرجل استند إلى ضوء آية قرآنية واحدة في رد الحديث فضلاً عن التزام «الأضواء القرآنية»!! لا لا ليس الأمر كما تحسبون. بل قال: «ودلائل الزيف في هذا الحديث وغيره من أحاديث الدجال كلها نقول فيها ما يلي:

أولاً: إن المسيخ الدجال هو كل مبدل وكل ماسخ لجمال الحق.. وأن هذا المسيخ ليس رجلاً واحدًا فقط، ولكنهم كثيرون وهم عور وغير عور يعيشون معنا وأناس منا وكانوا مع من قبلنا وسيكونون مع من بعدنا وفي كل زمان ومكان.. وليسوا مسيخًا واحدًا كما يقول الحديث.

ثانيًا: إذا كان المسيخ سيظهر في آخر الزمان فقط.. فمن هو المسيخ الدجال الذي كان سببًا في ظهور الفساد والفتن في عهود الخلفاء وزمن التابعين بل زماننا هذا.

ثالثًا: إذا كان المسيخ الدجال رجلاً واحدًا ولا يأتي إلا في آخر الزمان فمن أي مسيخ كان يتعوذ النبي ﷺ هو وأصحابه والتابعون.. ومن أي مسيخ نتعوذ نحن الآن في نهاية كل صلاة كما علمنا النبي ﷺ ؟؟

رابعًا: .. بأي عقل نصدق أن يعطيه اللَّه كل هذه الأسباب ثم يأمرنا بمحاربته أو يلوم أتباعه وقد أعطاه من وسائل الإغراء والإقناع للناس ما لا يعطي الأنبياء والمرسلين.

---

(١) «الأضواء القرآنية» ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديث في التفسير» ص(٧٤٩ ـ ٧٥٢).

خامساً: في هذا الحديث أن النبي ﷺ يقول إن المسيخ الدجال رجل أعور وإن ربكم ليس بأعور فكيف يعقل أن تجري هذه الألفاظ على لسان النبي ﷺ وأن تكون ألفاظه قد وصلت إلى هذا النقص في التعبير عن ذات اللَّه وأن يتكلم عن خالقه بتلك الصورة المزرية الركيكة.

سادساً: كيف أنذر نوح قومه من المسيخ الدجال كما يقول الحديث مع أن الأحاديث التي وردت فيه تقول كلها أن المسيخ سيأتي في آخر الأمان»[1].

«وليس هدفنا هنا أن نرد على شبهه ونبطلها فليس هذا موضعه وإنما أردنا أن ظهر أسلوبه في النقد وأن أدلته تلك ليست أضواءً قرآنية كما زعم، ولم يستند فيها إلى أية آية قرآنية بل كلها شبه من فكره ومن مفهومه الضال الذي لم يستند إلى كتاب ولا إلى سنة أيضًا.

وليس هذا الأمر في هذا الحديث فحسب، بل هو في كل الأحاديث التي أوردها لم يستدل فيها بآية قرآنية إلا آية تُعرض عرضًا في حديثه وليس فيها من معارضة الحديث شيء.

إذن فلا عجب إذا ما أكثر النقل عن محمود أبو ريّة وعضّ على أقواله بنواجذه ولا عجب أيضًا إذا ما استند إلى أقوال محمد عبده ورشيد رضا بل إلى مدرسة المنار» اهـ.

* * *

*** «الردّ القويم على المجرم الأثيم» لفضيلة الشيخ حمّود التويجري:**

لقد ردّ الشيخ حمود التويجري على السيد صالح أبي بكر في كتابه «الرد القويم على المجرم الأثيم» في جزءين فأفحمه.. قال الشيخ: «فقد رأيت كتابًا لبعض أهل الزيغ والفساد والإلحاد من العصريين تهجّم فيه على بعض الصحابة والتابعين وعلى مائة وعشرين حديثًا في صحيح البخاري الذي هو أصحّ الكتب بعد القرآن، وزعم أنها أحاديث إسرائيلية وأنه يكتسحها بالأضواء القرآنية ويطهر البخاري منها. وتهجّم أيضًا على غير ذلك من الأحاديث الصحيحة وقابلها بالردّ والإنكار.

وقد سمّى المؤلف نفسه بالسيد صالح أبي بكر، وليس بسيد ولا صالح ولا كرامة ولا نعمة عين، لما رواه أبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد عن أبي بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**» ورواه الحاكم في مستدركه والبيهقي بنحوه وصححه الحاكم.

وفي تهجمه على بعض الصحابة والتابعين وعلى الأحاديث الصحيحة أوضح دليل على زيغه وفساد عقيدته وأنه ليس بصالح في الحقيقة.

وقد سمى الملحد كتابه «الأضواء القرآنية، في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها».. وكلام الملحد كله شبهات وحمل لكتاب الله على غير محامله، فهو في الحقيقة ظلمات بعضها فوق بعض كما سأبيّنه إن شاء الله تعالى.

ومن تأمّل كتابه لم يشك أنه محارب للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وإن أظهر ذلك في قالب الإصلاح فهو بلا شك ممن يسعى في الأرض فساداً وإن كان يزعم أنه مصلح. وقد قال الله تعالى مخبراً عن سلف هذا الملحد: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي**

الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ وهذه الآية الكريمة مطابقة لحال الملحد غاية المطابقة، طهر اللَّه الأرض منه ومن امثاله من المفسدين في الأرض إنه سميع مجيب. وقد رأيت من الواجب الردّ على أباطيل هذا الزائغ المفتري على اللَّه وعلى رسوله ﷺ وتطهير الأحاديث في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة من تلطيخ هذا الظالم المعتدي»[1] .

◘ قال الشيخ التويجري «وقد قال المؤلف[2] في صفحة (٤) ما نصّه:

سابعًا: الاستكشاف الفعلي لانحراف عقائد من سبقونا من أمم الدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوي بخروج بشريتهم أو بشرية شيوخهم على سنن اللَّه في خلقه ادعاءً للكرامات المصطنعة وزعمًا للمعجزات الخيالية التي ملأت المدونات الصفراء وليس لهم فيها من سند ولا أصل إلا أحاديث الخيال المفتراة على رسول اللَّه ﷺ تلك التي استقرت في كتب الأحاديث المعتمدة لدى المسلمين بحسن القصد من الناشرين والمستطلعين.

والجواب: أن يُقال هذه الجملة في أول كتاب المؤلف الجاهل كافية في بيان عداوته للرسول ﷺ وللسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: زعمه أن معجزات النبي ﷺ خيالية وأن كراماته وكرامات غيره من أنبياء اللَّه وأوليائه مصطنعة. وهذا قول أعداء اللَّه من الإفرنج

---

(١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري ص(١، ٢) ـ مكتبة دار العليان الحديثة.

(٢) يعني السيد صالح أبو بكر.

وغيرهم من أمم الكفر والضلال. وقد تلقاه هذا الجاهل وأشباهه من زنادقة العصريين بالقبول والرضا. وهذا القدر كاف في الحكم بردّة المؤلف وخروجه من الإسلام.

وقد أجمع العلماء على تكفير من عبث في جهة النبي ﷺ بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور. وأجمعوا على تكفير من استخفّ بالرسول ﷺ أو استهزأ به أو بشيء من أفعاله، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه. ذكر ذلك القاضي عياض - وابن حجر الهيتمي وكلام المؤلف ههنا داخل فيما أجمع العلماء على تكفير قائله.

الوجه الثاني: زعمه انحراف عقائد الذين يؤمنون بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أنبياء اللَّه وأوليائه. وهذا يتضمن القدح في جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ولا يقدح فيهم إلا مَن هو متبع لغير سبيلهم وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

وقد قال في الإقناع في ذكر ما يصير به المسلم كافرًا: «أو قال قولاً يتوصّل به إلى تضليل الأمة أي أمة الإجابة فهو كافر؛ لأنه مكذب للإجماع على أنها لا تجتمع على ضلاله» انتهى.

ولا يخفى ما في كلام المؤلف من تضليل الأمة على إيمانهم بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أولياء اللَّه تعالى فيكون بهذا كافراً حلال الدم والمال.

الوجه الثالث: تسميته علماء السلف وأئمة الخلف بالدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوي وزعمه أنهم قد خرجوا ببشريتهم على سنن اللَّه في خلقه، وهذه الأوصاف أولى به وبأشباهه من زنادقة العصريين

وملاحدتهم.

الوجه الرابع: تسميته كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين بالمدونات الصفراء تحقيراً لها وتصغيراً لشأنها وزعمه أن الأحاديث الواردة فيها في المعجزات والكرامات أحاديث مفتراة على رسول اللَّه ﷺ وهذا من أعظم المحادة للَّه ورسوله ﷺ والمخالفة لما عليه المسلمون من الاعتناء بكتب الحديث والتعظيم لشأنها والإيمان بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرامات واعتقاد أن ذلك حق وصدق.

الوجه الخامس: رميه المسلمين بالغباوة والتغفيل من أجل اعتمادهم على كتب الحديث وإيمانهم بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرامات، والواقع في الحقيقة أن المؤلف هو الغبيّ المغفل الذي انقاد للشيطان فأغواه وتلاعب به حتى انسلخ من الدين وهو لا يشعر وصار حربًا للَّه ولرسوله ﷺ وللأحاديث الصحيحة والمحدثين وسائر المؤمنين وقال اللَّه تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾»[1].

*** الدكتور أحمد زكي أبو شادي وإنكار السنّة:**

رئيس تحرير مجلة العرب الكويتية سابقًا.. تلقّى تعليمه في الغرب وله كتاب «ثورة الإسلام» يقول فيه ص(٥٧): «إن القرآن الشريف والأحاديث النبوية إنما هي مجموعة مبادئ خُلُقية وسلوكية، أحكامها عُرضة للتبدّل بتبدّل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام ثابتة ترفض التعديل وفقًا لتبدّل الأسباب والظروف».

---

(١) «الرد القويم» ص(٤٩ _ ٥١).

وهكذا لم ينف أبو شادي قدسية السنّة النبوية وحسب، إنما جمع معها القرآن الشريف حسب وصفه، بوصفها مبادئ خلُقية، خلع عنها الثبات، وأخضعها لإمكانية التعديل والتبديل وإعادة الصياغة وفقًا للأسباب والظروف. وكان أبو شادي قبل صفحات من كتابه الذي ننقل منه ـ قد حسم القضية ص(٢٥، ٤٤) وحدّد موقفه من السنّة النبوية، فقال كما قال قرناؤه المتغرّبون:

«إن سنن البخاري وابن ماجه وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل[1]، ولا نرضى بنسبتها إلى الرسول وأغلبها يدعو إلى السخرية من الإسلام والمسلمين والنبي الأعظم».

وقال أيضًا: «وأما التغنّي بأبي داود ومسلم والنسائي وترديد الأحاديث الملفّقه التي لا تنسجم مع تعاليم القرآن فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة».

ويتهم هذا الرجل أبا هريرة وأنس بن مالك وعبدالله بن عباس بالغفلة وانتحال الأحاديث في صفحة ١٧٤ من كتابه، ويشترك في حركة البرلمان العالمي للديانات للجمع بين الإسلام واليهودية والمسيحية والبوذية.

«بلغ الحال إلى إنكار أبواب كاملة في الفقه؛ لأنها تضمّنت أحاديث نبوية تعارضت مع مبادئه العقلية وأخلاقه الوضعية، ولم تتطوّر وفقًا لهذه المبادئ والأخلاق»[2].

* توفيق الحكيم أستاذ المتمرّدين على السنّة ورد الدكتور عبدالعظيم المطعني عليه:

«وسط زخم كثير من الطعنات الموجّهة إلى علوم المسلمين وعلمائهم ودعاتهم في ظهورهم وبطونهم وحلوقهم، كتب توفيق الحكيم في صحيفة

(١، ٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(٣٨) لأبي إسلام أحمد عبدالله.

«الأهرام» أول عام ١٩٨٣م، سلسلة من المقالات تحت عنوان متبجح، اضطربت معه الصحيفة الكبيرة التي طالما فتحت صفحاتها للضالين والمنافقين والملاحدة والشعوبيين، فجاء العنوان «حوار مع اللَّه» حينًا، و«حديث مع اللَّه» حينًا آخر، و«حديث إلى اللَّه» حينًا ثالثًا في محاولة غير كريمة وغير لائقة لامتصاص السخط الذي استقبلت به هذه السلسلة مع إصرار شديد من القائمين عليها على مواصلة عرضها ونشرها على المسلمين دون اعتبار لمشاعرهم، إلى أن انتهى العنوان إلى «حديث مع نفسي» فيعلق د. عبدالعظيم المطعني الذي ندعو اللَّه له بالحفظ والرعاية والسلامة ودوام العطاء والجهاد ضد أعداء الإسلام قائلاً:

«الحكيم واحد من العقلانيين الذين انحرفوا بعقولهم وفكرهم، فقضوا على أنفسهم وعلى عقولهم وأفكارهم بالانتحار المريع، بيد أن الحكيم قد فاق أسلافه في هذا المجال، إذ لم نر واحدًا منهم يزعم أنه قال للَّه أو قال اللَّه له، فهذه أضحوكة انفرد بها من بين المنتحرين عقليًا وفكريًّا إلى الأبد، ما لم يجد الزمان بحكيم مثله، يزعم ما زعم ويهزي بمثل ما هزي، فقد كانت كتابته هذه هي آخر ما يتصوره العقل من مزالق محفوفة بالمخاطر، عن إنسان يحترم عقله وفكره، إلاَّ إذا أفلت عقله من كل المقاييس (والتعبير للدكتور المطعني) ولا مناص أن يؤدي الحكيم دوره، ويشارك في زفة إنكار السنّة، في حواره الكاذب مع جلال اللَّه فيقول نصًّا:

«على رجال الدين أن يُفهموا المسلمين أن صلاح الإسلام ليس في التجمّد في زمن واحد مضى، بل مع الحركة المتقدمة مع تنقية ما يُفسد ويتعثّر بالحركة الطائشة».

والزمن الواحد الذي مضى ويقصده الحكيم غير الحكيم، هو تلك النصوص التي حدّدت للمسلم كل دقائق حياته، في نظام بديع يخضع له

الزمان والمكان، ولا يخضع هو لهما؛ لأنه ما جاء من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى، إذا ضاقت به نفوس؛ فلأنها عليلة، وإذا رفضته عقول فلأنها ضالة يعزّ عليهم الاعتراف بضلالها، فيرمون أهل الهدى بما فيهم، وهو ما فعله الحكيم ونطق به قبل ذلك بسنوات خمس في مقال نُشر له في «الأهرام» أيضًا، متهمًا فيه أحكام الشريعة الإسلامية المتمثلة في سنّة المصطفى ﷺ، إذْ ما كان له أن يجرؤ ومسّ كتاب اللَّه في هذه الفترة الزمنية، مطالبًا بالخروج بها من جمودها وإفساح الطريق إلى أن نطوّرها ونجددها، لتتناسب مع روح العصر ومواكبة المفتونين بالمادة والعلمانية، وتُستباح لهم السنّة النبوية فيُضيفون ويحذفون ويعدّلون ما يلبي حاجاتهم وشهواتهم وأوامر أسيادهم.

ولأن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم يقول د. المطعني:

«وبهذه النزعة «العقلانية» نصب الحكيم نفسه أستاذًا في مدرسة المتمردين على الشريعة، قصد أم لم يقصد، فالعبرة بالعمل لا بالقصد والنية، ولتلامذته حيل غريبة في ذلك، ففريق ينكر العمل بحديث الخبر الواحد ما لم يكن متواترًا، وبعضهم ينكر صحة العمل بالأحاديث كلها صحيحها وحسنها وخبر الواحد منها، ويقول آخرون: إن الأحاديث لا تفيد العلم اليقيني وإنما تفيد الظن، والظن يبطل الاستدلال، ولا تفسير لكلام الحكيم على ضوء ذلك إلا بإجراء هذه العمليات الجراحية، التي يريدون أن يدخلوها على ثوابت الإسلام ونظمه»[1] اهـ.

* * *

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

*** الشيخ محمد فريد منكر المعجزات.. يردّ بعض الأحاديث فيلقمه شيخ الإسلام مصطفى صبري الحجر:**

الشيخ محمد فريد وجدي واحد من رموز المدرسة العقلية الحديثة، وهو «أحد كتاب مجلة المنار، وصاحب المقامات الصوفية، وتلميذ علي عبدالجليل راضي، رائد المذهب الروحي في العصر الحديث، يرفع لواء استحالة وقوع معجزات النبي عقلاً، مؤكدًا أن كل ما جاء عنها في السنة غير مقبول أو موثوق به على الإطلاق، برغم أن الأستاذ وجدي عاش حياته وأنهاها بما لا يخفى على كثير من القرّاء والمثقفين، مدّعيًا لنفسه ممارسة المعجزات، حيث كان واحدًا من أكبر رموز العاملين في الجمعيات الروحية التي تتعامل مع الجن والعفاريت، والاعتقاد بالجلاء البصري والجلاء السمعي الذي يسمح لمن يمارسه أن يبصرنا في أماكننا، ويبصر اجتماع الكونجرس الأمريكي، ويسمع كل ما يدور بداخله وهو في قلب القاهرة.

نقول: برغم هذا كله فحتى الآيات القرآنية التي أنبأت ببعض معجزات الأنبياء، اعتبرها فريد وجدي جميعًا من المتشابهات التي لا تُفهم معانيها، وكتب في مجلة الأزهر (ج٥/ م٨) «إن الإيمان بالغيب الذي هو أول صفة وصف اللَّه بها عباده المفلحين، يقابل الإيمان بالواقع» ليحطّ بهذه المقابلة من منزلة الإيمان الغيب.

❑ وعلى صفحات الأهرام يقول في مناظرته مع شيخ الإسلام مصطفى صبري ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد وُلِد العلم الحديث وما زال يُجادل القوى التي تقف أمامه حتى تغلّب عليها، فنظر نظرة في الأديان، فقذف بها جملة إلى عالم الأساطير وجعل منها (الأديان وكتبها) مجموعة كتب تُقرأ لا تُقدس، ليعرف الباحثين منها، الصور الذهنية، لا أن يُتعبّد بها ويُستعبَد لها».

❑ ويُعلِّق على ذلك الشيخ مصطفى صبري ـ رحمه اللَّه ـ آخر من تولّى منصب شيخ الإسلام قبل سقوط الخلافة عام ١٩٢٤ قائلاً: «إن إنكار المعجزات النبوية يتضمن إنكار النبوة فتشتد الحماقة وتتضاعف فيمن يؤمن بالأنبياء وينكر معجزاتهم ويصوّرونهم كأنهم لا يمتازون عن الناس إلا بما يمتاز به العظماء».

ثم يشير شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه، إلى جريمة الصحافة المصرية التي فتحت الباب أمام هؤلاء المتشككين في النبوة والمنكرين للسنة فيقول: «تفكّروا في كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد بمن يقول بهذا، ثم تفكروا في إنكار الأستاذ فريد وجدي لمعجزات النبي جهارًا نهارًا على صفحات الأهرام أثناء مناقشته إياي، تلك المناقشة التي استمرت أيامًا، ثم تعيينه بعد انتهائها مديرًا ورئيسًا لتحرير مجلة الأزهر المسمّاه يومئذ «نور الإسلام».

ونجح فريد وجدي حقيقة، أن يجعل من نور الإسلام منبرًا خاصًّا لأفكاره الشاذة نحو النبي الأمين وسيرته العطرة ومعجزاته القرآنية والمتواترة بالحديث، بمباركة شديدة من فضيلة الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر حينذاك، فانبرى يترجم أفكارهم الشاذة حول نبي الإسلام وحول النبوة ومعجزاتها في سلسلة مقالات بعنوان «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة» فيقول في (ج٧/ م١١):

❑ «تمتاز العصور النبوية بالخوارق للنواميس الطبيعية، فأساطير الأديان ملأى بذكر حوادث من هذا القبيل كان لها أقوى تأثير في حمل الشعوب التي شهدتها على الإذعان للمرسلين الذين حدثت على أيديهم».

❑ وسريعًا يكشف فريد وجدي عن وجهه في سفور وَقح فيقول مستطردًا: «وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي «صاحبت

الدعوة في جميع أدوارها، وكانت أعظم شأنا وأجلّ أثرًا من كل ما سبق من نوعها».

□ وفي جرأة منقطعة النظير، يؤكد في تحدّ وعناد ما ذهب إليه من بطلان وضلال فيقول: «ولست أقصد بها ما تناقله الناس من شق الصدر وتظليل الغمامة وانشقاق القمر وما إليها، مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، ومما يتأتى توجيهه إلى غير ما فُهِم منه، ولكن أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي تمت على يد محمد ﷺ في أقل من ربع قرن، وقد أعوز أمثالها في الأمم، القرون العديدة والآماد الطويلة».

□ ونخلص إلى أن فريد وجدي يريد أن يقول بإنكار المعجزة، ومن ثَمّ بإنكار النبوة، خاصة أن النبوة نفسها من الأمور الغيبية التي هي اتصال خاص بين النبي وربه، ليصل إلى الغاية الشيطانية التي رضعها من الفكر الإبليسي أنه لا أنبياء على الإطلاق، إنما هم مصلحون اجتماعيون وحسب، وهو نفس ما ذهب إليه فرح أنطون منشئ مجلة «الجامعة» في مناقشة له مع الشيخ محمد عبده فقال:

ـ الدين هو الإيمان بخالق غير منظور، وآخرة غير منظورة، ومعجزة ووحي ونبوءة وبعث وحشر وسؤال وحساب وثواب وعذاب في الجنة والنار، وكلها غير محسوسة ولا معقولة، ولهذا كان العقلاء في كل ملة ينادون بإبعاد العقل عن الدين».

ولا تعليق لنا على الصليبي فرح أنطون أفضل مما كتبه، ليشهد على منكري السنة ويفضح مصادر فكرهم وتبعة إنكارهم»[1] .

* * *

(١) المصدر السابق ص(٢٩ ـ ٣٠).

*** الشيخ أبو زيد الدمنهوري صاحب كتاب «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن»:**

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في المحيط العلمي وثورة ساخطة من شيوخ الأزهر على مؤلفه وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب والحكم على صاحبه بالزيغ والضلال[1]، ويتلخص قول هذا الضال المضلّ في السنة أنها نكبة على المسلمين وعلى دين اللَّه عز وجل وهو يتمنى إحراقها وإعدامها من الوجود وتكون نقطة بداية التحريق من صحيح البخاري فمسلم فيرتاح الناس من شرّ ما فيهما، وأنكر هذا الرجل نبوة آدم.

*** القرآنيون منكرو السنة بالهند وباكستان وتصدي شيخ الإسلام أبي الوفاء ثناء اللَّه الأمرتسرى لدجّالهم غلام أحمد القادياني:**

قد كان لأعاجم شبه القارة الهندية النصيب الأكبر في ردّ السنة، وبدأ ذلك على يد رجل هو السير السيد خان (ت: ١٨٩٨م). ذكره أحمد أمين في كتابه المعروف «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»[2] وقال عنه: «هو في الهند أشبه شيء بالشيخ محمد عبده في مصر، والرجل له اتجاهات إلحادية منحرفة ومع هذا يعتبر رائد النهضة التعليمية المعاصرة في أوساط المسلمين في القاهرة الهندية فقد أنشأ «جامعة على كره الإسلامية» فله في ذلك فضل يُذكر.

❑ أما انحرافاته فكثيرة منها:

ـ أن المعراج عنده عبارة عن سير النبي ﷺ في المنام.

---

(١) «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم» للدكتور محمد حسين الذهبي ص(٩٤)، و«منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٣٦).

(٢) ص(١٢١)، وما بعدها ـ طبعة ١٩٤٨م.

ـ والمراد بالملائكة والشياطين هو: الأخلاق الجليلة، والأخلاق الرذيلة.

ـ والجنة والنار عبارة عن أمر روحي.

ـ والاعتقاد بالبعث والنشور، والحساب والميزان، وما في النار من ألوان العذاب، وما في الجنة من أنواع النعيم من عقائد الناس البسطاء السذج.

ـ وأما عذاب القبر وعلامات القيامة ـ مثلاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، ونزول المسيح ـ عليه السلام ـ وغيرها من الأمور ليست عنده من الحقيقة في شيء[1] .

❑ ومنهم «المرزا غلام أحمد القادياني» المتنبئ الكذّاب. وكان مواليًا للحكم الإنجليزي، فأفتى بعدم جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله. هذا وأنكر نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان، وحرّف الأحاديث الواردة في هذا الأمر عن معناها العربي؛ لأنها كانت تقف في إثبات مسيحيته، ثم انتهى به الأمر إلى ادعائه للنبوة، وأنكر الأحاديث التي كانت تفند دعواه الباطلة وتكشف عن سخفها وهرائها.

❑ وهذا الأفيوني الخمّار تطاول على نبي اللَّه آدم ونبي اللَّه نوح وأهان نبي اللَّه عيسى، وفضّل نفسه على يوسف الصديق، وأهان جميع أنبياء اللَّه ورسله وفضّل نفسه عليهم.

فناقشة العلماء، وعبثًا حاولوا إصلاحه وإرجاعه إلى الإسلام، وحينما رأوا إصراره وصموده على الكفر والارتداد، ودعوى النبوة، نازلوه وناظروه، وأظهروا كذبه، وبطلان دعواه، وبعد إتمام الحجة أفتوا بالإجماع على كفره

---

(١) مقدمة كتاب موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ص(٦، ٧).

ودجله، فكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ الجليل العلامة ـ شيخ الإسلام ـ ثناء اللَّه الأمرتسري صاحب التصانيف الرائعة الكثيرة في الدفاع عن الإسلام ضد «الهندوسية» و«النصرانية» و«القاديانية» وطائفة «منكري الحديث» وهو مناظر الإسلام، ومحامي المسلمين في القارة الهندية، فقد جرى بينه وبين الغلام القادياني عدة مناظرات ومناقشات تحريرية، وتقريرية، ودومًا كان الانتصار حليفًا للرجل الإلهي وبطل الإسلام، فاستشاط من ذلك المتنبي القادياني غضبًا، وأصدر نشرة سنة ١٩٠٧م وبتاريخ ١٥ إبريل بالضبط وكتب فيها ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم، يسئلونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق إلى خدمة الأستاذ ثناء اللَّه، السلام على من اتبع الهدى.

من زمان وأنا أُكذّب وأفسّق في مجلتكم «أهل حديث» (اسم المجلة) ودائمًا تسمونني في مجلتكم هذه ملعونًا كذّابًا، ودجّالاً ومفسدًا، وتشهرني في العالم بأني مفتري كذّاب دجال، وأفتري في دعواي المسيحية، فأنا تأذيت منك كثيرًا، وصبرت ولكني لما رأيت نفسي بأني مأمور لنشر الحق وأنت تمنع العالم من التوجه إليّ بسبب افتراءتك عليّ.. فأدعو إن أنا كذّاب ومفتري كما تذكرني في مجلتك، فأهلكُ في حياتك لأني أعلم أن عمر الكذّاب والمفسد لا يكون طويلاً، بل هو يموت خائبًا في حياة أشد أعدائه بالذلة والهوان، وتكون في موته منفعة لعباد اللَّه حيث لا يضلهم، فإن لم أكن كذّابًا ومفتريًّا بل أكون متشرّفًا بمخاطبة اللَّه والمكالمة معه، وأكون مسيحًا موعودًا، فأدعو أن لا تنجو من عاقبة المكذبين حسب سنة اللَّه.

فأُعلِن إن لم تمت أنت في حياتي بعقاب اللَّه الذي لا يكون إلا من عند اللَّه محضًا مثل أن تموت بمرض الطاعون أو الكوليرا فلا أكون مرسلاً من اللَّه تعالى، وهذا لا أقول نبوءة بل طلبت القضاء الفيصل من اللَّه تبارك وتعالى،

وأدعو اللَّه، يا مولى البصير، القدير، العليم الخبير، يا عالم أسرار القلوب، إنْ أنا كاذب ومفسدٌ في نظرك، وأفتري عليك ليلاً ونهاراً يا اللَّه فأهلكني في حياة الأستاذ ثناء اللَّه، وسرّه وجماعته بموتي ـ آمين ـ ويا اللَّه إنْ أنا صادق، وثناء اللَّه على باطل، وكذّاب في التهم التي يلصقها بي، فأهلكه يا رب العالمين في حياتي بالأمراض المهلكة مثل الطاعون أو الكوليرا أو غيره من الأمراض، آمين.

يا رب أنا أوذيت وصبرت، ولكني أرى الآن أنه قد تجاوز الحد، وأنه يظنني أفسق من السارقين والغاصبين الذين يضرون العالم، ويحسبني أرذل خلق اللَّه، وقد شهرني في البلدان النائية بأني في الحقيقة مفسد ونهاب، وطمّاع وكذّاب، ومفتري وخبيث، وإن لم يكن لهذه الكلمات صدى كنت صبرت عليها، ولكني أرى أن ثناء اللَّه يريد بهذه التهم أن يفني دعوتي ويهدم عمارتي التي بنيتها أنت يا ربي ويا من أرسلتني، ولذا ألتجئ إليك يا اللَّه آخذًا بذيل رحمتك وتقدسك فاقض بيني وبين ثناء اللَّه بالحق، وأهلك الكذّاب والمفسد في حياة الصادق، أو ابتليه في آفة تكون مثل الموت، فافعل هكذا يا ربي الحبيب ـ آمين ثم آمين ـ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وأخيرًا أرجو من الأستاذ ثناء اللَّه أن ينشر هذه النشرة في مجلته، ثم يعلّق عليها ما يشاء، فالقضاء الآن بيد اللَّه». الراقم: عبداللَّه الصمد غلام أحمد المسيح الموعود عافاه اللَّه وأيده» (إعلان الغلام القادياني المنشور بتاريخ ١٥ إيريل ١٩٠٧ المندرج في «تبليغ رسالت» (١٠/ ١٢٠)، مجموعة إعلانات الغلام المرتبة من قاسم القادياني.

وفعلاً قُبلت دعوته هذه، وقضى اللَّه بينه وبين ثناء اللَّه بالحق، وبعد ثلاثة عشر شهرًا وعشرة أيام بالضبط جاءه قضاء اللَّه وقدره بصورة بشعة كان

يتمناها للشيخ الجليل ثناء الله، نعم بنفس الصورة وبنفس المرض الذي نصّ عليه هو؟ بالكوليرا، وإليك بيانه، يكتب ابن الغلام القادياني، وزعيم القاديانية «بشير أحمد» في سيرته: «أخبرتني أمي أن حضرته (أى الغلام) احتاج إلى بيت الخلاء بعد الطعام مباشرة، ثم نام قليلاً، وبعد ذلك احتاج مرة أخرى إلى بيت الخلاء فذهب مرة أو مرتين إليها بدون أن يُشعرني، ثم أيقظني، فرأيت أنه قد ضعف جدًّا وما استطاع الذهاب إلى سريره فلذا جلس على سريري أنا، فبدأت أمسحه وأُمسّجه، وبعد قليل أحس الحاجة مرة أخرى، ولكن الآن ما استطاع الذهاب إلى بيت الخلاء فلذا قضاها عند السرير واضطجع قليلاً بعد القضاء، ولكن الضعف بلغ منتهاه فجاءته الحاجة مرة أخري فقضاها ثم جاءه القيء وبعدما فرغ من القيء خرّ على ظهره واصطدم رأسه بخشب السرير وتغيرت حالته» («سيرة المهدي» ص(١٠٩) لبشير أحمد بن الغلام).

□ وكتب رحيمه (أبو زوجه) «الليلة التي مرضها حضرته (الغلام) كنت نائمًا في غرفتي، ولما اشتد مرضه أيقظوني فذهبت إلى حضرته ورأيت ما يُعانيه من الألم فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، «ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات اليوم الثاني بعد العاشرة من الصباح» («حياة ناصر» رحيم الغلام القادياني ص١٤).

هذا وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك «أن غلام أحمد المتنبي القادياني لما ابتُلِيَ بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل الموت».

فمات وكان ثناء الله حيًّا وبقي حيًّا بعد موته قريبًا من أربعين سنة يهدم بنيان القاديانية ويقمع جذورهم، وهكذا كذّب الله الكذّاب حتى وإلى آخر لحظة من حياته، وعذّبه في الدنيا وعذاب الآخرة أشدّ وأقوى، ولقد صدق الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]»[(١)] .

◘ وقبل القادياني كان جُراغ علي ينكر الحجاب، وقال إن النبي ﷺ لم يأمر زوجاته بالحجاب ولا منعهن منه!!!

◘ وفي عام ١٩٠٢م ظهر غلام نبي عبدالله جكرلاوي مؤسس الحركة القرآنية أو جماعة أهل الذكر والقرآن»، وأنكر هذا الرجل السنة مطلقًا.

◘ ثم كان أوسخهم «غلام أحمد برويز» رئيس جمعية «أهل القرآن» ورئيس منكري السنة في باكستان، تسلّم قياد هذه الفتنة، ونظم جهود منكري السنّة، وقام بجهد متواصل في هدم بنائها، ونشر كتبًا كثيرة في إنكار الحديث، وأصدر مجلة «طلوع الإسلام» الناطقة باسم الجمعية، ونادى بالاكتفاء بالقرآن وحده لا يوجد شيء اسمه سنّة، وألّف كتابًا عن نظرية داروين التي يذهب فيها إلى تكذيب القرآن.

وبالتعاون مع زميله أسلم جيرا جبوري أصدرًا مجلة «فجر الإسلام» عام ١٩٥٧م لتكون لسان حال جماعة القرآنيين في الهند لأول مرة.

وعلى خطى أحمد أمين، المفكر والأديب والكاتب المصري، أعاد غلام أحمد برويز ترتيب موضوعاته وأصدر ثلاثيته «معارف الإسلام» وجعل لها عناوينًا جريدة؛ فجر الإسلام عام ١٩٥٨م، ثم ضحى الإسلام عام ١٩٥٩م، ثم ظهر الإسلام عام ١٩٦٠م، وبعدها نشر كتابه الضخم الذي أصبح سفرًا من أسفار منكري السنّة في مصر وهو «لغة القرآن» في أربعة مجلدات عام ١٩٦١م.

---

(١) «القاديانية لإحسان إلهي ظهير» ص(١٥٤ ـ ١٥٩) ـ إدارة ترجمان السنّة.

ولقد قال هذا الضال الفاجر أن تعيين الجزئيات في العبادات مثل الركوع والسجود.. إلخ تُرَدّ إلى مركز الأمة «أي يحددها الحاكم».

❑ قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: «إن منكري السنّة قديمًا وحديثًا ـ ما عدا أهل القرآن ـ كانوا يأخذون السنة العملية المتواترة، كالصلاة وهيئاتها، وركعاتها، والزكاة والحج وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلاً عمليًّا.

ولكن ذهب «أهل القرآن» إلى أبعد من ذلك، فأنكروا حتى هذا الجزء المتواتر العملي من الإسلام»[1].

❑ ففاقوا جميع منكري الحديث، وصدق عليهم قول الشاعر:

كبهيمـــة عميـــاء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر

وانظر إلى هذا التواطؤ الخسيس والخيوط الخفية بين منكري السنّة في الهند ومصر فأحمد أمين يثني على السير أحمد خان مرزا ويقول عنه أنه في الهند كالشيخ محمد عبده في مصر، وينشر أحمد خان مرزًا من خلال مجلته الداعية لإنكار السنة ـ حلقات متتابعة من كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

ومثلما وضع حسرت موهاني ونيار فتحبوري أسس الضلال وأصدرا مجلة تحمل اسم «إنكار» في الهند، وضع صبحي منصور يده في يد فرج فوده وأصدر مجلة تحمل اسم «التنوير» في مصر وطعنت المجلتان في العقيدة، وأثارتا الشبهات حول الوحي والقرآن وحجية الأحاديث النبوية وحطّتا من أهمية الفقه الإسلامي في حياة المسلمين.

وكانت جماعتا القاديانية والأحمدية بأمريكا على اتصال دائم بمركز توسان حيث يقبع مسيلمة الكذاب مدعي النبوة رشاد خليفة بمسجد توسان.

---

(١) «دراسات في الحديث» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص(٣٢ ـ ٣٣).

*** صبحي منصور الدجّال منكر السنة نائب مسيلمة الكذاب بتوسان والمروّج لنبوته الكاذبة وتصدي فضيلة الشيخ الدكتور سعد ظلاّم له وفضحه إياه:**

من مدينة كفر الزيات خرج علينا مسيلمة الكذاب رشاد خليفة المولود في ١٨/١١/١٩٣٥ تخرّج مهندسًا زراعيًّا وعمل بالهيئة العامة للإصلاح الزراعي في ١٩٥٧م وصدرت ضده الجزاءات، ومع هذا حصل على بعثة علمية لدراسة الدكتوارة في أمريكا ٣٠/٨/١٩٥٩م، وعاد الخائن ومعه زوجه الأمريكية السافرة ثم سافر إلى ليبيا ومنها إلى أمريكا وبعد أشهر معدودة أصبح رشاد خليفة خبيرًا بالأمم المتحدة ثم إمامًا لمسجد مدينة توسان ومئات الألوف من الدولارات.

□ ومن قرية حريز مركز كفر صقر بمحافظة الشرقية جاء صبحي منصور وانضم في بداية أمره إلى الطريقة الرفاعية والتحق بالأزهر، وأصبح أستاذًا مساعدًا بكلية اللغة العربية ولفت الأنظار إليه بما يطرحه من آراء مخالفة لإجماع المسلمين، ليس بعدائه للصوفية فحسب، إنما بعدائه للسنة النبوية.

والتقى برشاد خليفة، ووجد كل منهما ضالته في الآخر فرشاد يملك السلطان والمال بالدولار، ويسكن بلاد اللحم الأبيض والحاسوب الذي يُحصى كلمات القرآن وحروفه وآياته في لمح البصر، وينبئك على الفور عمّا إن كنت تصلح نبيًّا أو مساعد نبي وراح صبحي منصور داخل الأزهر يعبث بعقول خير شباب الأمة، ويُنكر السنّة وينال من عصمة الأنبياء ويسيء إلى الصحابة، ويُحقِّر من شأن رواه الأحاديث النبوية، حتى فُضِح أمره عام ١٩٨٢م، وشكى الطلاّب إلى أساتذتهم، وتمّ جمع كتبه، فحاول أن يُقدّم استقالته إلا أن الأزهر أصدر قرارًا بفصله.

◻ لفظ الأزهر صبحي منصور، ولكن أيد خفيّة حافظت له على المسجد الذي يخطب فيه، بل إن مساجدًا جديدة فتحت له أبوابها في الجيزة والقاهرة، وفي مسجد إسماعيل منصور صاحب كتاب إنكار عذاب القبر (٨٠جنيه للنسخة) ومقالات إنكار حجاب المرأة.

وهاجر صبحي إلى الشيطان رشاد خليفة، وذهب إلى أمريكا.

◻ وفي إحدى الصحف المصرية، كتب الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية الذي حمل العبء الأكبر في التصدي لهذا المنكر لسُنّة خاتم الأنبياء، يوضح حقيقته ويفضح باطله، ويُشرك أهل العلم والتخصص فيما اتخذ ضده من إجراءات موّضحًا عقيدة الأزهر الشريف في الإيمان باللَّه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ومؤكدًا على شهادة التوحيد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، وعلى الصلاة والزكاة والصوم والحج كما وردت في الصحاح ومذاهب الأئمة الأعلام، ومبشرًا المسلمين بسفر صبحي منصور إلى خارج البلاد.

◻ ولم تمض أيام معدودة حتى انهال سيل الخطابات من رشاد خليفة من أمريكا، حيث استُقبل البطل المجاهد صبحي منصور هناك!! يكتبون إلى الدكتور ظلام، وهم في حالة هذيان تترنّح رءوسهم في كل اتجاه، وتقيّأوا كل ما في بطونهم ضد العميد وكليته وأزهره والمسلمين في أنحاء مصر بلا استثناء، فيكتب قبل أن يُعلن النبوة بخمسة أشهر فقط أول رسائله:

◻ في ٤/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: لقد اخترتم أنتم وأربابكم تكذيب اللَّه سبحانه وتعالى عما يصفون، وقرّرتم وجود مصادر إبليسية ـ يقصد السنّة ـ أخرى إلى جانب كلام اللَّه.

◻ وفي ٩/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: لقد وفّق اللَّه الدكتور صبحي إلى كشف الانحرافات التي جعلت إسلام اليوم مختلفًا تمامًا عن الإسلام الذي دعا إليه خاتم الأنبياء (ذلك قبل أن يدّعى النبوة).

ثم في خطاب بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٩٨٨م وصفه الدكتور طه حبيشي في كتابه «مسيلمة في مسجد توسان» بأنه خطاب هابط الأسلوب نازل المعاني أشبه بعبث الصبيان، قال فيه رشاد: «لعلّك استلمت عدد فبراير من مجلتنا «الإسلام الحقيقي» ولعلك قرأت أول مقالة يكتبها د. صبحي اسمًا على مسمى منصور في أرض الحرية التي منّ اللَّه علينا بها.

ثم يشير إلى ما بذلته الحكومة الأمريكية من تقديم التسهيلات وتذليل العقبات أمام صبحي منصور حتى وصل سالمًا إلى أمريكا أرض الحرية والعزّة والفخار، هاربًا من أرض أزهر الشيطان والقهر والفقر والانحطاط، حيث وافق الكونجرس الأمريكي على طلب رشاد خليفة باعتبار صبحي لاجئًا سياسيًّا، والرواية على لسان صبحي نفسه.

وفوجئ الرأي العام المصري بأحمد بهاء الدين يكتب في صحيفة أخبار اليوم ١٧/ ٤/ ١٩٨٨ قائلاً: أحبُّ أن أنبه الأزهر والمؤسسات الإسلامية إلى نشرة بالغة الخطورة والغرابة، تلقيتها بالبريد من ولاية أريزونا الأمريكية تقول: «الأزهر منكر القرآن يقود مصر إلى الهلاك، وأنه يوصي اللَّه ورسوله بابتداع العصمة للأنبياء والشفاعة لغير اللَّه متمسكًا بالبدع الإبليسية المسماة بالحديث والسنّة، تلك أولى غرائب هذه النشرة، ثاني غرائبها أنها تصدر عن جمعية إسلامية تملك من وسائل التكنولوجيا الشيء الكثير، فهي تبيع شرائط الفيديو والكاسيت في جميع الموضوعات، والأسماء السائدة في النشرة تأليفًا وإخراجًا وخطبة كانت للدكتورين: رشاد خليفة وصبحي منصور وبعض الأسماء المسيحية الأمريكية التي كانت مسلمة من قبل!!

وتقول النشرة (وما زال الكلام لأحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار): إن الخالق يعلّمنا أن نتيجة رفض كلامه وتكذيب آياته كما فعل الأزهر وأتباعه هي الهلاك وحتمية جفاف النيل ووقوع الكوارث، لأن أسّ البلاء هو ممارسة

الأزهر للقهر الفكري.

❑ وفي اليوم التالي ١٨/ ٤/١٩٨٨ يواصل أحمد بهاء الدين تعليقه على نشرة مسجد توسان فيقول: إن الملحوظات التي تستوقف النظر ونضيفها، أنها تبدو مموّلة تمويلاً جيدًا خصوصًا بإنتاجها التلفزيوني، والكثير مما سجلته على أشرطه فيديو للبيع، والإسلام الوحيد الذي يقابله تعريف واضح هو الدكتور صبحي منصور المحاضر في جامعة أريزونا، والمنتشر في الصحافة والإذاعة والتلفزيون عن القهر الفكري الأزهري.

❑ «في فبراير ١٩٨٨ عرضت النشرة الشهرية لمسجد الضرار والضلال في توسان بأريزونا مقالاً لصبحي منصور بعنوان «الأزهر يكفر بالقرآن» ردًّا على مقال نشر بمجلة منبر الإسلام لسان حال وزارة الأوقاف المصرية في عددها «يناير ١٩٨٨» قال فيه: «يقول جهلاء الأزهر أنه من المعلوم أن القرآن جاء دستورًا، ومن شأن الدساتير أن تكون مجملة في حاجة إلى تفصيل، لكن المشكلة الأزلية، للأزهر أنه مسجد سيئ الاستخدام «مسجد ضرار» يقوم على حماية التراث البشري «يقصد السنة النبوية» الذي يناقش القرآن ويتهم كتاب اللَّه بأنه غامض يحتاج إلى توضيح وأنه ناقص يحتاج إلى تفصيل، ومن الواضح أن الأزهريين لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يذكرون، بعدما أعماهم اللَّه عن القرآن الكريم، ولقد أدت الأكنة على قلوبهم والوقر في آذانهم إلى تكذيب رب العزة في تقريره أن القرآن كامل وتام ومفصل».

❑ وفي ذيل المقال تعليقًا لنبي الزور رشاد خليفة يقول فيه: «كما هو مدعّم بالوثيقة في الصفحة السابقة فإن الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتام ومفصل تمامًا.

إن الأزهر يأخذ موقفًا رسميًّا من أن القرآن ليس كاملاً، ومن ثم فإن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، وإن أي مسلم يمتلك

أقلّ قدر من التفكير والبداهة يستطيع أن يرى الأزهر لا يحترم إرادة الرب، وإنما يحترم إرادة إبليس، وصبحي منصور هو أول عالم أزهري يكتشف الحقيقة، ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس «الأزهر» ففي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، يوضّح منصور الطبيعة المحمدية للأزهر ودوره في تحويل المسلمين المخلصين إلى محمدين مؤلهين للوثنية»[1] .

□ ومرّة أخرى حلّ صبحي منصور بهمّه وغمّه وضلاله على مصر وترك شيخه المزعوم بعد عام واحد فقط وقال صبحي عن رشاد خليفة أنه علا وتكبّر بعدما أصبح نبيًّا!!

عاد صبحي منصور يبث سمومه في المساجد إلى أن قُبض عليه بنفس التهم التي وُجِّهت إلى المتشيِّع حسن شحاته من إثارة الفتن والتعدي على صحابة رسول الله ﷺ والتشكيك في السنة النبوية المطهرة.

□ ولقد عرض رشاد خليفة على صبحي منصور النبوة فرفضها!! ثم لم يلبث أن ادعى النبوة لنفسه في مايو ١٩٨٨ ولم يخطر بباله هذا من قبل، هذا قول صبحي منصور أما رشاد خليفة فقال عن نفسه: أن الوحي قد هبط عليه وهو في سن الخامسة والأربعين أي في عام ١٩٨٠. ولقد قُتِل هذا الدّجال الكذاب.

□ هذا المهووس الدجال أطلق على الآيات التي لم تخضع للرقم (١٩) آيات شيطانية وهما الآيتان الأخيرتان من سورة التوبة وأنكرهما وقال: إنهما أُقحمتا على القرآن وليستا منه. وقال اسمي جاء في القرآن ١٩ مرة ومثله اسم أبي.

وقال إن المسلمين عندهم عقيدة التثليث: «الإجماع والحديث والسنة»

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(٦٧).

وهذا يتنافى مع القرآن وكفّر البخاري، وقال: «جميع الأنبياء من قبلي لم يُؤتوا معشار ما آتاني ربي، والأنبياء ثلاثة فقط هم: إبراهيم ومحمد وأنا»، ويقول: «ليس هناك نصًّا قرآنيًّا يلزم زوجتي الأمريكية بتغطية شعرها ووجهها أو خلع البنطلون». وقال: «أخبرني جبريل الأسبوع الماضي أن كل من ينكر السنّة لن يموت ولن يُوضع في قبر بل يدخل الجنة ومباشرة، كما أخبرني من قبل أن من يؤمن بي لن يُسأل عما ارتكبه من ذنوب ومعاص وفواحش قبل الأربعين».

◻ ولقد أعدّ صبحي منصور بخط يده رسالة مدّعي النبوة إلى العالم وكان العنوان «رسالة إلى العالم الجديد» جاء فيها:

«إن اللَّه يحب أمريكا التي تأسست على حرية العقيدة، والتي تنفرد في كل بلاد الدنيا بأن تكتب على عملتها (الدولار) «نحن نُؤمن باللَّه»، ولذا فإن أمريكا هي أحب الشعوب إلى اللَّه؛ ولأن العالم القديم قد أُرسل إليه العديد من الرسل، فقد حان أن تتلقى أمريكا بركة عظيمة «رسولاً من عند اللَّه» يساعدهم ويهديهم ويحلّ مشاكلهم المستعصية مع العقاقير والكحوليات والجريمة والفقر.

وكما جاء الأنبياء من قبل بمعجزاتهم، فإن رسول اللَّه إلى العالم قد جاء بدليل مثبت بالكمبيوتر!!! والذين فحصوا البرهان جيدًا توصلوا إلى قناعة مطلقة أنني رسول اللَّه، وباعتباري مكلفًا من قِبَل اللَّه مؤيدًا ببرهان مادي لا يمكن أن يدحضه أي باحث شريف يتمثل في قانون رياضي هائل ضمن رسالة إلهية إلى العالم، وقد ذُكر اسمي «رشاد» في القرآن مرتين» اهـ.

◻ وعند وقوع الخلاف بينه وبين صبحي منصور قال عنه صبحي منصور: «رشاد خليفة خليفة، هو الكاذب في كل نفس من أنفاسه، وقد ظل يكذب ويتحرّى الكذب حتى خالط الكذب كل خلية من خلايا لحمه وعظمه؛

لأن رشاد خليفة حين ادّعى النبوة والرسالة كان نبيًّا للشيطان ورسولاً من إبليس» اهـ. نقلاً عن «منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله.

*** وممن أنكروا بعض الأحاديث المتواترة أو الصحيحة :**

* **الشيخ محمد بخيت المطيعي**: جوّز تولّي رجل غير مسلم سدّة الخلافة العظمى بعد أن أنكر جميع ما ورد من السنّة، وأوّل آيات الكتاب المخالفة لذلك تبريرًا للحكم الإنجليزي آنذاك، ويعتبر هذا الاستنباط مفخرة عظمى وتوفيقًا إلهيًّا لا يصل إليه إلا المخلصون من عباده»[1] !!!.

*** وعلى درب الوالد سار الابن :**

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عـوّده أبوه

حسين أحمد أمين على درب والده، وللابن كتاب «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين»، وهذا الكتاب أخذ جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي ١٩٨٤م وكله طعن في السنّة، ويقول هذا الرجل: «ما كان أبي أحمد أمين يفرض علينا الصلاة».

وله فتوى عجيبة في حدّ السرقة فيقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله. لذلك كان من المهمّ للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع»[2] .

❑ وقال عن الحجاب «وهُم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يحرّم سفور المرأة أو يعاقب عليه»، و«أن الرجال يتمسكون بالحجاب

---

(١) انظر «المنار» (٩/ ٢٣٨) عدد مارس ١٩٠٦م، ١٣٢٤هـ.

(٢) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين ص(١٤١) ـ طبعة مدبولي/ نقلاً عن إسلام آخر زمن: للأستاذ منذر الأسعد ص(٨٤) ـ دار المعراج ١٤١١هـ.

ليستبدوا بالمرأة، فينفّسوا عن قهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا»[١] .

❑ وأتى عبدالله عنان فأنكر أحاديث المهدي المنتظر والمسيح وكتب تحت عنوان «أساطير دينية عماد حوادث كبرى في التاريخ»: «لم تزدهر هذه الأساطير من الوجهة العلمية قدر ازدهارها في الدول الإسلامية، وكانت أسطورة المهدي من بينها أقواها وأبعدها أثرًا. . ومثل أسطورة المهدي المنتظر أسطورة المسيح وهي ترجع إلى أصل يهودي ولها في الإسلام مكان أيضًا، بل تُمزج أحيانًا بأسطورة المهدي فيُقال: إن المسيح المنتظر يظهر في أثر المهدي أو يظهر معه ويأتّم به».

* **وعلى الدرب سار الدكتور مصطفى محمود:**

فأنكر شفاعة الرسول ﷺ وأنكر الرجم وردّ الأحاديث منذ ربع قرن من الزمان حين أفادتنا مجلة «صباح الخير» في العدد (١٠٩٣) بتاريخ ١٦/١٢/١٩٧٦ بوقوف الدكتور على فقه منكري السنّة وتأييده لهم، فهو يسير على منوالهم. وصدق القائل: «إن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة فعليكم بالعتيق»[٢] .

* منكر السنة مصطفى كمال المهدوي صاحب كتاب «البيان بالقرآن» وتصدي الشيوخ في ليبيا له:

هذا الدجال المولود في الإسكندرية عام ١٩٣٤م لأب ليبي وعمل بالقضاء في ليبيا منذ عام ١٩٦٠م حتى أحيل للتقاعد على وظيفة مستشار عام ١٩٩٤م أشار إلى إنكاره للسنة الدكتور طه حبيشي. .

---

(١) «موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين/ الأهالي القاهرية ٢٨/١١/١٩٨٤م عن كتاب «غزو من الداخل» ص(٥٥).

(٢) «السياسة الأسبوعية» ص(١٧) العدد ٩٥ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٢٧م.

كتب هذا الضال سلسلة مقالات في الصحف الليبية تحت عنوان «أفلا يتدبرون القرآن» ثم نشرها في كتابه الذي يحمل فكره «البيان بالقرآن» وقام الشيوخ في ليبيا ضده وعلى رأسهم الشيخ المستشار القضائي علي ونيس أبو زغيبة الذي كان يقف على منبر مسجده كل جمعة ويصفه «بالجهول الظلوم السفيه المتسلط» وردّ عليه الأديب عبدالكريم الوثّاق بعنوان «محاكمة البيان بالقرآن» جمع فيه ما نُشِر في الصحافة من هجوم ونقد ضد الكتاب.

❑ يقول هذا المأفون في إنكاره لحد الرجم للزانية المحصنة:

«إن لفظيْ الزاني والزانية جاء مُعَرّفين بالألف واللام بما يدل على ثبات الحال ودوامه في ممارسة الزنا، ولذا فلا ينطبق الحد الشرعي على الزاني والزانية إلا إذا كان ذلك عملاً مستمراً وثابتًا، أما الذي يزني مرة أو اثنين لشهوة أو نزوة أو غير ذلك فلا يُقام الحدّ عليه، أما المرأة فتحبس في بيتها حتى يتوفاها الموت أو يجعل اللَّه لها سبيلاً». ولقد أطلق هذا الضال لفظ «أوصياء على الدين» بصفة الذم على أبي هريرة وابن عباس وأم المؤمنين عائشة ﷺ.

❑ ويقول: الإسلام قرآن وسنن الأنبياء جميعًا!!! ليس قرآن وسنة، وحينما سُئِل ماذا تقصد بسنن الأنبياء؟ قال: أن نصبر كصبر يعقوب.

❑ وهو يقول إن الصلوات المفروضة خمس صلوات: «الصلوات الخمس حسب القرآن هي: فجر، وصبح، وظهر وعصر، وصلاة واحدة من دلوك الشمس إلى غسق الليل». ويقول: «الصلاة ركعتان ـ لجميع الصلوات من صلاة الصبح وحتى صلاة الدُّلوك». وكان يقول: «السنة ليست منهاجي، ولا أقبل غير منهج القرآن، ليس عندي غير القرآن ولا تلزمني بالسنة. والسنة نعرضها على القرآن».

❑ ويقول عن «العمرة» في كتابه ص(٩٤): «والعمرة هي عمارة المسجد

الحرام وهي واجبة للمساجد جميعًا، وتكون بالبناء والترميم والفرش والإضاءة والمصاحف والصلاة فيها»!! أمّا الحج عنده فطوال ستة أشهر تقريبًا.

◻ يقول هذا المأفون: «إن اللَّه تبارك وتعالى حفظ لنا كتابه، وفيه الدين كله مفصّل، وفيه السنّة أيضًا، فيما تصف الآيات الكريمة خُلُق الرسول الكريم وأفعاله وأقواله فيجب أن نكتفي بذلك ونهجر ما سواه. إنه من الصعف أن نتأكد من أن الذي كتب صحيح البخاري هو البخاري نفسه.

إن ما يُوصف بأنه سنة رسول اللَّه ﷺ من حيث كونها تكميلاً للقرآن أو تفصيلاً أو تفسيرًا لهو مردود مرفوض بآيات القرآن.

ويقول عن الصلاة في كتابه «قراءة الفاتحة ليست شرطًا في الصلاة، وإنما تُقرأ لأنها من القرآن. والفاتحة ليست هي السبع المثاني، والسبع المثاني هم العينان والشفتان والأذنان.. إثباتًا لبشرية النبي.

◻ تسبيح المصلي في ركوع أو سجود وقول سمع اللَّه لمن حمده كله باطل.

◻ ليست هناك صلاة جهرية وأخرى غير جهرية، ولا تشهد أوسط أو أخير إذ تنتهي الصلاة بالسجود.

◻ لا صلاة جمعة إنما المقصود بآية النداء هو قول الصلاة جامعة عند كل صلاة مفروضة في يوم الجمعة، إذ لا أذان للصلاة في بقية الأيام»[(١)] .

◻ وفي فتوى له عن حكم أكل لحوم الكلاب قال: إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص واحد يحرّم على العموم أكل الكلاب الضالة والمستأنسة، ولذا فإن لحم الكلاب طعام شهي لمن يريدون أكله ولا إثم عليهم فيما يفعلون.

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ص(٧٩ ـ ٩٤) ملخصًا.

*** العقيد معمر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي وإنكاره للسنة وتصدي العلماء له وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:**

«في ٣/ ٧/ ١٩٧٨م عُقدت في طرابلس «ليبيا» ندوة علمية حول منزلة السنّة النبوية من القرآن الكريم شارك فيها عدد من مفكري البلاد الإسلامية، تحدّث فيها الرئيس معمر القذافي، مُركّزًا على التناقضات التي ادّعاها في الأحاديث النبوية التي تحتويها كتب الصحاح والسنن مستشهدًا بعدد من النصوص الحديثة التي يتصور أن بينها تناقضًا ثم ختم حديثه قائلاً:

«إن في البخاري ومسلم أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ لا تتفق مع القرآن، وقد دُوِّنت بعده بأكثر من مائتي سنة، يرتفع فوقها علامة استفهام»، ثم يضيف: «إذن لنجمع كل ما قيل من حديث ونقارنه بالقرآن فالذي يتفق معه نعمل به، والذي لا يتفق معه لا نعمل به، ولا نقول: قال البخاري وقال مسلم فالقرآن معروف ومحفوظ ولا يختلف فيه المسلمون من جاكرتا إلى طنجة» بثّت قنوات الإذاعة والتلفاز الليبية ونقلت على الهواء مباشرة هذه الكلمات القاسية على كل نفس تنتمي إلى عقيدة الإسلام، فكانت صدمة ألجمت كل ألسنة المسلمين في ليبيا الشقيقة، وهم يستمعون إلى رئيسهم في أطول حديث وأجرأ حديث سهر أمامه الشعب الليبي حتى الثانية من صباح اليوم التالي.

وقبل أن يُشرق شمس اليوم الجديد، كانت ليبيا ثلاثة أحزاب:

أولها: الحزب الذي صفّق طويلاً سعيدًا بما أسمَوْه في صحفهم «بروتستانتية» إسلامية جديدة.

وثانيها: الحزب الذي حبس غضبه في صدره مكلومًا، يضرب أهله كفًّا في حسرة وألم قائلين: وإن سلّمنا جدلاً أن هناك بعض الأحاديث النبوية

المنسوبة كذبًا إلى النبي في كتب الحديث، فهل يجوز أن نتخذ ذلك تكأة لهدم كل معتقدات المسلمين؟!

أما ثالث الأحزاب: فهم هؤلاء الذين التزموا الصمت، إمّا جهلاً بخطورة ما سمعوا، أو خوفًا من تبعة الغضب فيما لو عبّروا عن مشاعرهم، أو تجاهلاً متعمّدًا»[١].

*** وفرية أخرى: ادّعاء النبوة:**

أعدّت الكاتبة الإيطالية ميريللا بياتكو، كتابًا باللغة الفرنسية صدر عن شركة stoc في باريس وطُبع في مطابع دار الشورى ببيروت في ١٥/ ٢/ ١٩٧٤م تحت عنوان «القذافي رسول الصحراء».

وكان سؤال المؤلفة لمعمر القذافي بهذه العبارة: يا رسول اللَّه!! أرعيتَ الغنم؟ فأجاب العقيد: بلى فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك.

Envoyed. allah tuas donce etetre de moutons?

Qui etil yapas de prophete Qui ne laitete.

◻ وجاء الرد «ببيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى للمساجد حول ما دار مع العقيد معمر القذافي حول إنكاره للسنّة النبوية كمصدر للتشريع كما تناقلتها الصحف والأنباء»: على لسان الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ «قام وفد من الأمانة العامة للمجلس المذكور برئاسة فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية وعضوية كل من فضيلة الشيخ أبي بكر محمود جومي كبير قضاة نيجيريا وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ أحمد الحماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ علي

---

(١) المصدر السابق ص(١١٨).

مختار الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد بزيارة الجماهيرية الليبية بناءً على ما دار بين الأمانة والجماهيرية للبحث مع فخامة العقيد معمر القذافي حول ما تناقلته الصحف والأنباء من إنكاره للسنة النبوية أن تكون مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد تم بالفعل اجتماع الوفد بفخامته في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر صفر ١٣٩٩هـ في مدينة بني غازي بليبيا وتبادل الجميع وجهات النظر، وبيّن الوفد لفخامته الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على عظيم منزلة السنة في الإسلام، وأنها الأصل الثاني في إثبات الأحكام وأن العلماء قد عنوا بها وعرفوا صحيحها من سقيمها، ووضعوا لذلك قواعد وأصولاً يُعرف بها صحيح الأحاديث من ضعيفها، وأجمعوا على اعتماد ما صحت به الأحاديث فأظهر اقتناعه بأكثر ما قاله الوفد، وأوضح فخامته للوفد موقفه من الكتاب والسنة والحديث. وأنكر بشدة ما نُسب إليه من أنه حذف كلمة «قل» من «قل هو اللّه أحد» أو أنه صلى العصر ركعتان حضراً، كما أوضح للوفد بأنه يعترف بالسنة الفعلية فقط كالصلاة والحج أما الأحاديث القولية فإن ما يصح عنده منها يعمل به ووعد أنه سيُعلن ذلك على الملأ.

هذا ملخص قرار الوفد وقد سرّنا كثيراً رجوع فخامة العقيد إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة، وقد دلّت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة واجتماع أهل العلم على أن السنة الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية أصل عظيم من أصول الإسلام، وهي الأصل الثاني في إثبات الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام، وهي الوحي الثاني، كما أجمع العلماء أيضًا على أن من جحد كون السنة أصلاً معتبراً يرجع إليه في الأحكام، وزعم أنه يكتفي بالقرآن عنها فهو كافر مرتد عن الإسلام، وقد صنف في ذلك الحافظ السيوطي رسالة سمّاها «مفتاح الجنة في الاحتجاج

بالسنة» ذكر فيها الأدلة من الكتاب والسنة والآثار على وجوب تعظيم السنة والأخذ بها وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام، كما ذكر فيها إجماع العلماء على كفر من أنكر السنة وزعم أنه لا يحتج إلا بالقرآن، ولا شك أن من أنكر السنة فقد أنكر القرآن وكذّبه؛ لأن القرآن الكريم قد أمر في مواضع كثيرة بطاعة الرسول ﷺ واتّباعه وعلّق الرحمة والهداية ودخول الجنة والنجاة من النار على ذلك.

◻ وقد كتبنا في هذا المقام مقالاً أبسط من هذا البيان ننشره قريبًا إن شاء اللَّه.

◻ فالواجب على فخامة العقيد أن يعلن توبته إلى اللَّه سبحانه من إنكاره ما أنكر من السنة، وأن يعلن التزامه بما صح منها عند أهل العلم كأحاديث الصحيحين وغيرها مما صحّ عن رسول اللَّه ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريرًا.

وهنا أمر عظيم يهمّ القرّاء والمسلمين يتعلّق بفخامة العقيد، ويجب علينا التنبيه عليه وبيان حكمه، وهو أن الكاتبة الإيطالية (ميريلابيانكو) قد ذكرت في كتابها (القذافي رسول الصحراء) ص(٢٤١) عن فخامة العقيد ما يدلُّ على أنه يدّعي أنه رسول من رسل اللَّه، وقد خاطبته في الصفحة المذكورة بقولها له: يا رسول اللَّه أكنت راعي غنم؟ فأجابها بقوله: «بلى فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك»، وهذا الجواب يقتضي إقراره لها على أنه رسول اللَّه؛ لأنه لم ينكر عليها ولم يقل لست برسول، ومعلوم أن دعوى الرسالة أو النبوة بعد نبينا محمد ﷺ كفر أكبر وضلال عظيم وردّة عن الإسلام بإجماع المسلمين؛ لأن ذلك تكذيب لقول اللَّه عز وجل: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وتكذيب لما تواترت به الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ الدالة على أنه خاتم

النبيين والمرسلين لا نبي بعده ولا رسول، وقد قاتل الصحابة ﭫ من ادّعى النبوة بعده واعتبروه كافراً حلال الدم والمال كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والمختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد أجمع علماء الأمة إجماعًا قطعيًا على أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين لا نبي بعده ولا رسول، وقد كفّر العلماء في عصرنا وقبل عصرنا مرزا غلام القادياني لما ادعى النبوة، وكفّروا من صدّقه في ذلك.

فالواجب على فخامة العقيد أن يُعلن في وسائل الإعلام تكذيبه لما زعمته هذه الإيطالية وأنه يبرأ إلى اللَّه من ذلك إن كان ذلك لم يقع منه، فإن كان وقع منه فالواجب عليه إعلان التوبة النصوح من ذلك، ومن تاب تاب اللَّه عليه، كما دلّ على ذلك كتاب اللَّه المجيد وسنّة رسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ومن قول اللَّه سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠]. فبيّن سبحانه أنه لا بدّ من إعلان التوبة وبيان ما كتم من الحق، وقال النبي ﷺ: «**التوبة تهدم ما كان قبلها**». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل اللَّه أن يهدينا وإياه سواء السبيل، وأن يمنّ علينا وعليه وعلى سائر المسلمين بالتوبة النصوح من جميع الذنوب إنه وليّ ذلك والقادر عليه وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان» انتهى رد فضيلة الشيخ ابن باز على القذافي[١].

(١) مجلة البحوث الإسلامية ـ العدد الخامس محرم ـ جماد الثاني ١٤٠٠ هـ تحت عنوان «ايضاحات وتنبيهات» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ص(٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومجلة المجتمع الكويتية العدد ٣٩٣ ص(٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح ص(٣٥٣ ـ ٣٥٤). وهذه رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بالجامعة بالمدينة المنورة.

فللّه درّ ابن باز من مدافع صلب عن الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح.

* **شطح وانفلات:**

في يوم الاثنين ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٠م صدرت جريدة أخبار العالم الإسلامي التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» من مكة المكرمة، تحمل مانشيتًا رئيسيًّا «القذافي رأس حربة ضد الإسلام» أما الخمس عشرة صفحة التالية من الجريدة فكانت عبارة عن ملف صحفي عن إنكاره حجية السنة النبوية، وادعائه النبوة، وإنكاره تعدد الزوجات، وحجاب المرأة في القرآن، وإلغائه العمل بالتاريخ الهجري، وتأييده الاستعمار الروسي لأرض أفغانستان، ثم دعوته المصلين في صباح عيد الأضحى من هذا العام إلى ترك الحج قائلاً: «فليعلم المسلمون في كل مكان من العالم أن مكة الآن، الكعبة الشريفة، بيت اللّه، وأن المدينة المنورة وقبر الرسول، وأن جبل عرفات المقدس تقع الآن تحت طائلة الاحتلال الأمريكي، فأي معنى للحج هذا العام أو في الأعوام القادمة إذا استمر الاحتلال، إن المعنى الوحيد هو القتال والجهاد لتحرير بيت اللّه، ومن يمارس شعائر الحج متجاهلاً هذه الحقيقة إنما هو يمارس عبادة ساذجة ليست هي التي أرادها اللّه، والآن المسلمون يؤدون شعائر الحج تحت ظلال الطائرات الأمريكية[1]، وعندما يرفعون رءوسهم إلى السماء وهم يدعون تسقط عليهم نفايات وفضلات الطائرات الأمريكية ويعتقدون أنهم سيعودون وقد غُفرت ذنوبهم وقُضيت حوائجهم، ولن تغفر الذنوب ولن تُقضى الحوائج إلا إذا تحوّل الحج إلى معركة، وتحوّل الدعاء للغفران إلى دعوة للجهاد والقتال»[2]..

(١) أي صفقة طائرات التصنت.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللّه ـ جريدة الأحرار ١١ =

ثم بعد هذا يدافع عنه د. محمد بن عبدالكريم الجزائري الليبي المولد والجنسية في كتابه «القذافي والمتقوّلون عليه»:ـ

فلتسمعنّ بكل أرض داعيًا ... يدعو إلى الكذّاب أو لسجاحِ

ولتشهدن بكل أرض فتنة ... فيها يُباعُ الدين بيع سَماحَ

يُفتى على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدها الملحاحِ

نعم انظر إلى طوام العقيد:

ـ يبيح التعدد من اليتيمات فقط!!

ويقول: «كل من يخرج على القرآن هو من الخوارج ولو كان مسلمًا، وبذلك تنتهي مشكلة: هذا مسلم وهذا مسيحي»[(1)] .

❑ يقول الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن جامعة عين شمس عن المجموعات القصصية التي كتبها معمر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي والتي أثنى عليها حملة المباخر من جوقة النقاد المسبّحين لهذا العمل الفذ، والتي هبت وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية بالجماهيرية الليبية ابتداءً من ديسمبر عام ١٩٩٣م تعلن في أوقات متواصلة طلوع نجم السياسي الكاتب العقيد القذافي من خلال هذه المجموعة القصصية.. يقول الدكتور جابر قميحة عن أدب العقيد في مجموعاته القصصية: «إن الأدب المقصود حرص فيه كاتبه أن يزرع في تضاعيفه أساليب سمّاها حواريوه من النقاد «سخرية راقية»، وهي في الحقيقة إذا ما قدمنا مفارقة بين السخرية الأدبية والفنية، وبين التهريج، لأدرك القارئ بسهولة؛ أن ما قدّمه القذافي الأديب يمثل تهريجًا في صورته الهابطة المبتذلة.

= جمادي الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ ـ الحلقة (١١).

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٢٦).

لأنه في بساطة قول، تهكّم في قصصه الأدبية هذه، بأسلوب سوقي على بعض صحابة رسول اللَّه ﷺ، من أمثال خبيب بن عدي، وخالد بن الوليد، وأم أيمن، واستهزأ بعلماء السلف من أمثال ابن تيمية وأبي حامد الغزالي والحافظ ابن كثير، ونال من سيد قطب والبنا، إلى أن بلغ به الأمر إلى التهكّم على أم المؤمنين زينب رضي الله عنها.

وحتى لا يظن ظان بنا سوء فالمجموعة القصصية يمكن الحصول عليها، والتهكم والاستهزاء ليس فيه تورية مما قد يكون حمّالاً للتأويل أو التجني على الكاتب، إنما كان الكاتب العقيد واضحًا في ذلك تمام الوضوح»[1] .

□ يقول القذافي في خطبة ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧ (١٩/ ٢/ ١٩٧٨) عن النبي ﷺ نصًّا بأنه «مجرد بوسطجي»، وقال بالنص في هذه الخطبة: «إن المسلمين ابتعدوا عن الدين الإسلامي وهم في طريقهم إلى النتيجة التي وصل إليها المسيحيون، ونحن الآن بدأنا عبادة الأصنام، وبالأحرى في بدايته، فنحن نجسّم النبي حتى يحجب اللَّه، ولو قلت لكم «رسول اللَّه» لقلتم كلكم «صلى اللَّه عليه وآله وسلم» ولو قلت لكم: «اللَّه»: لما تكلم أحد، وهذا نوع من الاستعباد والوثنية». وقال نصًّا: «إن صلاتنا على النبي ﷺ تعني أننا نخافه أكثر من اللَّه أو أننا نرى الرسول أقرب إلينا، مثل المسيحيين الذين قالوا: إن عيسى أقرب من اللَّه»[2] .

□ ويقول في خطابه هذا المطبوع ص(١٤): «النبي لو كان يقول: اتبعوا حديثي، يعمل بديل للقرآن، لكنه باستمرار كان يؤكد تمسكه بالقرآن فقط»!!!

---

(١) المصدر السابق «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٠) ـ انظر جريدة الأحرار ٢٠ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٩٩ ـ الحلقة (٢٠).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٢، ١٤٣).

وص(١٦): «القرآن لم يرد فيه أن النبي قال عليكم أن تتبعوا كل الكلام الذي قلته وإلا فأين الكلام الذي قاله لمدة أربعين عامًا قبل البعثة»[1] .

وقال ص(٢٣): «لو كان الحديث الذي يقوله الرسول يُعتد به أو يُؤخذ كشريعة، لوجب أخذ كل كلامه حتى الذي قبل الرسالة».

وص(٢٦): «سنّة النبي هي عمله، وليس كلامه، فهل النبي كان يسرق؟ طبعًا لا، هذه سنّة من سننه، ومن أخلاقه أنه لا يكذب ولا يسرق، ويتصف بالأمانة والنزاهة، هذه هي السنّة، أي أنها تصرّف النبي وطريقته في ذلك، إذن كيف نأتي بعد ألفيْ سنة، ونقول إن الحديث هو السنّة».

❐ ويقول في قصته «الموت» محددًا جنس الموت فيقول عنه بأنه «أنثى، لأن أباه؛ ـ أبا معمر القذافي ـ استسلم له في النهاية، ولو كان ذكرًا لقاومه وانتصر عليه فيقول نصًّا: «ولكني تأكّدت أخير أنه أنثى لأن أبي استسلم لها يوم ٨/ ٥/ ١٩٨٥ ولم يحرّك ساكنًا لمقاومتها».

وفي مجموعته القصصية «الفرار والموت» التي تضم اثنا عشر عملاً «المدينة، عشبة الخلعة، ملعونة عائلة يعقوب ـ أفطروا لرؤيته ـ دعاء الجمعة الآخرة ـ وانتهت الجمعة دون دعاء ـ المسحراتي ظهرًا ـ القرية القرية ـ الأرض الأرض ـ الفرار إلى جهنم ـ الموت. . .

يقول في «دعاء الجمعة الآخرة» هازئًا بالكتب الشرعية: «فقه السنّة في استعمال الشامبو والحنّة» و«الكناش في دخول الجنة ببلاش»، ويصف مؤلفات ابن تيمية الذي يقول عنه ساخرًا «تيمية» بدلاً من ابن يقول عنها: «تشرح لكم حكمة الأكل بثلاث صوابع، والأكل وأنت متكئ، والأكل في قصعة العود أو قصعة الحديد».

---

(١) هو نفس كلام رشاد خليفة.

▫ وفي عمله «وانتهت الجمعة بدون دعاء» يقول مستهزئًا متهكمًا من «أم أيمن» ﵂ والتي كان النبي ﷺ يناديها «يا أمي»، ويقول: «هذه بقية أهل بيتي»، يقول عنها: «أم أيمن كادت تموت عطشًا بين مكة والمدينة وهي صائمة، فنزل عليها حساء من شوربة بالمعدنوس، ودلو ماء معدني ماركة «أفيان» ولم تعطش طيلة عمرها بعد «أفيان»، ويقول عن خبيب بن عدي ﵁: «وهل العنب الذي كان يسقط على خبيب بن عدي، وهو أسير عند المشركين في مكة، كان من كوكب الزهرة، أم من كوكب عطادر؛ لأن مكة لا عنب فيها». ويقول عن سيف اللَّه خالد: «إن خالدًا حاصر حصنًا منيعًا للروم، وطلب منهم التسليم فقالوا له: لا نسلم حتى تشرب السم، فشرب قدحين منه ولم يوجعه مصران واحد من مصارينه»[1] انتهى ولا تعليق.

*** دجّال السودان حسن الترابي يردّ السنة، وينحرف عن قواعد الدين ويطعن في الصحابة وينكر حدّ الردة والرجم ويمجّد الفن ورقص الغرب!!**

من أراد أن يعرف ضلال هذا الرجل فلينظر إلى بعض أخطائه كما يعددها فضيلة الدكتور جعفر شيخ إدريس:

- نظرته للسنة النبوية المطهرة.
- نظرته لصحابة رسول اللَّه ﵃.
- نظرته إلى فقهاء أمة الإسلام.
- نظرته إلى مجمع تاريخ المسلمين.
- إنكاره لبعض الحدود الشرعية.

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٧، ١٤٨)، وجريدة الأحرار ٢١ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ - ١/٩/١٩٩٩ - الحلقة (٢١).

- آراؤه المتناثرة في الاجتهاد والمرأة والموسيقى.

وزد على ذلك نظرته أنه لا ضابط لتفسير القرآن إلا ما يمليه تجديد اللغة والاستحداث الاجتماعي والإعمال العقلي لفهم الدلالة دون أية قيود أو قوالب.

وقد تصدت له جماعة أنصار السنة بالسودان بشيوخها من علماء الدعوة السلفية، وتصدّى له الدكتور عصام البشير وهو من قيادات العمل الإسلامي بالسودان وفي خطب الجمعة أعلن هذا الداعية الصادق بكل وضوح وعلى الملأ الحرب على فكر الترابي، وأهال كل تراب السودان على رأسه، وما تحويه من نظريات تجديدية.

*** آراؤه في العقيدة:**

يذهب الرجل إلى قول ما سبقه إليه أحد وهو تجديد العقيدة فيقول: «لا بد إذن من تجديد الفكر العقدي الإسلامي في كل طور؛ لأن الشرك في كل عهد من العهود يتخذ مظهراً مختلفًا»[١] .

ويقول: «كذلك ينبغي لفقه العقيدة اليوم أن يستغني عن علم الكلام ويتوجّه إلى علم جديد غير معهود للسلف»[٢] .

ويقول: «لا تجد في مباحث العقيدة حديثًا عن الفن، كأن التوحيد يجمع الحياه كلها صلاتها ونسكها ومحياها ومماتها ويترك الفن ولكن الواقع أن مباحثنا العقدية الإسلامية مباحث فقيرة وليست مباحث توحيدية»[٣] .

---

(١) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي ص(٤٢) - الدار السعودية للنشر طبعة ٢ - ١٤٠٧هـ.

(٢) المصدر السابق ص(٤٤).

(٣) من محاضرة له ألقاها في الخرطوم وقوله هذا مسجّل بصوته.

● ويقول عن الرسول ﷺ: «ما برضه الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ومرات مرات يقول أخبار تطلع غلط»(١).

□ ويقول عن حديث الذبابة: «إنه أمر طبي آخذ فيه بقول الكافر ولا آخذ بقول الرسول ﷺ ولا أجد في ذلك حرجًا ألبتة»(٢).

□ ويقول في عصمة النبي ﷺ: «ولا إيه تقول في القرآن في العملوه الأنبياء ديل والرسول ذاتو ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾، و﴿**ويتوب الله عليك**﴾ وكان الرسول يستغفر، يستغفر من إيه؟ من الصلاة؟ هآ هآ هآ هآ.

□ وهو ينكر نزول المسيح عليه السلام:

قال محمد سرور بن نايف «أنكر أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعات السودانية الدكتور حسن عبدالله الترابي نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، فقلت له في مجلس ضمّنا قبل أكثر من إحدى عشرة سنة، كيف تنكر حديثًا متواترًا؟ قال: أنا لا أناقش الحديث من حيث سنده وإنما أراه يتعارض مع العقل، ويُقدّم العقل على النقل عند التعارض، وقال أيضًا: هناك أحاديث قالها الرسول ﷺ بصفته البشرية فهي ليست حجة رغم صحة أسانيدها وتوسّع في ذكر نماذج من هذه الأحاديث»(٣).

□ ويقول في محاضرة له مسجلة بصوته «كل الصحابة عدول؟ ليه؟!!»(٤) أي لماذا؟!

---

(١) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك جامعة أم درمان قسم الدراسات العليا.

(٢) نقلاً عن محاضرة له بصوته.

(٣) «الصارم المسلول» ص(٦)، وكذلك قوله هذا مسجل بصوته في محاضرة له.

(٤) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف ص(٣٠٨) طبع دار الأرقم، وتاريخ

◻ ويقول عن تنظيمه الذي يترأسه في السودان مفضلاً له على مجتمع الصحابة: «يعني نحن هسع[١] مثلاً تنظيم جماعة كالجماعة الإسلامية طبعًا أدقّ من تنظيم جمهور المسلمين في عهد الصحابة طلّعو لهم مجتمع (أي الصحابة) نحن مآخذين منه نفس الآيات ونفس الأحاديث، طلّعنا مجتمع أدق وأكفأ وكده»[٢].

◻ ويقول في سخرية عن ابن عباس: «وابن عباس ده كم مره قال كلام كده، زرّوه[٣]، الآخر كده قال: ما قال الرسول، في الحقيقة كلّمني الفضل ابن عباس»[٤].

◻ ويقول: «الصحابة، السيدة عائشة ما كانت تناقش الصحابة وتقول: كذبوا على رسول اللّه ﷺ»[٥].

* إنكاره لبعض الحدود:

في محاضرة له بجامعة الخرطوم أجاز للمسلم أن يرتد عن دينه فقد قال: «وأود أن أقول إنه في إطار الدولة الواحدة والعهد الواحد يجوز للمسلم كما يجوز للمسيحي أن يُبدِّل دينه»[٦].

◻ ويقول عن الحكم في الردّة: «هو حكم اجتهادي في تقديري وليس حكمًا حَدِّيًّا»، وجوّز هذا المأفون زواج المسلمة من الكتابي نقل ذلك عنه

= كتابة المقال في شوال ١٤٠٦.
(١) الآن.
(٢) محاضرة مسجلة له.
(٣) أي: ضيّقوا عليه حتى يبيّن الحقيقة.
(٤) من محاضرة له مسجلة.
(٥) «الصارم المسلول» ص(٨).
(٦) من محاضرة «تحكيم الشريعة» بجامعة الخرطوم نقلاً عن «الصارم المسلول» ص(١٢).

الدكتور محمود الطحان في كتابه «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد»، ويقول إن الشيخ السنانيري ظل يحاوره على مفهومه هذا الخاطئ طويلاً وما اقتنع وما عدل عن رأيه.

وهو ينكر حد الرجم بالنسبة للزاني المحصن[١] ، أما حدّ شرب الخمر فيقول الترابي: «وكانت العقوبات التي افترضناها (أي في لجنة تعديل القوانين) لشرب الخمر رفيقة لا تتعدى الجلد بين عشرين وأربعين ولا تتعدى السجن نحو شهر أو أكثر من ذلك بقليل وغرامة قليلة»[٢] .

❏ ويقول هذا الضال في هذيانه بدعوى تجديد أصول الفقه: «لا بد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تُؤخذ تجريدًا حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقهًا البتة، بل تولد جدلاً لا يتناهى».

❏ وانظر إلى قوله في تجديد «الإجماع» وهو الأصل الثالث من أدلة الشرع بعد الكتاب والسنة وكما هو معلوم فإنه إجماع المجتهدين من الأمة لا إجماع الجهال.. يقول: «فيمكن أن نرد إلى الجماعة المسلمة حقها الذي كان قد باشره عنها الفقهاء.. وهو سلطة الإجماع. ويمكن بذلك أن تتغيّر أصول الفقه والأحكام ويصير إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، وتصبح أوامر الحكّام كذلك أصلين من أصول الأحكام في الإسلام»[٤] .

---

(١) انظر «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للشيخ محمود الطحان ص(٣١) مكتبة دار التراث. وكتاب «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٢) «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٣) «تجديد أصول الفقه» للترابي ص(٧) الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٤هـ.

(٤) المصدر السابق ص(٥٨).

* موقفه من الفن:

انظر إلى مدّعي التجديد والمزكي لنفسه يقول نصًّا: «كما قدّر اللَّه وأرسل محمد ﷺ وتلا (أي: تاليًا) للأنبياء ليجدّد رسالتهم، فبتوفيق من اللَّه أرسلني لتجديد فقه محمد».

ويقول عن الفنانين: «قد يكون باب الجنة الذي يدخلون به، اسمه «باب الفنانين في الجنة»[(١)].

وقال محذرًا من إهمال الفن:

«فلا بد إذًا من اتخاذ الفن لعبادة اللَّه، فمن تلقائه يضل كثير من الضالين وبه يمكن أن يهتدي المهتدون، فمن أهمله ترك بابًا واسعًا للفتنة الملهية عن اللَّه والداعية إلى معاصيه، ومن أخذه بما ينبغي فتح بابًا واسعًا للدعوة إلى اللَّه بدفع جاذبية الجمال ولعبادته أجمل وجوه العبادة»[(٢)].

وخذ آخر الطوام لهذا الضال الذي يجعل للراقصين والراقصات والمطربين والمطربات وممثلات الإغراء وعرايا الفن السابع بابًا في الجنة باسمهم يقول عن «الرقص» لجريدة «الصحافة» السودانية.

«الرقص تعبير جميل يصور معنى خاصًّا بما تنطوي عليه النفس البشرية من شعور.. إلى أن يقول: «ولا ننكر أن في الغرب رقصًا يعبّر عن معاني أُخر كريمة»[(٣)].

أخزاك اللَّه فليس بعد هذا إسفاف وابتذال وجنون.

---

(١) «الدين والفن» للترابي ص(١٠٦)، الدار السعودية للنشر ط١ ١٤٠٨هـ، ومحاضرة له - وقوله هذا مُسجّل فيها بصوته.

(٢) «الدين والفن» ص(١١٠).

(٣) جريدة الصحافة الصادرة في الخرطوم ١٥/١١/١٩٧٩م نقلاً عن «الصارم المسلول» ص(١٢).

في ذمة العلماء هذا كله   إن كان فيما بيننا علماءُ

***روجيه جارودي من صنع الجهّال حوله هالات النور وهو يهدم دين الله من أساسه ويحطم الثوابت والسنة فيتصدى له شيخ الإسلام الفذّ الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

حال هذه الأمة بعيدًا عن العلم حين يسود الجهال وحملة المباخر وأتباع كل ناعق من الهمج الرعاع يصوره حديث رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[1] .

● وقال ﷺ : «**إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء بعلمهم ويبقى جهال، فيسألون فيفتون، فيضلون ويضلون**».

◻ وعن ابن مسعود ﷺ: قرّاؤكم يذهبون ويتخذ الناس رؤساء جهّالاً يقيسون الأمور برأيهم»[2] .

لقد تكلّم في إسلام هذا الرجل الكثير وجعلوه فتحًا من فتوح الإسلام وأضفوا عليه وخلعوا عليه من الألقاب وكأنه مجدد هذا القرن، فلما ردّوا الأمر إلى شيخ الإسلام ابن باز «سقطوا على الخبير».

وقبل أن نأتي بكلام الشيخ عن جارودي نذكر بعض الأقوال لجارودي

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمي وابن ماجه عن ابن عمرو.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٧).

يهدم بها الثوابت من دين اللَّه:

◻ قال: «دخلت الإسلام وبإحدى يديّ الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس ولست مستعدًا للتخلي عن أي منهما»(١).

فانتسابه للإسلام لا يعني التخليّ عن الماركسية أو ترك النصرانية!!!!

◻ ويقول عن القدر والإنسان:

«إن اللَّه لم يخلق منفذين مستسلمين للقدر، إنه جعل من الإنسان خليفة أي خليفة اللَّه(٢) على الأرض، والخليفة ليس منفذًا قدريًّا، إنه إنسان يأخذ القرارات عندما يكون الحاكم غائبًا، ولا يمكن لأي كان أن ينزع منا هذه المسئولية»(٣).

◻ أما عقيدته في اليوم الآخر:

فهي تصور غريب لا يتفق مع التصور الإسلامي فعندما سُئل عن الحساب الأخير والبعث أجاب: «إن الحساب الأخير ليس حسابًا أخيرًا يعقب هذه الحياة، فاللَّه ليس في الزمان بما يتضمنه الزمان من تعاقب بين القبلي والبعدي، والاعتراف بالحساب الأخير لا يعني إذن مقارنته بمحكمة إنسانية فالحساب الأخير ليس هو الأخير في الزمان، وإنما هو كذلك في كل آن بوصفه الحكم المطلق والنهائي وراء أحكامنا الإنسانية لأنها قائمة على ظواهر نسبية وعلى نجاحنا وفشلنا وعلى خداعنا أيضًا.. ولهذا فحساب اللَّه هو

---

(١) Montour du siecle كما جاء في تصريح له صريح بأنه لم يتخلّ عن الماركسية! انظر السبيل العدد ١٠٤، تاريخ ١٢/١١/١٩٩٥.

(٢) وهذا قول خطأ فاللَّه ليس غائبًا حتى يخلفه غيره وقد جاء في الحديث «اللَّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل والولد».

(٣) الموقف ١٩٨٤ انظر كتاب رامي كلاوي «جارودي من الإلحاد إلى الإيمان» ص(١٨٥).

الحساب الأخير في قيمته النهائية، وفي اعتماده على قانون مطلق لا في مجرى الزمان، ولذا فالإيمان بالحساب الأخير يعني أن نحيا في صفاء مع اللَّه في كل آن»[١] .

□ مفهوم البعث:

لم يكتف جارودي بإنكار القيامة ولكنه ينكر مفهوم البعث بصفته الحقيقية: وقد قال: «ذلك هو البعث، فهو ليس ظاهرة كيميائية غريبة يُسَوَّى بموجبها لحمنا ودمنا وعظامنا من جديد.

إن الأمر يتعلق بمثل ضربه اللَّه لنا وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها اللَّه المتعالي، الذي ليس كمثله شيء ليُوحي إلينا بحقيقته التي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكن كل يوم، لأن قدرتنا على تقويم ماضينا تمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد واع»[٢] !!

□ أما السنّة:

يقول جارودي: «إن سنّة النبي لم تُوضع لأجل المستقبل، لما بعد وفاة محمد وحسب، إذ أن اللَّه يذكّر الرسول في عدة مناسبات أن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلّغه في القرآن أن يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

في القرآن أمر بطاعة النبي لا تقليده، اللَّهم إلا في إيمانه وعقيدته»[٣] .

«تُعدّ هذه المسألة عند جارودي من أخطر المسائل التي تناولها، فقوله

---

(١) مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٧).
(٢) مقدمة لجارودي لكتاب «المشكلة الدينية» لمحسن الميلي ص(٨).
(٣) «الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها» لجارودي ص(٨٢).

يستهدف استبعاد السنة النبوية وعدم قبولها بعد وفاة النبي ﷺ»[1] .

☐ ويفتري جارودي على المسلمين بإدخالهم السنّة من خارج القرآن!!

فيقول: «لقد أُدخِل مفهوم السنة من خارج القرآن وبعد وفاة النبي ﷺ» فهو يدعو إلى الاعتماد على القرآن وحده وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب اللَّه! فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللَّه، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة، أو كان الحمل أو الاعتراف. قال سفيان: كذا حفظت: ألا وقد رجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا بعده»[2] .

*** الوحدة الفيديرالية الإبراهيمية:**

اقترح جارودي تصورا للطوائف الدينية فقال: «إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيديرالية» للطوائف الدينية، لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبدًا في التاريخ: لا في المسيحية ولا في اليهودية أو في الإسلام لكن أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للعيش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة»[3] .

☐ وعقيدة الولاء والبراء تخالف معتقد جارودي هذا البتة.

☐ ويقول عن تصوره لأساس الخلاف بين المسيحية والإسلام: «سنضع جانبًا أيضًا الاتهامات الموجهة من المسلمين إلى المسيحين حول سر التثليث لأن

---

(١) «فكر جارودي بين المادية والإسلام» لعادل التل ص(٧٣) ـ دار البيّنة.

(٢) **إسناده صحيح.**

(٣) «الموقف» (١٩٨٤)، وانظر كلاوي ص(١٨١).

محتوى سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يتطابق تمامًا مع قول مجمع (لاتران) المنعقد عام ١٢١٥ حول التثليث: «اللَّه أب وابن روح قدس»، وهذه حقيقة معنى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ القرآنية»[1] .

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ تزوير للحقائق بصورة فاضحة من المفكر الكبير جارودي!! الذي يريد أن يجعل من الكفر إيمانًا بجرّة من قلمه.

أما عن قوله عن الحجاب وأحكام المرأة والتشريع الإسلامي فانحراف تام عن الإسلام.

من أجل فهم فتوى الشيخ ابن باز كان لا بد من هذه المقدمة حول بعض معتقدات جارودي لتعلم أي علم ووعي كان يحمله الشيخ ابن باز بين جنبيه.

بيان حكم الشرع في الجارودي على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة لسماحة الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز[2]

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كثر في الآونة الأخيرة في الصحف والمجلات الكلام عن الرجل المسمى (روجيه جارودي) الشيوعي الفرنسي؛ الذي ادعى أنه دخل الإسلام عن اقتناع ومحبة ففرح بذلك بعض المسلمين وأظهروا حفاوة به، وأكرموه ومنحوه الثقة، وجعلوه عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة

(١) كتاب «الإسلام الحي» لروجيه جارودي ص(١٨) ترجمة دلال ومحمد طاهر.

(٢) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (٥٠) عام ١٤١٨هـ. ص(٣٦١).

العالم الإسلامي، وصار يحضر الندوات واللقاءات التي تعقد في العالم الإسلامي عن الإسلام متحدثًا ومناظرًا. ثم لم يلبث أن تكشفت حقيقته وافتضح أمره وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين، وأنه لم يزل على كفره وإلحاده فانضم إلى أشكاله من المنافقين الذين قال اللَّه فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وآخر ما نُشِرَ عنه الحوار الذي أجرته معه مجلة المجلة في عددها (٨٣٩) حيث جاء فيه: أنه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة وأنه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمون، وإنما اعتنق إسلامًا آخر تخيله بذهنه زعم أنه خليط من الأديان: اليهودية والنصرانية ومن الإسلام الذي تخيله هو، لا الإسلام الذي بعث اللَّه به نبيه محمدًا ﷺ، وقال إن هذا الإسلام المزعوم هو دين إبراهيم عليه السلام. فإبراهيم بزعمه هو أول المسلمين فالإسلام بدأ من عهد إبراهيم، قال: ولم يكن إبراهيم يهوديًّا ولا مسيحيًّا ولا مسلمًا بالإسلام التاريخي للكلمة أي الذي عليه المسلمون اليوم. وكذب في ذلك فإن الإسلام الذي هو توحيد اللَّه بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو موجود من قبل إبراهيم من عهد آدم ونوح والنبيين من بعده وهو دين جميع الرسل. وهو الذي بعث اللَّه به نبيه محمدًا ﷺ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهو دين المسلمين اليوم من أتباع محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ولم يكن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليطًا من الحق والباطل كما زعم هذا الضال؛

بل كان دينه التوحيد الخالص للَّه عزّ وجل والبراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وهو الدين الذي بعث اللَّه به محمدًا ﷺ، ويرى هذا الضال أن البراءة من الكفر والشرك وما عليه اليهود والنصارى من الوثنيات والتحريفات الباطلة دين تفرقة؛ لأن الإسلام في مخيلته معناه التوحيد والتقارب بين المسلمين وغير المسلمين، يريد إسلامًا يجمع بين المتناقضات والمتضادات، ويكفر المسلمين الذين يخالفونه في ذلك.

ويرى أيضًا أن سنة الرسول ﷺ وأن الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة انتهت صلاحيتهما في هذا الزمان لأنهما كانا لزمان معين، وأنه يجب إحداث فقه جديد. وهذا معناه ترك دين الرسول ﷺ؛ لأنه لا يصلح لهذا الزمان وإحداث دين جديد. وهذا كفر بعموم رسالة الرسول لكل زمان ومكان، ولكل جيل، ولكل البشرية إلى أن تقوم الساعة، وكفر بختم الرسالة بمحمد ﷺ خاتم النبيين، وكفر بصلاحية رسالته لكل زمان ومكان، وهذا كفر صريح وقول قبيح مناقض لقول اللَّه سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

● وقول النبي ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1] متفق على صحته.

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيمم) برقم (٣٢٣)، واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في =

● وقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»[1]، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمع العلماء رحمهم اللَّه من الصحابة ﷺ ومن بعدهم إجماعًا قطعيًّا على أن محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب ﷺ هو رسول اللَّه إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثم يتناول هذا الملحد الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو الصلوات الخمس الثابت بالكتاب والسنة والمعلوم من الدين بالضرورة، فيرى أن الصلوات ثلاث صلوات في اليوم والليلة لا خمس صلوات. ويزعم أن هذا هو ما يدل عليه القرآن. وهذا القول الباطل بل الكفر الصريح ناتج عن كفره بالسنة التي بينت الأوامر التي جاءت في القرآن، ومن ذلك الصلوات فقد بينت السنة الصحيحة المتواترة أنها خمس صلوات في اليوم والليلة وأجمع المسلمون على ذلك:

ثم بين هذا الضال الصلاة التي يعنيها وأنها ليست الحركات التي هي عبارة عن القيام والقراءة والركوع والسجود، وإنما هو التفكير العميق في الذات الإلـهية، وذلك يستغرق عنده ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين ساعة. وهذه صلاة الباطنية الملاحدة لا صلاة الأنبياء وأتباعهم وهذا القول كفر صريح وردة عن الإسلام عند جميع أهل العلم.

= كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠).

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان) برقم (٢١٨)، ورواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٧٨٥٦).

ثم تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام وقال: إنه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وإنما هو معاني الصيام وأهدافه. ثم إنه أعفى سكان المناطق القطبية من الصيام لأنه لا يمكن تطبيقه في مناطقهم؛ لأنه ليس عندهم طلوع فجر ولا غروب شمس. وهذا تكذيب للَّه ولرسوله ولإجماع المسلمين في أن الصيام ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات.

* قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

● وقال النبي ﷺ: «**إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم**»[١] متفق على صحته. فمن أعظم منافيات الصيام الأكل والشرب. وأما الاقتصار على معاني الصيام وأهدافه فليس صيامًا شرعيًّا وإنما هو صيام الباطنية الذين يقولون الصيام هو كتم الأسرار، وهذا إلحاد في دين اللَّه عز وجل، وكذلك لا يعفى أحد من الصيام في جميع أقطار الأرض لأن أحكام الشريعة عامة للبشرية أينما كانت وإنما يصوم المسلم حسب استطاعته. وكيفية صيام أهل المناطق القطبية قد بحثها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا وقرروا فيها رأيهم حسب ما ظهر من أدلة الكتاب والسنة. ثم إن هذا الملحد يُجهل علماء المسلمين فيقول: «قد عملت معهم عندما كنت عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد. واكتشفت أنهم أناس جهلة، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقًا يرددون بطرق آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب، ولا أعتقد أن لدي استعدادًا للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذهني».

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (الأذان) برقم (٥٨٧)، ورواه الإمام مسلم في (الصيام) برقم (١٨٢٩) واللفظ متفق عليه.

□ هذا شعوره نحو علماء الإسلام الذين اغتر الكثير منهم به وأحسنوا به الظن وأكرموه وأشركوه معهم في مؤتمراتهم وندواتهم. وإنها لموعظة للعلماء أن لا يتسرعوا بمنح الثقة لكل من تظاهر بالإسلام خصوصًا من أمثال جارودي ممن عرفوا بالإلحاد والزندقة والشيوعية قبل ادعاء الإسلام حتى يتثبتوا في شأنه.

ومن كفر جارودي الصريح أنه يدعو إلى تعطيل حد السرقة وتغيير مقادير المواريث، فيرى أن قطع يد السارق اليوم غير مناسب وهذا اتهام للإسلام بالقصور وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان. بل هو وصف للَّه سبحانه بالجهل وأنه لا يعلم ما يَجدُّ في المستقبل وما يناسبه من العقوبة، فإن اللَّه سبحانه أمر بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا ثم ختم الآية بقولة سبحانه: ﴿واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان. ثم يقول: (لو كنت قاضيًا وجاءني أخ وأخت يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطي الذكر)، وهذا مصادم لقول اللَّه تعالى في شأن الإخوة في آخر سورة النساء: ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ولقوله تعالى في أول السورة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فهو اعتراض على اللَّه في حكمه وكفى بذلك كفرًا وإلحادًا.

ثم يدعو علماء الإسلام أن يتمردوا على شرع اللَّه كما تمرد المسيحيون على البابا وثاروا في وجه الكنيسة، فهو يسوي بين الدين الحق الذي هو دين الإسلام ودين الكفر الذي هو دين البابوات ورجال الكنيسة المغير لشرع اللَّه.

وأخيرًا فإن روجيه جارودي لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام كما توهمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف

هو بذلك حيث يقول: (انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية).

إن دين الإسلام لا يجتمع مع القناعات الإلحادية ولا يجتمع مع اليهودية والنصرانية لأنهما ديانتان محرفتان ومنسوختان بدين الإسلام الذي بعث اللَّه به نبيه محمداً ﷺ وأمره أن يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

● وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**»[(١)] أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كما تقدم، وفي «الصحيحين» عن جابر ابن عبداللَّه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[(٢)] وبذلك يعلم أنه لا يسع أحداً من هذه الأمة جنها وإنسها إلا اتباع محمد ﷺ ولا يقبل اللَّه من أحد بعد بعثته إلا دينه.

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان) برقم (٢١٨)، والإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٧٨٥٦).

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيمم) برقم (٣٢٣) واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠)، والنسائي في (الغسل والتيمم) برقم (٤٢٩).

* ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة قال اللَّه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

● وتقدم قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»[١]. وذلك أن اللَّه سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنه لو بُعث وأحد منهم حي وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته، وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضًا فإن من زعم أنه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد ﷺ بعدما بعثه اللَّه ويتبعه؛ لأن رسالته ختمت الرسالات وشريعته نسخت الشرائع ولم يبق دين مقبول عند اللَّه سوى الدين الذي بعثه اللَّه به كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى يوم القيامة، كما تقدم ذلك في قوله سبحانه آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يقول

(١) سبق تخريجه.

للناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] الآية.
وتقدم قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨].

* وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

● وقول النبي ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1] متفق على صحته.

● وقوله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**»[1] والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة، وأسأل اللَّه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن يثبتنا وإياهم على دينه، وأن يمنحنا جميعًا الفقه فيه، والاستقامة عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شر أعداء اللَّه ومكائدهم كالجارودي وأشباهه من سائر الملحدين، والكافرين، إنه على كل شيء قدير وصلّى اللَّه وسلّم على نبينا محمد، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

* الشيخ ابن باز يحكم بردة من تنقّص الرسول ﷺ ويرد على جريدة المساء المصرية:

حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئًا مما حرمه[1]

بسم اللَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه.. لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة صوت الإسلام بالقاهرة نقلاً عن صحيفة المساء المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجانب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا: محمد بن عبداللَّه ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات، وهو الديك، لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح، وإلحاد سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها لجرأة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب اللَّه الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب اللَّه المبين، وشرعه الحكيم، قال اللَّه عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] الآية، فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ اللَّه العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، وقد أجمع

(١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/٢٥٣).

علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من الدين، وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام يجب قتله؛ لقول الرسول ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه».

▫ ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه ـ أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به والله سبحانه له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عزّ وجل، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ظاهر ونفاق سافر وعداء لرب العالمين وكفر برسوله الأمين.

▫ وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم ﷺ أو تنقصه، وعلى وجوب قتله.

▫ قال الإمام أبو بكر ابن المنذر ـ رحمه الله ـ: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. انتهى.

وقوله: (عوام): جمع عامة، والعامة هنا بمعنى الجماعة، فمراده ـ رحمه الله ـ أن جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ .

ولا شك أن السب يتنوع أنواعًا كثيرة، ولا ريب أن الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقصه وتمثيله بحيوان حقير من أقبح السب وأعظم التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرًا حلال الدم والمال.

▫ وقال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: أجمعت الأمة على قتل متنقصه

من المسلمين وسابه. انتهى.

☐ وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. انتهى.

☐ قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد ما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ما نصه: وتحرير القول فيه: أن الساب إن كان مسلمًا أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله يقول: من شتم الرسول ﷺ أو انتقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب. انتهى.

وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق.

ولقد وفقت صحيفة صوت الإسلام القاهرية في ردها على جريدة المساء المصرية ما اقترفته من المحاربة للإسلام ومن الجرم الفظيع والمنكر الشنيع في حق المصطفى ﷺ وشريعته بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد عطية خميس، ولقد أحسن فضيلته إحسانًا عظيمًا حيث أنكر ما فعلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء السافر بسيد عباد الله وأفضل رسول، واحتج على حكام مصر وطالبهم بوضع حد لهذه الفتنة.

وإلى القراء بعض كلمته، قال وفقه الله بعد كلام سبق في رد مقالات شنيعة كتبتها بعض الصحف المأجورة ما نصه:

فلا عجب بعد كل هذا أن يتجرأ صحفي من صحفي جريدة المساء ليعرض برسول الله ﷺ في صورة كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير الماضي فيرسم شخصًا له جسم الديك ويقول تحت هذه الصورة «اهوه ده

يا سيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع» بمثل هذا الخبث تنشر مثل هذه الصورة التي تعرض برسول اللَّه ﷺ وبشريعة الإسلام.

□ من الذي تزوج تسعًا غير رسول اللَّه ﷺ؟ أيصل الأمر إلى أن ينشر مثل هذا الرسم في جريدة يومية يشرف عليها الاتحاد القومي، وتصل السخرية التريقة على شخص رسول اللَّه ﷺ وأن يقال عنه: (محمد أفندي) ويرمز إليه بمثل هذا الرمز، لماذا اختار المحرر أو الرسام محمد أفندي بالذات ولم يختر علي أفندي أو سعيد أفندي أو أي اسم آخر؟ ولماذا حدّد العدد بتسع بالذات؟ ولم يحدد بسبع أو عشر أو اثني عشر؟ إن خبث الرسام ظاهر واضح ولا يحتاج إلى تأويل والتماس عذر له، إن مثل هذا الرسم لو نشر في أية صحيفة انجليزية أو أمريكية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية لقامت الدنيا وقعدت، ولاتخذت سلاحًا بتارًا للدعاية والتشهير، أما أن ينشر في جريدة من جرائد هذه الأمة فتغمض عنها الأعين وتمر بها مرورًا عابرًا، ومن المؤسف المؤلم أن يحدث هذا في صحافتنا في الوقت الذي يعمل فيه الأعداء أكثر من حساب لمشاعرنا نحن المسلمين، فأمريكا وإيطاليا يريدان إنتاج فيلم عن رسول اللَّه ﷺ فإذا بهم يلجأون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية ليأخذوا رأيها وموافقتها في كل ما يتعلق بهذا الفيلم من حوار وسيناريو وخلافه، وكان باستطاعة هاتين الدولتين أن تخرجا الفيلم كما تشاءان وعلى النحو الذي يتفق مع روحهما العدائية لنا، هذا ما يحدث من أعدائنا، وهذا ما يحدث من أبناء أمتنا. إلى متى يسكت المسئولون عن هذه الصحافة؟ وإلى متى نسكت نحن أبناء هذه الأمة؟ هل ننتظر إلى أن يلجأ هؤلاء الخونة والمفسدون إلى التصريح بدلاً من التلميح؟ أننتظر إلى أن يسخر من إسلامنا في الشوارع والطرقات؟ واللَّه إنها لفتنة سوداء يوقدها هؤلاء الجهلاء المأجورون تنذر بالخطر الفادح إن لم يوضع لها حد، فإننا لن نستطيع أن

نسكت بعد هذا على هذا التمادي في محاربة الإسلام والأخلاق وفي التعريض برسول اللَّه ﷺ وشريعته، فالأمة لا تزال معتزة بدينها غيورة على رسولها، فإن أرادت هذه الصحافة الماجنة أن تعلنها حربًا فلتعلنها كما تريد، ولكن لن نقف مكتوفي الأيدي. . وكفى! فإسلامنا هو وطننا ولا وطن لنا غيره، وإسلامنا هو روحنا ولا حياة لنا بسواه، وإسلامنا هو رزقنا ولا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه، وإسلامنا هو كل شيء في الوجود بالنسبة لنا. وأقول هذا باسم أكثر من عشرين مليون مسلم من أبناء هذا الشعب العزيز، ونحن في انتظار بيان رسمي من الاتحاد القومي وما صنعه مع جريدة المساء ورسامها والمسئولين عنها، ومع صحافتنا على العموم حتى نطمئن إلى مستقبل ديننا، واللَّه أكبر والعزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين. انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس.

❑ ولقد أجاد وأفاد، وصدع بالحق، فجزاه اللَّه على ذلك خيراً وزاده من الهدى والتوفيق وكثر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللئام، والحمد للَّه الذي أوجد في مصر من ينطق بالحق ويصدع بالرد على من حاد عنه، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن بالزوايا خبايا، وأن في الرجال بقايا، ولا شك أن ذلك من حفظ اللَّه لدينه وحمايته لخاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد ﷺ، ولقد أخبر اللَّه سبحانه في كتابه المجيد عن أعدائه من الكفار والمنافقين أنهم يسخرون بالمرسلين والمؤمنين، ويضحكون منهم، فلا غرابة أن سلك القائمون على صحيفة المساء مسلك أئمتهم من المشركين والمنافقين وساروا على منهاجهم الوخيم وطريقهم الذميم ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

* قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠]. الآيات.

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

* وقال جلّ وعلا عن رسوله نوح وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ١٠٩-١١١].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ففي هذه الآيات المحكمات والبراهين البينات دلالة ظاهرة وحجج قاهرة على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين، ومن عدائهم السافر وكفرهم الظاهر.

□ ولقد تخلق بعض القائمين على صحف القاهرة في هذا العصر بأخلاقهم وساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم فلهم حكمهم في الدنيا والآخرة، وقد ثبت عن المصطفى ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم» فليس من شك عند كل من له أدنى مسكة من علم وهدى أن من شبه الرسول ﷺ بشيء من الحيوانات الحقيرة قد تنقصه واحتقره ومن فعل ذلك أو رضيه من حاكم أو صحفي أو غيرهما فهو كافر ملحد حلال الدم والمال.

وهنا أمر عظيم ينبغي التنبيه له، وهو أن يقال: ما السر في تشبيه صحيفة المساء القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقية الحيوانات، إنه ظاهر لمن تأمله، ألا إنه الجحود لنبوته والإنكار لرسالته ورميه بأنه ثائر شهواني ليس

له هم إلا إشباع نهمته من النساء، وهذا إمعان في الكفر، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجناب العظيم والمقام الرفيع، لعن اللَّه من تنقصه أو رماه بما هو براء منه، وقاتل اللَّه صحيفة المساء القاهرية والقائمين عليها الراضين بهذا الاستهزاء، فما أعظم ما تجترءوا عليه من الباطل، وما أقبح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء، ولقد صان اللَّه رسوله ﷺ وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون فقد كان أعف الناس وأنصحهم للَّه ولعباده وأرفعهم قدرًا وأشرفهم نفسًا وأشدهم صبرًا وأقومهم بحق اللَّه وتبليغ رسالته، وأخشاهم للَّه وأتقاهم له، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ، وإنما تزوج النساء كسنة من قبله من المرسلين، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً**﴾ [الرعد: ٣٨]، وفي تزوجه ﷺ بتسع من النساء حكم كثيرة وأسرار بديعة ومصالح عظيمة، منها: إعفافهن والإحسان إليهن، ومنها: أن يتعلمن منه ﷺ أصول الشريعة وأحكامها ويعلمنها الناس بعده كما قد وقع، فقد كان بيت كل واحدة منهن مدرسة للمسلمين والمسلمات، يردونها للتعلم ويشربون من معينها الصافي عللاً بعد نهل، ويسألون أمهات المؤمنين عن حياته ﷺ وشمائله وأخلاقه وأعماله داخل بيوته وخارجها، ومن ذلك: ما في تعددهن من مصلحة التأليف والتعاون على البر والتقوى، وتبليغ القرآن والسنة بواسطة أصهاره ومن يتصل بهم؛ لأن أزواجه كن من قبائل شتى وذلك أبلغ في مقام الدعوة والتأليف وأنفع للأمة وأكمل من جهة التبليغ والتعليم، ومن ذلك: ما في تعددهن من راحته ﷺ وأنسه، فإن اللَّه سبحانه قد حبب إليه النساء والطيب، وجعل قرة عينه في الصلاة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة**»، وقد جبل اللَّه الرجال على حب النساء والميل إليهن، وجعلهن سكنًا للرجال، كما قال عزّ

وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وأعطى نبيه ﷺ في ذلك من كمال الرجولة والقوة على القيام بأمر الزوجات وحقوقهن ما لم يعطه الكثير ممن قبله، وليس هذا بمستنكر في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم أكمل الرجال رجولة وأعفهم فرجًا وأقومهم بحق اللَّه وحق عباده، وقد كان لنبي اللَّه داود زوجات كثيرة، ولابنه نبي اللَّه سليمان بن داود كذلك، وقد قواهما اللَّه على الطواف عليهن والقيام بحقهن، فكيف يستغرب على من هو أفضل منهما وأرفع عند اللَّه منزلة، وهو محمد ﷺ، أن يبيح اللَّه له تسعًا من النساء مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تقدم بعضها، وكلها تعود على الأمة بالخير والإحسان والنفع العام، وقد خص اللَّه نبيّه ﷺ بخصائص عظيمة وحباه بصفات كريمة، فبعثه إلى الناس عامة، وجعله رحمة للعالمين، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ورفع منزلته في أعلى الجنة وهي الوسيلة، وجعله سيد أولاد آدم كلهم، وأعطاه المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وشرح له صدره وغفر له ذنبه ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، فلا يذكر سبحانه إلا ذكر معه، كما في الخطيب والتشهد والإقامة والتأذين، وخصائصه وشمائله ﷺ كثيرة جدًا، فكيف بعد هذا كله تجترئ صحيفة المساء المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحط من قدره وتمثيله بحيوان من أحقر الحيوانات وأدناها، إمعانًا في الاحتقار ومبالغة في الاستهزاء، سبحان اللَّه ما أعظم شأنه، واللَّه أكبر ما أوسع حلمه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وليس هذا الكفر الظاهر والنفاق السافر والاستهزاء الصريح بأشرف عباد اللَّه ومن أخرج اللَّه به العباد من الظلمات إلى النور - بغريب من صحف الخلاعة والمجون وأبواق الكفر

والإلحاد ومنابر الظلم والعدوان ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل، ليس ذلك بغريب على بعض القائمين على صحف القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضوا عما جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واهتموا بالفراعنة والملاخدة وعباد الصلبان، وجندوا بعض صحفهم لمحاربة الإسلام وطمس شعائره العظام والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وسفهاء الأحلام.

❑ ثم أقول: ليس هذا وحده جرم صحف القاهرة، فكم لهم من جرائم وكم لهم من مخاز، وكم لهم من مكفرات ونواقض للإسلام، أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الإشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على الظلم للعباد، وزعموا تلبيسًا وتضليلاً أنها من الإسلام، والإسلام براء من ذلك، الإسلام حرم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم، الإسلام يحترم مال الفرد والجماعة ويحرسه ويحميه بقطع يد السارق، وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال فقط، ويقول الرسول العظيم ﷺ في حجة الوداع يوم النحر: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، متفق على صحته.

● ويقول ﷺ: «**من ظلم شبرًا من الأرض طوقه اللَّه إياه يوم القيامة من سبع أرضين**» متفق على صحته.

● ويقول ﷺ: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب اللَّه له النار وحرم عليه الجنة**» خرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

* ويقول اللَّه في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ [النساء: ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

● وقال سيد الخلق ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا».

● وقال ﷺ أيضًا: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه»، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثير، وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم المتنوعة على عصمة مال المسلم وتحريم دمه وماله وعرضه إلا بحق، وأجمع علماء المسلمين على ذلك، ومع هذا كله فدعاة الاشتراكية والشيوعية وأعوانهم على الظلم والعدوان استباحوا أموال الناس ودماءهم بغير حق ونبذوا كتاب اللَّه وسنّة رسوله ﷺ وراءهم ظهريًا، ولو أنهم قالوا: قد عرفنا أنه ظلم وعدوان وأقدمنا عليه، لكان أسهل عند اللَّه وعند المؤمنين، ولكن بعضهم مع الظلم السافر والكفر الظاهر يزعمون أن أعمالهم الماركسية وتصرفاتهم الشيوعية وسيرتهم الكفرية والإلحادية من الإسلام ويزعم لهم أذنابهم وعبيدهم تلبيسًا وتضليلاً أن الإسلام جاء بذلك واللَّه سبحانه ورسوله ودينه براء من ذلك كله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

* ولقد صدق اللَّه سبحانه حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، ومن زعم أن ما يفعله دعاة الاشتراكية والشيوعية من الظلم والاستبداد والتعدي على حرمات المسلمين من الإسلام فهو كافر ضال كاذب على اللَّه ورسوله وعلى شرعه، كما أن من أنكر الحدود كحد السرقة أو غيره وزعم أنها ليست من

شرع اللَّه كما ينعق بذلك دعاة الإلحاد من الشيوعيين وغيرهم فهو كافر مكابر مكذب لقول اللَّه سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ومن زعم أن الاشتراكية الماركسية مباحة وأنها من الإسلام أو أنها خير من الإسلام وأرحم من الإسلام فهو من أكفر عباد اللَّه وأضلهم عن سواء السبيل؛ لأنه لا شيء أحسن من الإسلام ولا حكم أعدل من حكمه، ومن جعل الظلم منه ونسبه إليه فقد تنقصه وكذب عليه، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦ ـ ١١٧]، واللَّه سبحانه قسم بين الناس معيشتهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، لتنتظم أمورهم ويستعين بعضهم ببعض، فتكمل مصالحهم وتظهر مواهبهم ويتميز غنيهم من فقيرهم وشاكرهم من كافرهم وناصحهم من خائنهم وطيبهم من خبيثهم، إلى غير ذلك من الحكم والأسرار الكامنة في حكمة التفاوت بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالى منكرًا على المشركين الأولين: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٥]، فلو سوى بينهم سبحانه في المعيشة والأخلاق والعقول والأسباب لتعطلت مصالحهم ولم تظهر

هذه الحكم والأسرار التي رتب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولم يعرف العباد معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولم يخضع أحد لأحد ولم يعرف أحد قدر نعمة اللَّه عليه، ولم يؤد ما يجب عليه من الشكر إلى غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفة والحكم الرفيعة التي لا يدركها ولا يوفق لها إلا أهل الإيمان باللَّه واليوم الآخر وأرباب العلم النافع والبصائر.

والاشتراكية استوردها أربابها ليغنوا بها الفقراء بزعمهم، وإنما جلبوها في الحقيقة ليفقروا بها الأغنياء ويسلبوا بها أموال الناس بالباطل باسم رحمة الفقراء ويصرفوها في مطامعهم الأشعبية وأغراضهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية، ويخمدوا بها جذوة الحركة والعلم، ويصدوا بها الناس عن التفكير في: حق رب العالمين والتنافس في مصالح الحياة والثورة على الكفرة والطغاة الملحدين. هذه حال الاشتراكية وأهلها، حسدوا الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله، وتجرأوا على شرعه وظلموا العباد واستبدوا بالأموال والعتاد وحاربوا اللَّه في أرضه واستكبروا عن طاعته وحقه، تبًّا لهم ما أخسر صفقتهم وأخس مروءتهم وأسوأ عاقبتهم، فالحذر الحذر أيها المسلمون من أرباب هذه الفتنة العمياء والبدعة النكراء والكفر الصريح والمعاداة للَّه ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون، وقد شرع اللَّه في الإسلام ما يغني عن هذا المذهب الهدام ويبطل كيد مخترعيه الكفرة اللئام، فأوجب سبحانه في أموال الأغنياء من الزكاة وصنوف النفقات، وشرع لعباده عزّ وجل من أنواع الكفارات والصدقات وسبل الإحسان ما تسد به حاجات الفقراء ويستغنى به عن ظلم العباد والتحيل على سلب أموالهم، بل جعل سبحانه وتعالى أداء الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام وتوعد من يخل بها بأنواع العذاب والآلام، ووعد من بذلها كما شرع اللَّه بالطهرة والزكاة لهم ولأموالهم ومضاعفة الأجور وعظيم الخلف، كما قال عزّ وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

* وقال عزّ وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

* وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على المسلمين جميعًا أن يؤدوا ما أوجب اللَّه عليهم لإخوانهم الفقراء وأن يطيبوا نفسًا بذلك وأن يرحموهم ويعطفوا عليهم أداءً لما أوجب اللَّه ورجاءً لرحمة من اللَّه وحذرًا من غضب اللَّه وسدًّا لأبواب الفتن والفساد وإغلاقًا لسبل الكفر والإلحاد وشكرًا للَّه على إنعامه وطمعًا في المزيد من فضله وكرمه وإرغامًا لأنوف الكفار والملحدين الذين قد ساءت ظنونهم بالإسلام واعتقدوا أنه قد أهمل جانب الفقراء ولم يعطهم حقهم، ولقد أخطأ ظنهم وخسرت صفقتهم وكذبوا على اللَّه وحادوا عن الحق الواضح.

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون ومثلوا الإسلام في أعمالكم وأقوالكم وارحموا فقراءكم وأدوا ما أوجب اللَّه عليكم من الزكاة وغيرها لتفوزوا بالسعادة والنجاة وتسلموا من غضب اللَّه وأليم عقابه في الدنيا والآخرة، واللَّه المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن يمنحهم الفقه في دينه، وأن يهدي زعماءهم وقادتهم لصراطه المستقيم، وأن يقيم علم الجهاد ويكبت أهل الشرك

والكفر والإلحاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى اللّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبدالعزيز بن عبداللّه بن باز

*** للّه در الشيخ ابن باز ـ رحمه اللّه ـ:**

◘ قد كان ـ رحمه اللّه ـ مثالاً فذًّا في إسداء النصح للمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك:

ـ رسالته للملك فيصل ـ رحمه اللّه ـ يحثه فيها على الدعوة إلى اللّه ومناصحة رؤساء بعض الدول بتحكيم شرع اللّه. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٧٢).

ـ رسالته إلى صدام حسين يُنكر عليه فيها إعلانه للنظام الاشتراكي في العراق. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٣٩٤).

ـ تعقّبه على محمد سعيد البوطي حول بعض الأمور التي زلّ فيها. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٣٥٣).

ـ الردّ على من قال: إن الجهاد دفاع فقط. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣/ ١٧١).

ـ الرد على من اعتقد صحة دين اليهود والنصارى. «فتاوى إسلامية» (١/ ٦٧).

ـ الرد على دعاة التقريب بين الأديان. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٨٠).

ـ الرد على الطريقة التيجانية. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٤٠)، ومجلة البحوث الإسلامية العدد «٣٩» ص(١٤٥).

- الردّ على البريلوية. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٨٣).

- الرد على طائفة الدروز. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٨٧ ـ ٣٠٦)، ومجلة البحوث الإسلامية» العدد «٣٦» ص(٨٥).

- الرد على البهائية والقاديانية. «فتاوى إسلامية» (١/ ١٦٣).

- الرد على الماسونية. «مجلة البحوث الإسلامية» العدد «٣٦» ص(١٠٥).

- الرد على من يريد التقريب بين أهل السنة والرافضة. «مجموع فتاوى سماحة الشيخ» (٣/ ١٠٩٨).

- الرد على من يقول إن الإسلام انتشر بالسيف. «مجموع فتاوى سماحة الشيخ» (٣/ ١٠٨٩).

- الرد على من يزعم أن في الدين قشور. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٢٣).

- الرد على رشاد خليفة حول إنكاره للسنة المطهرة. «مجلة البحوث الإسلامية» العدد «٩» ص(٣٩).

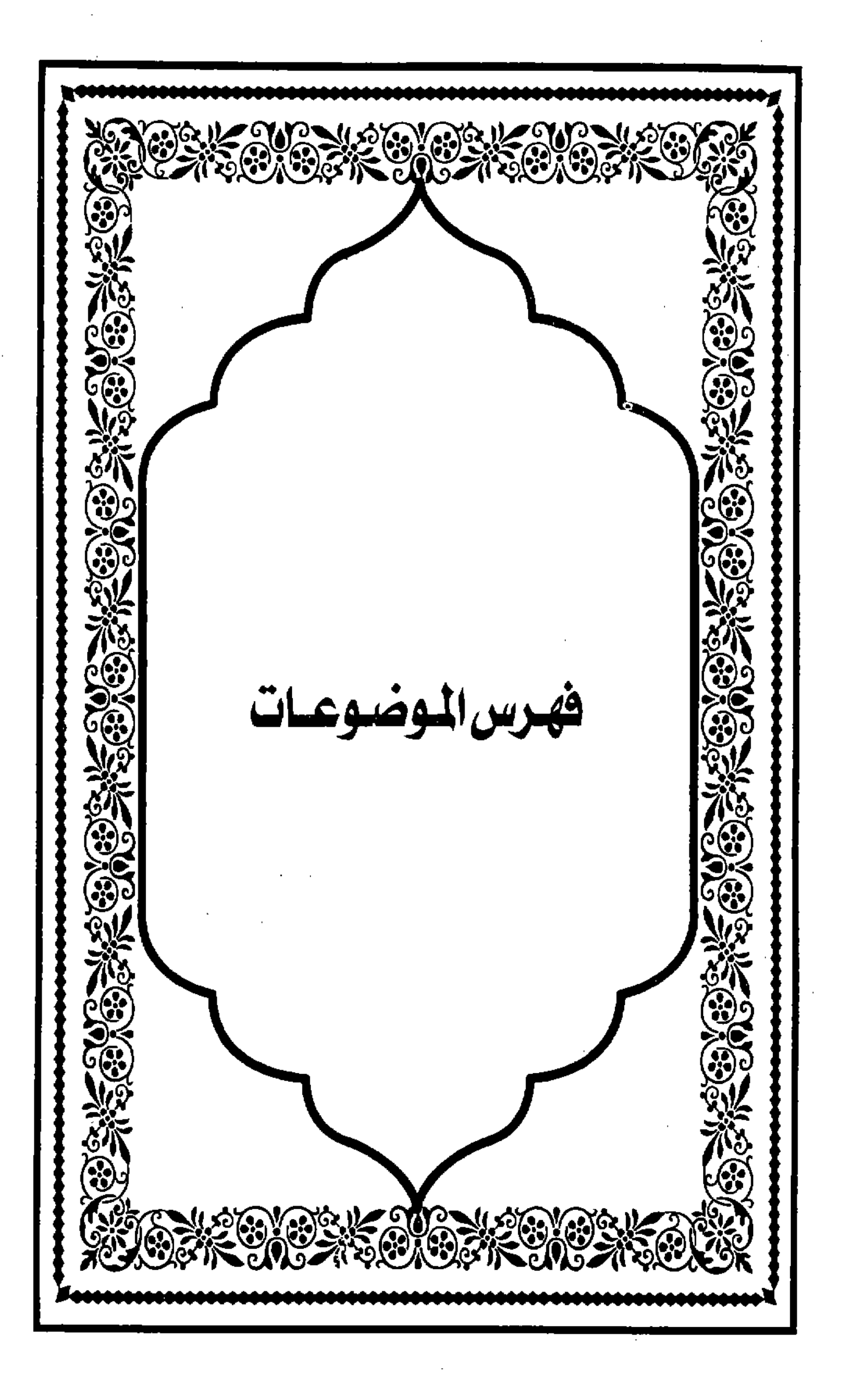
- الرد على من يقول: الصحابة رجال ونحن رجال فيستقل في فهمه وعلمه. (مجموع فتاوى سماحة الشيخ) (٢/ ٧٦٠).

- الرد على من يعتبر الأحكام الشرعية غير متناسبة مع هذا العصر. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٤١٥). »[1].

وهناك كتاب قيم بعنوان «الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» وهو قيم في بابه.

---

(١) «الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» جمع أحمد الفريح ص(٤٣٥ ـ ٤٣٩).



فهرس الموضوعات

الصفحة | الموضـــوع

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
وا إسلاماه	١٨٥ ـ ٢٤٠

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم المجلد الرابع بحمد اللَّه

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٢٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة